نَظرَةٌ في

دُعاء الافتِتاح

مُصطفى مُرتَضى

Princeton University Library
32101 058346444

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

Murtaḍá [redacted]

مصطفى مرتضى

نظرة في دعاء الافتتاح

الجزء الأول

([redacted])
BP192
.8
.M877
1986
(RECAP)

الكتاب: ((نظرة في دعاء الافتتاح)).
المؤلّف: السيّد مصطفى مرتضى.
الطبع: سنة (١٤٠٦ هـ) قم ـ إيران.
المطبوع: ألفا نسخة.

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY DUPL
[redacted]

بسم الله الرحمن الرحيم

الأهداء

إلى قطب مدار الكائنات ··· إلى الحياة السارية في الموجودات إلى أمل المعذّبين ··· إلى أُمنيّة المشتاقين ··· إلى ناصر المظلومين ··· إلى المفرّج عن المضطهدين ·

إلى أمل الأُمّة ··· إلى محيط رجائها ·

إلى الآية الكبرى ··· إلى الوسيلة العظمى ··· إلى الرحمة الواسعة ·

إلى السبب في بقاء أهل الدنيا ··· إلى القيّم على بني الإنسان ·

إلى مطهّر الأرض من الظلم والفساد ··· إلى ناشر العدل في البلاد بين العباد ··· إلى حافظ الشريعة ··· إلى مغيث الشيعة ·

إلى عماد الحق ··· إلى لسان الصدق ··· إلى بقيّة اللّه في أرضه ، وخليفته في بلاده ، وحجّته على عباده ··· إلى الأمل والمأمول ·

إلى سيّدنا ومولانا صاحب الزمان ((عج)) أهدي كتابي هذا ·

82-858749-1

سيّدي : هذه بضاعة مزجاة ، وهي مقتبسة من نورك ، وهي عمل ضئيل مستمدّ من بعض فضلك ، فامنن سيّدي بقبولها فانها من بعض إمداداتك ، وجد يا مولاي بنظرة رضي فلا غني بنا عن تأييداتك ، فانّك كريم وابن كرام ..

والصلاة والسلام يا مولاي عليك وعلى آبائك الطيّبين الطاهرين ورحمة الله وبركاته .

مُصْطَفى مُرْتَضى

خطبة الكتاب

اللهم أنت ثقتي في كلّ كرب، وأنت رجائي في كلّ شدّة، أحمدك وأنت للحمد أهل، وأُصلّي على نبيّك وأهل بيته ـ الطيّبين الطاهرين ـ الذين أذهبت عنهم الرجس وطهّرتهم تطهيراً، فوّضت أمري إليك، وعليك توكّلت، واعتمدّت في كلّ أحوالي عليك، ولا حول ولا قوّة إلا بك.

وبعد: فانّ كلّ شيء يحدّ من ضعف هذا الإنسان، ويزيده قوّة إلى قوّته، ويمنح الخير ديمومة وبقاء، فما هو إلا الدعاء.

والدعاء؛ معناه: الإلتجاء إلى الله تعالى والرغبة إليه، ومن التجأ إلى الله فقد التجأ إلى ركن وثيق، ولذا كان الأنبياء والأئمة(صلوات الله عليهم) يداومون عليه ويستعملونه في مهمّاتهم، ويستمدّون من الله النصر على أعدائهم، ولقد كانوا هم المنصورون، وكلمتهم كانت العليا، وكانت كلمة أعدائهم هي السفلى، لأنهم حزب الله؛ وحزب الله هم الغالبون، وجند الله؛ وجند الله لا يغلبون، وهم لخصومهم قاهرون.

وقد عنّ لي أن أنظر في بعض الأدعية المأثورة، الواردة عن معدن النبوّة، وموضع الرسالة علّي أفيد شيئاً يكون لي عدّة في المعاد؛ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

والأدعية كثيرة، وكثيرة جدّاً، فخطر لي أن أرجع إلى دعاء من أدعية

ليالي شهر رمضان ، وهو الدعاء المعروف بدعاء الإفتتاح ، وهو مأثور عن صاحب زماننا (عجّل الله فرجه ، وجعل أرواحنا فداه) .

فقد نقل أنه خرج من الناحية المقدّسة على يد الشيخ أبي الحسن عليّ بن محمد السمري (رضوان الله عليه) ، فأقدمت على ذلك ـ وهو امر شاق ـ ، وإني أعلم ـ يقيناً ـ أني لست من فرسان هذا الميدان ، إلا أنّ ثقتي بمولاي (عجّل الله فرجه) أن تشملني ألطافه ، وتحلّ عليّ بركاته ، وحُسن يقيني به صلوات الله عليه وعلى آبائه جرّأني على هذا ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكّلت وإليه أنيب .

المقدّمة

بما أن الإنسان عالم بنفسه، وفيه جميع ما في العالم الكبير ـ ناراً وتراباً، وهواء وماء، وأرضاً وجبالاً ووديانا، وبحاراً وأنهاراً، وعامراً وغامراً، وحيواناً ونباتاً ـ فهو نسخة مختصرة من العالم الكبير، كما هو مقرر في محلّه من الكتب المعدّة لذلك.

قال بعض الأفاضل:

إعلم أيّها الإنسان أنك نسخة مختصرة من العالم، فيك بسائطه ومركّباته، وماديّاته ومجرّداته، بل أنت العالم الكبير، بل الأكبر، كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

دواؤك فيك وما تشعر وداؤك منك وما تبصر

وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر
وأنت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضمر

وفي العلل/ ١ص١٤ عن الحسن بن عليّ بن فضال عن الرضا (عليه السلام) قال :

((قلتُ له : لم خلق الله الخلق على أنواع شتّى ، ولم يخلقه نوعاً واحداً؟ فقال : لئلا يقع في الأوهام انه عاجز، ولا يقع صورة في وهم ملحد إلا وقد خلق الله(عزّ وجل) عليها خلقاً ، لئلا يقول قائل : هل يقدر الله على صورة كذا وكذا؟ لأنه لا يقول من ذلك شيئاً إلا وهو موجود في خلقه تبارك وتعالى ، فيعلم بالنظر إلى أنواع خلقه أنه على كلّ شيء قدير)) ٠

وفي خبر يزيد بن سلام أنه سأل النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) :
((انّ آدم خلق من الطين كلّه أو من طين واحد ؟ قال : بل من الطين كلّه ، ولو خلق من طين واحد لما عرف الناس بعضهم بعضاً ، وكانوا على صورة واحدة ، قال : فلهم في الدنيا مثل؟ قال : التراب؛ فيه أبيض ، وفيه أخضر ، وفيه أشقر ، وفيه أغبر ، وفيه أحمر ، وفيه أزرق ، وفيه عذب، وفيه ملح ، وفيه خشن ، وفيه ليّن ، وفيه أصهب، فلذلك صار الناس فيهم ليّن ، وفيهم خشن ، وفيهم أبيض ، وفيهم أصفر ،وأحمر، وأصهب، وأسود ، على ألوان التراب)) (العلل : باب ٢٢٢/ح ٣٣) ٠

فقد كرّم الله هذا الإنسان وفضّله على غيره ، قال تعالى :
﴿ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيّبات وفضّلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ (الإسراء/الآية ٧٠) ٠

وجعله خليفته في أرضه ، فقال :

﴿ وإذ قال ربّك للملائكة إنّي جاعل في الأرض خليفة﴾ (البقرة/ الآية ٣٠)

وأسجد له ملائكته ، فقال (عزّ من قائل) :

﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا﴾ (البقرة/ الآية ٣٤) .

ولأجله خلق جميع الأشياء ، فقال (جلّ اسمه) :

﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا﴾ (البقرة/ الآية ٢٩) .

وليس من شكّ أنّ إخباره ملائكته عنه ـ قبل إيجاده ـ إنما هو إشارة وتنويه بما لهذا المخلوق العظيم من الشأن الخطير والمكان الرفيع عنده سبحانه ، وما له من الكرامة التامّة والمنزلة الجليلة لديه (جلّ ثناؤه) .

ويتجلّى ذلك بما عوملت به الملائكة (صلوات اللّه عليهم) ـ من أجله ـ عندما قالوا : ﴿ أتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء﴾ (البقرة/ الآية ٣٠) حيث أمرهم بالسجود تعظيماً له وتكريماً ، وهذا من أقوى الأدلّة على تفوق هذا الإنسان بالشرف وعظيم الرتبة ـ عند العليم الحكيم ـ على الملائكة المقرّبين ، إذ لا خلاف عند العقلاء أنّ السجود له أشرف وأعظم من المسجود.

وأنت عليم بأنّ العالم الأرضي لا تتم الحياة فيه إلا مع الاجتماع ، ولا يكمل الانتظام بغير التعاون ، والاجتماع مظنّة النزاع ، حيث انّ كلّ إنسان مطبوع على شهوة وغضب ، وكلّ فرد يرى أنّ ما له حق ، وانّ ما عليه ظلم ، فيحصل ـ والحال هذه ـ بينهم التنازع والتخاصم فيختلّ نظام الاجتماع ، وأدركت الملائكة أنّ الخليفة لا بدّ وأن يكون حاكياً للمستخلف في جميع شؤونه الوجوديّة وآثاره وأحكامه وتدابيره بما هو مستخلف له .

وعلمت الملائكة أنّ الله تعالى لا يشبهه شيء ، فهو مسمّى بالأسماء الحسنى ، متّصف بالصفات العليا ـ صفات الجمال والجلال ـ منزّه عن جميع النقائص ، مقدّس في فعله عن الشرّ والفساد ٠

وإنما صدر منهم القول ـ إستفهاماً ـ لتعرف ما جهلوه ، واستيضاح ما أشكل عليهم من أمر هذا الخليفة ، وليس من الاعتراض عليه في شيء ، كيف ، وقد وصفهم بأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، ومع ذلك فقد ابتلاهم بالعجز والجهل حيث ألهم آدم معرفة الأسماء دونهم ، وهو دليل فعليّ لهم على امتيازه عليهم ، وانهم ملزمون بطاعته والإنقياد له مع علمهم وكمالهم ، سيّما وقد وصفهم في كتابه المجيد بأنهم لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ، وانهم يسبّحون له بالليل والنهار ، وانهم لا يسأمون ولا يفترون في كثير من الآيات الصادرة بفضلهم وعصمتهم (صلوات الله عليهم) ٠

الأنسان أشرف من الملك

وهل ذلك إلا لأن الإنسان أعلى وأشرف من الملك ، بل أعلى وأشرف من جميع الموجودات منّا منه تعالى عليه ، وتكريماً له ، كما في قوله :

﴿ولقد كرّمنا بني آدم ٠٠٠﴾ (الإسراء/ الآية ٧٠) ٠

وذكر ابن بابويه في العلل (باب ٧/ح ٤) حديثاً مسنداً عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال :

((لمّا أُسري برسول الله (صلّى الله عليه وآله) وحضرت الصلاة أذّن جبرئيل وأقام الصلاة ، فقال : يا محمد تقدّم ، فقال له رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : تقدّم يا جبرئيل ، فقال له : إنّا لا نتقدّم على الآدميين منذ أمرنا بالسجود لآدم)) ٠

وفي يوم أحد ـ عندما إنهزم الناس وأبلى عليّ (عليه السلام) ذلك البلاء العظيم في الذبّ عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ـ نزل عليه جبرئيل وقال: يا محمد إنّ هذه لهي المواساة من عليّ لك، فقال (صلّى الله عليه وآله): إنه منّي وأنا منه، فقال جبرئيل: وأنا منكما)).

وإذا كان سنخ الملائكة غير سنخ البشر فكيف جاز للروح الأمين أن يقول: ((وأنا منكما))؟.

قال الصدوق (رحمه الله):

((قول جبرئيل: "وأنا منكما" تمنّ منه لأن يكون منهما، فلو كان أفضل منهما لم يقل ذلك، ولم يتمنّ أن ينحطّ عن درجته إلى أن يكون ممن دونه، وإنما قال: "وأنا منكما" ليصير ممن هو أفضل منه فيزداد محلاً إلى محلّه، وفضلاً إلى فضله)) إنتهى.

وفيه نظر، فانّ جبرئيل (عليه السلام) هو المبلّغ محمداً (صلّى الله عليه وآله) عن الله (عزّ وجل) قوله: ﴿ولا تتمنّوا ما فضّل الله به بعضكم على بعض﴾ (النساء/الآية ٣٢) فكيف يسوغ له أن يتمنّى ما ليس له، بل لا يبعد أن يكون المراد بقوله: ((أنا منكما)) الخدمة، أي أنا خادم لكما وتابع لكما، قال تعالى حاكياً قول إبراهيم (عليه السلام): ﴿فمن تبعني فانه منّي﴾ (إبراهيم/الآية ٣٦)، وقال النبيّ (صلّى الله عليه وآله): ((مولى القوم منهم)).

وفي العلل/باب ٧/ح ٢/ عن الصادق (عليه السلام) قال:
((كان جبرئيل إذا أتى النبيّ (صلّى الله عليه وآله) قعد بين يديه قعدة العبد، وكان لا يدخل حتى يستأذنه)).

وفي التنزيل العزيز :

*الذي سخّر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلّكم تشكرون * وسخّر لكم ما في الأرض جميعاً منه* .

(الجاثية/ الآيتان ١٢و١٣)

أفلا يجب على من سخّرت له الكائنات، وقامت دائبة في خدمته الموجودات، أن يقوم بشكر هذا المنعم العظيم، الذي حباه بهذا التكريم، وخصّه بذلك التبجيل والتعظيم، وخلقه في أحسن تقويم، ونبّهه على هذا المعنى بقوله :

أفمن يمشي مكبّاً على وجهه أهدى أمّن يمشى على صراط مستقيم

(المُلك/ الآية ٢٢) .

وشكر اللّه تعالى عبادته ، وأفضل العبادة الدعاء ، فعن الإمام الصادق (عليه السلام) :

((أُدع ولا تقل : قد فرغ من الأمر ، فانّ الدعاء هو العبادة ، إنّ اللّه (عزّ وجل) يقول :* إنّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين* وقال :* أُدعوني أستجب لكم* (المؤمن/ الآية ٦٠))) .

(الكافي/ ج ٢/ ص ٤٧٦) .

فصل: قيمة الانسان في هذا الكون

الانسان هو زبدة الكائنات، ونخبة ما في الأرض والسماوات، بل هو الكون الجامع لمراتب الوجود عقلاً وحساً، غيباً وشهادة، فهو تارة ملك روحاني، بل أشرف وأعلى لما تقدّم، ولأنّ الملائكة خدم للمؤمنين من بني آدم وتارة هو بهيمة، بل يكون أخسّ من البهيمة، إذ لا عقل للبهيمة يميّز بين الحسن والقبيح كما للانسان، فالبهيمة ـ لا شكّ ـ أشرف من الانسان السادر في اتّباع شهواته وإشباع رغباته، لأنه لم يشكر عناية اللّه به، ولم يحفظ ما خصّه به من الشرف والكمال، وأضاع ما أُعطي من الفضل والافضال، فسقط إلى حضيض الخسّة والدناءة، وهوى في بؤرة النذالة والرذالة.

واعلم انّ الرطوبات التي تخرج من العين والفم تجري مجرى العيون والأنهار في الأرض.

وبخار البدن يجري مجرى السحاب، والعرق يجري مجرى المطر.

وأمّا العروق: فكبارها يجري مجرى الأودية، وصغارها يجري مجرى الأنهار والجداول.

وأمّا الشعور كلّها فهي جارية مجرى النبات.

والحيوان الذي يتولّد في ظاهر البدن يجري مجرى حيوان البرّ، والذي في باطنه يجري مجرى حيوان البحر.

ونصف المقدّم ـ الذي فيه الوجه ـ يجري مجرى العامر من الأرض الذي فيه البلدان، ونصفه الآخر ـ الذي فيه القفار ـ يجري مجرى الخراب من الأرض الذي فيه البراري.

وأمّا العين فتجري مجرى الكواكب بناظرها وشعاعها .
وطبقات العين تجري مجرى أفلاك الكواكب .
ويحدث في البدن جميع ما يحدث في العالم الكوني من الرياح والزلازل والطوفان والرجفة ، وذلك مثل العطاس والزكام والحميات وغيرها من عوارض البدن .

تشريف الانسان على غيره من الحيوان

وفي كتاب : ((توحيد المفضّل)) قال الامام الصادق (عليه السلام) :
((يا مفضّل أُنظر إلى ما خصّ به الانسان ـ في خلقه ـ تشريفاً وتفضيلاً على البهائم ، فانه خلق ينتصب قائماً ويستوي جالساً ليستقبل الأشياء بيديه وجوارحه ، ويمكنه العلاج والعمل بهما ، فلو كان مكبوباً على وجهه كذات الأربع لما استطاع أن يعمل شيئاً من الأعمال .
أنظر الآن إلى هذه الحواس التي خصّ بها الانسان في خلقه ، وشرّف بها على غيره ، كيف جعلت العينان في الرأس كالمصابيح فوق المنارة ليتمكّن من مطالعة الأشياء ، ولم تجعل الأعضاء التي تحتهنّ كاليدين والرجلين فتعرضها الآفات ، ويصيبها من مباشرة العمل والحركة ما يعللها ويؤثّر فيها وينقص منها .
ولا في الأعضاء التي في وسط البدن ـ كالبطن والظهر ـ فيعسر تقبّلها واطّلاعها نحو الأشياء .
فلمّا لم يكن لها في شيء من هذه الأشياء موضع كان الرأس أسنى المواضع للحواس وهو بمنزلة الصومعة لها .
فجعل الحواسّ خمساً تلقى خمساً ، لكي لا يفوتها شيء من المحسوسات ، فخلق البصر ليدرك الألوان ، فلو كانت الألوان ولم يكن بصر يدركها لم يكن منفعة فيها ، وخلق السمع ليدرك الأصوات ، فلو

كانت الأصوات ولم يكن سمع يدركها لم يكن فيها ارب، وكذلك سائر الحواس.

ثم هذا يرجع متكافئاً، فلو كان بصر ولم يكن ألوان لما كان للبصر معنى، ولو كان سمع ولم يكن أصوات لم يكن للسمع موضع، فانظر كيف قدّر بعضها يلقى بعضا، فجعل لكلّ محسوس حاسّة تدركه، ولكلّ حاسّة محسوساً تعمل فيه.

ومع هذا فقد جعلت أشياء متوسّطة بين الحواس والمحسوسات، لا يتمّ الحواس إلا بها، كمثل الضياء والهواء، فانه لم يكن ضياء يظهر اللون للبصر لم يكن البصر يدرك اللون، ولو لم يكن هواء يؤدّي الصوت إلى السمع لم يكن السمع يدرك الصوت، فهل يخفى على من دقّ نظره وأعمل فكره أنّ مثل هذا الذي وصفت ـ من تهيئة الحواس والمحسوسات بعضها يلقى بعضاً وتهيئة أشياء أخر بها تتم الحواس ـ لا يكون إلا بعمد وتقدير من لطيف خبير)) ـ إنتهى ـ

فقد علمت ما الانسان، وقد علمت أنه كائن عجيب، جسماني روحاني، أرضي سماوي، قالبه على طبيعة الحيوان، وقلبه على طبيعة الملك، فهو من حيث الروح ملك، بل فوق مرتبة الملائكة، ومن حيث الجسد بهيمة وربّما أخسّ منها، كما في العلل (باب ٦) عن عبد الله بن سنان قال: سألتُ أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) فقلتُ: الملائكة أفضل أم بنو آدم؟ فقال:

((قال أمير المؤمنين (عليه السلام): إنّ الله (عزّ وجل) ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوة بلا عقل، وركّب في بني آدم كلتيهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شرّ من البهائم)).

لمصلحة الإنسان وجدت الموجودات

ولأجل الإنسان ولمصلحته وجدت الموجودات، وتكوّنت الكائنات ؛ قال تعالى :

﴿الذي جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سُبلاً وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتّى كلوا وارعوا أنعامكم﴾ (طٰه ٥٣و٥٤)

وقال تعالى أيضا :

﴿أأنتم أشدّ خلقاً أم السماء بناها رفع سمكها فسوّاها وأغطش ليلها وأخرج ضُحاها والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعاً لكم ولأنعامكم﴾ (النازعات/ الآيات ٢٧ـ ٣٣) .

والآيات في هذا المعنى كثيرة .

وان تمدحه تعالى بما أوجده من المكوّنات السماوية والأرضيّة يعطي أنها إنما وجدت لمصلحة الانسان ، ولتمام نظامه وتكوينه ، فلا يستقرّ نظام حياته إلا بها ، وهي وإن كان لا يكنه الوصول إليها والسيطرة عليها فانها مسخّرة لأجله وعلى وفق مصلحته ، ولذا حصل منه التهديد باتلافها أو إتلاف بعضها ـ لو قدّر الله ذلك ـ عقوبة للناس على عصيانهم ، كقوله :

﴿ولو يُؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابّة﴾ .

(النحل/ الآية ٦١) .

وقوله تعالى أيضاً :

﴿ولو يُؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابّة﴾ .

(فاطر/ الآية ٤٥) .

فلولا أنّ وجود الدوابّ من مقوّمات حياة الإنسان ، ومن اللوازم الضروريّة له في حفظ كيان وجوده لم يكن إعدامها عقوبة له ، وكذا قوله تعالى

﴿قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إلٰه

غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تُبصرون﴾ (القصص/الآيتان ٧١و٧٢) ·

السرمد : الدائم ، وخلق الله الليل للقرار والسكن ، والنهار للمعاش والعمل ، ولو دام الليل أو النهار لما قام للحياة قائمة ، فانّ من مقوّمات حياة الإنسان وجودهما متعاقبين ، يدلّ على ذلك قوله تعالى عقيب هاتين الآيتين :﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه﴾ أي في الليل ، و﴿ ولتبتغوا من فضله﴾ أي في النهار ، ﴿ ولعلّكم تشكرون﴾ وهي مسوقة لبيان نتيجة الحجّة في الآيتين السابقتين ، والآيات في هذا المعنى كثيرة ·

وبالجملة : جميع ما أقسم الله تعالى به في القرآن الكريم ، وما تمدّح به وامتنّ بايجاده إنما هو تذكير لهذا الإنسان بنعم الله (عزّ وجل) عليه وأياديه ·

وفيها الإشارة إلى أنّ جميع هذه المكوّنات لازمة له ، ولا يمكنه الحياة بدونها ، وانه مأمور بالتفكّر فيها ، ليكون داعياً له إلى شكر هذا المنعم العظيم والتوجّه إليه ·

والتوجّه إلى الله إنما يعني طلب ما عنده ، نظراً إلى عجز الإنسان وشدّة حاجته إليه : ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنيّ الحميد﴾ (فاطر/الآية ١٥) ·

ولولا الحاجة لم يكن للطلب معنى ، والحاجة إلى الشيء معناها الافتقار إليه وعدم الاستغناء عنه ، فلابدّ من التذلل والخضوع أمام المطلوب منه ، والطلب ان كان من العالي الى الداني فهو أمر ، وان كان من المساوي الى المساوي فهو التماس وان كان من الداني الى العالي فهو دعاء ، وموضوعنا انّما هو الأخير ·

فصل
في تعريف الدعاء والحث عليه

الدعاء في اللغة: النداء، تقول: دعوت فلاناً إذا ناديته وصحت به، وقد يراد به التذكير بالشيء كدعاء المؤمن إلى الصلاة بمعنى تذكيره بها.

وفي العرف: الرغبة إلى الله على وجه الاستكانة والخضوع.

وفي المصباح المنير: دعوت الله أدعوه دعاء ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير، ودعوت زيدا: ناديته وطلبت إقباله ـ إنتهى ـ

وقد يطلق على التحميد والتقديس لما فيه من التعرّض المطلب، وهو معنى لطيف، يدلّ على ما روي في الكافي (ج ٢/ص ٥٠١) عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال:

((إنّ الله تعالى يقول: "من شغل بذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أُعطي من سألني")).

وعنه (عليه السلام):

((إنّ العبد لتكون له الحاجة إلى الله (عزّ وجل) فيبدأ بالثناء على الله والصلاة على محمد وآل محمد حتى ينسى حاجته فيقضيها الله

الله له من غير أن يسأله إيّاها)) ٠

والدعاء على أربعة أقسام :

(الأول) : ما يتعلّق بالتحميد والتسبيح والتهليل ٠

(الثاني) : ما يتعلّق بطلب خير الدنيا ودفع مكارهها ٠

(الثالث) : ما يتعلّق بطلب الآخرة والتوفيق لخيراتها ٠

(الرابع) : ما يشمل الإثنين والثلاثة مما ذكرناه ٠

وفي حديث عرفة : أكثر دعائي ودعاء الأنبياء قبلي بعرفات :
((لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له المُلك وله الحمد وهو على كلّ شيء قدير ٠٠)) ٠
إنما سمّي التهليل والتحميد والتمجيد دعاء لأنه بمنزلته في استيجاب ثواب الله وجزائه ، كالحديث الآخر :
((إذا شغل عبدي ثناؤه عليّ عن مسألتي أعطيته أفضل ما أُعطي السائلين)) (النهية/ج ٢/ ص ١٢٢) ٠

وسُئل عطاء عن معنى قول النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : ((خير الدعاء دعائي ودعاء الأنبياء قبلي وهو : " لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له المُلك وله الحمد ، يُحيي ويُميت وهو حيّ لا يموت ، بيده الخير وهو على كلّ شيء قدير ")) ، وليس هذا دعاء ، إنما هو التقديس والتمجيد ؟ فقال : هذا أُميّة بن الصلت يقول في ابن جدعان :

إذا أثنى عليك المرء يوماً كفاه من تعرّضه الثناء

أفيعلم ابن جدعان ما يراد منه بالثناء عليه ولا يعلم ربّ العالمين ما يراد منه بالثناء عليه ؟ ! ٠

ولعل أحدا ينظر إلى قوله تعالى :

﴿أُولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب﴾ (البقرة/ الآية ٢٠٢)

وقوله :

﴿فاستجاب لهم ربّهم أني لا أُضيع عمل عامل منكم من ذكر وأُنثى﴾ . (آل عمران/ الآية ١٩٥) .

وقوله :

﴿وأن ليس للانسان إلا ما سعى﴾ (النجم/ الآية ٤٠) .

فيقول : إنّ الانسان ليس له من دنياه إلا ما يقدّمه من عمل وجهد ، وأما الكيل من الأجر لمن لا يعمل ، أو يعمل ولكن بخلاف ما يرضي اللّه ، فذلك ما لا وجه له ، فالإنسان إنّما يوفّى يوم القيامة بما كان يستحقّه جزاء ما قدّمه من عمل ، والله سريع الحساب، إذن فالسعي والعمل هما المناط في تحصيل الجزاء ، لا الدعاء والاتّكال وانتظار أن يأتيه كلّ شيء بدون تقديم مجهود في هذه الحياة ، ويقول الله تعالى في عقيب الآية الأخيرة :

﴿وأنّ سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾ (النجم/ الآية ٤١) .

وهذا هو دين القرآن والاسلام ؛ ليس للانسان إلا ما سعى وفعل ونوى ، ولا يقاس بشيء على الاطلاق إلا بمقاصده وأفعاله ، فهي وحدها التي ترفعه أو تضعه ، تقدّسه أو تدنّسه ، ولا يوزن بشيء سوى سعيه وجهده وعرقه وعمل يده ، فاذا عمل العبد واستحقّ ـ بازاء سعيه ـ ما رتّب على ذلك من ثواب أو عقاب، فانّ سعيه سوف يُرى من قبل ربّه وخالقه ، فانّ حسن منه التقرّب والتودد كان حقّاً على الله أن يجزيه الجزاء الأوفى ، والجزاء الأوفى ؛ هو ما يفيضه الله على عبده من باب التفضّل والعطف، لا من باب الجدارة ، والاستحقاق ، وإن كبابه الحظ عن عمل الخير وانجرف في تيّار الشهوات والملذّات الفانية ، فهو من الخاسرين المستحقّين عقوبته ونكاله ،

وذلك انّ اللّه عدل لا يجور .

وقد غفل هذا القائل عن أنّ الدعاء أمر صادر من قبل الحقّ تعالى شأنه ، والأمر للوجوب ، فالدعاء من العبادات المفروضة ، لأنه تكليف وواجب الإمتثال ، يقول تبارك اسمه :

﴿وقال ربّك أدعوني أستجب لكم إنّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين﴾ (غافر/ الآية ٦٠) .

فقوله : ﴿أُدعوني﴾ : أمر منه بالدعاء ، وأمر اللّه تعالى للوجوب كما قدّمنا ، وقوله : ﴿أستجب لكم﴾ : وعد منه (جلّ وعز) بالاجابة ، وهو الصادق الوعد ، لا خلف لوعده ، ولا رادّ لفضله ، وهو أكرم الأكرمين ، وأرحم الراحمين ، وهو معدن الإفضال والجود .

وأكمل الآية بأن جعل الدعاء عبادة ، وسمّى تركه استكباراً ، وتوعّد عليه دخول جهنّم داخرين ، أي ذليلين مهانين محقّرين ، وهذا يعطي أنّ ترك الدعاء كفر باللّه العظيم ، فتاركه كافر بلا شكّ ، ولو كان مؤمناً لوثق بما عنده ودعاه وسأله من فضله ، مضافاً إلى أنه توعّد تاركه بالنار ، فلولا أنّ الدعاء عبادة لما توعّد على تركه بالنار .

ومن هذا الباب قوله تعالى :

﴿فادعوا اللّه مخلصين له الدين﴾ (غافر/ الآية ١٤) .

وقوله :

﴿وادعوه خوفاً وطمعاً إنّ رحمة اللّه قريب من المُحسنين﴾ (الأعراف/ الآية ٥٥) .

وفيها توجيه للداعي بأن يكون على حالة بين الخوف والرجاء ، فانّ

الإسترسال في الخوف يؤدّي إلى القنوط واليأس فيترك الدعاء والعبادة من رأس ، والإسترسال في الرجاء المعبّر عنه باسم الطمع ربّما أدّى إلى الوقاحة وقلّة الحياء ، فيخرج عن صفات العابدين ، إذن فلابدّ من خوف يخالطه رجاء ، ولا بدّ من رجاء يخالطه خوف، ففي الكافي (ج ٢/ ص ٧٠) عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال :

((لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً ، ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو)) ٠

وقال تعالى :

﴿ أُدعوا ربّكم تضرّعاً وخفية إنه لا يحبّ المعتدين ﴾ (الأعراف/ الآية ٥٤)

والآيات في هذا المعنى كثيرة ، وهي مشتملة على أركان الدعاء وآداب الداعي ، وعمدتها الإخلاص في دعائه تعالى ، وهو مواطاة القلب مع اللسان ، والإنقطاع عن كلّ سبب دون الله والتعلّق به سبحانه ٠

ويلحق به الخوف والرغبة والرهبة والطمع والخشوع والتضرّع والإصرار وصالح العمل والايمان وأدب الحضور ، وغير ذلك من الآداب والشروط ٠

وقال تعالى :

﴿ وإذا سألك عبادي عنّي فانّي قريب أُجيب دعوة الداعي إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلّهم يرشدون ﴾ (البقرة/ الآية ١٥٦) ٠

وهذه الآية دلّت على أُمور :

منها : تعريضه تعالى لعباده بسؤاله حيث يقول : ﴿ وإذا سألك عبادي عنّي فانّي قريب ﴾ ، ولفظ ((قريب)) ههنا معناه : شمول عنايته تعالى لخلقه ورحمته بهم ، ومن هذا شأنه فلابدّ وأن يكون مرغوباً إليه ومطموعاً في سؤاله والطلب منه ٠

ومنها : عموم إحاطته بالكلّ ، وشدّة استغراقهم في نعمه وأياديه ، فانّ معنى ((قريب)) : إنّي سريع الاجابة ، والتقارب بين القريب والسريع ظاهر للمتأمّل ·

وقيل : معناه : إنّي أسمع دعاء الداعي كما يسمعه القريب المسافة منهم ، فجاءت لفظة قريب لحسن البيان بها ، تقريباً لإفهام السامعين ، وإلا فانّ الإتّصاف بقرب المسافة ممتنع عليه تعالى ، فانّ ذلك إنما يتصوّر فيمن كان متمكّناً في مكان ، وذلك من صفات المحدثات، ولو كان له مكان لكان محدوداً ولم يكن قريباً من كلّ من يناجيه ، ولو كان قريباً من زيد الذي هو بالمشرق لكان بعيداً عن عمرو الذي هو بالمغرب، ولما دلّت الآية على أنه تعالى قريب من الكلّ علمنا أنّ هذا القرب ليس قربا من حيث الجهة ، ولكنّه قرب بمعنى الاحاطة الكليّة والعناية التامّة والحفظ العام والحصر الدقيق: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم﴾ ، والمعنى : إنّه عالم بأحوالهم وجميع متصرّفاتهم فرادى وعند الاجتماع ، لا يخفى عليه شيء منها ، فكأنما هو معهم ومشاهد لهم ، وعلى هذا يقال : ((إنّ اللّه مع الإنسان حيثما كان)) ، لأنه إذا كان عالماً به لا يخفى عليه شيء من أمره حسن هذا الإطلاق لما فيه من البيان ، فامّا أن يكون معهم على طريق المجاورة فذلك محال ، لأنه من صفات الأجسام ، وقد دلّت الأدلّة على أنه ليس بصفات الأجسام ·

ومنها : غاية عنايته بمسارعة إجابته ، فلم يجعل الجواب موقوفاً على تبليغ الرسول بل قال :﴿فانّي قريب﴾ ولم يقل : قل لهم : إنّي قريب·

ومنها : خروج هذا الجواب بالفاء المقتضى للتعقيب بلا فصل ·

ومنها : تشريفه تعالى لهم بردّ الجواب بنفسه ، فلم يقل : فقل لهم ،

وهذا تنبيه على كمال منزلة الدعاء وعظم خطره وشرفه عنده تعالى ومكانه منه ، فكأنّه تعالى يقول : يا عبدي أنت إنّما تحتاج إلى الواسطة في غير وقت الدعاء ، أمّا في مقام الدعاء فلا واسطة بيني وبينك ، وكيف تحتاج إلى الواسطة وأنا أقرب إليك من حبل الوريد .

وقال الإمام الباقر(عليه السلام) :

((لا تمل من الدعاء ، فانه من الله بمكان)) (ئـل/ ١٠٨٦) .

وعن سدير ، قال : قلتُ لأبي جعفر(عليه السلام) :

((أيّ العبادة أفضل؟ قال : ما من شيء أفضل عند الله(عزّ وجل) من أن يسأل ويطلب ما عنده ، وما أحد أبغض إلى الله(عزّ وجل) ممن يستكبر عن عبادته ولا يسأل ما عنده)) .

وعن ميسر بن عبد العزيز عن أبي عبد الله(عليه السلام) قال :

((قال لي : يا ميسر أدع ولا تقل : إنّ الأمر قد فرغ منه ، إنّ عند الله (عزّ وجل) منزلة لا تنال إلا بمسافة ، ولو أنّ عبداً سدّ فاه ولم يسأل لم يعط شيئاً ، فسل تعط ، يا ميسر إنه ليس من باب يقرع إلا ويوشك أن يفتح لصاحبه)) (الكافي/ج ٢/ص ٤٦٦) .

الأمر : حدوث الحوادث وتدبيره ، وفرغ على بناء المجهول ، والظرف قائم مقام الفاعل ، أي لا تقل : إنّ كلّ كائن في اللوح المحفوظ لا يتغيّر ولا يتبدّل ، فمن علم الله انه يموت في سنة كذا يستحيل أن يموت قبلها أو بعدها ، وإلا لزم أن يكون علمه تعالى جهلاً ، هذا كلام صحيح لكن لا يمنع الأمر بالدعاء والإتيان به ، وترتّب الفائدة عليه ، إذن المراد بالنهي عن القول : النهي عن جعل ذلك مانعاً من الدعاء ، وسبباً للاعتقاد بعدم فائدته .

وحاصل الخبر: انه (عليه السلام) أجاب عن ذلك بوجهين:

أحدهما: إنّ الدعاء في نفسه مطلوب، لأنه عبادة جليلة تؤدّي إلى منزلة رفيعة عند الله تعالى، وتلك المنزلة لا تنال إلا بدعاء وتضرّع واستكانة.

والثاني: إنّ الكائن قد يزيد وينقص ويمحو إذا كان مشروطاً بشرط، مثلاً: يقدر عمره بثلاثين إن لم يصل رحمه، وسبعين إن وصلها، وقدّر رزقه يوم كذا بدرهم إن لم يدع ولم يطلب الزيادة، وبدرهمين إن دعا وطلب، وهكذا سائر المطالب.

والحاصل: إنّ لوجود الكائنات وعدمها شروطاً وأسباباً، وأبى اللّه سبحانه أن يجري الأشياء (الأمور) إلا بالأسباب (بأسبابها)، ومن جملة الأسباب لبعض الأمور الدعاء فاذا دعا وكانت المصلحة إعطاءه أعطاه اللّه ما طلب، وإن لم يكن في إعطائه مصلحة أو كان يدخل عليه العجب، منعه اللّه الإجابة لطفاً به وكان معذوراً لأنه سأل ولم يعط، وإذا لم يدع لم يعط ذلك الشيء ولا عذر له.

وأمّا علمه تعالى فهو تابع للمعلوم لا مؤثّريّة للعلم في عمل العبد فلا يصير سبباً لحصول الأشياء.

وقضاؤه تعالى وقدره لم يكونا بالقضاء اللازم والقضاء الحتم حتى يكون العبد مجبوراً على الفعل أو الترك، لأنّ في ذلك تجوير اللّه (عزّ وجل) أو إسقاط التكليف، إذ لا معنى للأمر والنهي، ولا مساغ للثواب والعقاب، كما في عيون أخبار الرضا (ج ١/ص ١٣٩)، قال:

((دخل رجل من أهل العراق على أمير المؤمنين فقال: أخبرني عن خروجنا إلى أهل الشام أبقضاء من اللّه تعالى وقدر؟ فقال له أمير

المؤمنين (عليه السلام) : أجل يا شيخ ، فوالله ما علوتم تلعة ولا هبطتم بطن واد إلا بقضاء من الله وقدر ، فقال الشيخ : عند الله أحتسب عنائي يا أمير المؤمنين ، فقال (عليه السلام) : مهلاً يا شيخ، لعلّك تظنّ قضاء حتماً وقدراً لازماً ؟ لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والأمر والنهي والزجر ، ولسقط معنى الوعد والوعيد ، ولم تكن على مسيء لائمة ولا لمحسن محمدة ، ولكان المحسن أولى بالملامة من المذنب والمذنب أولى بالاحسان من المحسن ، تلك مقالة عبدة الأوثان ، وخصماء الرحمان ، وقدريّة هذه الأُمّة ومجوسها ، يا شيخ إنّ الله كلّف تخييراً ، ونهى تحذيراً ، وأعطى على القليل كثيراً ، ولم يعص مغلوباً ، ولم يطع مكرهاً ، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظنّ الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ، قال : فنهض الشيخ وهو يقول :

أنت الأمام الذي نرجوا بطاعته
يوم النشور من الرحمان غفرانا
أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً
جزاك ربّك عنّا فيه إحسانا
فليس معذرة في فعل فاحشة
قد كنت راكبها فسقاً وعصيانا
لا لا ولا قائلاً ناهيه أوقعه
فيها عبدت إذن يا قوم شيطانا
ولا أحبّ ولا شاء الفسوق ولا
قتل الوليّ له ظلماً وعدوانا
أنّى يحبّ وقد صحّت عزيمته
ذو العرش أعلن ذاك الله إعلانا))

قال الغزالي : فان قيل : فما فائدة الدعاء مع انّ القضاء لا مردّ له ؟ فاعلم أنّ من جملة القضاء ردّ البلاء بالدعاء ، والدعاء سبب لردّ البلاء ، ووجود الرحمة ، كما انّ الترس سبب لدفع السلاح ، والماء سبب لخروج النبات من الأرض ، فكما انّ الترس يدفع السهم فيتدافعان كذلك الدعاء والبلاء ، وليس من شروط الاعتراف بالقضاء أن لا يحمل السلاح ، وقد قال تعالى :﴿وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم﴾ (النساء/الآية ١٠٢) ، فقدّر الله الأمر وقدّر سببه ، وفي الدعاء من الفوائد ما ذكرنا من حضور القلب والافتقار وهما نهاية العبادة والمعرفة ــ إنتهى ــ .

وقال (عليه السلام) : ((من لم يسأل الله من فضله فقد افتقر)) .

ومنها : دلّت هذه الآية الكريمة على أنه تعالى لا مكان له ، إذ لو كان له مكان لم يكن قريباً من كلّ من يناجيه .

ومنها : أمره تعالى لهم بالدعاء لقوله : ﴿فليستجيبوا لي﴾ أي فليدعوني وفيه سرّ لطيف ، وهو أنّ الإستجابة وعدمها إنما يتحققان بعد حصول الطلب ، أمّا إذا لم يكن طلب من السيّد فلا يكون الإنصياع له والمتوجّه إليه إستجابة ، ولا عدم الإلتفات إليه تمرّداً عليه ، وقوله : ﴿فليستجيبوا لي﴾ يعطي أنّ اللّه تعالى هو الذي يطلب من العبد ويسأله أن يدعوه ، وانّ دعاء العبد إنما هو إستجابة لطلب اللّه ذلك منه ، فهو من العبادات الواجبة المأمور بها ، ولذا سمّي تركه استكباراً وتهدد عليه في قوله :

﴿إنّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم﴾ .

ومنها : قوله تعالى :﴿وليؤمنوا بي﴾ ، قال الإمام الصادق (عليه السلام) ــ كما في مجمع البيان ــ : أي وليتحققوا أنّي قادر على إعطائهم ما سألوه .

فهو سبحانه يأمرهم باعتقادهم قدرته على إجابتهم ، وفيه فائدتان :

(الأولى) : إعلامهم باثبات صفة القدرة له .

(الثانية) : بسط رجائهم في وصولهم إلى مقترحاتهم ، وبلوغ مراداتهم ، ونيل سؤالاتهم ، لأنّ الانسان إذا علم قدرة معاملة ومعاوضة على دفع عوضه كان ذلك داعياً له إلى معاملته ، ومرغّباً له في معاوضته ، كما انّ علمه بعجزه عنه يكون على الضدّ من ذلك ، ولهذا تراهم يجتنبون معاملة المفلس .

ومنها : تبشيره تعالى لهم بالرشاد الذي هو طريق الهداية المؤدّي إلى المطلوب، والراشد قمين أن يستجاب دعاؤه ، فهي بشرى باجابة الدعاء بل أعمّ من ذلك ... بعلوّ المنزلة وسموّ المقام عند الله (عزّ وجل) .

وقد ورد عنهم (عليهم السلام) :

((من تمنّى شيئاً وهو لله رضى لم يخرج من الدنيا حتى يعطاه)) .

وعن الامام الصادق (عليه السلام) :

((إذا دعوت فظنّ أنّ حاجتك بالباب)) .

وأمّا الحثّ عليه من طريق العقل ؛ فانّ من المعلوم أنّ الانسان في هذه الدنيا معرّض للمصائب والنوائب، ولا ينفكّ عمّا يشوّش عقله ، ويشغل فكره ويضربه ، إمّا بوقوع عارض في جسمه ، أو ماله ، أو أهله وأقاربه ، أو أذيّة ظالم له ، أو حصول أيّ ضرر كان من الناس وغير الناس ، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) كما في نهج البلاغة/ المختار ٨٣ خ :

((فهل ينتظر أهل بضاضة الشباب إلا حواني الهرم ؟ وأهل غضارة الصحّة إلا نوازل السقم ؟ وأهل مدّة البقاء إلا آونة الفناء ؟ مع قرب

الزيال ، وأزوف الإنتقال ، وعلز القلق ، وألم المضض ، وغصص الجرض ، وتلفت الإستغاثة بنصرة الحفدة والأقرباء ، والأعزّة والقرناء ، فهل دفعت الأقارب ؟ أو نفعت النواحب ؟)) .

وقال (عليه السلام) كما في المختار ٢٢٦خ :
((دار بالبلاء محفوفة ، وبالغدر معروفة ، لا تدوم أحوالها ، ولا يسلم نزّالها ، أحوال مختلفة ، وتارات متصرّفة ، العيش فيها مذموم ، والأمان فيها معدوم ، وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة ، ترميهم بسهامها ، وتفنيهم بحمامها)) .

ودفع الضرر عن النفس ــ مع القدرة عليه والتمكّن منه ــ واجب ، وقد علمت أنّ الضرر إمّا واقع أو متوقّع الوقوع ، وكلاهما تجب إزالته مع القدرة عليه ، والدعاء محصّل لذلك وهو مقدور ، فيجب المصير إليه .

وقد نبّه أمير المؤمنين (عليه السلام) على هذا المعنى كما في الوسائل (ص١٠٩٧) بقوله :
((ما من أحد ابتلى وإن عظمت بلواه أحقّ بالدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء)) .

وهذا يعطينا أنه لا غنى لأحد عن الدعاء والطلب منه تعالى ، وإنّ من فائدة الدعاء دفع البلاء النازل ، والسوء الواقع ، كما ورد في كثير من الأحاديث : ((إنّ الدعاء يردّ البلاء وقد أبرم إبراما)) .

وقد عرّفوه (صلوات الله وسلامه عليهم) كما في الكافي /ج ٢/ ص٤٦٨) : بأنه : سلاح المؤمن ، وترس المؤمن ، وسلاح الأنبياء ، وأنفذ من

السنان، وعمود الدين، ونور السماوات والأرض.

وورد عنهم (عليهم السلام): ((من أكثر قرع الباب يفتح له)).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) كما في الخصال/ص ٦٢٤):

((ما زالت نعمة ولا نضارة عيش إلا بذنوب اجترحوا، إنّ اللّه ليس بظلاّم للعبيد، ولو أنّهم استقبلوا ذلك بالدعاء والإنابة لم تزل، ولو أنهم إذا نزلت بهم النقم وزالت عنهم النعم فزعوا إلى اللّه (عزّ وجل) بصدق من نيّاتهم ولم يهنوا ولم يسرفوا لأصلح اللّه لهم كلّ فاسد ولردّ عليهم كلّ صالح)).

والأخبار في هذا المعنى وما شابهه كثيرة، فلنكتف بهذا المقدار.

وقال تعالى: ﴿قل ما يعبأ بكم ربّي لولا دعاؤكم﴾ (الفرقان/الآية ٧٧)، أي ما يبالي بكم، كأنّه يقول: لا وزن لكم عند اللّه ولا قيمة لولا عبادتكم إيّاه، إذ الدعاء معناه العبادة، وقيل: ما يعبأ بكم أي ما يصنع بكم، كأنّه يريد: ما خلقكم إلا لعبادته، ولولا العبادة لم يخلقكم، وذلك انه تعالى حكيم، والحكيم لا يفعل شيئا إلا لمصلحة، والمصلحة هو أن ينشر رحمته، ولا بدّ لهذه الرحمة من مقتض حتى لا تكون عبثاً، إذن فيجب العبادة لأنها السبب في نشر الرحمة من لدنه تعالى، وقال تعالى:

﴿وما خلقت الجنّ والانس إلا ليعبدون﴾ (الذاريات/الآية ٥٦).

وفي مجمع البحرين:

قيل: ما يبالي بكم ربّي ولا يعتدّ بكم لولا دعاؤكم أي: عباداتكم، من قولهم: ما عبأت بفلان أي: ما باليت، وقيل: لولا دعاؤكم إيّاه إذا مسّكم الضرّ رغبة إليه وخضوعاً، وفيه دلالة على أنّ الدعاء من اللّه بمكان، وقيل: ما

يصنع بكم ربّي لولا دعاؤكم إيّاكم للاسلام ٠

وفي الحديث: ما يعبأ بمن يؤمّ هذا البيت إلا أن يكون فيه ثلاث خصال ، أي : لا يعتدّ به ولا يبالي به ــ إنتهى ــ ٠

قلت: وتمام الحديث: ورع يحجزه عن معاصي الله تعالى ، وحلم يملك به غضبه ، وحسن الصحابة لمن صحبه ٠

وفي فلاح السائل/ص٣٨و٣٩ : عند سؤال الرجل الإمام الصادق (عليه السلام) قال :

((قوله تعالى :﴿أُدعوني أستجب لكم﴾ ، أدعو فلا أرى الإجابة؟ قال: فقال لي : أفترى الله تبارك وتعالى أخلف وعده ؟ قال : قلت: لا ، قال : فمه ؟ قلت: لا أدري ؟ قال : أما أنكم لو أطعتموه فيما أمركم به ثم دعوتموه لأجابكم ، ولكن تخالفونه وتعصونه فلا يُجيبكم ، ولو دعوتموه من جهة الدعاء لأجابكم ، وإن كنتم عاصين ، قال : قلتُ: وما جهة الدعاء ؟ قال : إذا أدّيت الفريضة مجّدت الله تعالى وعظّمته ، وتمدحه بكلّ ما تقدر عليه ، وتصلّي على النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ، وتجتهد في الصلاة عليه ، وتشهد له بتبليغ الرسالة ، وتصلّي على أئمة الهدى (عليهم السلام) ، ثم تذكر ــ بعد التحميد لله والثناء عليه والصلاة على النبيّ (ص) ــ ما أبلاك وأولاك ، وتذكر نعمه عندك وما صنع بك ، فتحمده وتشكره على ذلك ، ثم تعترف بذنوبك وتقرّبها ، وتجمل ما خفي عليك منها ، فتتوب إلى الله تعالى من جميع معاصيك وأنت تنوي أن لا تعود ، وتستغفر منها بندامه وصدق نيّه وخوف ورجاء ، ثم تسأل بعد ذلك حاجتك)) ٠

وفي الكافي/ج ٢/ص ٤٨٨) عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، قال: ((قلتُ لأبي الحسن(عليه السلام) : جعلتُ فداك إنّي قد سألتُ الله حاجة منذ كذا وكذا سنة وقد دخل قلبي من إبطائها شيء، فقال: يا أحمد إيّاك والشيطان أن يكون له عليك سبيل حتى يقنطك، إنّ أبا جعفر(صلوات الله عليه) كان يقول: إنّ المؤمن يسأل الله(عزّ وجل) حاجة فيؤخّر عنه تعجيل إجابته حبّاً لصوته واستماع نحيبه، ثم قال: والله ما أخّر الله(عزّ وجل) عن المؤمنين ما يطلبون من هذه الدنيا خير لهم مما عجّل لهم فيها، وأيّ شيء الدنيا، إنّ أبا جعفر (عليه السلام) كان يقول: ينبغي للمؤمن أن يكون دعاؤه في الرخاء نحواً من دعائه في الشدّة، ليس إذا أعطى فتر، فلا تمل الدعاء فانه من الله(عزّ وجل) بمكان، وعليك بالصبر وطلب الحلال، وصلة الرحم وإيّاك ومكاشفة الناس، فانّا أهل البيت نصل من قطعنا ونحسن إلى من أساء إلينا، فنرى والله في ذلك العاقبة الحسنة، إنّ صاحب النعمة في الدنيا إذا سأل فأعطى طلب غير الذي سأل وصغرت النعمة في عينه فلا يشبع من شيء، وإذا كثرت النعم كان المسلم من ذلك على خطر للحقوق التي تجب عليه وما يخاف من الفتنة فيها، أخبرني عنك لو أنّي قلت لك قولاً أكنت تثق به منّي؟ فقلت له: جعلت فداك إذا لم أثق بقولك فبمن أثق وأنت حجّة الله على خلقه قال: فكن بالله أوثق، فانّك على موعد من الله، أليس الله(عزّ وجل) يقول: ﴿وإذا سألك عبادي عنّي فانّي قريب أُجيب دعوة الداعِ إذا دعان﴾، وقال: ﴿لا تقنطوا من رحمة الله﴾ (الزمر/الآية ٥٣)، وقال: ﴿والله يعدكم مغفرة منه وفضلا﴾ (البقرة/الآية ٢٦٨)، فكن بالله (عزّ وجل) أوثق منك بغيره، ولا تجعلوا في أنفسكم إلا خيراً فانه

مغفور لكم)) .

وعنه (عليه السلام) :

((إنّ الله لا يستجيب الدعاء بظهر قلب ساه، فاذا دعوت فأقبل بقلبك ثم استيقن الإجابة)) .

وعنه (عليه السلام) :

((من تخوّف من بلاء يصيبه فتقدّم فيه بالدعاء لم يصبه ذلك البلاء أبدا)) .

وفي عدّة الداعي :

روى ابن القداح عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال :

((ما أبرز عبد يده إلى العزيز الجبّار إلا استحيا الله أن يردّها صفراً، فاذا دعا أحدكم فلا يردّ يده حتى يمسح بها على رأسه ووجهه)) .

وعن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال :

((ما بسط عبد يده إلى الله (عزّ وجل) إلا استحيا الله أن يردّها صفراً حتى يجعل فيها من فضله ورحمته ما يشاء، فاذا دعا أحدكم فلا يردّ يده حتى يمسح بها على رأسه ووجهه)) .

وفي خبر آخر : ((على وجهه وصدره)) .

وفي أدعيتهم (عليهم السلام) :

((ولم ترجع يد طالبه صفراً من عطائك، ولا خايبة من نحل هباتك)) .

وفي مصباح الشريعة : قال الإمام الصادق (عليه السلام) :

((إحفظ آداب الدعاء ، وانظر من تدعو ، وكيف تدعو ، ولماذا تدعو؟ وحقق عظمة الله وكبرياءه ، وعاين بقلبك علمه بما في ضميرك وإطلاعه على سرّك وما يكون فيه من الحق والباطل ، واعرف طرق نجاتك وهلاكك ، كيلا تدعو الله بشيء فيه هلاكك وأنت تظنّ فيه نجاتك ، قال الله (عزّ وجل) : * ويدعو الإنسان بالشرّ دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا * (الإسراء/الآية ١٢) .

وتفكّر ماذا تسأل؟ وكم تسأل ؟ ولماذا تسأل؟ .

والدعاء : استجابة الكلّ منك للحق وتذويب المهجة في مشاهدة الربّ، وترك الإختيار جميعاً ، وتسليم الأمور كلّها ظاهراً وباطناً إلى الله ، فان لم تأت بشرط الدعاء فلا تنتظر الاجابة ، فانه يعلم السرّ وأخفى ، فلعلّك تدعوه بشيء قد علم من سرّك خلاف ذلك)) .

قال بعض الصحابة لبعضهم :

أنتم تنظرون المطر بالدعاء وأنا أنتظر الحجر .

واعلم أنه لو لم يكن الله أمرنا بالدعاء لكنّا إذا أخلصنا الدعاء تفضّل علينا بالإجابة ، فكيف وقد ضمن ذلك لمن أتى بشرايط الدعاء .

وسُئل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عن إسم الله الأعظم ؟ فقال : ((كلّ إسم من أسماء الله أعظم ، ففرّغ قلبك عن كلّ ما سواه وادعه بأيّ إسم شئت، فليس في الحقيقة لله إسم دون إسم ، بل هو الله الواحد القهّار)) .

وقال النبيّ (صلّى الله عليه وآله) :

((إنّ الله لا يستجيب الدعاء من قلب لاه)) .

فاذا أتيت بما ذكرت لك من شرائط الدعاء وأخلصت بسرّك لوجهه فأبشر باحدى الثلاث: إمّا أن يعجّل لك ما سألت، وإمّا أن يدّخر لك ما هو أعظم منه ، وإمّا أن يصرف عنك من البلاء ما أن لو أرسله عليك لهلكت ..

قال النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله) :

((قال اللّه تعالى : « من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أُعطى السائلين »)) .

قال الإمام الصادق (عليه السلام) :

((لقد دعوت اللّه مرّة فاستجاب لي ، ونسيت الحاجة ، لأنّ استجابته باقباله على عبده عند دعوته أعظم واجلّ مما يريده منه العبد ، ولو كانت الجنّة ونعيمها الأبد ، ولكن لا يعقل ذلك إلا العاملون ، المحبّون ، العابدون ، العارفون ، صفوة اللّه وخاصّته ـ إنتهى ـ .

رَفع اليَدَين في الدُّعاء

وفي البحار/ج ٩٠ طَ بيروت/ص ٣٠٦ /عن عدّة الداعي :

كان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) يرفع يديه إذا ابتهل ودعا كما يستطعم المسكين ، وفيما أوحى اللّه إلى موسى (عليه السلام) : « ألق كفّيك ذلاً بين يديّ كفعل العبد المستصرخ إلى سيّده ، فاذا فعلت ذلك رحمت وأنا أكرم القادرين ، يا موسى سلني من فضلي ورحمتي ، فانهما بيديّ لا يملكهما غيري ، وانظر حين تسألني كيف رغبتك فيما عندي ؟ لكلّ عامل جزاء ، وقد يجزي الكفور بما سعى » .

وسأل أبو بصير الصادق (عليه السلام) عن الدعاء ورفع اليدين ، فقال :

((على خمسة أوجه :

الأول : التعوّذ ، فتستقبل القبلة بباطن كفّيك ،

الثاني : الدعاء في الرزق ، فتبسط كفّيك وتفضي بباطنهما إلى السماء،
الثالث: التبتّل ، فايماؤك باصبعك السبّابة ،
الرابع : الابتهال ، فترفع يديك تجاوز بهما رأسك ،
الخامس : التضرّع ، أن تحرّك إصبعك السبّابة مما يلي وجهك وهو دعاء الخيفة)) .

وعن محمد بن مسلم ، قال : سمعتُ أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : ((مرّ بي رجل وأنا أدعو في صلاتي بيساري ، فقال : يا عبد الله بيمينك ، فقلتُ: يا عبد الله إنّ لله تبارك وتعالى حقّاً على هذه كحقّه على هذه)) .

وقال :
((الرغبة : تبسط يديك وتظهر باطنهما ، والرهبة : تبسط يديك وتظهر ظاهرهما ، والتضرّع : تحرّك السبّابة يميناً وشمالاً ، والتبتّل: تحرّك السبّابة اليسرى ترفعها في السماء رسلاً وتضعها رسلاً ، والابتهال : تبسط يديك وذراعيك إلى السماء ، والابتهال حين ترى أسباب البكاء)) .

وفي بصائر الدرجات/ ص٢١٨/عن ابن سنان قال :
كنّا بالمدينة حين بعث داود بن عليّ إلى المعلّى بن خنيس فقتله ، فجلس أبو عبد الله (عليه السلام) فلم يأته شهراً ، قال : فبعث إليه أن ائتني فأبى أن يأتيه ، فبعث إليه خمس نفر من الحرس قال : ائتوني به ، فان أبى فأتوني برأسه ، فدخلوا عليه وهو يصلّي ــ ونحن نصلّي معه الزوال ــ فقالوا : أجب داود بن علي ، قال : فان لم أجب ؟ قالوا : أمرنا أن نأتيه برأسك ،

فقال : وما أظنكم تقتلون ابن رسول الله؟ قالوا : ما ندري ما تقول ، وما نعرف إلا الطاعة ، قال : انصرفوا فانّه خير لكم فى دنياكم وآخرتكم ، قالوا : واللّه لا ننصرف حتى نذهب بك معنا أو نذهب برأسك ، قال : فلمّا علم أنّ القوم لا يذهبون إلا بذهاب رأسه وخاف على نفسه ، قالوا : رأيناه رفع يديه فوضعهما على منكبه ثم بسطهما ، ثم دعا بسبّابته فسمعناه يقول : الساعة الساعة ، فسمعنا صراخاً عالياً ، فقالوا له : قم ، فقال : أما انّ صاحبكم قد مات وهذا الصراخ عليه ، فابعثوا رجلاً منكم فان لم يكن هذا الصراخ عليه قمت معكم ، قالوا : فبعثوا رجلاً منهم فما لبث أن أقبل فقال : يا هؤلاء قد مات صاحبكم وهذا الصراخ عليه ، فانصرفوا ، فقلت له : جعلنا الله فداك ما كان حاله ؟ قال : قتل مولاى المعلّى بن خنيس فلم آته منه شهر ، فبعث إليّ أن آتيه ، فلمّا أن كان الساعة لم آته فبعث إليّ ليضرب عنقي ، فدعوت اللّه باسمه الأعظم ، فبعث الله إليه ملكاً بحربه فطعنه فى مذاكيره فقتله ، فقلت له : فرفع اليد ما هو ؟ قال : الابتهال ، فقلت: فوضع يديك وجمعها؟ قال: التضرّع ، قلت: ورفع الاصبع؟ قال : البصبصة ·

وعن هارون بن خارجة عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : سألته عن الدعاء ورفع اليدين ، فقال :

((على أربعة أوجه :

أمّا التعوّذ : فتستقبل القبلة ببطن كفّيك ·

وأمّا الدعاء في الرزق : فتبسط كفّيك وتفضي بباطنهما إلى السماء ·

وأمّا التبتّل : فايماؤك باصبعك السبّابة ·

وأمّا الابتهال : فرفع يديك تجاوز بهما رأسك في دعاء التضرّع ·

ولو أردنا الاستقصاء مما ورد في هذا المعنى من الأخبار لطال الأمر ، والكثرة تورث الملل ، فلنكتف بهذا المقدار ، ولنشرع في الدعاء ·

الدُّعَاء .. وَشَرْحه

دعاء الافتتاح

بسم الله الرحمن الرحيم

اللّهم إني أفتتح الثناء بحمدك، وأنت مسدد
للصواب بمنّك، وأيقنت أنك أنت
أرحم الراحمين في موضع العفو والرحمة،
وأشد المعاقبين في موضع النكال
والنقمة، وأعظم المتجبرين في موضع الكبرياء
والعظمة، اللّهم أذنت لي في دعائك
ومسألتك، فاسمع يا سميع مدحتي
وأجب يا رحيم دعوتي، وأقل يا غفور
عثرتي، فكم يا إلهي من كربة قد فرجتها،
وهموم قد كشفتها، وعثرة قد أقلتها، و
رحمة قد نشرتها، وحلقة بلاء قد
فككتها، الحمد لله الذي لم يتخذ صاحبة
ولا ولداً، ولم يكن له شريك في الملك،
ولم يكن له ولي من الذل، وكبّره تكبيراً، الحمد
لله بجميع محامده كلها، على جميع نعمه كلها،
الحمد لله الذي لا مضادّ له في ملكه، ولا منازع
له في أمره، الحمد لله الذي لا شريك له في خلقه،
ولا شبيه له في عظمته، الحمد لله الفاشي في
الخلق أمره وحمده، الظاهر بالكرم مجده،
الباسط بالجود يده، الذي لا تنقص خزائنه
ولا يزيده كثرة العطاء إلا كرماً وجوداً، إنه
هو العزيز الوهاب، اللّهم إني أسألك
قليلاً من كثير، مع حاجة بي إليه عظيمة،
وغناك عنه قديم، وهو عندي كثير،
وهو عليك سهل يسير، اللّهم إن عفوك
عن ذنبي، وتجاوزك عن خطيئتي، وصفحك
عن ظلمي، وسترك على قبيح عملي، وحلمك
عن كثير جرمي، عندما كان من خطأي وعمدي،
أطمعني في أن أسألك ما لا أستوجبه منك،
الذي رزقتني من رحمتك، وأريتني من
قدرتك، وعرّفتني من إجابتك، فصرت
أدعوك آمناً، وأسألك مستأنساً، لا
خائفاً ولا وجلاً، مدلاً عليك فيما قصدت
فيه إليك، فإن أبطأ عني عتبت بجهلي
عليك، ولعل الذي أبطأ عني هو خير لي،

لِعِلْمِكَ بِعاقِبَةِ الأُمُورِ، فَلَمْ أَرَ مَوْلىً كَرِيماً
أَصْبَرَ عَلى عَبْدٍ لَئِيمٍ، مِنْكَ عَلَيَّ يا رَبِّ، إِنَّكَ
تَدْعُونِي فَأُوَلِّي عَنْكَ، وَتَتَحَبَّبُ إِلَيَّ فَأَتَبَغَّضُ
إِلَيْكَ، وَتَتَوَدَّدُ إِلَيَّ فَلا أَقْبَلُ مِنْكَ، كَأَنَّ
لِيَ التَّطَوُّلَ عَلَيْكَ، فَلَمْ يَمْنَعْكَ ذلِكَ مِنَ
الرَّحْمَةِ لِي، وَالإِحْسانِ إِلَيَّ، وَالتَّفَضُّلِ عَلَيَّ
بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ، فَارْحَمْ عَبْدَكَ الجاهِلَ
وَجُدْ عَلَيْهِ بِفَضْلِ إِحْسانِكَ، إِنَّكَ جَوادٌ
كَرِيمٌ، الحَمْدُ للهِ مالِكِ المُلْكِ، مُجْرِي الفُلْكِ
مُسَخِّرِ الرِّياحِ، فالِقِ الإِصْباحِ، دَيّانِ الدِّينِ
رَبِّ العالَمِينَ، الحَمْدُ للهِ عَلى حِلْمِهِ بَعْدَ
عِلْمِهِ، وَالحَمْدُ للهِ عَلى عَفْوِهِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ، وَ
الحَمْدُ للهِ عَلى طُولِ أَناتِهِ فِي غَضَبِهِ، وَهُوَ القادِرُ
عَلى ما يُرِيدُ، الحَمْدُ للهِ خالِقِ الخَلْقِ، باسِطِ
الرِّزْقِ، فالِقِ الإِصْباحِ، ذِي الجَلالِ
وَالإِكْرامِ، وَالفَضْلِ وَالإِنْعامِ، الَّذِي
بَعُدَ فَلا يُرى، وَقَرُبَ فَشَهِدَ النَّجْوى
تَبارَكَ وَتَعالى، الحَمْدُ للهِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ
مُنازِعٌ يُعادِلُهُ، وَلا شَبِيهٌ يُشاكِلُهُ، وَلا ظَهِيرٌ
يُعاضِدُهُ، قَهَرَ بِعِزَّتِهِ الأَعِزّاءَ، وَتَواضَعَ
لِعَظَمَتِهِ العُظَماءُ، فَبَلَغَ بِقُدْرَتِهِ ما يَشاءُ،
الحَمْدُ للهِ الَّذِي يُجِيبُنِي حِينَ أُنادِيهِ، وَيَسْتُرُ

عَلَيَّ كُلَّ عَوْرَةٍ وَأَنا أَعْصِيهِ، وَيُعَظِّمُ النِّعْمَةَ
عَلَيَّ فَلا أُجازِيهِ، فَكَمْ مِنْ مَوْهِبَةٍ هَنِيئَةٍ قَدْ
أَعْطانِي، وَعَظِيمَةٍ مَخُوفَةٍ قَدْ كَفانِي، وَبَهْجَةٍ
مُونِقَةٍ قَدْ أَرانِي، فَأُثْنِي عَلَيْهِ حامِداً، وَأَذْكُرُهُ
مُسَبِّحاً، الحَمْدُ للهِ الَّذِي لا يُهْتَكُ حِجابُهُ، وَلا
يُغْلَقُ بابُهُ، وَلا يُرَدُّ سائِلُهُ، وَلا يُخَيَّبُ آمِلُهُ،
الحَمْدُ للهِ الَّذِي يُؤْمِنُ الخائِفِينَ، وَيُنَجِّي
الصّادِقِينَ، وَيَرْفَعُ المُسْتَضْعَفِينَ، وَيَضَعُ
المُسْتَكْبِرِينَ، وَيُهْلِكُ مُلُوكاً وَيَسْتَخْلِفُ
آخَرِينَ، وَالحَمْدُ للهِ قاصِمِ الجَبّارِينَ،
مُبِيرِ الظّالِمِينَ، مُدْرِكِ الهارِبِينَ، نَكالِ الظّالِمِينَ
صَرِيخِ المُسْتَصْرِخِينَ، مَوْضِعِ حاجاتِ الطّالِبِينَ،
مُعْتَمَدِ المُؤْمِنِينَ، الحَمْدُ للهِ الَّذِي مِنْ خَشْيَتِهِ تَرْعَدُ
السَّماءُ وَسُكّانُها، وَتَرْجُفُ الأَرْضُ وَعُمّارُها، وَ
تَمُوجُ البِحارُ وَمَنْ يَسْبَحُ فِي غَمَراتِها، الحَمْدُ
للهِ الَّذِي هَدانا لِهذا، وَما كُنّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا
أَنْ هَدانا اللهُ، الحَمْدُ للهِ الَّذِي يَخْلُقُ وَلَمْ يُخْلَقْ
وَيَرْزُقُ وَلا يُرْزَقُ، وَيُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ،
وَيُمِيتُ الأَحْياءَ وَيُحْيِي المَوْتى، وَهُوَ حَيٌّ
لا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الخَيْرُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ، اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ
وَرَسُولِكَ، وَأَمِينِكَ وَصَفِيِّكَ، وَحَبِيبِكَ
وَخِيَرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَحافِظِ سِرِّكَ، وَ

مُبَلِّغِ رِسَالاتِكَ، أَفْضَلَ وَأَحْسَنَ، وَأَجْمَلَ
وَأَكْمَلَ، وَأَزْكَى وَأَنْمَى، وَأَطْيَبَ وَأَطْهَرَ،
وَأَسْنَى وَأَكْثَرَ، مَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ، وَ
تَرَحَّمْتَ وَتَحَنَّنْتَ، وَسَلَّمْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ
عِبَادِكَ، وَأَنْبِيَائِكَ وَرُسُلِكَ وَصَفْوَتِكَ،
وَأَهْلِ الْكَرَامَةِ عَلَيْكَ مِنْ خَلْقِكَ، اللَّهُمَّ
صَلِّ عَلَى عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَصِيِّ رَسُولِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ، عَبْدِكَ وَوَلِيِّكَ، وَأَخِي
رَسُولِكَ وَحُجَّتِكَ عَلَى خَلْقِكَ، وَآيَتِكَ
الْكُبْرَى، وَالنَّبَأِ الْعَظِيمِ، وَصَلِّ عَلَى
الصِّدِّيقَةِ الطَّاهِرَةِ، فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ،
سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَصَلِّ عَلَى سِبْطَيِ
الرَّحْمَةِ، وَإِمَامَيِ الْهُدَى، الْحَسَنِ، وَ
الْحُسَيْنِ، سَيِّدَيْ شَبَابِ أَهْلِ
الْجَنَّةِ، وَصَلِّ عَلَى أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، عَلِيِّ بْنِ
الْحُسَيْنِ، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، وَجَعْفَرِ بْنِ
مُحَمَّدٍ، وَمُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، وَعَلِيِّ بْنِ
مُوسَى، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، وَعَلِيِّ بْنِ
مُحَمَّدٍ، وَالْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، وَالْخَلَفِ
الْهَادِي الْمَهْدِيِّ، حُجَجِكَ عَلَى عِبَادِكَ،
وَأُمَنَائِكَ فِي بِلادِكَ، صَلاةً كَثِيرَةً دَائِمَةً،
اللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَى وَلِيِّ أَمْرِكَ الْقَائِمِ الْمُؤَمَّلِ

وَالْعَدْلِ الْمُنْتَظَرِ، وَحُفَّهُ بِمَلائِكَتِكَ
الْمُقَرَّبِينَ، وَأَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ يَا رَبَّ
الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ الدَّاعِيَ إِلَى كِتَابِكَ،
وَالْقَائِمَ بِدِينِكَ، إِسْتَخْلِفْهُ فِي الْأَرْضِ
كَمَا اسْتَخْلَفْتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِ، مَكِّنْ لَهُ
دِينَهُ الَّذِي ارْتَضَيْتَهُ لَهُ، أَبْدِلْهُ مِنْ بَعْدِ
خَوْفِهِ أَمْنًا، يَعْبُدُكَ لا يُشْرِكُ بِكَ شَيْئًا،
اللَّهُمَّ أَعِزَّهُ وَأَعْزِزْ بِهِ، وَانْصُرْهُ وَانْتَصِرْ
بِهِ، وَانْصُرْهُ نَصْرًا عَزِيزًا، وَافْتَحْ لَهُ فَتْحًا يَسِيرًا،
وَاجْعَلْ لَهُ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا،
اللَّهُمَّ أَظْهِرْ بِهِ دِينَكَ وَسُنَّةَ نَبِيِّكَ، حَتَّى
لا يَسْتَخْفِيَ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَقِّ، مَخَافَةَ أَحَدٍ مِنَ
الْخَلْقِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَرْغَبُ إِلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيمَةٍ،
تُعِزُّ بِهَا الْإِسْلامَ وَأَهْلَهُ، وَتُذِلُّ بِهَا النِّفَاقَ
وَأَهْلَهُ، وَتَجْعَلُنَا فِيهَا مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى طَاعَتِكَ،
وَالْقَادَةِ إِلَى سَبِيلِكَ، وَتَرْزُقُنَا بِهَا كَرَامَةَ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ مَا عَرَّفْتَنَا مِنَ الْحَقِّ
فَحَمِّلْنَاهُ، وَمَا قَصُرْنَا عَنْهُ فَبَلِّغْنَاهُ، وَاهْدِنَا
لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي
مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ،
اللَّهُمَّ الْمُمْ بِهِ شَعَثَنَا
وَاشْعَبْ بِهِ صَدْعَنَا، وَارْتُقْ بِهِ فَتْقَنَا،

وَكَثِّر بِهِ قِلَّتَنا، وَاعزِز بِهِ ذِلَّتَنا، وَاغنِ
بِهِ عائِلَنا، وَاقضِ بِهِ عَن مَغرَمِنا، وَاجبُر بِهِ
فَقرَنا، وَسُدَّ بِهِ خَلَّتَنا، وَيَسِّر بِهِ عُسرَنا،
وَبَيِّض بِهِ وُجُوهَنا، وَفُكَّ بِهِ أَسرَنا، وَأَنجِح
بِهِ طَلِبَتَنا، وَأَنجِز بِهِ مَواعِيدَنا، وَاستَجِب
بِهِ دَعوَتَنا، وَاعطِنا بِهِ سُؤلَنا وَبَلِّغنا بِهِ مِنَ
الدُّنيا وَالآخِرَةِ آمالَنا، وَاعطِنا بِهِ فَوقَ رَغبَتِنا
يا خَيرَ المَسؤُولِينَ، وَأَوسَعَ المُعطِينَ، اشفِ
بِهِ صُدُورَنا، وَأَذهِب بِهِ غَيظَ قُلُوبِنا، وَاهدِنا
بِهِ لِما اختُلِفَ فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذنِكَ، إِنَّكَ
تَهدِي مَن تَشاءُ إِلى صِراطٍ مُستَقِيمٍ

وَانصُرنا بِهِ عَلى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّنا. إِلهَ الحَقِّ
آمِينَ، اللّهُمَّ إِنّا نَشكُو إِلَيكَ فَقدَ نَبِيِّنا،
صَلَواتُكَ عَلَيهِ وَآلِهِ، وَغَيبَةَ وَلِيِّنا، وَكَثرَةَ
عَدُوِّنا، وَقِلَّةَ عَدَدِنا وَشِدَّةَ الفِتَنِ بِنا،
وَتَظاهُرَ الزَّمانِ عَلَينا فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ
وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَعِنّا عَلى ذلِكَ كُلِّهِ بِفَتحٍ
مِنكَ تُعَجِّلُهُ. وَضُرٍّ تَكشِفُهُ وَنَصرٍ تُعِزُّهُ، وَ
سُلطانِ حَقٍّ تُظهِرُهُ وَرَحمَةٍ مِنكَ تُجَلِّلُناها
وَعافِيَةٍ مِنكَ تُلبِسُناها،
بِرَحمَتِكَ يا أَرحَمَ الرّاحِمِينَ

الافتتاح بالثناء

((اللهم إنّي أفتتحُ الثناءَ بحمدِكَ))

((وأنتَ مُسدِّدٌ للصّوابِ بمنِّكَ، وأيقنتُ أنَّكَ))

((أنتَ أرحمُ الراحمينَ في موضعِ العَفوِ والرحمةِ،))

((وأشدُّ المُعاقبينَ في موضعِ النَّكالِ والنَّقمةِ،))

((وأعظمُ المُتجبّرين في موضعِ الكبرياءِ والعظمةِ.....))

وإذ علمت أنّ الدعاء هو الطلب من الله سبحانه وتعالى ، ولا بدّ للداعي من ذكر اسم المدعو مبدوءاً بأداة النداء، وأسماء الله كثيرة . قال تعالى :﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ (الأعراف / الآية ١٨٠) ، وأسماؤه تعالى كلّها حسنى ، لأنها دالّة على معاني الكمال ، وهي منها ما يرجع إلى صفات الذات، كالعالم والقادر والحيّ والربّ والإله ، ومنها ما يرجع إلى صفات الفعل ، كالخالق والرازق والمعطي والمحيي والمميت، ومنها ما يرجع إلى التنزيه ونفي النقص ، كالغنيّ والملك والقدّوس وغير ذلك، وأجلّها وأعظمها : ((الله)) لأنه علم على الذات المقدّسة ، ولا بدّ للداعي من أن يطيّب فاه بهذه الكلمة الطيّبة، فيقول : ((يا الله)) ، ولكن جرت العادة أن يحذف النداء من الأول ويزاد على الإسم الكريم مما في آخره فيقول الداعي : ((اللهم)) ؛ الميم فيه عوض عن (يا) ولذلك لا يجتمعان ، وهذا من خصائص هذا الإسم ، كما اختصّ التاء في القسم وبدخول حرف النداء عليه .

وقيل : أصله ((يا الله)) آمنّا بالخير أي أقصدنا به ، واعترض على هذا لأنه يقال : اللهم لا تؤمّهم بخير ، ولأنه لو كان كذلك لما حسن : اللهم آمنّا بخير ، وفي حُسنه دليل على أنّ الميم ليست مأخوذة منه ، إذ لو كانت كذلك لكان تكريراً .

وقيل : اصل (اللهم) يا الله المطلوب للمهم ، فحذف حرف النداء لدلالة الطلب والإهتمام عليه مع قيامه مقامه ، ثم اقتصر من لفظي الصفتين بأول الأول وآخر الثاني وأدغم أحدهما في الآخر .

قلت : ولا يبعد أن يكون المقصود أن لا يتقدّم على اسمه تعالى شيء ،

فيبدأ باسمه تعالى الأعظم الأكرم تيمّناً وتبرّكاً ، إذ هو الأول قبل كلّ شيء ، ولا قبل له فينبغي أن يكون لا قبل لاسمه ، وأمّا الميم فقد يراد بها المميت والمحيي ، فكأنّ القائل يقول : يا اللّه المميت والمحيي ، وقد يقصد بها الجمع، والمعنى : يا إلٰهنا وإلٰـه الخلق أجمعين ٠

و((اللّه))علم للذات المقدّسة الجامعة للجميع الصفات العليا والأسماء الحسنى ، قيل : انه غير مشتقّ ، لأنه لو كان مشتقاً لكان معناه كليّاً لا يمنع نفس تصوّر مفهومه من وقوع الشركة فيه ، لأنّ اللفظ لايفيد إلا أنه شيء ما مبهم حصل له ذلك المشتق منه ٠

فلو كان إسم اللّه مشتقاً لم يمنع من وقوع الشركة فيه بين كثيرين ، فيدخل تحته أشخاص كثيرة ، فلا يكون قولنا :((لا إله إلا اللّه)) توحيداً محظاً، وحيث أجمع العقلاء على أنّ قولنا :((لا إله إلا اللّه)) هو توحيد محض علمنا أنّ لفظ ((اللّه)) إسم علم موضوع لتلك الذات المعيّنة ، وانها ليست من الألفاظ المشتقّة ، ولم نسمع أنّ أحداً غيره تسمّى بهذا الإسم أبداً ، وقد قال تعالى :﴿ هل تعلم له سميّا﴾ (مريم/ الآية ٦٥) ٠

وقال آخرون : إنه مشتقّ لا بالنسبة إلى الذات المقدّسة ، بل بالنسبة إلى أحوال الخلق في توجّههم إليه سبحانه ٠

قال في لسان العرب: روى المنذري عن ابن الهيثم ، أنه سأله عن اشتقاق إسم اللّه تعالى في اللغة ؟ فقال : كان حقّه(الاه) أدخلت الألف واللام تعريفاً ، فقيل : (الالاه) ، ثم حذفت العرب الهمزة استثقالاً لها ،فلمّا تركوا الهمزة حوّلوا كسرتها في اللام التي هي لام التعريف، وذهبت الهمزة أصلاً ،فقالوا : (اللاه) ، فحركوا اللام التعريفيّة التي لا تكون إلا ساكنة ، ثم

التقى لامان متحركتان فأدغموا الأولى في الثانية ، فقالوا : ((اللّه)) كما قال اللّه (عزّ وجل) : ﴿ لكنّا هو اللّه ربّي ﴾ (الكهف / الآية ٢٨) ، معناه لكن أنا .
ــ إنتهى ــ .

والإله : معناه المعبود ، قال في المصباح المنير : إله يأله ــ من باب تعب ــ الاهة بمعنى عبد عبادة ، وتألّه تعبّد ــ إنتهى ــ .

فهو اللّه الإله المعبود ولا تليق العبادة إلا له .

أو هو مشتقّ من آلهت فلان ، أي سكنت إليه . فانّ العقول لا تسكن إلا إلى ذكره تعالى ، والأرواح لا تعرج إلا بمعرفته . ألا ترى أنّ من كان في ظلمة الليل وحده أو كان في بريّة موحشة ، فانه لا يجد مزيلاً لخوفه واستيحاشه إلا ذكر اللّه (عزّ وجل) ، وتراه لا يفتر عن ذكر اللّه ولا سلوة له إلا به ، وإن كان قبل ذلك لا يذكر اللّه ولا يعرفه ، وهذا من أقوى الأدلّة على أنّ ذكر اسم اللّه تعالى يزيل الخوف ويشدّ القلوب ويبعث على الإطمئنان ، كما قال : ﴿ ألا بذكر اللّه تطمئنّ القلوب ﴾ (الرعد / الآية ٢٨) .

وفي النهاية : فى حديث وهيب بن الورد :

إذا وقع العبد في الهانية الرب لم يجد أحداً يأخذ بقلبه ، وهو مأخوذ من الاه ، وتقديرها فعلانيّة بالضمّ ، يقول : اله بيّن الإلٰهيّة والالهانيّة ، وأصله من إله إذا تحيّر ، يريد إذا وقع العبد في عظمة اللّه تعالى وجلاله وغير ذلك من صفات الربوبيّة وصرف وهمه اليها ، أبغض الناس حتى لا يصل قلبه إلى أحد ــ إنتهى ــ .

وعلى هذا ، يكون مشتقّاً من الإله بمعنى التحيّر ، لأنّ العبد إذا تفكّر فيه تحيّر ، وذلك انّ كلّ ما يتخيّله الإنسان ويتصوّره فهو بخلافه .

فيك يا اغلوطة الفكر تاه عقلي وانقضي عمري
سافرت فيك العقول فما ربحت إلا أذى السفر
رجعت حسرى وما وقفت لا على عين ولا أثر
فلحى اللّه الألى زعموا انّك المعلوم بالنظر
كذبوا أنّ الذي طلبوا خارج عن قوّة البشر

أو انه مشتقّ من الوله، وهو ذهاب العقل من شدّة الوجد، أو من شدّة الحزن، والوله: ذهاب العقل لفقدان الحبيب، أو هو عبارة عن شدّة الميل إلى المحبوب.

واعلم أن الأرواح البشريّة تسابقت في ميادين التوحيد والتمجيد، فبعضها تخلّفت وبعضها سبقت، فالتي تخلّفت بقيت في ظلمات الغبار، والتي سبقت وصلت إلى عالم الأنوار، فالأولون بادوا في أودية الظلمات، والآخرون طاشوا في أنوار عالم الكرامات.

وفي دعاء الامام زين العابدين (عليه السلام):
((إلٰهي لو قرنتني بالأصفاد ومنعتني سيبك بين الأشهاد، ودللت على فضائحي عيون العباد، وأمرت بي إلى النار، وحلت بيني وبين الأبرار، ما قطعت رجائي منك، ولا صرفت وجه تأميلي للعفو عنك، ولا خرج حبّك من قلبي)).

وقيل: انه مشتقّ من لاه إذا ارتفع، وهو سبحانه المرتفع عن مشابهة الممكنات، ومناسبة المحدثات، والمتعالي عن أن يحويه مكان دون مكان، أو يختصّ به زمان دون زمان، أو أن تحدّه العقول، أو أن تحيط به الأوهام، بل كلّ ما دخل في الوهم فاللّه سبحانه غيره.

من كان فوق عقول القايسين فما
ذا يدرك الفكر أو ما يبلغ النظر

وقيل : إنه مشتقّ من لاه يلوه إذا احتجب، فانه بكنه صمديّته محتجب عن العقول ، فلا تستطيع إدراك كنهه ، تعالى وتقدّس عمّا ينسبه إليه الضالّون ، ويتقوّله الملحدون علوّاً كبيراً .

إحتجب بشدّة ظهوره ، فضعفت العقول وعجزت عن مقاومة نوره ، كما في دعاء عرفة لسيّدنا ومولانا ومقتدانا الحسين (عليه السلام) :
((كيف يستدلّ عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك ، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك ، متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك ، ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك ، عميت عين لا تراك عليها رقيباً ، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبّك نصيبا)) .

وفي هذا الدعاء أيضاً :
((أنت الذي أشرقت الأنوار في قلوب أوليائك حتى عرفوك ووحّدوك ، وأنت الذي أزلت الأغيار عن قلوب أحبّائك حتى لم يحبّوا سواك ، ولم يلجأوا إلى غيرك ، أنت المؤنس لهم حيث أوحشتهم العوالم ، وأنت الذي هديتهم حيث استبانت لهم المعالم ، ما ذا وجد من فقدك ، وما الذي فقد من وجدك)) .

وفي الكافي/ج ١/ص ٩٣/ عن الإمام الصادق (عليه السلام) :
((يا بن آدم لو أكل قلبك طائر لم يشبعه ، وبصرك لو وضع على خرق إبرة لغطّاه ، تريد أن تعرف بهما ملكوت السماوات والأرض ، إن كنت

صادقاً فهذه الشمس من خلق الله، فان قدرت أن تملأ عينيك منها فهو كما تقول)) .

وفيه تمثيل بصغر الأعضاء وحقارة القوى، وضعفها عن إدراك المحسوسات، كما انّ فيه إشارة إلى ضعف القوى الباطنة وعجزها عن الادراك فهو يقول: أبهذا القلب الصغير والبصر الحقير تريد أن ترى وتعلم خالق الكائنات وأنت عن بعض ما كونه عاجز.

أنت قد تشكّ في وجود الله لأنّك لم تره، بل وانّك لن تدركه، أمّا الشمس فلا يخالجك في وجودها أيّ شكّ لأنها ظاهرة للعيان، فهل تستطيع – مع ظهورها لديك ومثولها أمامك – تحديق النظر إلى جرمها، ولو حدقت إليها فهل تتمكّن من معرفة هذا الجرم وتستوعب صفته الظاهرة، وهل انّ نظرك يبقى على حاله كما كان قبل التحديق، فانّك عندما تحوّل نظرك عنها تجد الكون مظلماً، وقوّة البصر قد فقدت منك فلا تستطيع أن تبصر شيئاً، فتحتاج إلى مضيّ شيء من الوقت لبينما تسترجع ما فقدته من حاسّة البصر، وإذا كنت بهذه المثابة من العجز، وبصرك في غاية الضعف ونهاية العجز عن التحديق إلى جرم هذه الشمس المخلوقة المسيرة لأجلك، وصلاح نظام حياتك، فكيف تقدر عين قلبك على مطالعة شمس ذاته، وكيف يطيق ناظر بصيرتك النظر إلى أنوار جلاله ؟ .

وبعبارة أُخرى:

انّ العين تعجز عن رؤية بعض المحسوسات. فكيف ما لا يدركه حسّ ولا يحيط به وهم، وأنت كما لا تقدر على رؤية جرم الشمس وإكمال تحديق النظر الظاهر إليه، والشمس أثر من آثار صنعه، ورؤية الأثر أسهل من

رؤية المؤثر، كذلك لا تقدر على رؤية الله ظاهراً وباطناً وإكمال تحديق البصر والبصيرة إليه لاحتراقهما بنوره الغالب على جميع الأنوار، وإنما غاية كمالك في معرفته أن تعرف أنك لا تقدر على معرفته.

وقيل: إنه مشتقّ من إله يأله إلى كذا بمعنى فزع إليه والتجأ، وهو سبحانه المفزع الذي يلجأ إليه في كلّ أمر، قال تعالى: ﴿قل إنّي لن يُجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا﴾ (الجنّ/ الآية ٢٢).

وسأل هشام بن الحكم أبا عبد الله الصادق (عليه السلام): مما هو مشتقّ؟ فقال: يا هشام، الله مشتقّ من إله، وإله يقتضي مألوها، والاسم غير المسمّى، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً، ومن عبد الاسم والمعنى فقد كفر وعبد إثنين، ومن عبد المعنى دون الاسم فذاك التوحيد، أفهمت يا هشام؟ قال: فقلتُ: زدني، قال: إنّ لله تسعة وتسعين إسماً، فلو كان الاسم هو المسمّى لكان كلّ إسم منها إلٰهاً، ولكنّ الله معنى يدلّ عليه بهذه الأسماء وكلّها غيره، يا هشام الخبز للمأكول، والماء إسم للمشروب، والثوب إسم للملبوس، والنار إسم للمحرق، أفهمت يا هشام فهما تدفع به وتناضل به أعداءنا والمتّخذين مع الله (جلّ وعز) غيره، قلتُ: نعم، قال: فقال: نفعك الله به وثبّتك يا هشام، قال هشام: فوالله ما قهرني أحد في التوحيد حتى قمت مقامي هذا. (الكافي/ج ١/ص ٨٧).

بحث في الأنيّة والأنانيّة

وكما انّ الداعي ينادي المدعو بأسمائه كذلك يعرض نفسه أمام خالقه العظيم، متذللاً خاضعاً خانعاً أمام حضرته القدسيّة، وكثيرا ما يضيف عامل التأكيد إلى ضمير النفس قائلاً: ((إنّي)).

قد يقال: إنّ إثبات الإنيّة والأنانيّة من أعظم الخطايا وأكبر الذنوب،

فقد طرد الله إبليس من عالم الملائكة وأنزله إلى عالم الشياطين نتيجة قوله : ((أنا خير)) .

وهذه الأنانيّة التي هي حقيقة الإدّعاء والعجب، وكان من نتائجها: الكبر والاستعلاء ، هي أنانيّة مذمومة مستقبحة لا تليق بالمخلوق مع المخلوق، فما ظنّك بصدورها من المخلوق مع الخالق ؟ والمخلوق لا شيء بالنسبة إلى خالقه .

وإذا كانت الأنانيّة تعبيراً عن النفس واعتداداً بالنفس ، فالإنّيّة تأكيد لذلك التعبير والاعتداد ، وكلاهما قبيح من المحتاج العاجز أمام سيّده القادر القاهر .

وأمّا الإنّيّة والأنانيّة الواقعة من الداعي موقع الخضوع ـ حيث يتعرّض للطلب ويقوم بذلّ الإستكانة ـ أمام خالقه العظيم ، فليست من الأنانيّة والإنّيّة في شيء ، بل هي نفي للانّيّة والأنانيّة .. نفي في صورة إثبات، لأنّ الانّيّة تنافي الطلب لأنها دعوى والدعوى اعتداد ، وانّ الطلب سؤال والسؤال ذلّ ، وإثبات الأنانيّة والإنّيّة مع التذلل إنما هو قضاء عليها وملاشاة لها ، قال تعالى :﴿ وإنّي عُذت بربّي وربكم أن تَرجمون﴾ (الدخان/ الآية ٢٠) ، عُذت أي استجرت، ﴿ إنّي أعوذ بك أن أقول ما ليس لي به علم﴾ (هود / الآية ٤٧) ، ﴿ إنّي أعوذ بالرحمن منك ﴾ (مريم/ الآية ١٨) ، وكلّه معناه : أستجير ، إذن ليست الإستعاذة غير الاستجارة ، والمستجير لا يكون إلا ذليلاً أمام من استجار به .

إفتتاح الثناء بالحمد

وصلة الضمير هي ما يأتي بعد ذلك من الكلام ، لذلك يقول الداعي : ((أفتتح الثناء بحمدك)) .

الإفتتاح : الابتداء ، ومنه سمّيت الفاتحة ، لأنها مفتتح كتاب اللّه تعالى ، أي إنها أوّله وابتداؤه ، ولأنه يفتتح بها أي يبتدأ بها القراءة في الصلاة ، وافتتحته بكذا : إبتدأته به .

والثناء : ذكرك غيرك بما فيه من الصفات حسنة كانت أم قبيحة ، وغلب استعماله في المدح ، وأثن على ربّك أي أذكره ذكراً حسناً جميلاً ، من الثناء بالمدّ وهو الذكر الحسن والمدح الجميل ، يقال : أثنيت ـ بالألف ـ على زيد : مدحته ، والإسم : الثناء ، واستعماله في الذكر الجميل أكثر من غيره .

وفي دعاء النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله) :

((لا أُحصي ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك)) .

أي : إنني لا أُطيق ولا أستطيع إحصاء نعمك وإحسانك وإن اجتهدت أي : ليس في مقدوري وصف جلالك وعظمتك وقدرتك ، أنت كما أثنيت على نفسك ، وهو اعتراف بالعجز ، ومن أين للمخلوق أن يُحيط بصفات الخالق تعالى وتعداد نعمه وأياديه عليه ، أنت كما أثنيت على نفسك بقولك ربّ السماوات .

قال في المصباح :

لو كان الثناء لا يستعمل إلا بالخير لكان قول القائل : أثنيت على زيد كافياً في المدح ، وكان قوله : وله الثناء الحسن لا يفيد إلا التأكيد ، والتأسيس أولى إحترازاً عن غير الحسن ـ إنتهى ـ .

وفي تاج العروس :

الحمد نقيض الذمّ ، وقال اللحياني : الحمد الشكر ، فلم يفرق بينهما ، وقال ثعلب : الحمد يكون غن يد وعن غير يد .. والشكر لا يكون إلا عن يد ،

وقال الأخفش : الحمد لله : الثناء ، وقال الأزهري : الشكر لا يكون إلا ثناء أوليتها ، والحمد قد يكون شكراً للصنيعة ، ويكون ابتداء للثناء على الرجل .

فحمد الله : إثناء عليه ، ويكون شكراً لنعمه التي شملت الكلّ ، والحمد أعمّ من الشكر ... وإذا حمد الله العبد فقد تحصّل لديه أربعة أُمور :

تأدية حقّ الله تعالى ، والقيام بشكر نعمه الماضية ، والقرب من جنان الله (عزّ وجل) ومنازل ثوابه ، واستحقاق المزيد من نعمائه .

فقد علمت أنّ الحمد هو الثناء باللسان على الجميل سواء تعلّق بالفضائل أو الفواضل ، والشكر فعل ينبيء عن تعظيم المنعم بسبب الإنعام ، سواء كان ذكر باللسان ، أو اعتقاداً ومحبّة بالجنان ، ومتعلّقة يكون النعمة وحدها .

فالحمد أعمّ باعتبار المتعلّق وأخصّ باعتبار المورد . والشكر بالعكس .

وفي الحديث : الحمد رأس الشكر ، وإنما جعله رأس الشكر لأنّ ذكر النعمة باللسان والثناء على موليّها أشيع لها ، وأدلّ على مكانها من الاعتقاد لخفاء عمل القلب ، وما في عمل الجوارح من الإحتمال بخلاف عمل اللسان الذي هو النطق المفصح عن كلّ خفي .

بحث في التسديد

ويعترف الداعي بأنّ ما يقوم به من الثناء والمدح وما يطلبه من الحاجات إنما هو بهداية الله وإقداره وعنايته ، وانّ العبد ليس له من الأمر شيء ، فيقول : ((وأنت مُسدِد للصواب بمنّك)) .

التسديد : التوفيق للسداد ، والسداد ـ بفتح أوله مع التخفيف ـ هو الصواب من القول والفعل ، وقول القائل : ((اللهم سددنا للخير)) أي وفّقنا له ، وسدد صاحبك أي علّمه واهده ، وسدد مالك أي أحسن العمل به ،

ورجل مسدد موفّق يعمل بالسداد والقصد .

وقيل : تسديده تعالى للعبد عبارة عن تقويم إراداته وحركاته نحو الغرض المطلوب له ليهجم إليه في أسرع مدّة .

ولا يبعد أن يكون هذا التسديد والتوفيق من الله تعالى للعبد بما يمنحه إيّاه من الفهم الثاقب ، والسمع الواعي ، والقلب اليقظ ، كيما يستطيع التبصّر في الأمور والنظر في العواقب ، مع تقييض المعلّم الناصح والرفيق الموافق كيما يلفت نظره إلى معرفة الأسباب المؤدّية إلى النجاح ، ويعرفه كيف يمكن وصوله إلى الهدف ، أو يؤتيه من المال والجاه ما يقوّم أود حياته ، ويصونه عن سفه السفهاء وتحقير الأغنياء ، ويخوله من علوّ الهمّة وعزّة النفس ما يمنعه عن الإسفاف ويرفعه عن التعرّض للدنيّة التي تعوقه عن بلوغ المنزلة الرفيعة .

والصواب : ضدّ الخطأ ، أو هو دين الله الحقّ الذي لا خلل فيه ولا خطل ، أو هو القصد الصحيح ، أو هو استقامة الرأي وصحّته .

والمنّ : الإنعام والإحسان مطلقاً ، أو هو الإحسان إلى من لا يستثيبه ولا يطلب الجزاء عليه ، ومنّ عليه : إصطنع عنده صنيعة ، وهذا حسن ، ومَنّ عليه وامتنّ : عيّره بما كان أداه إليه من معروف وهذا قبيح .

وقال بعضهم : المنّ يحتمل تأويلين :

(أحدهما) : إحسان المحسن غير معتدّ بالإحسان ، يُقال : لحقت فلاناً من فلان مِنّة : إذا لحقته منه نعمة باستنقاذ من قتل أو ما أشبهه .

(والثاني) : منّ فلان على فلان : إذا عظم الإحسان وفخر به وأعاد وأبدأ حتى يفسده ويبغضه .

والأول حسن ، والثاني قبيح .

وقال الراغب: المِنّة النعمة الثقيلة ، ويُقال ذلك على وجهين :

(أحدهما) : أن يكون ذلك بالفعل ، فيقال : منّ فلان على فلان إذا أثقله بالنعمة ، وعلى ذلك قوله تعالى : ﴿لقد مَنَّ اللّه على المؤمنين﴾ (الآية ١٦٤) ، و: ﴿كذلك كنتم من قبل فمنّ اللّه عليكم﴾ (النساء/ الآية ٩٤) ، و: ﴿ونُريد أن نمُنّ على الذين استُضْعِفوا﴾ (القصص/ الآية ٥) ، وذلك على الحقيقة لا يكون إلا للّه تعالى ·

(والثاني) : أن يكون ذلك بالقول وذلك مستقبح فيما بين الناس إلا عند كفران النعمة ، ولقبح ذلك قيل : المِنّة تهدم الصنيعة ، ولحُسْن ذكرها قيل : إذا كفرت النعمة حسنت المِنّة _ إنتهى _ ·

الاعتقاد بأنه تعالى حكيم يضع الأمور في مواضعها

ثم يذكر الداعي اعتقاده بأنّ اللّه سبحانه حكيم وأنه يضع الأمور في مواضعها اللائقة بها ، فيقول :

((وأيقنت أنّك أرحم الراحمين في موضع العفو والرحمة ، وأشدّ المعاقبين في موضع النكال والنقمة ، وأعظم المتجبّرين في موضع الكبرياء والعظمة)) ·

اليقين : العلم وإزاحة الشكّ وتحقيق الأمر ، أو هو العلم الحاصل عن نظر واستدلال ، ولهذا لا يسمّى علم اللّه يقيناً ، ويقن الأمر من باب: فرح إذا ثبت ووضح ، فهو يقين فعيل بمعنى فاعل ·

وفي تاج العروس :

في الاصطلاح اعتقاد الشيء بأنه كذا مع اعتقاد أنه لا يمكن إلا كذا مطابقاً للواقع غير ممكن الزوال ، والقيد الأول جنس يشمل الظنّ ، والثاني يخرجه ، والثالث يخرج الجهل المركّب، والرابع يخرج اعتقاد المقلّد المصيب·

وعند أهل الحقيقة : رؤية العيان بقوّة الايمان لا بالحجّة والبُرهان ·

وقيل : مشاهدة الغيوب بصفاء القلوب ، وملاحظة الأسرار بمحافظة الأفكار ــ إنتهى ــ ·

وقال الراغب:

اليقين من صفات العلم فوق المعرفة والدراية وأخواتها ، يقال : علم يقين ، ولا يُقال : معرفة يقين ــ إنتهى ــ ·

وقولنا : ((أرحم الراحمين)) ، أفعل تفضيل من الرحمة ، وهي في بني آدم ــ عند العرب ــ رقّة القلب ثم عطفه ، وفي اللّه : عطفه ثم برّه وإحسانه ، ومنه الرحمٰن ، وهو ذو الرحمة أي صاحبها ومفيضها ، ولا يوصف به غير اللّه تعالى ، بخلاف الرحيم الذي هو عظيم الرحمة ·

وقال الراغب:

الرحمة رقّة تقتضي الاحسان إلى المرحوم ، وقد تستعمل تارة في الرقّة المجرّدة ، وتارة في الإحسان المجرّد عن الرقّة ، نحو : رحم اللّه فلاناً ·

وإذا وُصف به الباري فليس يُراد به إلا الاحسان المجرّد دون الرقّة ، وعلى هذا روي أنّ الرحمة من اللّه إنعام وإفضال ، ومن الآدميين رقّة وتعطّف ، وعلى هذا قول النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ذاكراً عن ربّه :

((إنّه لمّا خلق الرحم قال له : أنا الرحمٰن وأنت الرحم ، شققت إسمك من اسمي ، فمن وصلك وصلته ، ومن قطعك بتته)) ·

وهو أنّ الرحمة منطوية على معنيين :

الرقّة والاحسان ، فركّز تعالى في طبائع الناس الرقّة وتفرّد بالاحسان ، فصار كما انّ لفظ الرحم من الرحمة ، فمعناه الموجود في الناس من المعنى الموجود للّه تعالى فتناسب معناهما تناسب لفظيهما ، والرحمٰن والرحيم

نحو: ندمان ونديم، ولا يطلق: الرحمٰن إلّا علىٰ اللّه تعالى من حيث انّ معناه لا يصحّ إلا له إذ هو الذي وسع كلّ شيء رحمة، والرحيم يستعمل في غيره وهو الذي كثرت رحمته، قال تعالى: ﴿إنّ اللّه غفور رحيم﴾، وقال في صفة النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم﴾ (التوبة/الآية ١٢٨).

وقيل: إنّ اللّه تعالى هو رحمٰن الدنيا ورحيم الآخرة، وذلك انّ إحسانه في الدنيا يعمّ المؤمنين والكافرين، وفي الآخرة يختصّ بالمؤمنين، وعلى هذا قال: ﴿ورحمتي وسعت كلّ شيء فسأكتبها للذين يتّقون﴾ (الأعراف/الآية ١٥٦) تنبيهاً انها في الدنيا عامّة للمؤمنين والكافرين وفي الآخرة مختصّة بالمؤمنين ــ إنتهى ــ.

وتختصّ العقوبة والمعاقبة والعقاب بالعذاب، وهو إيصال الألم الشديد إلى العاصي لاستحقاقه ذلك حيث خالف ما أمر اللّه به.

والنكال: العقوبة الشديدة، والنقمة: هي إيصال الضرر العظيم للمذنب مع الكراهة الشديدة له من سوء فعله.

ولأنّ اللّه حكيم، والحكيم من يضع الأُمور في مواضعها اللائقة بها، فهو لا يرحم إلا من يستحقّ الرحمة، ولا يعاقب غير مستحقّ العقوبة.

والتجبّر: التكبّر، ولا فرق بينهما لغة، وقيل: المتكبّر المتعظّم بما ليس فيه، والمتجبّر الذي لا يكترث لأمر.

قلت: وهذا إنما يصحّ في بني آدم خاصّة، أمّا بالنسبة إلى الذات المقدّسة تعالى فهو المتكبّر المتجبّر حقيقة، إذ لا يليق ذلك إلا له سبحانه،

لأنه القادر القاهر على جميع الأشياء، والمالك المتصرّف في جميع الممكنات، وأمّا سواه فمهما بلغ من قوّة الشكيمة وشدّة البطش فهو من أعجز العاجزين، قال تعالى: ﴿يا أيها الناس ضُرب مثل فاستمعوا له إنّ الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب﴾ (الحج/الآية ٧٣).

وقيل: إنّ الذباب ألحّ على أبي جعفر المنصور يوماً، فلم يستطع أن يردّه عن وجهه، فالتفت إلى الإمام الصادق (عليه السلام) وكان حاضراً عنده فقال: لِمَ خلق الله الذباب؟ قال: لإذلال الجبابرة، فقال: صدقت.

واعلم أنّ الجبر إصلاح الشيء بضرب من القهر، يقال: جبرته فانجبر واجتبر، وقد يقال: الجبر تارة في الإصلاح المجرّد، كقول الإمام عليّ (عليه السلام): ((يا جابر كلّ كسير، ومسهّل كلّ عسير))، وتارة في القهر المجرّد كالجبّار الذي يقتل على الغضب، ومنه قوله تعالى: ﴿وإذا بطشتم بطشتم جبّارين﴾ (الشعراء/الآية ١٣٠).

والجبّار من أسمائه تعالى: الذي يجبر الخلق ويقهرهم على بعض الأُمور التي ليس لهم فيها اختيار ولا على تغييرها قدرة، وهو الذي يجبر حالهم ويصلحه بعد الفساد، وقيل: الجبّار العظيم الشأن في الملك والسلطان، ولا يُطلق هذا الوصف الأخير على غيره تعالى إلا على وجه الذمّ.

الدُّعاءُ

قوله: ((اللهم أذنت لي في دعائك ومسألتك)).

الشَّرح

الأُذن: الإطلاق في الفعل والرخصة، ويكون الأمر به أُذناً، وكذا الإرادة، والمعنى: إنّ الله (عزّ وجل) أراد منّا الدعاء وأطلقه لنا وأمرنا به،

وقد يكون بمعنى العلم، فيكون المعنى : علمت أنني أدعوك، وقد يكون بمعنى التوفيق أي: وفّقتني للدعاء وألهمتنيه، ففي الكافي (ج ٢/ص ٤٧١) عن الإمام الصادق (عليه السلام) :

((الدعاء يردّ القضاء وقد أُبرم إبراماً، فأكثر من الدعاء فانّه مفتاح كلّ رحمة، ونجاح كلّ حاجة، ولا ينال ما عند الله إلا بالدعاء، وإنه ليس من باب يكثر قرعه إلا يُوشك أن يفتح لصاحبه)).

وعن الإمام الكاظم (عليه السلام) (الكافي/ج ٢/ص ٤٧١) :

((ما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيلهمه الله الدعاء إلا كان كشف ذلك البلاء وشيكاً، وما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيمسك عن الدعاء إلا كان ذلك البلاء طويلاً، فاذا نزل البلاء فعليكم بالدعاء والتضرّع إلى الله (عزّ وجل))).

فقد علمت أنّ إلهام الدعاء من توفيقات الباري سبحانه وعنايته بالعبد، وإنّ الإمساك عن الدعاء من إمارات الخذلان نعوذ بالله من ذلك.

وفي الاحتجاج عن ثابت البناني، قال:

كنت حاجّاً وجماعة عبّاد البصرة، مثل: أيّوب السجستاني، وصالح المرّي، وعتبة الغلام، وحبيب الفارسي، ومالك بن دينار، فلمّا أن دخلنا مكّة رأينا الماء ضيّقاً، وقد اشتدّ بالناس العطش لقلّة الغيث، ففزع إلينا أهل مكّة والحجّاج، يسألوننا أن نستسقي لهم، فأتينا الكعبة وطفنا بها، ثم سألناه خاضعين متضرّعين فمنعنا الاجابة، فبينما نحن كذلك إذا نحن بفتى قد أقبل وقد أكربته أحزانه وأقلقته أشجانه، فطاف بالكعبة أشواطاً ثم أقبل علينا فقال: يا مالك بن دينار، ويا ثابت البناني، ويا أيّوب السجستاني، ويا صالح

المرّي، ويا عتبة الغلام، ويا حبيب الفارسي، ويا سعد، ويا عمر، ويا صالح الأعمى، ويا رابعة، ويا سعدانة، ويا جعفر بن سليمان، فقلنا: لبّيك وسعديك يا فتى، فقال: أما فيكم أحد يحبّه الرحمٰن؟ فقلنا: يا فتى علينا الدعاء وعليه الإجابة، فقال: أبعدوا عن الكعبة، فلو كان فيكم أحد يحبّه الرحمٰن لأجابه، ثم أتى الكعبة فخرّ ساجداً، فسمعته يقول في سجوده: سيّدي بحبّك لي إلا سقيتهم الغيث، قال: فما استتمّ الكلام حتى أتاهم الغيث كأفواه القرب، فقلتُ: يا فتى من أين علمت أنه يُحبّك؟ فقال: لو لم يُحبّني لم يستزرني، فلمّا استزارني علمت أنه يُحبّني فسألته بحبّه لي فأجابني، ثم ولّى عنّا وهو يقول:

من عرف الله فلم تغنه — معرفة الله فذاك الشقي
ما ضرّ ذا الطاعة ما ناله — في طاعة الله وماذا لقي
ما يصنع العبد بغير التقي — والعزّ كلّ العزّ للمتّقي

فقلت: يا أهل مكّة من هذا الفتى؟ قالوا: عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام).

وغير خفي عليك أنّ المراد باستزارته إيّاه إمّا أن يُريد به الواجب الشرعي الذي هو زيارة البيت والحجّ إليه، كما في قوله تعالى: ﴿ولله على الناس حجّ البيت﴾ (آل عمران/ الآية ٩٧)، وإما أن يُريد أنه وفّقه لزيارة البيت بتهيئة الأسباب وحجب الموانع وتسهيل السبل، وكلاهما صحيح، ولعلّ الثاني أرجح فيما أظنّ.

واعلم أنّ في خلاصة العلاّمة ورجال الشيخ:

انّ ثابت البناني يُكنّى أبا فضالة، من أهل بدر، وقتل مع أمير المؤمنين (عليه السلام) بصفّين.

والظاهر انّ هذا الرجل غيره ، وانه من العامّة ، فقد ذكر الذهبي في ميزان الاعتدال وفي تذكرة الحفاظ أيضاً : ثابت بن أسلم البناني البصري وذكر أنه يُكنّى : أبا محمد ، وأنه من سادات التابعين ، وذكر أنه مات في سنة ثلاث وعشرين ومائة ، ويُقال : في سنة سبع ، وقد جاوز الثمانين ، والله أعلم ·

ويقول الداعِي بعد إحرازه الحصول على الإذن :

الدّعاء

((فاسمع يا سميع مدحتي ، وأجب يا رحيم دعوتي ، وأقِلْ يا غفور عثرتي)) ·

الشَّرح

هذه الفقرات الثلاث تتضمّن طلب إجابة الدعاء ، فانّ استماع المدح يقتضي إيصال النفع والإنعام من الممدوح إلى المادح ، وكذا إجابة الدعوة يقتضي قضاء حاجة الداعي ، وأقاله : وافقه على نقض البيع وسامحه ، ومنه أقاله الله عثرته أي سامحه عليها ، والعثرة : الخطيئة ، فالمطلوب من الله السماح وعدم المؤاخذة ·

ثم يذكر الداعي بعض ما لله من الأيادي الجميلة والعوائد الحسنة ، كأنه يُشير إلى أنّ الله تعالى كريم ، والكريم لا يغيّر عوائده الجميلة ، فيقول :

الدّعاء

((فكم يا إلٰهي من كربة قد فرّجتها ، وهموم قد كشفتها ، وعثرة قد أقلتها ، وحلقة بلاء قد فككتها)) ·

الشَّرح

الكرب والكربة : الأمر العظيم الشاقّ والحادث المؤلم لا يُطاق احتماله ، وتفريجه كشفه ، وكربه الأمر أي شقّ عليه ، والهم : الحزن والقلق ، وأهمّني الأمر ـ بالألف ـ : أقلقني ، وهمّني همّاً من باب: قتل مثله ، وإقالة العثرة تقدّم معناها ، والرحمة : العطف والاحسان ، ونشرها إفاضتها، وحلقة البلاء كناية عن شدّة الضيق ، وفكّها كناية عن تسهيل الأُمور ، والمقصود ذكر

آلاء الله ونعمه التي أفاضها على الإنسان وعظائم الفضل والمنح التي غمره بها مما لا سبيل إلى عدّه وحصره، كما قال سبحانه:

﴿وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها﴾ (إبراهيم/الآية ٦).

وفيه اعتراف بالتقصير وبظلم الإنسان لنفسه، فانّ من شروط إجابة الدعاء الاعتراف بالذنب قبل السؤال، لما فيه من الانقطاع إلى الله تعالى وضعة النفس أمام جلاله وعظمة سلطانه، والتواضع للّه هو خير ما يُقدّمه الإنسان بين يدي حوائجه، ومن تواضع للّه رفعه الله.

وقد روي أنّ عابداً عبد الله سبحانه دهراً، صائماً نهاره، قائماً ليله، فطلب من الله تعالى حاجة فلم تقض فأقبل على نفسه فقال: من قبلك أتيت، لو كان عندك خير قضيت حاجتك، فأنزل الله إليه ملكاً فقال له: يا بن آدم ساعتك التي أزريت بها على نفسك خير من عبادتك التي مضت.

وفي الكافي (ج ٢/ص ٨٣):

عن الحسن بن الجهم قال: سمعت أبا الحسن (عليه السلام) يقول: ((إنّ رجلاً من بني إسرائيل عبد الله أربعين سنة، ثم قرّب قرباناً فلم يقبل منه، فقال لنفسه: ما أتيت إلا منك، وما الذنب إلا لك، قال: فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: ذمّك لنفسك أفضل من عبادتك أربعين سنة)).

الدّعاء

((الحمد للّه الذي لم يتّخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يكن له شريك في المُلْك، ولم يكن له وليّ من الذُلّ وكبّره تكبيرا)).

الشّرح

يبتدئ الداعي بالحمد الذي هو أداة الشكر ومقدّمة الدعاء، وإذا حمد الله العبد فقد ظفر بأربعة أشياء: قضى حقّ الله، وأدّى شكر نعمه

الماضية ، وتقرّب من استحقاق ثواب الله ، واستحقّ المزيد من نعمائه ، وهو معنى قوله تعالى :﴿لئن شكرتم لأزيدنّكم﴾ (إبراهيم/ الآية٧) ٠

وفي الحديث: الحمد رأس الشكر ، وإنما جعله رأساً للشكر لأنّ ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها أشيع لها ، وأدلّ على مكانها من الاعتقاد لخفاء عمل القلب، وما في عمل الجوارح من الإحتمال بخلاف عمل اللسان الذي هو النطق المفصح عن كلّ خفي ٠

وفي الكافي (ج ٢/ص ٥٠٣) :

عن المفضّل قال : قلتُ لأبي عبد الله(عليه السلام) : جُعلتُ فداك علّمني دعاءً جامعاً ، فقال لي :

((احمد الله فانه لا يبقى أحد يُصلّي إلا دعا لك، يقول : سمع الله لمن حمده)) ٠

ومعلوم أنّ سمع متعدّ بغير الحرف، وقد عدّى هٰهنا باللام لأنه ضمن معنى الإستجابة ، قال الشهيد الثاني والشيخ في الأربعين : ضمن سمع معنى استجاب فلذلك عدّى باللام كما ضمن معنى الإصغاء فعدّى ب :((إلى)) في قوله :﴿لا يسّمّعون إلى الملأ الأعلى﴾ (الصافات/ الآية٨) ـ إنتهى ـ ٠

وفي هذه الرواية دليل بل تصريح بأنّ هذه الكلمة دعاء ، ومعناها : يا الله إسمع حمد الحامد ، لأنّ غرض المصلّي قبول صلاته وإجابة دعائه ، ومعنى : سمع له أي جعل كلامه مسموعاً عنده ، أي مقبولاً إذ المسموع هو المقبول ، ومتى كان كلام العبد مسموعاً عند الملك فلا شكّ أنه يكون مقرّباً إليه ومعتنى به٠

وعن الإمام الصادق (عليه السلام):

((كلّ دعاء لا يكون قبله تحميد فهو أبتر)).

والبتر: القطع، وهذا شبيه بما رواه العامّة عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله): ((كلّ كلام لا يبدأ فيه بالحمد فهو أقطع)).

والأقطع: المقطوع اليد، وأقطع الرجل عجز عن الحجّة فأمسك عن الكلام، فكأنّ المعنى: إنّ الكلام إذا لم يبدأ فيه بالحمد كان ناقصاً أي عديم الفائدة، لأنّ تماميّة الدعاء إنما هي الإجابة، وهذا قطع عن القبول والصعود إلى الله فلا فائدة فيه، لعدم وجود مؤهّلات القبول التي هي المدح والثناء، أو أنّ الحمد هو سبب اتّصال العبد بخالقه، لأنّ الحمد هو الشكر، والشكر ضدّه الكفران، فمن لم يحمد الله فقد كفر نعمته فانقطع السبب، فلا يصعد العمل إلى الله.

وفي الكافي (ج ٢/ص ٤٨٤) عن الإمام الصادق (عليه السلام):

((إيّاكم إذا أراد أحدكم أن يسأل من ربّه شيئاً من حوائج الدنيا والآخرة حتى يبدأ بالثناء على الله تعالى والمدح له والصلاة على النبيّ (ص) ثم يسأل حوائجه)).

وعنه (عليه السلام):

((إنما هي المدحة ثم الثناء ثم الإقرار بالذنب ثم المسألة، إنه والله ما خرج عبد من ذنب إلا بالإقرار)).

وعنه (عليه السلام):

((إذا أردت أن تدعو الله فمجّده واحمده وسبّحه وهلله واثن عليه وصلّ على محمد النبيّ وآله، ثم سل تعط)).

وعن أبي كهمس قال : سمعت أبا عبد الله(عليه السلام) يقول : ((دخل رجل المسجد فابتدأ قبل الثناء على الله والصلاة على النبيّ(صلّى الله عليه وآله) فقال النبيّ(صلّى الله عليه وآله) : عاجل العبد ربّه ، ثم دخل آخر فصلّى وأثنى على الله(عزّ وجل) وصلّى على رسول الله(صلّى الله عليه وآله) فقال رسول الله : سل تعطه ، ثم قال: إنّ في كتاب على(عليه السلام) : إنّ الثناء على الله والصلاة على رسوله قبل المسأله ، وانّ أحدكم ليأتي الرجل يطلب الحاجة فيجب أن يقول له خيراً قبل أن يسأل حاجته)) ٠

واعلم أنّ هذه الفقرة ـ في الحقيقة ـ ثناء على الله بما هو أهله ، فقد تضمّنت وصفه بما له من إطلاق الملك الفرداني المحيط بجميع الممكنات لا يشذّ عنه منها شيء مهما صغر ، ويتفرّع عليه نفي الصاحبة ، أي الزوجة اللازمة التي يأنس إليها ويبثّها سرّه ، والولد الذي يحتاج إليه في بقاء الذكر والقيام مقامه بعد انقضائه وفنائه ، إذ لو كان له صاحبه لكان محتاجاً ومستوحشاً، ولو كان له ولد لكان منقضياً ، ولكان يمسك جميع النعم عن عبيده ويبقيها لولده ، ومن كان كذلك لم يقدر على كمال الإنعام في كلّ الأوقات، فوجب أن لا يستحقّ الحمد إطلاقاً ٠

وكذا يتفرّع عليه نفي الشريك، إذ لو كان له شريك لكان عاجزاً ، ولم يعرف أيّهما المستحقّ للحمد والشكر٠

وكذا الوليّ من الذلّ ، إذ لو كان كذلك ثبت احتياجه وعجزه ،فيمكن حينئذٍ أن يكون غيره قهره وأجبره على الاحسان والانعام أو منعه منه فلا يجب شكره٠

أمّا إذا كان منزهاً عن الزوجة والولد والشريك والولي الذي يُدير شؤونه ويُدبّر أمره، وكان غنيّاً عن كلّ ذلك ولم يكن يُماثله شيء في ذات ولا صفة كان مستوجباً لأعظم أنواع الحمد، ومستحقّاً لأجلّ أنواع الشكر، ولهذه الغاية يأخذ الداعي بالتحميد دون التسبيح مع انّ المذكور من نفي الصاحبة والولد والشريك والولي إنما هي صفات سلبيّة، وهي من صفات الجلال ويناسبها التسبيح دون التحميد فافهم ذلك، ولكن لمّا كانت المحامد النفسيّة أعلى شأنا وأعظم من المحامد العمليّة، وصفات التنزيه والجلال من المحامد النفسيّة فلا جرم كان الأليق بها الحمد دون غيره.

وفي نهج البلاغة:

((لم يُولد سبحانه فيكون في العزّ مشاركاً، ولم يُلد فيكون موروثاً هالكاً، ولم يتقدّمه وقت ولا زمان، ولم يتعاوره زيادة ولا نقصان)).

وفي النهج أيضاً:

((لم يلد فيكون مولوداً، ولم يُولد فيصير محدوداً، جلّ عن اتّخاذ الأبناء، وطهر عن ملامسة النساء)).

والصاحبة والولد والشريك والولي إنما يحتاج إليهما المخلوق لعجزه، وعدم استغنائه، وأمّا الخالق تعالى فهو منزّه عن هذا كلّه، فيجب أن يقرن التنزيه بالتكبير لأنه أكبر من أن يوصف، ولأنه أكبر من أن يشبهه شيء، ولأنه لا يستحقّ العبادة غيره، فلذلك أضيف إليها الأمر بالتكبير، فقال: ((وكبّره تكبيراً)).

الدُّعَاءُ

ثم يقول الداعي:

((الحمد لله بجميع محامده كلّها على جميع نعمه كلّها))

الشَرْح

المحامد : جمع المحمدة ، وهي اليد الطولى والصنائع الحسنة والمعروف الجم ، وما أكثر محامده تعالى وأياديه ، والمعنى : الحمد لله حمداً لا نهاية له لأنّ نعمه وأياديه لا نهاية لها ، وقد كثر في القرآن الكريم قول : ((الحمد لله)) .

وحقيقة الحمد عند العارفين المحققين : إظهار الصفات الكماليّة ، وذلك قد يكون بالقول كما هو المشهور ، وقد يكون بالفعل ، وهو كحمد اللّه ذاته وحمد جميع الأشياء له ، وهذا القسم أقوى من الأول ، لأنّ دلالة اللفظ من حيث هو لفظ دلالة وضعيّة قد يتخلّف عنها مدلولها .

ودلالة الفعل ـ كدلالة آثار الشجاعة على الشجاعة وآثار السخاوة على السخاوة ـ عقليّة قطعيّة لا يتصوّر فيها تخلّف، فحمد اللّه ذاته ـ وهو أجلّ مراتب الحمد ـ هو إيجاد كلّ موجود من الموجودات، فانه جلّ وعلا حيث بسط بساط الوجود على ممكنات لا تُعدّ ولا تُحصى ، ووضع على هذا البساط موائد كرمه التي لا تتناهى ، فقد كشف عن صفات كماله ونعوت جلاله ، وأظهرها بدلالات عقليّة تفصيليّة غير متناهية ، فانّ كلّ ذرّة من ذرّات الوجود يدلّ عليها ، ولا يتصوّر في العبارات مثل هذه الدلالات .

فايجاده تعالى كلّ موجود هو الحمد بالمعنى المصدري ـ بمنزلة الكلام الدالّ على الجميل ـ ونفس ذلك الموجود هو الحمد بالمعنى الحاصل بالمصدر .

فاطلاق الحمد على كلّ موجود صحيح بهذا المعنى ، وكما انّ كلّ موجود حمد فهو حامد أيضاً ، لاشتماله على عموم عقلي وجوهر نطقي ، حيث عبّر في القرآن الكريم عن تلك الدلالة العقليّة بالنطق في قوله تعالى :

﴿قالوا أنطقنا اللّه الذي أنطق كلّ شيء﴾ (فُصّلت/ الآية ٣٠) .

ولا يبعد أن يُراد بجميع المحامد الحقيقة المحمّدية ، إذ هو (صلّى اللّه عليه وآله) أول مخلوق وآخر مبعوث ، ففي البحار (ج ١٥ / ص ٢٧) عن كتاب : الأنوار للشيخ أبي الحسن البكري (رحمه اللّه) :

كان اللّه ولا شيء معه ، فأول ما خلق اللّه نور حبيبه محمد (صلّى اللّه عليه وآله) قبل خلق الماء والعرش والكرسيّ والسماوات والأرضين واللوح والقلم والجنّة والنار والملائكة وآدم وحوّاء بأربعة وعشرين وأربعمائة ألف عام .

وفي الخصال (ص ٣٨٢) باسناده عن أمير المؤمنين (عليه السلام) :

((إنّ اللّه تبارك وتعالى خلق نور محمد (صلّى اللّه عليه وآله) قبل أن خلق السماوات والأرض والعرش والكرسيّ واللوح والقلم والجنّة والنار ، وقبل أن خلق آدم ونوحاً وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى وداود وسليمان ، وكلّ من قال اللّه (عزّ وجل) في قوله : ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلاً هدينا ، ونوحاً هدينا من قبل ، ومن ذرّيته داود وسليمان ويوسف وموسى وهارون ، وكذلك نجزي المحسنين ، وزكريّا ويحيى وعيسى والياس ، كلّ من الصالحين ، وإسماعيل واليسع ويُونس ولوطاً ، وكلاً فضّلنا على العالمين ، ومن آبائهم وذرّياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم﴾ (الأنعام/ الآية : ٨٥ ـ ٨٧))) .

وفي الصحيفة السجّادية :

((والحمد للّه الذي منّ علينا بمحمد نبيّه (صلّى اللّه عليه وآله) دون الأُمم الماضية ، والقرون الخالية ، بقدرته التي لا تعجز عن شيء وإن عظم ، ولا يفوتها شيء وإن لطف ، فختم بنا على جميع من ذرأ ، وجعلنا

شهداء على من جحد ، وكثّرنا بمنّه على من قلّ)) .

فهو حقيقة التماميّة ، لأنه(صلّى الله عليه وآله) أول مخلوق في عالم الإبداع ، كما في الكافي(ج ١/ص ٤٤٠)عن مرازم عن أبي عبد الله(عليه السلام) قال :

((قال الله تبارك وتعالى : يا محمد إنّي خلقتك وعليّاً نوراً ــ يعني روحاً ــ بلا بدن قبل أن أخلق سماواتي وأرضي وعرشي وبحري ، فلم تزل تهللني وتمجدني ، ثم جمعت روحيكما فجعلتها واحدة ، فكانت تمجّدني وتقدّسني وتهللني ، ثم قسمتها ثنتين ، وقسمت الثنتين ثنتين فصارت أربعة : محمد واحد ، وعليّ واحد ، والحسن والحسين ثنتان ، ثم خلق الله فاطمة من نور ابتدأها روحاً بلا بدن ، ثم مسحنا بيمينه فأفضى نوره فينا)) .

والمسح باليمين : كناية عن جعلهم ذا اليُمن والبركة .

وفيه(ص ٤٤١)عن محمد بن سنان قال : كنت عند أبي جعفر الثاني (عليه السلام) فأجريت اختلاف الشيعة ، فقال :

((يا محمد إنّ الله تبارك وتعالى لم يزل متفرّداً بوحدانيّته ، ثم خلق محمداً وعليّاً وفاطمة ، فمكثوا ألف دهر ، ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها ، وفوّض أمورها إليهم ، فهم يحلّون ما يشاؤن ويحرّمون ما يشاؤن ولن يشاؤا إلا أن يشاء الله تبارك وتعالى ، ثم قال : يا محمد هذه الديانة التي من تقدّمها مرق ، ومن تخلّف عنها محق ، ومن لزمهالحق ، خذها إليك يا محمد)) .

وعن المفضّل قال : قلت لأبي عبد الله(عليه السلام) : كيف كنتم حيث

كنتم في الأظلّة ؟ فقال :

((يا مفضّل كنّا عند ربّنا ليس عنده أحد غيرنا ، في ظلّة خضراء نُسبّحه ونُقدّسه ونُهلله ونُمجّده ، وما من ملك مقرّب ولا ذي روح غيرنا حتى بدا له في خلق الأشياء ، فخلق ما شاء كيف شاء من الملائكة وغيرهم ، ثم أنهى علم ذلك إلينا)) .

والأخبار في هذا المعنى كثيرة ولا مجال لاستقصائها ، فهو (صلّى الله عليه وآله) الأول والآخر ،الأول في الخلق ، والآخر في الرسالة ، فحقيقته أجلّ مراتب الحمد وأعظمها من حيث وصوله إلى المقام المحمود الموعود به في قوله : ﴿ عسى أن يبعثك ربّك مقاماً محمودا ﴾ (الإسراء/ الآية ٧٩) ، فذاته المقدّسة أقصى مراتب الحمد التي حمد الله بها ذاته ، ولذلك خصّ بلواء الحمد ، وسمّي بالحمّاد والأحمد والمحمود ، وكلّ ذلك من مشتقّات الحمد .

فله (صلّى الله عليه وآله) جميع المقامات والنشآت ، ففي وقت ومقام له أن يقول : ((إنما أنا بشر مثلكم)) .

وفي وقت ومقام له أن يقول : ((لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب ولا نبيّ مُرْسَل ...)) ، ويقول : ((من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن أبغضني فقد أبغض الله ، والشاهد على صدقه قول الله (عزّ وجل) : ﴿ من يُطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولّى فما أرسلناك عليهم حفيظا ﴾ . (النساء/ الآية ٨٠) .

وكونه (صلّى الله عليه وآله) أقصى مراتب الحمد إنما يتحقق في مقامه الجمعي الأُخروي الذي هو المقام المحمود ، ولهذا قال كما ورد عنه :

((فيلهمني الله محامد أحمده بها فأحمده بتلك المحامد)) .

وإذا كان كلّ فعل منه تعالى محمدة ونعمة فانّ نعمه الدنياويّة بعدد أنفاس جميع الخلائق، فهل يستطيع أحد معرفة جميع مخلوقاته؟ وهل من الممكن إحصاؤها؟ قال:

﴿وإن تعدّوا نعمة اللّه لا تُحصوها﴾ (إبراهيم/الآية ٣٤).

واعلم أنّ كلّ نفس يتنفّسه مخلوق نعمة منه تعالى عليه وعلى غيره من المنتفعين به، والمخلوقات لا يمكن إحصاؤها فكيف الأنفاس، وغير الأنفاس مما لا غنى لأيّ مخلوق عنه، فمن يُطيق حمده ومن يستطيع تأدية بعض شكره، وقُصارى ما لدينا من حمده وشكره الاعتراف بأنّا عاجزون.

وأمّا نعمه ومحامده بعد انقضاء الدنيا فتزيد على نعم الدنيا الأضعاف وأضعاف الأضعاف مما لا يكون في الحسبان، ولا تتخيّله العقول والأوهام، ومع ذلك فهي خالدة باقية ببقائه، مستمرّة دائمة بدوامه: ﴿خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربّك عطاء غير مجذوذ﴾ (هود/الآية١٠٨) فيكون المعنى: الحمد للّه محامد لا نهاية لها على نعم لا نهاية لها، واللّه سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

الدّعاء

ثم يستمر الداعي في صفات الجلال قائلاً:

((الحمد للّه الذي لا مُضادّ له في ملكه، ولا مُنازع له في أمره)).

الشّرح

المُضاد ـ بتشديد الدال ـ: إسم فاعل من ضادّه بتشديده أيضاً أي خالفه وعاكسه وغالبه، وهو من الضدّ، والضدّ: كلّ شيء ضادّ شيئاً ليغلبه، والسوادّ ضدّ البياض، والموت ضدّ الحياة، والليل ضدّ النهار إذا جاء هذا ذهب ذلك.

والضدّ: الندّ والشبه، يقال: ((لقى القوم أضدادهم وأقرانهم

وأندادهم)) ، والكلّ معنى واحد ، وفلان ندّي ونديدي إذا كان يُريد خلاف الوجه الذي تُريده، وهو مستقلّ من ذلك بمثل ما تستقلّ به، ويقال: لا ضدّ له ولا ضديد له، أي لا نظير له ولا كفو له، والمنازع: المخاصم والمجاذب لك بالشرّ يريد استخلاصه منك.

والله سبحانه لا ضدّ له، ولا شبه له، ولا مثل له، ولا كفو له، ولا نظير ولا عديل ولا منازع، ولا يقدر أحد قدره، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

الدّعاء

ومثله قول الداعي:

((الحمد لله الذي لا شريك له في خلقه، ولا شبيه له في عظمته)).

الشَرْح

إذ لو كان له شريك في الخلق أو شبيه في العظمة لحصل فيما بينهما التنازع والتخاصم، ولطلب كلّ واحد منهما القسمة والإستقلال عن الآخر، ولكان كلّ منهما يُحاول التغلّب على الآخر، وكان يجب أن يبعث إلينا رسولاً، فلمّا انتفت هذه الأمور علمنا أنه لا إله إلا الله، قال تعالى:

﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ (الأنبياء/الآية ٢٢).

قال في مجمع البيان:

معناه لو كان في السماء والأرض آلهة سوى الله لفسدتا وما استقامتا، وفسد من فيها ولم ينتظم أمرهم، وهذا دليل التمانع الذي يبني عليه المتكلّمون مسألة التوحيد.

وتقرير ذلك: انّه لو كان مع الله سبحانه إله آخر لكانا قديمين، والقدم من أخصّ الصفات، فالإشتراك فيه يُوجب التماثل، فيجب أن يكونا قادرين عالمين حيين، ومن حقّ كلّ قادرين أن يصحّ كون أحدهما مريد الضدّ ما يُريده الآخر من إماتة وإحياء، أو تحريك وتسكين، أو افتقار أو إغناء ونحو ذلك.

فاذا فرضنا ذلك فلا يخلو إمّا أن يحصل مرادهما وذلك محال، وإمّا أن لا يحصل مرادهما فينتقض كونهما قادرين، وإمّا أن يقع مراد أحدهما ولا يقع مراد الآخر فينتقض كون من لم يقع مراده – من غير وجه منع معقول – قادراً، فاذن لا يجوز كون الإله إلا واحداً، ولو قيل: إنهما لا يتمانعان، لأنّ ما يُريده الآخر يكون حكمه فيريده الآخر بعينه.

والجواب:

إنّ كلامنا في صحّة التمانع لا في وقوع التمانع، وصحّة التمانع يكفي في وقوع الدلالة لأنه يدلّ على أنه لابدّ من أن يكون أحدهما متناهي المقدور فلا يجوز أن يكون إلٰهاً – انتهى –

وقال تعالى:

﴿ما اتّخذ الله من ولدٍ وما كان معه من إلٰهٍ إذن لذهب كلّ إلٰه بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عمّا يصفون﴾.

(المؤمنون/ الآية ٩٢).

وفيه إشارة إلى أنّ اتّخاذ الولد لا يصحّ كاتّخاذ الشريك، وهما أمران داخلان في حدّ الاستحالة، لأنّ الولد والشريك يُوجب المساواة في القدر، والصمديّة تتقدّس عن جواز أن يكون له مثل أو جنس، ولو تصوّرنا جوازه إذن لذهب كلّ إلٰه بما خلق، فكلّ أمر نيط باثنين فقد انتفى عن النظام وصحّة الترتيب، ولا يجوز أن يكون لله تعالى ولد كما يقوله النصارى أو المشركون القائلون: إنّ الملائكة بنات الله، لأنه لم يُجانس أحداً ولم يُماثله حتى يكون من جنسه أو شبيهه فيتّخذ منه صاحبة له فيتوالدا، ولم يجعل ولد غيره ولداً له لاستحالة ذلك عليه، فمن المحال أن يكون له ولد، فلا يجوز عليه التشبيه بما هو ممتنع مستحيل إلا على سبيل النفي والتبعيد.

واتّخاذ الولد هو أن يجعل الجاعل ولد غيره يقوم مقام ولده لو كان له، وكذلك التبنّي، إنما هو جعل الجاعل ابن غيره ـ ومن يصحّ أن يكون إبناً له ـ مقام ابنه، ولذلك لا يُقال تبنّي شاب شيخاً، ولا تبنّي إنسان بهيمة، لما استحال أن يكون ذلك ولداً له، و(من) هٰهنا وفي قوله: *وما كان معه من إلٰه* مؤكّده، فهو آكد من قوله: *ما اتّخذ الله ولداً وما كان معه من إلٰه* فقد نفى عن نفسه الولد والشريك على آكد الوجوه: *إذن لذهب كلّ إلٰهٍ بما خلق* أي لميّز كلّ إلٰه خلقه من خلق غيره ومنعه من الإستيلاء عليه، ولوجب أن يكون الخلق أكثر عدداً وأعظم أجساماً وأشدّ قوّة مما هم عليه، لوجود المساواة والمسابقة بين الالٰهين في إظهار القدرة كلّ منهما دون الآخر ولكان على كلّ منهما أن ينصب دليلاً يميز بين خلقه وخلق غيره، حيث لا يرضى بأن يضاف خلقه وإنعامه إلى غيره.

ولعلا بعضهم على بعض أي طلب بعضهم قهر البعض الآخر والتغلّب عليه، وهذا معنى قول المفسّرين: وقع بينهم التحارب والتغالب كما هو شأن ملوك الأرض، فلا يكون بيده وحده ملكوت كلّ شيء، فلا يكون قادراً على كلّ شيء، فلا يكون إلٰهاً، واللازم باطل بالاجماع والإستقراء وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات إلى واجب واحد.

وفي هذا دلالة عجيبة في التوحيد، وذلك انّ كلّ واحد من الآلهة من حيث يكون إلهاً يكون قادراً لذاته يلزم منه أن يكون قادراً **على** كلّ ما يقدر عليه غيره من الآلهة، فيكون غالباً ومغلوباً من حيث أنه قادر لذاته وهو عين المحال.

وأيضاً: فانّ من ضرورة كلّ قادرين صحّة التمانع بينهما، فلو صحّ وجود

إلـٰـهين صحّ التمانع بينهما من حيث أنهما قادران ، وامتنع التمانع بينهمـا من حيث أنهما قادران للذات وهذا محال .

الدُّعاء

((الحمد للّه الفاشي في الخلق أمره وحمده ، الظاهر بالكرم مجـده ، الباسط بالجود يده ، الذي لا تنقص خزائنه ، ولا تزيده كثرة العطاء إلا جوداً وكرماً ، إنّه هو العزيز الوهّاب)) .

الشَرح

فشا الخبر : إنتشر ، والمراد بالأمر الخلق ، قال اللّه تعالى :

﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ (يٰس / الآية ٨٢) .

وحمده : إمّا أن يراد به أفعاله وصفاته ، لأنّ أفعاله كلّها حمد ، وكـلّ صفاته حمد ، وإمّا أن يراد به تسبيح الأشياء ـ جماداتها ومتحرّكاتها ـ لـه ، قال تعالى :

﴿ وإنْ منْ شيء إلا يُسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾

(الإسراء / الآية ٤٤) .

قال في مجمع البيان :

ليس من الموجودات إلا ويُسبّح بحمد اللّه تعالى من جهة خلقتـه إذ كلّ شيء سوى القديم حادث يدعو إلى تعظيمه ، لحاجته إلى صانع غير مصنوع صنعه أو صنع من صنعه ، فهو يدعو إلى تثبيت قديم غنيّ بنفسه عن كلّ شيء سواه ولا يجوز عليه ما يجوز على المحدثات ، وقيل : إنّ معناه : وما من شـيء من الأحياء إلا يسبّح بحمده عن الحسن ، وقيل : إنّ كلّ شيء على العمـوم من الوحوش والطيور والجمادات يسبّح اللّه تعالى حتى صرير الباب وخريـر الماء ، عن إبراهيم وجماعة ، إنتهى .

وفي الدرّ المنثور (ج٤ /ص ١٨٥) :

أخرج النسائي وابن مردويه عن ابن مسعود ، قال :

كنّا أصحاب محمد (ص) نَعُدُّ الآيات بركة وأنتم تَعُدّونها تخويفاً ، بينما نحن مع رسول الله (ص) ليس معنا ماء ، فقال لنا : اطلبوا من معه فضل ماء ، فأُتي بماء فوضعه في إناء ثم وضع يده فيه فجعل الماء يخرج من بين أصابعه ، ثم قال : حيّ على الطهور المبارك والبركة من الله ، فشربنا منه ، قال عبد الله : كنّا نسمع صوت الماء وتسبيحه وهو يشرب .

وأخرج أبو الشيخ في العظمة ، وابن مردويه عن ابن مسعود ، قال :

كنّا نأكل مع النبيّ (صلّى الله عليه (وآله) وسلّم) فنسمع تسبيح الطعام وهو يُؤكل .

وأخرج أبو الشيخ عن أنس ، قال :

أتى رسول الله (صلّى الله عليه (وآله) وسلّم) بطعام ثريد ؛ فقال : إنّ هذا الطعام يسبّح ، قالوا : يا رسول الله وتفقه تسبيحه؟ ثم قال لرجل : ادن هذه القصعة من هذا الرجل فأدناها منه فقال : نعم يا رسول الله هذا الطعام يسبّح ، فقال : أدنها من آخر ، وأدناها منه ، فقال : هذا الطعام يسبّح ، ثم قال : ردها ، فقال رجل : يا رسول الله لو أمرت على القوم جميعاً ، فقال : لا ، إنها لو سكتت عند رجل لقالوا : من ذنب ، ردها فردّها .

وأخرج أبو الشيخ وأبو نعيم في الحلية عن أبي حمزة الثمالي ، قال : قال محمد بن عليّ بن الحسين ــ وسمع عصافير يصحن ــ قال :

((تدري ما يقلن؟ قلت : لا ، قال : يُسبّحن ربّهن (عزّ وجل) ويسألن قوت يومهنّ)) .

وأخرج الخطيب عن أبي حمزة، قال: كنّا مع عليّ بن الحسين فمرّ بنا عصافير يصحن، فقال:

((أتدرون ما تقول هذه العصافير؟ فقلنا: لا، قال: أما انّي لا أقول إنّا نعلم الغيب، ولكنّي سمعت أبي يقول: سمعت عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: " إنّ الطير إذا أصبحت سبّحت ربّها وسألته قوت يومها "، وانّ هذه تسبّح ربّها وتسأله قوت يومها)) ـ إنتهى ـ.

وفي تفسير ابن عربي:

إنّ لكلّ شيء خاصّية ليست لغيره، وكمالاً يخصّه دون ما عداه، يشتاقه ويطلبه إذا لم يكن حاصلاً له، ويحفظه ويحبّه إذا حصل، فهو باظهار خاصّيته ينزّه اللّه عن الشريك، وإلا لم يكن متوحّداً فيها، فكأنه يقول بلسان الحال: أُوحّده على ما وحّدني، ويطلب كماله يقول: يا كامل كمّلني، وباظهار كماله يقول: كمّلني الكامل المكمّل، وعلى هذا القياس، حتى أنّ اللبوة مثلاً باشفاقها على ولدها تقول: أرأفني الرؤف وأرحمني الرحيم، ويطلب الرزق يا رزّاق، فالسماوات السبع تسبّحه بالديمومة، والكمال، والعلوّ، والتأثير، والايجاد، والربوبيّة، وبأنه كلّ يوم هو في شأن، والأرض بالدوام، والثبات، والخلاّقيّة، والرزّاقيّة، والتربية، والاشفاق، والرحمة، وقبول الطاعة، والشكر عليها بالثواب، وأمثال ذلك.

والملائكة بالعلم والقدرة، والذوات المجرّدة منهم بالتجرّد عن المادّة، والوجوب أيضاً مع ذلك كلّه فهم مع كونهم مسبّحين إيّاه مقدّسون له، ولكن لا تفقهون تسبيحهم لقلّة النظر والفكر في ملكوت الأشياء وعدم الاصغاء إليهم، وإنما يفقه من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ـ إنتهى ـ.

وفي البحار (ج ٤ / ص ٢٣٧) ، عن ابن عمر :

كان النبيّ (ص) يخطب إلى جذع ، فلمّا اتّخذ المنبر تحوّل إليه ، فحنّ الجذع ، فأتاه فمسح يده عليه ·

وعن جابر بن عبد الله :

إنّ النبيّ (ص) كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة ، فقالت إمرأة من الأنصار أو رجل : يا رسول الله ألا نجعل لك منبراً ؟ قال : إن شئتم ، فجعلوا له منبراً ، فلمّا كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر ، فصاحت النخلة صياح الصبي ، ثم نزل النبيّ (ص) فضمّها إليه ·

وكما حنّ إليه الجذع فقد سبّح في كفّه الحصى ، رفع الله الحجاب عن أسماع الناس حتى سمعوه بآذانهم ووعوه في قلوبهم ·

وفي أمالي الصدوق (ص ١٩٨) :

إنّ اليهود أتت إمرأة منهم يقال لها : عبدة ، فقالوا : يا عبدة قد علمتِ انّ محمداً قد هدّ ركن بني إسرائيل ، وهدم اليهوديّة ، وقد غالى الملأ من بني إسرائيل بهذا السمّ له ، وهم جاعلون لك جعلاً على أن تسمّيه في هذه الشاة ، فعمدت عبدة إلى الشاة فشوتها ثم جمعت الرؤساء في بيتها وأتت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقالت : يا محمد قد علمت ما توجب لي وقد حضرني رؤساء اليهود ، فزيّني بأصحابك ، فقام رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ومعه عليّ (عليه السلام) وأبو دجانة وأبو أيّوب وسهل بن حنيف وجماعة من المهاجرين ، فلمّا دخلوا وأخرجت الشاة ، سدّت اليهود آنافها بالصوف وقاموا على أرجلهم وتوكّأوا على عصيّهم ، فقال لهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : اقعدوا ، فقالوا : إنّا إذا زارنا نبيّ لم يقعد منّا أحد ، وكرهنا

أن يصل إليه من أنفاسنا ما يتأذّى به، وكذبت اليهود عليها لعنة الله، إنّما فعلت ذلك مخافة سؤره السمّ ودخانه، فلمّا وضعت الشاة بين يديه تكلّم كتفها، فقالت: مه يا محمد لا تأكلني فانّي مسمومة، فدعا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عبدة فقال لها: ما حملك على ما صنعت؟ فقالت: قلتُ: إن كان نبيّاً لم يضرّه وإن كان كاذباً أو ساحراً أرحت قومي منه، فهبط جبرئيل فقال: الله السلام يقرئك السلام ويقول: قل: بسم الله الذي يسمّيه به كلّ مؤمن، وبنوره الذي أضاءت به السماوات والأرض، وبقدرته التي خضع لها كلّ جبّار عنيد، وانتكس كلّ شيطان مريد، من شرّ السمّ والسحر واللمم، بسم الله العليّ، بسم العليّ الملك الفرد الذي لا إلـه إلا هو، وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا. فقال النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ذلك وأمر أصحابه فتكلّموا به، ثم قال: كلوا، ثم أمرهم أن يحتجموا.

وفي بصائر الدرجات (ص ٥٠٤):

إنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) دخل هو وسهل بن حنيف وخالد بن أيّوب الأنصاري حائطاً من حيطان بني النجّار، فلمّا دخل ناداه حجر على رأس بئر لهم عليه السواني يصيح: عليك السلام يا محمد إشفع الى ربّك أن لا يجعلني من حجارة جهنّم التي يُعذّب بها الكفرة، فقال النبيّ (ص) ورفع يديه: اللهم لا تجعل هذا الحجر من أحجار جهنّم، ثم ناداه الرمل: السلام عليك يا محمد ورحمة الله وبركاته أُدع الله ربّك أن لا يجعلني من كبريت جهنّم، فرفع النبيّ (صلّى الله عليه وآله) يديه وقال: اللهم لا تجعل هذا الرمل من كبريت جهنّم، فلمّا دنا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إلى النخل تدلّت العراجين فأخذ منها رسول الله (صلّى الله عليه

وآله) فأكل منها وأطعم ، ثم دنا من العجوة فلمّا أحسّته سجدت فبارك عليها رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال : اللهم بارك عليها وانفع بها .

فمن ثمّ روت العامّة أنّ الكماة من المنّ وثمارها شفاء للعين والعجوة من الجنّة .

والمجد : كرم الفعال مع شرف الذات ، والعظمة والعُلوّ وكلّ خصال الخير ، ومن أسمائه تعالى المجيد ، ومعناه : الجليل والوهّاب والكريم ، أو هو الكريم العزيز ، أو هو الواسع الكريم ، أو هو الشريف ذاته والكريم فعاله ، وقيل : معنى مجيد أي ممجّد بمعنى مجّده خلقه وعظّموه ، والبسط : التوسعة ، والباسط هو الذي يوسّع الرزق على عباده ، والجود : كثره العطاء ، وانّ عطاياه (جلّ شأنه) لا نهاية لها ، وحيث انّ العطاء إنما يكون بواسطة اليد وهي إحدى جوارح هذا الإنسان وتبسط أي تُمدّ للأعضاء ناسب هنا أن تذكر اليد مجازاً ، والمقصود بها القدرة لأنه أجلّ وأعظم من أن يوصف بما يوصف به المخلوق ، وكيف ، وهو خالق الكائنات بأجمعها وهو مكوّن الجوارح والأعضاء ، وهو المقدّر المنافع والخواص لكلّ الأشياء ، فكيف يوصف بشيء لولا أنه خلقه لم يكن ، وليس كمثل ربّنا شيء ، تبارك وتعالى وتقدّس عمّا يقول الظالمون والمشبّهون علوّاً كبيراً .

وتطلق اليد على القدرة والسلطان والجاه ، والنعمة سواء كانت سابقة أو لاحقة ، والإحسان تصطنعه ، وكلّ معروف ، وكلّ إشارة مرضيّة هي يد .

ونقص الشيء ينقص نقصاً ـ من باب : قتل ـ وانتقص : ذهب منه شيء بعد تمامه ، ونقصته ، يتعدّى ولا يتعدّى ، هذه اللغة الفصيحة وبها جاء القرآن ، وفي لغة ضعيفة يتعدّى بالهمزة والتضعيف ، ولم يأت في كلام فصيح ،

ويتعدّى أيضاً بنفسه إلى مفعولين ، فيقال : نقصت زيداً حقّه وانتقصته حقّه ، ودرهم ناقص غير تام الوزن ، والمراد خزائنه إمّا خزائن السماوات والأرض إذ الكلّ منه وبيده ، أو المعقول من سماء جوده وما تحويه قدرته من الخيرات الممكنة ، فانّ مقدوراته تعالى غير متناهية ، وما عنده لا يدخله نقص ولا فناء، وإنما يدخل النقص والفناء على الفاني المحدود .

وفي الحديث القدسي :

((يا عبادي لو أنّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كلّ واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي شيئاً إلا كما ينقص المخيط إذا غمس في البحر)).

أي انه لا ينقص شيئاً ، وإنما ضرب المثل بالمخيط والبحر لأنه وإن كان يرجع بشيء محسوس ــ رطوبة المخيط ــ لكن لقلّته بالنسبة إلى أعظم المرئيّات عياناً لا يُرى ولا يُعدّ شيئاً فكأنه لم ينتقص منه شيء .

والعزيز : القدير الذي لا يُغالب، وقيل : هو القادر الذي لا يمتنع عليه شيء أراد فعله ، والعزيز أيضاً الذي لا يُعادله شيء ، ولا مثل له ولا نظير ، والوهّاب المعطي النعمة بدون عوض ، أو هو الذي شأنه الهبة والعطيّة ، واللام فيه وفي العزيز للاستغراق ، والوهّاب من أبنية المبالغة ، وهو الذي يعود بالعطايا التي لا تفنى ، وكلّ من وهب شيئاً من أعراض الدنيا فهو واهب ولا يسمّى وهّاباً ، بل الوهّاب من تصرّفت مواهبه في أنواع العطيّات ودامت، والمخلوقون إنما يملكون أن يهبوا مالاً أو نوالاً في حال دون حال ، على أنّ ما يهبونه إنما هو من عطاياه وإفاضاته ، ولا أحد منهم يملك أن يهب شفاء لسقيم ، أو ولد العقيم ، وقيل : الوهّاب هو المعطي كلّ ما يحتاج إليه .

الدُّعاء: ثم يتعرّض الداعي بعرض حاجته وتحقيرها أمام عظمة معطيها مع شدّة حاجة الداعي إليها وعدم غنائه عنها ، فيقول :

((اللهم إنّي أسألك قليلاً من كثير مع حاجة بي إليه عظيمة وغناك عنه قديم ، وهو عندي كثير ، وهو عليك سهل يسير)) .

الشَّرح: علمنا أنّ فضل الله عظيم ، وكرمه جسيم ، وانّ عطاياه أبديّة ، ومواهبه سرمديّة ، لا نفاد لعددها ، ولا نهاية لأمدها ، وقصارى ما نتمنّاه منه تعالى بل أهمّ ما نبغيه ونُريده الرحمة وغفران الذنوب، كما قال سبحانه :

﴿فمن زُحزح عن النار وأُدخل الجنّه فقد فاز﴾ (آل عمران/ الآية ١٨٥)

وما أقلّ هذا في جنب من لا يتعاظمه شيء ، وكيف يعظم عليه شيء وهو خالق جميع الأشياء ، جليل الأيادي ، عظيم الهبات، جسيم المواهب، لا تنفد عطاياه ، ولا تتناهى فواضله .

وما أعظم حاجة الإنسان إلى هذه الرحمة التي هي الدرجة العظمى والفوز الأكبر ، وما أقلّها وما أحقرها عند هذا الخالق العظيم الغنيّ الذي لا يحتاج إلى غيره لا في ذاته ولا في صفاته ، ولا اتّفاق له بغيره ، ولا يحتاج إلى معين ، بل هو المنزّه عن جميع العلائق مع الغير ، فهو الغنيّ المطلق الذي يستمدّ منه كلّ غنيّ ويفيض عنه كلّ غنيّ ، وهو الذي جبر مفاقر خلقه وأغناهم عن كلّ ما سواه وأغدق عليهم الرزق والعطاء ، وكلّ ما يملكه الخلائق إنما هو كغمسه منقار في ماء المحيط بالنسبة إلى مواهبه التي لا تقدّر ولا نهاية لها ولا غاية .

الدُّعاء

ثم يعود الداعي فيذكر الأيادي العظيمة المتوجّهة إليه من خالقه وانه لا يريد له إلا الأصلح مع ما عند العبد من التقصير في حقّ الله وحقّ نفسه ، فيقول :

((اللهم إنّ عفوك عن ذنبي ، وتجاوزك عن خطيئتي ، وصفحك عن ظلمي ، وسترك على قبيح عملي ، وحلمك عن كبير جرمي ، عندما كان من خطأي وعمدي أطمعني في أن أسألك ما لا أستوجبه منك)) .

الشرح: العفو والتجاوز والصفح كلّه بمعنى واحد ، وهو محو الذنب وإسقاط الحقّ عن الجاني ، والستر : التغطية ، وهو سبحانه يُغطّي على العبد أعماله القبيحة ويسترها كيلا يطّلع عليها الناس فيعيّروه بها ويزرون عليه فيهون عليهم ، فيستره ولا يفضحه ، ومنه :

((يا من أظهر الجميل وستر القبيح ، يا من لم يُؤاخذ بالجريرة ولم يهتك الستر ، يا كريم الصفح ، يا حسن التجاوز)) .

ذكر شيخنا البهائي (رضوان الله عليه) في مفتاح الفلاح (ص ١٥٦) ، عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال :

((ما من مؤمن إلا وله مثال في العرش ، فاذا اشتغل بالركوع والسجود ونحوهما فعل مثاله مثل فعله ، فعند ذلك تراه الملائكة فيصلّون ويستغفرون له ، وإذا اشتغل العبد بمعصيته أرخى الله على مثاله ستراً لئلا تطّلع الملائكة عليها ، فهذا تأويل : " يا من أظهر الجميل وستر القبيح ")) إنتهى .

والحلم : كظم الغيظ ، والمراد به هٰهنا الصفح والستر والمسامحة وإسقاط العقوبة ، والجرم : الذنب واكتساب الإثم ، وقرئت : كبير وكثير ، بالباء الموحّدة التحتيّة ، وبالثاء المثلّثة الفوقيّة أيضاً .

واعلم أنّ بين الكثير والكبير تلازم ، وذلك يستعمل أحدهما مكان الآخر في مواضع كما في قوله تعالى : ﴿ فيهما إثم كبير ﴾ (البقرة/ الآية ٢١٩) فقرأ

حمزة والكسائي بالثاء المثلّثة، وقرأ نافع وابن أبي عمر وعامر بالباء المفردة.

والفرق بين الكثير والكبير: إنّ الكثير ما يُراد به العدد أو الوزن أو الذرع وشبهه، والكبير ما يُراد به علوّ النفس وعظم منزلتها والشرف، أو الضخامة والعظم، ويقصد به هٰهنا عظم الذنب وفظاعته، فانّ الذنب مهما صغر فهو عظيم لأنه جرأه على الربّ العظيم، ولذا ورد في الحديث:

((لا تنظر إلى صغر الذنب ولكن انظر إلى من عصيته به.

والخطأ: الذنب من غير قصد، والباعث عليه إمّا الجهل أو النسيان.

وللعمد: ما صدر عن الفاعل بعزم وتصميم مع علمه بقبح فعله واعتقاده بحرمته، وفي هذا المقام يعترف الداعي بحسن معاملة الخالق القادر له وحلمه عنه وستره عليه، مع ما يبدو من جهل العبد وسوء أدبه مع ربّه وكثرة فواحشه وقبائحه، يقول: إنّ معاملتك لي باللطف وتتابع مواهبك ومنّك عليّ مع ما يصدر عنّي من قبيح الأفعال وسيّئات الأعمال، جعلني أطمع في برّك في جميع أُموري وعطفك عليّ حيث عوّدتني منك الاحسان، فأسألك الرحمة مع علمي بأنّي غير مستحقّ لها إذا كان جزائي أول ما عصيتك النار.

الدُّعَاءُ ثم يأخذ الداعي في تعداد بعض ما أفاض اللّه عليه من نعم وأياد هي أهمّ مقوّمات حياته وأقوى أركان نظام وجوده، فيقول:

((الذي رزقتني من رحمتك، وأريتني من قدرتك، وعرّفتني من إجابتك))

الشَّرح الرزق في اللغة: العطاء، ويُطلق على النصيب المعطى.

وفي العرف عند الأشاعرة: هو ما ينتفع به حيّ سواء كان بالتغذّي أو غيره مباحاً كان أو حراماً.

وقيل: هو ما يسوقه اللّه تعالى إلى الحيوان للتغذّي، أو ما به قوام

الجسم ونماؤه، فقد خصّه هذا القائل بالحيوان والأكثرون على الأول.

وأمّا المعتزلة: فلمّا أحالوا تمكين الله تعالى من الحرام لأنه منع من الإنتفاع به وزجر بالنهي عنه قالوا: هو ما صحّ انتفاع الحيوان به شرط أن يكون ملكاً له وليس لأحد منعه منه، فلا يكون الحرام رزقاً.

واستدلّوا بقوله تعالى: ﴿ومما رزقناهم يُنفقون﴾ (البقرة/الآية ٣)، حيث أسند الرزق إلى نفسه إيذاناً بأنهم ينفقون من الحلال الطيّب الطلق، فإنّ إنفاق الحرام بمعزل عن إيجاب المدح، وبقوله تعالى: ﴿قل أرأيتم ما أنزل الله إليكم من رزقٍ فجعلتم منه حلالاً وحراما﴾ (يُونس/الآية ٥٩)، حيث ذمّ المشركين على تحريم ما رزقهم الله.

وتمسكت الأشاعرة لشمول الرزق منهما بما رووه عن صفوان بن أُميّة قال: كنتُ عند رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إذ جاء عمر بن قرّة، فقال: يا رسول الله إنّ الله كتب عليّ الشقوة فلا أراني أرزق إلا من دفي بكفّي فأذن لي في الغناء؟ فقال: لا آذن لك ولا كرامة ولا نعمة، كذبت أي عدوّ الله، والله لقد رزقك الله حلالاً طيّباً فاخترت ما حرّم الله عليك من رزقه مكان ما أحلّ الله لك من حلاله، وبأنه لو لم يكن الحرام رزقاً لم يكن المتغذّي به طول عمره مرزوقاً، وقد قال الله تعالى:

﴿وما من دابّة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ (هود/الآية ٦).

وأجابت المعتزلة عن الحديث بالطعن في سنده أولاً، وبالتأويل ـ على تقدير صحّته ـ بأنّ إطلاق الرزق على الحرام لمشاكلة قوله: فلا أراني أرزق، كقوله تعالى: ﴿ومكروا ومكر الله﴾ (آل عمران/الآية ٥٤)، وباب المشاكلة وإن كان من المجاز لكنّه واسع كثير الورود في القرآن والحديث، فاش

في نظم البلغاء ونثرهم ، وعن قولهم : لو لم يكن الحرام رزقاً لم يكن المغتذي به طول عمره مرزوقاً ، بأنّ مادّة النقص لا بدّ وأن تكون متحققه وليس ، إذ لا يتصوّر حيوان كذلك .

أمّا غير الانسان فلأنه لا يتصوّر بالنسبة إليه حلّ ولا حرمة ، وأمّا الانسان فلو لم يأكل من الحلال إلا مدّة عدم التكليف لكفى في عدم النقض .

وأيضاً فالرزق أعمّ من الغذاء باجماع المعتزلة وجمهور الأشاعرة ، ولا يشترط الانتفاع به بالفعل ، فالمتغذّي طول عمره بالحرام إنما يرد لو لم ينتفع مدّة عمره بشيء انتفاعاً مجللاً ولا يشرب الماء ولا يتنفّس في الهواء ، بل ولا تمكّن من الانتفاع بذلك أصلاً ، وظاهر انّ هذا مما لا يوجد .

وللمعتزلة أن يقولوا أيضاً : لو مات حيوان قبل أن يتناول شيئاً حلالاً ولا حراماً يلزم أن يكون غير مرزوق فما أجبتم به فهو جوابنا .

واعلم انّ الرزق أعمّ من الجسماني والروحاني ، لأنّ الانسان مركّب من البدن والروح ، فكما انّ البدن محتاج في بلوغ كماله إلى قوت شبيه به في الجسميّة ليزيد في قدرة اللائق به ويكمل في ذاته ، كذلك الروح محتاج إلى قوت مناسب له شبيه به في الروحانيّة ليقويّه ويبلغ به غاية كماله وهو العلم والمعرفة .

وأطلاق القوت والطعام على الغذاء الروحاني شائع كقوله : ((أبيت عند ربّي يطعمني ويسقيني)) ، وأنت عليم انّ طعامه (صلّى اللّه عليه وآله) عند ربّه ليس من جنس هذه الأطعمة ، وإن يكن التعميم فيه أولى .

وفي الصافي (ج ٥ / ص٢٨٧) في الكافي عن الإمام الباقر (عليه السلام)

أنه قيل له في قوله تعالى: ﴿فلينظر الانسان إلى طعامه﴾ (عبس/الآية ٢٤) ما طعامه؟ قال: ((علمه الذي يأخذ عمّن يأخذه)).

أقول: وذلك انّ الطعام يشمل طعام البدن وطعام الروح جميعاً، كما انّ الإنسان يشمل البدن والروح معاً، فكما أنه مأمور بأن ينظر إلى غذائه الجسماني ليعلم أنه نزل من السماء من عند الله (عزّ وجل) بأنّ صبّ الماء صبّاً — إلى آخر الآيات — فكذلك مأمور بأن ينظر إلى غذائه الروحاني الذي هو العلم، ليعلم أنه نزل من السماء من عند الله (عزّ وجل) بأنّ صبّ أمطار الوحي إلى أرض النبوّة وشجرة الرسالة وينبوع الحكمة، فأخرج منها حبوب الحقائق وفواكه المعارف ليغتذي بها أرواح القابلين للتربية، فقوله: ((علمه الذي يأخذه عمّن يأخذه، أي ينبغي له أن يأخذ علمه من أهل بيت النبوّة الذين هم مهابط الوحي وينابيع الحكمة الآخذون علومهم من الله سبحانه، حتى يصلح لأن يصير غذاء لروحه دون غيرهم ممن لا رابطة بينه وبين الله (عزّ وجل) من حيث الوحي والإلهام، فانّ علومهم إمّا حفظ أقاويل رجال ليس في أقوالهم حجّة، وامّا آلة جدال لا مدخل لها في المحجّة، وليس شيء منهما من الله (عزّ وجل) بل من الشيطان، فلا يصلح غذاء للروح والايمان، ولما كان تفسير الآية ظاهراً لم يتعرّض له، وإنما تعرّض لتأويلها، بل التحقيق انّ كلا المعنيين مراد من اللفظ باطلاق واحد — إنتهى —.

قلت: وهذا يُعطي أنّ الإنسان محتاج إلى كلّ من القوّتين: الجسمانيّة والروحانيّة، فكما انّ الجسم لا بدّ له من قوت تلائمه وتقوّيه، كذلك الروح تحتاج إلى قوت تلائمها، وكما انّ قوت الجسم الطعام والشراب فانّ قوت الروح العلم والمعرفة.

وفي الأنوار النعمانيّة(ج ٣/ص ٢٩٤) :

الرزق على قسمين : منه ما كان غذاء للأبدان ، ومنه ـ وهو الأكمل الأعظم ـ ما كان غذاء للأرواح ، كالعلوم والكمالات، وهذا هو الغذاء الباقي بعد فناء الأبدان وغذائها ، وبسببه حرم الاعلام من كثرة الغذاء الأبداني لوجود الأرواحي عندهم، وعلى هذا فالعلماء مرزوقون الرزق الأكمل ، وحينئذٍ فقوله :

كم عالم عالم أعيت مذاهبه

وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

هذا الذي ترك الأوهام حائرة

وصيّر العالم النحرير زنديقا

مما لا ينبغي ، وذلك لأنّ العالم أكثر رزقاً من الجاهل وإن كان له ملك كسرى أو قيصر.

ومن كان له حظّ من الإنصاف وكان له نوع اطّلاع على بعض العلوم يعلم أنه لو أتى إليه جاهل سيّما الأحمق وكان له من المال ما لا يحصى وقال : أُريد أن أُعاوضك هذا المال الوافر بهذا العلم القليل الذي تعرفه لم يقبل ذلك العالم، بل يرجع عليه ماله ، وذلك لأنّ الأموال لذات خياليّة ، وما يصل إلى مالكها منها إلا تعب الأرواح والأبدان ، والعلم لذّة حقيقيّة لا يزال يصعد بصاحبه حتى يرقيه فوق مراتب الملوك والسلاطين ، وهل رأيت عالماً عُزل عن سرير علمه ، وكم رأيت سلطاناً عُزل عن سرير ملكه ، وتاجر أُغرق ماله أو سُرق فبقي يتكفف الناس.

ونظير هذا ما روي أنّ رجلاً من فقراء الشيعة أتى إلى الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام) فشكى إليه الفقر ، فقال له(عليه

السلام) :

((أنت من شيعتنا وتدّعي الفقر؟ شيعتنا كلّهم أغنياء ، ثم قال له : يا فلان إنّ لك تجارة قد أغنتك ، فقال : وما هي؟ قال : لو أنّ رجلاً قال لك : أعطيك ملء الأرض فضّة وتحوّل عن ولاية أهل البيت إلى ولاية غيرهم أكنت فاعلاً؟ قال : لا يا بن رسول الله ، ولو مُلئت الدنيا لي ذهباً ، فقال (عليه السلام) : إذن لست فقيراً ، وإنما الفقير من ليس له ما لك ، ثم وصله بمال)) . إنتهى

وقال بعض العارفين :

لكلّ أحد نصيب من لوامع إشراقات نوره ـ قلّ أو كثر ـ فله الحجّة على كلّ أحد بما عرفه من آيات وجوده ودلائل صنعه وجوده ، فوقع التكليف بمقتضى المعرفة ، والعمل بموجب العلم ، والله أعلم .

واعلم أنّ من أسمائه تعالى : الرازق والرزّاق ، لأنه هو الذي خلق الأرزاق والمرزوقين ، وبما أنّ المخلوق في منتهى العجز عن تحصيل أيّ شيء إلا بمشيئته تعالى كما في الصحيفة المباركة :

((لا يملكون تأخيراً عمّا قدّمهم إليه ، ولا يستطيعون تقدّماً إلى ما أخّرهم عنه)) .

فرحمهم بأن خلق لهم أسباب التناول للأرزاق : فالمطر ينزل من السماء والرياح تسوقه يميناً وشمالاً وفي كلّ الجهات .

والنبات الذي منه غذاء جميع الحيوانات يخرج من الأرض ، كما وانّه سخّر جميع ما في الكون لمصالحه ومنافعه ، حيث علم أنه لا قيام له ولا حياة بمعناها الصحيح إذا فقد شيء من هذه المكوّنات .

وأعطاه ما أعطاه من القوى المدركة وغيرها ، وهيّأ له من الأسباب ما

يتمكّن به من استخدام كلّ ذلك، فقد أسبغ نعمه على الإنسان ظاهرة وباطنة وهي الرحمة المُشار إليها بقوله: ﴿ما يفتح اللّه للناس من رحمةٍ فلا مُمسك لها وما يُمسك فلا مُرسل له من بعده﴾ (فاطر/الآية ٣).

والمقصود بالرحمة في الآية الكريمة: الرزق، فالمعنى: إنّ ما يُؤتيه اللّه للناس من الرحمة أي النعمة والرزق فلا يستطيع أيّ مخلوق منعه عنهم، وما منع فلا مُؤتي له إلا هو، والتعبير بالرحمة عن الرزق إنما هو للدلالة على أنّ إفاضته تعالى لهذه النعم على الخلق ناشئة عن مجرّد الرحمة من غير توقّع نفع يعود إليه أو كمال يستكمل به، ولأنه عزيز لا يُغْلَب فليس باستطاعة أحد منعه إذا أُعطي ولا الاعطاء إذا مُنع.

وهو الحكيم، فاذا أعطى أعطى لحكمة ومصلحة، وإذا منع فلحكمة ومصلحة، فلا مُعطي إلا اللّه ولا مانع إلا هو.

وفي الحديث القدسي:

((يا بنيآدم كلّكم ضالّ إلا من هديت، وكلّكم عائل إلا من أغنيت، وكلّكم هالك إلا من أنجيت، فاسألوني أكفكم وأهدكم سبيل رُشْدِكم، وإن من عبادي من لا يُصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يُصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يُصلحه إلا الصحّة ولو أمرضته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يُصلحه إلا المرض ولو أصححت جسمه لأفسده ذلك، وإن من عبادي من يجتهد في عبادتي وقيام الليل فأُلقي عليه النُعاس نظراً منّي إليه، فيرقد حتى يصبح ويقوم حين يقوم وهو ماقت لنفسه زار عليها، ولو خليت بينه وبين ما يُريد لدخله العُجب بعمله، ثم كان هلاكه في عجبه ورضاه عن نفسه فيظنّ أنه فاق العابدين وجاز

باجتهاده حدّ المقصّرين، فيتباعد بذلك منّي وهو يظنّ أنه يتقرّب إليّ. فلا يتكلنّ العاملون على أعمالهم وإن حسنت، ولا ييئس المذنبون من مغفرتي لذنوبهم وإن كثرت، لكن برحمتي فليثقوا، ولفضلي فليرجوا، وإلى حُسْن نظري فليطمئنّوا، وذلك أنّي أُدبّر عبادي بما يصلحهم وأنا بهم لطيف خبير)) (أربعين البهائي/حديث ٢٦).

وفي الكافي (ج ٥/ص ٨٠) عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال:
((قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في حجّة الوداع: ألا انّ الروح الأمين نفث في روعي أنه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتّقوا الله (عزّ وجل) وأجملوا في الطلب، ولا يحملنّكم استبطاء شيء من الرزق أن تطلبوه بشيء من معصية الله، فانّ الله تبارك وتعالى قسم الأرزاق بين خلقه حلالاً ولم يقسمها حراماً، فمن اتّقى الله (عزّ وجل) وصبر أتاه الله برزقه من حلّه، ومن هتك حجاب الستر وعجّل فأخذه من غير حلّه قصّ به من رزقه الحلال وحُوسب عليه يوم القيامة)).

والنفث: النفخ، والروع ـ بضمّ الراء ـ: القلب والعقل، يُريد: أُلقي في قلبي وأوقع في بالي، والروح الأمين: جبرئيل (عليه السلام)، وأجمل في طلب الشيء: أتّأد واعتدل فلم يفرط، ومعنى الحديث: اعتدلوا ولا يكن كدّكم فيه كدّاً فاحشاً، وهو يحتمل أكثر من معنى:
منه: أن يكون المراد: إتّقوا الله في هذا الكدّ الفاحش، أي لا تقيموا عليه كما تقول: إتّق الله في كذا أي لا تفعله.
ومنه: أن يكون المراد إذا اتّقيتم الله فلا تحتاجون إلى هذا الكدّ والتعب لقوله تعالى: ﴿ومن يتّق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ (الطلاق/الآية ٣).

ومنه : حيث علمتم أنكم تستوفون رزقكم قبل الموت فاعلموا ـ أيضاً ـ أنّ الرزق لا يزيده كثرة الطلب ولا ينقصه عدمه ، فلا حاجة بكم إلى تحصيله عن طريق الحرام ، وليكن سعيكم في طلبه حسناً رفيقاً :

وفي نهج البلاغة :
((الرزق رزقان : رزق تطلبه ، ورزق يطلبك ، فان لم تأته أتاك ، فلا تحوّل همّ سنتك على همّ يومك ، كفاك كلّ يوم ما فيه ، فان تكن السنة من عمرك فانّ الله تعالى جدّه سيؤتيك في كلّ غدٍ جديدٍ ما قُسم لك وإن لم تكن السنة من عمرك فما تصنع بالهمّ لما ليس لك ، ولن يسبقك إلى رزقك طالب ، ولن يغلبك عليه غالب ، ولن يبطئ عنك ما قد قدّر لك)) .

وفي العيّاشي (ج ١/ص ٢٤٩) عن الإمام الصادق (عليه السلام) :
((إنّ الله قسم الأرزاق بين عباده وأفضل فضلاً كثيراً لم يقسمه بين أحد ، قال الله : ﴿واسألوا الله من فضله﴾ (النساء/ الآية ٣٢) .

وعن الإمام الباقر (عليه السلام) :
((ليس من نفس إلا وقد فرض الله لها رزقها حلالاً يأتيها في عافية ، وعرض لها بالحرام من وجه آخر ، فان هي تناولت من الحرام شيئاً قاصها به من الحلال الذي فرض الله لها ، وعند الله سواهما فضل كثير)) .

عِلّة كون الخلق على أنواع شتّى

قوله : ((وأريتني من قدرتك)) .

في العلل عن الحسن بن فضال ، قال : قلتُ له ـ أي الرضا (عليه السلام) ـ : لِمَ خلق الله (عزّ وجل) الخلق على أنواع شتّى ولم يخلقه نوعاً

واحداً؟ فقال:

((لئلا يقع في الأوهام أنه عاجز، ولا يقع صورة في وهم ملحد إلا وقد خلق اللّه (عزّ وجل) عليها خلقاً، ولا يقول قائل: هل يقدر اللّه (عزّ وجل) على أن يخلق صورة كذا وكذا؟ لأنه لا يقول من ذلك شيئاً إلا وهو موجود في خلقه تبارك وتعالى، فيعلم بالنظر إلى أنواع خلقه أنه على كلّ شيء قدير)).

وفي توحيد المفضّل:

أول العِبَر والأدلّة على الباري جلّ قدسه تهيئة هذا العالم وتأليف أجزائه ونظمها على ما هي عليه، فانك إذا تأمّلت العالم بفكرك، وميّزته بعقلك، وجدته كالبيت المبني المعدّ فيه جميع ما يحتاج إليه عباده. فالسماء مرفوعة كالسقف، والأرض ممدودة كالبساط، والنجوم منضودة كالمصابيح، والجواهر مخزونة كالذخائر، وكلّ شيء فيه لشأنه معدّ، والإنسان كالمملّك ذلك البيت والمخوّل جميع ما فيه، وضروب النبات مهيّأة لمآربه، وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه ومنافعه، ففي دلالة واضحة على أنّ العالم مخلوق بتقدير وحكمة ونظام وملائمة، وانّ الخالق له واحد، وهو الذي ألّفه ونظّمه بعضا إلى بعض.

وقد عرّفنا اللّه عن نفسه أنه يُجيب دعوة الداعين في كثير من الآيات الكريمة كقوله:

﴿وإذا سألك عبادي عنّي فانّي قريب أُجيب دعوة الداعي إذا دعانِ﴾ (البقرة/الآية ١٨٦).

وقوله: ﴿قل ما يعبأُ بكم ربّي لولا دعاؤكم﴾ (الفرقان/الآية ٧٧).

وقوله: ﴿أُدعوني أستجب لكم﴾ (غافر/الآية ٦٠).

وقوله: ﴿ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله﴾ (الشورى/ الآية ٢٦).

وقوله: ﴿يسأله من في السماوات ومن في الارض كلّ يوم هو في شأن﴾ (الرحمن/ الآية ٢٩). وغيرها كثير.

وفي الكافي (ج ٢/ص ٤٦٨): قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): ((الدعاء سلاح المؤمن، وعمود الدين ونور السماوات والأرض)).

وعنه (صلّى الله عليه وآله):

((ألا أدلّكم على سلاح يُنجيكم من أعدائكم ويُدرّ أرزاقكم؟ قالوا: بلى، قال: تدعون ربكم بالليل والنهار، فانّ سلاح المؤمن الدعاء)).

وورد في بعض الأخبار عن الإمام الصادق (عليه السلام):

((ثلاث لا يضرّ معهنّ شيء: الدعاء عند الكربات، والاستغفار عند الذنب، والشكر عند النعمة)).

وعنه (عليه السلام): ((من لم يسأل الله من فضله افتقر)).

والأحاديث في هذا المضمون لا يُحيط بها الحصر، ومتى تيقّن الداعي الاجابة يحصل له الأمان والاطمئنان والأُنس بالله، فيقبل على الدعاء بلا خوف ولا وجل، وإليه الإشارة بقوله:

الدُّعَاءُ: ((فصرتُ أدعوكَ آمناً، وأسألُكَ مستأنساً، لا خائِفاً ولا وجلاً)).

الشَّرح: وقد علمت أنّ المراد بالأمن: اليقين الجازم باجابة الدعاء، وانّ الباعث عليه الثقة بالله تعالى والأُنس بذكره سبحانه، لأنه بذكره تطمئنّ القلوب، فلا يخاف الداعي من الردّ ولا يوجل، أي انه يعلم أنّ الله لا يحيف

عليه ، فانه سبحانه لا يُخيّب من دعاه ، ولا يقطع رجاء من رجاه ، فعلى العبد أن يحسن ظنّه بربّه تعالى .

وإذا كان المراد بالأمن والاستئناس حُسْن الظنّ بالله والثقة بسعة رحمته والتلذذ بذكر أسمائه فهو من الأعمال الصالحة ، بل أجلّها وأعظمها .

ذكر في الكافي (ج ٢/ص ٧١) باسناده عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال :

((قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : " قال الله تبارك وتعالى : (* لا يتّكل العاملون على أعمالهم التي يعملونها لثوابي ، فانهم لو اجتهدوا وأتعبوا أنفسهم ـ أعمارهم ـ في عبادتي كانوا مقصّرين غير بالغين في عبادتهم كُنه عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي والنعيم في جنّاتي ورفيع الدرجات العُلى في جواري ، ولكن برحمتي فليثقوا وفضلي فليرجوا وإلى حُسْن الظنّ بي فليطمئنّوا ، فانّ رحمتي عند ذلك تدركهم ، ومنّي يبلّغهم رضواني ، ومغفرتي تلبسهم عفوي فانّي أنا الله الرحمٰن الرحيم وبذلك تسمّيت *)) ")) .

وفيه عنه (عليه السلام) قال :

((وجدنا في كتاب عليّ (عليه السلام) : إنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال وهو على منبره : " والذي لا إلٰه إلا هو ما أعطى مؤمن قطّ خير الدنيا والآخرة إلا بحُسْن ظنّه بالله ورجائه له ، وحُسْن خلقه ، والكفّ عن اغتياب المؤمنين ، والله الذي لا إلٰه إلا هو لا يُعذّب الله مؤمناً بعد التوبة والاستغفار إلا بسوء ظنّه بالله وتقصيره من رجائه وسوء خلقه واغتيابه للمؤمنين ، والذي لا إلٰه إلا هو لا يَحْسُن ظَنّ

عبد مؤمن بالله إلا كان الله عند ظنّ عبده المؤمن ، لأنّ الله كريم ، بيده الخيرات يستحي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظنّ ثم يخلف ظنّه ورجاءه، فأحسنوا بالله الظنّ وارغبوا إليه ")) ٠

وإذا كان المراد : الأمن من عذاب الله وسخطه، وانه آنس بما هو فيه من الملاهي والملذّات غير خائف من العواقب، فهذا من الكبائر التي أوعد الله عليها النار، قال تعالى :﴿أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾ (الأعراف/الآية٩٩) ، والمراد بمكر الله هنا : العذاب الذي يأتيهم بغتة وهم حاسبين له حساباً ، وإنما سمّاه مكراً لأنه جزاء المكر الذي هو العمل بالخفاء على أذيّة الغير أو غشّه، وقيل : إنّ مكر الله استدراجه إيّاهم فيغترّون بالصحّة والسلامة وطول العمر وتظاهر النعمة فينهمكون في المعاصي واللهو واللعب وكلّ ما لا يُفيد ، وهذا بعينه معناه الإستهانة بعظمة اللّه والاستهزاء به وبآياته، قال تعالى :﴿ولئن سألتهم ليقولنّ إنما كنّا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون﴾ (التوبة/الآية ٦٥) ٠

وهذا الاعتذار الذي اعتذروا به أقبح من الذنب، فهل الله سبحانه لعبة للتسلّي ؟ ! وهل أرسل الأنبياء وأنزل عليهم الآيات للسُخْرية والاستهزاء؟ ! ٠

ولعلّ هذا الاقرار وهذا الاعتراف يؤدّي إلى المغفرة والرحمة، قال تعالى :﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيّئات ويعلم ما تفعلون﴾ (الشورى/الآية ٢٥) ٠

وفي الكافي (ج ٢/ص ٢٦) : عن الإمام الباقر(عليه السلام) :
((والله ما ينجو من الذنب إلا من أقرّ به)) ٠

وعنه (عليه السلام) :

((لا والله ما أراد الله تعالى من الناس إلا خصلتين : أن يقرّوا له بالنِعَم فيزيدهم ، وبالذنوب فيغفرها لهم)) .

وعن الامام الصادق (عليه السلام) :

((إنّ الرجل ليذنب الذنب فيدخله الله به الجنّة ، قلتُ : يدخله الله بالذنب الجنّة ؟ قال : نعم ، إنه ليذنب فلا يزال منه خائفاً ماقتاً لنفسه فيرحمه الله فيدخله الجنّة)) .

يتذلل الداعي بهذا الاعتراف منيباً إلى الله تعالى معتذراً نادماً على ما صدر منه ، والندم علامة الإقلاع عن الذنوب ومجانبة التفريط ، ثم يستمر باعترافه فيقول :

الدّعاءْ

((مُدلّاً عليك فيما قصدتُ فيه إليك)) .

الشَرح دلّت المرأة وأدلّت وتدلّلت فهي مدلّ ، دلالاً وإدلالاً وتدلّلاً ، كناية عن جرأتها مع التكسّر والتغنّج ، تظهر أنها مخالفة وليس بها خلاف ، والمدلّ على الله هو الذي يتعزز على الله يرى أنّ له كرامة عليه فهو يُحبّه ويُكرمه ولا يهينه .

وإنما كان الإدلال مذموماً لأنه يُؤدّي إلى العُجب ، ومن دخله العُجب هلك كما هو المرويّ عن الامام الصادق (عليه السلام) في الكافي (ج ٢/ ص ٣١٣) .

وعن عليّ بن سُويد عن أبي الحسن (عليه السلام) ، قال : سألته عن العُجب الذي يُفسد العمل ؟ فقال :

((العُجب درجات : منها أن يزيّن للعبد سوء عمله فيراه حسناً فيُعجبه ويحسب أنه يُحسن صنعاً ، ومنها أن يُؤمن العبد بربّه فيَمُنّ

على اللّه به وللّه عليه فيه المنّ)) ·

وقد علمت أنّ العُجب هو الزهو، أي أنّ العبد يستحسن عمله ويرضى عن نفسه فيحصل له الابتهاج والانبساط حيث يظنّ أنه قد أدّى حقّ اللّه (عزّ وجل) وأنه غير خارج عن حدّ التقصير، وهذا هو الخطأ الفاحش والكبيرة التي لا تُعادلها كبيرة، فانّ اللّه لا يُعبد حقّ عبادته، وغير لائق بالمقصّر الجاهل أن يدلّ على اللّه بعبادته، واسمع ما يقوله سيّد العابدين (عليه السلام) في دعائه:

((إلٰهي لو بكيتُ لك حتى تسقط أشفار عيني، وانتحبتُ حتى ينقطع صوتي، وقمتُ لك حتى تتنشّر قدماي، وركعتُ لك حتى ينخلع صلبي وسجدتُ لك حتى تتفقّأ حدقتاي، وأكلتُ تُراب الأرض طول عمري، وشربتُ ماء الرماد آخر دهري، وذكرتك في خلال ذلك حتى يكلّ لساني، ثم لم أرفع طرفي إلى آفاق السماء استحياءً منك، ما استوجبت بذلك محو سيّئة واحدة من سيّئاتي)) ·

وفي الكافي (ج ٢/ص ٧٢): عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) أنه قال لبعض ولده:

((يا بُنيّ عليك بالجِدّ، لا تخرجنّ نفسك من حدّ التقصير في عبادة اللّه (عزّ وجل) وطاعته، فانّ اللّه لا يُعبد حقّ عبادته)) ·

وفي هذا الحديث الدعاء وهذا الحديث تنبيه على حقارة عبادة الخلق في جنب عظمته تعالى وإحسانه واستحقاقه لما هو أهله، ليدوم شكرهم وجدّهم في طاعتهم وعباداتهم، ولا يستكثروا شيئاً من أعمالهم ·

وعن جابر، قال: قال لي أبو جعفر (عليه السلام):

((يا جابر لا أخرجك اللّه من النقص والتقصير)) ٠

يُريد (عليه السلام) الدعاء له بالتوفيق لأنّ يعُدّ عبادته ناقصة ونفسه مقصّرة فيما يقوم به من عمل ، أو لأنّ يعُدّ نفسه ناقصة عن الكمال ومقصّرة عن أداء الواجب، لأنّ الشعور بالنقص يخرج من حدّ الكبر، والشعور بالتقصير يخرج من العجب والكسل في العبادة، مع ما في ذلك من الاعتراف بالحاجة والفزع إلى الذلّ والتضرّع والاستكانة إلى اللّه وطلب المعونة منه، فانّ من عرف تقصير نفسه ونقصها كان في مقام الحاجة والذلّ والانكسار، ولا عبادة أشرف من هذه العبادة ٠

وعن الفضل بن يُونس ، قال : قال أبو الحسن (عليه السلام) :
((أكثر من أن تقول : اللهم لا تجعلني من المعارين ولا تخرجني من التقصير ، قال : قلتُ له : أمّا المعارون فقد عرفت، إنّ الرجل يعار الدين ثم يخرج منه ، فما معنى : لا تُخرجني من التقصير؟ فقال : كلّ عمل تُريد به اللّه (عزّ وجل) فكن فيه مقصّراً عند نفسك، فانّ الناس كلّهم في أعمالهم فيما بينهم وبين اللّه مقصّرون إلا من عصمه اللّه (عزّ وجل))) ٠

وفيه (ص ٣١٣) عن الإمام الصادق (عليه السلام) ، قال :
((أتى عالم عابداً فقال له : كيف صلاتك؟ فقال : مثلي يُسأل عن صلاته ، وأنا أعبد اللّه منذ كذا وكذا ، قال : فكيف بكاؤك ؟ قال : أبكي حتى تجري دموعي ، فقال له العالم : فانّ ضحكك وأنت خائف أفضل من بكائك وأنت مُدل ، فانّ المدلّ لا يصعد من عمله إلى اللّه شيء)) ٠

والمدل : هو المنبسط المسرور الذي لا خوف له من التقصير في

العمل، فهو يمنّ بعمله على الله، وما ذلك إلا لجهله وعدم معرفته قدر نفسه.

الدُّعَاءُ

وهنا يحسن بالداعي أن يتمّ اعترافه قائلاً:

((فان أبطأ عنّي عتبت بجهلي عليك)).

الشَّرْح: لولا المنّة لما حصل العتب، والمنّ على الله من أقبح الجهل، وأين التراب من ربّ الأرباب، *يا أيها الإنسان ما غرّك بربّك الكريم الذي خلقك فسوّاك فعدّلك في أيّ صورة ما شاء ركّبك* (الإنفطار/الآيات ٥ ـ ٧).

إنّ تمرّد المربوب على خالقه، وتماديه على الأعمال القبيحة، وتوغّله في معصية ربّه المدبّر له والمغشيّ له بالنعم الظاهرة والباطنة، لهو لؤم ليس فوقه لؤم، وقبح لا يضاهيه قبح، وكفر ليس يعدله كفر، وأيّ فطرة سليمة ترتاب فيه، وهل من شكّ في استحقاق ترتّب العقوبة على فاعله، وخاصّة إذا كان الربّ المنعم كريماً لا يُريد في نعمه وعطاياه نفعاً من المربوب ولا يطلب أيّ مكافأة منه، فما أقبح العصيان بعد الاحسان، وما أقبح الإساءة في مقابلة النعم والإمتنان.

واعلم أنّ ((ما)) في قوله: ((ما غرّك)) يصحّ أن تكون للاستفهام الإنكاري، أيّ شيء غرّك بخالقك وخدعك وسوّل لك الباطل حتى عصيته، ولا يجوز أن يكون الجواب: غرّني كرمك، لأنها جاءت في مقام التقريع والتهديد، وقوله: ((غرّني كرمك)) يشعر بالاستهانة وعدم المبالاة، ويصحّ أن يكون معناها التعجّب، أي: ما أشدّ غرورك، والغرور هنا معناه: الاعجاب بالنفس، والاعتداد بها، وقد يراد بالغرور الخديعة، أي: ما أشدّ انخداعك وغباءك، وقد يُراد به الجهل فيكون معناه: ما جهلك وما أغفلك عمّا يُراد بك، كفرت

الإحسان وجحدت المعروف، وقد خلقك من نطفة ولم تك شيئاً ، وسوّاك بأن جعلك إنساناً تسمع وتبصر، ووضع كلّ عضو فيما يناسبه من الموضع اللائق على ما تقتضيه الحكمة، ثم عدله بأن جعل كلّ عضو على وضع خاصّ وهيئة خاصّة جعل التوازن بين هذه الأعضاء ولكلّ عضو مكانة خاصّة ووظيفة خاصّة، فالفم لإلتقام الطعام ومنه الطريق إلى المعدة التي هي حوض البدن حيث تنضج الطعام وتوزّعه على أعضاء البدن كلّ بحسب ما يوافقه ويلائمه، وجعل فيه الأسنان منها للقطع ومنها للطحن لتسهل إساغته، والريق ليبلّه ويليّنه، وجعل اليد كالخادم يأتي بالحاجات من هنا وهناك، والرجل للانتقال من مكان إلى مكان وقس على سائر الأعضاء.

وقوله: ﴿في أيّ صورة ما شاء ركّبك﴾ ، والصورة: ما ينتقش به في الأعيان، ويتميّز به الشيء عن غيره، و((ما)) : زائدة، ومعناها: التأكيد ،أي في أيّ صورة يُريد يُركّبك، ولا يُريد إلا ما تقتضيه حكمته، والصورة الإنسانيّة واحدة، وقد جعل لها فوارق ومميّزات، فلا تجد شخصاً يشبه الآخر على كثرتهم، حتى في أصواتهم وأحجامهم وألوانهم وذكريّتهم وأنوثيّتهم.

فوا عجبا كيف يعصى الإلٰه أم كيف يجحده الجاحد
وفي كلّ شيء له آية تدلّ على أنه الواحد

وكيف يصحّ أن تمنّ على الله وتحتب عليه وهو الهادي لك بأن أرسل الرُسل وأنزل الكتب ونصب الأدلّة فاذا عرفوه فبفضل هدايته لهم، وإذا أنكروه فانما هو الخذلان نعوذ بالله منه، قال تعالى:

﴿يمنّون عليك أن أسلموا قل لا تمنّوا عليّ إسلامكم بل الله يَمُنّ عليكم أن هداكم للايمان﴾ (الحجرات/ الآية ١٧) .

والمعنى: إنّ هؤلاء لم يستقرّ الايمان في قلوبهم ، لأنّ المنّ من

العبد ينافي الايمان الصحيح ، ثم يسلم الداعي الأمر لله علماً منه أنّ اللّـه لا يفعل شيئاً إلا لحكمة ومصلحة ، فيقول :

الدّعاءُ

((ولعلّ الذي أبطأ عنّي هو خير لي لعلمك بعاقبة الأُمور)) .

الشَرح وفيه الاشارة إلى قوله(عزّ وجل) : ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تُحبّوا شيئاً وهو شرّ لكم﴾ (البقرة/ الآية ٢١٦) ، وهذا يُفيد الازراء على النفس لجهلها بالعواقب وعدم التزامها بالأوامر والنواهي وأنها أمّارة بالسوء ، منقادة إلى الشهوات، وانّ الحكيم الحازم من يردع ديّتها ويحدّ من نزواتها ويقهرها دائماً بالخلاف عليها ، لأنها إن تركت وشأنها أوردت صاحبها المهالك ، ولقد سمّى النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله) جهادها: الجهاد الأكبر.

ففي معاني الأخبار باسناده عن أمير المؤمنين (عليه السلام) :

إنّ رسول اللّه (ص) بعث سريّة ، فلمّا رجعوا قال : مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر، قيل : يا رسول اللّه وماالجهاد الأكبر ؟ قال : جهاد النفس .

وقال (عليه السلام) :

((أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه)) .

وفي الكافي (ج ٢/ص ٤٥٣) عن الامام الكاظم (صلوات اللّه عليه) :

((ليس منّا من لم يُحاسب نفسه في كلّ يوم ، فان فعل حسناْ استزاد اللّه ، وإن عمل سيّئاً استغفر اللّه منه وتاب إليه)) .

وعن الامام الصادق (عليه السلام) :

((احمل نفسك لنفسك ، فان لم تفعل لم يحملك غيرك)) .

وقال لرجل :

((إنّك قد جُعلتَ طبيب نفسك وبيّن لك الداء ، وعُرّفت آية الصحّة ، ودُللت على الدواء ، فانظر كيف قيامك على نفسك)) ٠

وعنه (عليه السلام) :

((إجعل قلبك قريناً برّاً أو ولداً واصلاً ، واجعل عملك والداً تتبعه ، واجعل نفسك عدوّاً تجاهدها ، واجعل مالك عارية تردّها)) ٠

وعنه (عليه السلام) :

((اقصر نفسك عمّا يضرّها من قبل أن تفارقك ، واسع في فكاكها كما تسعى في طلب معيشتك ، فانّ نفسك رهينة بعملك)) ٠

واعلم أنّ جهاد النفس ومحاسبتها هو نفسه التسليم إلى الله وحده الذي بيده أزمّة الأمور ، وهو العليم بالعواقب والغايات البعيدة ، وهو وحده العالم بما يصلح عليه حال الإنسان ، فيختار له ما يصلحه ، وعلى العبد التسليم لأمره وحكمه وقضائه ٠

ثم لا بدّ للداعي من خلّتين يلتمس بهما إجابة الدعاء :

إحداهما : الاعتراف بالنعم والمنن الواردة عليه من الله (عزّ وجل) ٠

والثانية : الإقرار بسوء ما يصدر منه من المنافيات ٠

لذلك يأخذ الداعي في مثل هذا المقام في تعداد نعم الله عليه وأياديه مع كثرة معاصيه ، وعدم قيامه بواجب الشكر لسيّده ومولاه ، فيقول :

الدُّعَاء ((فلم أر مولىً كريماً أصبر على عبدٍ لئيمٍ منك عليّ ، يا ربّ ، إنّك تدعوني فأُولّي عنك ، وتتحبّب إليّ فأتبغّض إليك ، وتتودّد إليّ فلا أقبل منك ، كأنّ لي التطوّل عليك ، ثم لم يمنعك ذلك من الرحمة

بي والإحسان إليّ والتفضّل عليّ بجودك وكرمك)) .

الشرح المولى : هو الذي يتولّى تدبير هذا الإنسان وحفظه ونصرته بذاته ، وهو الوليّ أيضاً .

والكريم : هو المرضيّ الأفعال وليس ذلك إلا الله واحده .

واللئيم : الذي يقابل الإحسان بالإساءة ، وهو ضدّ الكريم .

والمعنى : لم أجد ربّاً قادراً متصرّفاً في مخلوقه يغدق عليه النعم ظاهرة وباطنة مع كفران المخلوق لها ، وهو مع هذه الحال لا يزال يغدق عليه العطاء ويفيض على المواهب ويمنع عنه ما يضرّه إلا الله سبحانه ،فهو يدعوه إليه ويطلب منه أن يسأله فيعطيه ، كما في قوله :﴿وإذا سألك عبادي عنّي فانّي قريب أُجيب دعوة الداعي إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلّهم يرشدون﴾ (البقرة/ الآية ١٨٦) ، ومع ذلك فهو يتولّى عنه معرضاً عن سؤاله كما قال :﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه﴾ (الاسراء /الآية ٨٣ وفصّلت/ الآية ٥١) ، أي انّ النعمة على العبد تطغيه وتبطره حيث يتخيّل لولا أنه مستحقّ للانعام لم ينعم عليه فيدلّ على الله سبحانه ولا يشكر الواهب المعطي فيقسو لذلك قلبه فيبعد عن الله ، قال :﴿كلّا انه ليطغى أن رآه استغنى﴾ (العلق/ الآية٦و٧) .

وفي دعاء السحر لزين العابدين (عليه السلام) :

((خيرك إلينا نازل ، وشرّنا إليك صاعد ، ولم يزل ولا يزال ملك كريم يأتيك عنّا كلّ يوم بعمل قبيح ، فما ندري ما نشكر ، أجميل ما تنشر أم قبيح ما تستر ، أم عظيم ما أبليت وأوليت ، أم كثير ما منه نجّيت وعافيت)) .

في الكافي (ج ٢/ص ٤٣٦) عن الإمام الباقر (عليه السلام) :

((واللّه لا ينجو من الذنب إلا من أقرّ به)) .

وعنه (عليه السلام) :

((لا واللّه ما أراد اللّه من الناس إلا خصلتين : أن يقرّوا له بالنعم فيزيدهم ، وبالذنوب فيغفرها لهم)) .

والمراد بالنعم : معرفة المنعم وقدر نعمته وأنها منه تفضّلاً ، والاعتراف بفضل المنعم هو عين الشكر ، والشكر يوجب الزيادة ، لقوله تعالى : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنّكم ﴾ (إبراهيم/الآية٧) ، فاذا أُضيف إلى ذلك الإقرار بالذنوب والإقرار بالذنوب هو ندامة بلا شكّ لأنّ الإقرار بالخطأ لا بدّ وأن يصحبه الحياء والتذلل اللذان يدلاّن على صحّة الندم ، وهذه هي التوبة التي تُوجب غفران الذنوب ، وتؤهّل العبد لأن يكون مقرّباً عند اللّه ، فقد ورد عن الامام الباقر (عليه السلام) :

((إنّ اللّه أشدّ فرحاً بتوبة عبده من رجل أضلّ راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها ، فاللّه أشدّ فرحاً بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها)) (الكافي/ج ٢/ص ٤٣٥) .

وينبغي أن يكون الاقرار بالذنوب مجملاً ومفصّلاً ، والتودد : التحبّب ، والتبغّض : العصيان وعدم الانقياد للحق ، وهو المقصود بعدم القبول ، والمراد : إنّ سترك عليّ عظيم ذنوبي الكثيرة على شدّة قبحها وفظاعتها ليس إلا انّك تمنّيني التوبة والاقلاع عمّا أنا منغمس فيه من معاصيك ، وهذا من أعظم التحبب والتودد ولا يكون من الحليم الكريم القادر على كلّ شيء ، الذي لا يتعاظمه عفو عن عبد وإن كثرت إساءته وعظم جرمه .

وإنّ إصراري على الخطايا وانهماكي في طاعة النفس والشيطان مع

إدلالي حتى كأنّي أنا المنعم المتفضّل لهو أقبح من كلّ قبيح ، ولعلمك بقصوري وضعف إرادتي وعدم تعقّلي لم يمنعك ما يصدر منّي من قبيح الفعل وعظيم الخلاف من إسبال الستر عليّ فلم تفضحني أمام خلقك، ولم تحرمني من عطاياك ومواهبك مع انّي مستوجب الحرمان ، وما ذاك إلا لأنّك أنت الجواد الكريم ، فأتم نعمك وإحسانك عليّ ووفّقني للانابة وإخلاص العمل ، فانّك أهل ذلك، عادتك الاحسان إلى المسيئين ، وشأنك الصفح عن المذنبين والخاطئين ، فهب لي ما يليق بكرمك وجودك إنّك أنت الوهّاب.

الدُّعاءُ ثم يعود الداعي إلى الثناء ، ويذكر ما تيسّر له من المحامد ويُؤدّي الشكر عليها وإن كانت لا تُحصى ؛ فيقول :

((الحمد للّه مالِك المُلك، مُجري الفلك، مُسخّر الرياح ، فالق الإصباح ، ديّان الدين ، ربّ العالمين)) .

الشَرح مالك المُلك: والي ملك الوجود بقضّه وقضيضه، وهو الذي ينقل مشيّته في خلقه كيف شاء وكما يشاء ؛ إيجاداً واعداماً ، بقاء وفناء ، وهو المُلك التامّ القدرة ، وجميع الموجودات صنعته وملكه .

والتسخير : التذليل ، ومسخّر الرياح: أي مذللها ومسيّرها لتمام نظام العالم ومنفعة الخلق ، وفالق الإصباح : أي شاقّ عمود الصبح عن ظلمة الليل ، والفلق : الشقّ ، والإصباح والصبح واحد ، وهو مصدر : أصبحنا إصباحاً ، وقد ورد : يا خالقه من حيث أرى ومن حيث لا أرى .

ومعلوم انّ الفجر يختلف باختلاف الآفاق ، فينفلق في الشرقيّة قبل الغربيّة ، فمن هو في الأُفق الغربيّ لا يرى انفلاقه الشرقيّ ، وما من أفق إلا وقبله أفق ، فقد انفلق من حيث لا يراه ، وهذا وكلّ ما في الكون يُعلن وحدة التصميم وحكمة التدبير ، ولسان الحال ناطق بأنّ اللّه على كلّ شيء قدير .

والديّان ـ بتشديد الياء ـ : من أسمائه تعالى ، ومعناه : القهّار ، وقيل : الحاكم ، وقيل : القاضي ، وهو فعّال من دان الناس أي قهرهم فأطاعوه ، ومنه في وصفه (عليه السلام) : ((يا سيّد الناس وديّان العرب)) .

وفي الحديث القدسي :

((يا بن آدم كن كيف شئت ، كما تدين تُدان)) .

والدين : الحساب والجزاء ، أي كما تُجازي تُجزى بفعلك ، وكما فعلت مع غيرك يُفعل معك ، ويوم الدين هو يوم القيامة ، والربّ : هو المالك المتصرّف في جميع الخلق دنيا وآخره ، وإذ يذكر الداعي بعضاً من المحامد الجلاليّة الدالّة على عموم قدرته وسعة ملكه وفيوض رحمته ، فيلزمه أيضاً أن يذكر بعضاً من المحامد الجماليّة الرحموتيّة المتوجّهة منه إلى خلقه فيقول :

الدُّعَاءُ ((الحمد للّه على حلمه بعد علمه ، والحمد للّه على عفوه بعد قدرته ، والحمد للّه على طول أناته في غضبه ، وهو القادر على ما يُريد)) .

الشَرح الحلم من الناس : العقل والتؤدّه وضبط النفس عند الغضب .

ومن الخالق : الصفح والستر .

فهو تعالى يصفح عن ذنوب عباده مع علمه بما هم صائرون إليه ، وكذلك يصفح عنهم مع علمه بنيّاتهم السيّئة وأعمالهم الخبيثة ، فلا يُعاجلهم بالعقوبة ولا يُؤاخذهم بما اقترفوه ، بل يمهلهم لعلّهم يفيئون من جهلهم ويتوبون من ذنوبهم ، وكذا القول في الجملتين الأخيرتين ، وفي دعاء إدريس (عليه السلام) :

((يا حليم ذا الأناة فلا شيء يعدله من خلقه)) .

والأناة : التريّث في الأمور وعدم تعجيل الجزاء ، وفي دعاء الإمام السجّاد (عليه السلام) :

((والحمد لله الذي ركّب فينا آلات البسط، وجعل لنـــــا أدوات القبض، ومتّعنا بأرواح الحياة، وأثبت فينا جوارح الأعمال، وغذّانـــا بطيّبات الرزق، وأغنانا بفضله، وأقنانا بمنّه، ثم أمرنا ليختبر طاعتنـا، ونهانا ليبتلي شُكرنا، فخالفنا عن طريق أمره، وركبنا متون زجره، فلم يبتدرنا بعقوبته، ولم يعاجلنا بنقمته، بل تأنّا برحمته تكرّماً، وانتظـــر مراجعتنا برأفته حلماً)) .

ثم يستمر الداعي في ذكر المحامد الجلاليّة والجماليّة قائلاً :

الدُّعاء ((والحمد لله خالق الخلق، باسط الرزق، ذي الجلال والإكـــرام، والفضل والإحسان (الإنعام خ)، الذي بَعُدَ فلا يُرى، وقرب فشـــهد النجوى، تبارك وتعالى)) .

الشّرح الخالق : هو صانع المكوّنات على غير مثال، ومُبدع الكلّ من غير رويّة أو اعمال فكر ولا استعانة بأحد، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) :

((أنشأ الخلق إنشاء، وابتدأه ابتداء، من غير رويّـــة اجالهـــا، ولا تجربة استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا همامة نفس اضطرب فيهـا، أحال الأشياء لأوقاتها، ولاءم بين مختلفاتها، وغرّز غرائزها، وألزمها أشباحها، عالماً بها قبل ابتدائها، محيطاً بحدودها وانتهائهـــا، عارفاً بقرائنها واحنائها)) .

وقال (عليه السلام) :

((خلق الخلق من غير رويّة إذ كانت الرويّات لا تليق إلا بـــذوي الضمائر، وليس بذي ضمير في نفسه، خرق علمه باطن غيب السترات، وأحاط بغوامض عقائد السريرات)) .

والبسط : التوسعة، والله سُبحانه باسط الرزق أي ناشره وموسعــــه

على جميع خلقه ، والجلال : العظمة والأُبّهة ، وجلال الله تعالى : عظمته وكبرياؤه التي لا تُحدّ ولا تُكيّف ولا تُقدّر ، والإكرام : الاعطاء ، وهو مصدر من أكرم إكراماً ، أي أعطى إعطاء ، والكرم : إيثار الخير بالفضائل والخيرات ، فهو سبحانه ذو العظمة والجلال ، وهو المُعطي الشرف والمكارم وجميع خصال الخير لخلّص عباده ، بعد عن لحظات العيون ، وراجمات الظنون ، لا تُدركه العيون بمشاهدة ، ولا تقع الأوهام له صفة ، ولا تخطر ببال أُولي الرويّات خاطرة من تقدير جلال عزّته ، كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) :

((لا تناله الأوهام فتقدّره ، ولا تتوهّمه الفطن فتصوّره ، ولا تدركه الحواسّ فتحسّه ، ولا تلمسه الأيدي فتمسّه ، ولا يتغيّر بحال ، ولا يتبدّل في الأحوال ، ولا تبليه الليالي والأيام ، ولا يغيّره الضياء والظلام)) .

والنجوى : إسم يقوم مقام المصدر ، وهو السرّ بين الاثنين والجماعة ، والله تعالى قريب من العبد بمعنى أنه لا يغيب عنه شيء من أُموره ، كما قال:

﴿ ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما تُوسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ (ق/ الآية ١٦) .

وقال :

﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم ﴾ (المجادلة/ الآية ٦) .

وتبارك : تنزّه وتعالى وتقدّس بذاته وصفاته عن الحدّ والرسم ، ليس كمثله شيء .

الدُّعاءُ ثم يتابع الداعي ما يناسب من محامد العزّة وصفات الجلال فيقول :

((الحمد لله الذي ليس له منازع يُعادله ، ولا شبيه يُشاكله ، ولا ظهير

يُعاضده، قهر بعزّته الأعزّاء، وتواضع لعظمته العظماء، فبلغ بقدرته ما يشاء)) .

الشَرح

المنازع: المخاصم والمجاذب، ونازعته خاصمته وجاذبته، والشكل: المثل، والمشكّل الذي يشاكل غيره أي يشابهه ويماثله في صفة من صفاته طبيعيّة أو خلقيّة، والمجاذب إمّا أن يساوي الآخر في القوّة والقدرة، وإمّا أنّ لديه من الحيل والحركات ما يحمله على المجاذبة، ولكنّ الله لا يمكن لأيّ مخلوق مجاذبته، لا بالحيلة لأنه لا تجوز عليه الخدعة، ولا من حيث القوّة والقدرة لأنه لا يساويه شيء، وليس كمثله شيء، بل كلّ عزيز غيره ذليل، وكلّ قويّ غيره ضعيف، وكلّ قادر غيره يعجز أكثر مما قدر، والظهير والمعاضد: المعين والناصر، ولا يقبل الاعانة والنصرة إلا العاجز الضعيف، والله سبحانه هو القادر فلا يعجزه شيء، وهو الغنيّ المطلق فلا يحتاج إلى أحد، وكيف لا يكون كذلك وهو الذي ملك الملوك بقدرته، واستعبد الأرباب بعزّته وساد العظماء بكرمه وجوده، وعلا السادة بمجده، وتصاغرت الملوك أمام جلال سلطانه، ووجلت قلوبهم وطاشت عقولهم عند تجلّيه بعظمته، وانهدّت أركانهم من هيبته، وأباد الجبابرة بقهره، وقدّر كلّ شيء بقدرته، وتمجّد بفخره، وفخر بعزّته، وعزّ بجبروته، ووسع كلّ شيء برحمته .

وفي بعض الأدعية:

((يا من وضعت له الملوك نير المذلّة على أعناقهم، فهم من سطوته خائفون)) .

الدُعاء

ثم يأخذ الداعي في تعداد جلّى النعم من الله على عبده فيقول:

((الحمد لله الذي يُجيبني حين أُناديه، ويستر عليّ كلّ عورة وأنا أعصيه، ويُعظّم النعمة عليّ فلا أُجازيه، فكم من موهبة هنيئة قد

أعطاني ، وعظيمة مخوفة قد كفاني ، وبهجة مونقة قد أراني ، فأُثني عليه حامداً ، وأذكره مسبّحاً)) .

الشَرح الاجابة والاستجابة بمعنى ، وإجابة الدعاء : قبوله ، ومن أسماء اللّه تعالى: المُجيب، وهو الذي يقابل الدعاء والسؤال بالقبول والعطاء ، فهو الذي يقضي حوائج السائلين ، ويُجيب المضطرّين إذا دعوه ، ويغيث المستغيثين إذا لجأوا إليه ، وليس ذلك إلا هو سبحانه ، ولأنه كريم يستحيي من عباده أن يردّ أيديهم صفراً إذا دعوه ، فينبغي أن يكونوا مجيبين إلى طاعته ، ملتزمين بجميع أوامره ونواهيه ، ولا يخالفوه فيما ندبهم ودعاهم إليه ، ولا يقابلوه بالتمرّد والعصيان فيما نهاهم عنه ، وأن يشكروه على النعم التي أغدقها عليهم ، وينبغي لكلّ من يعرف اللّه أن يشاهد جميع البواطن بأن يعتقد أنّ محرّكها واحد ، بل انّ محرّك البواطن والظواهر واحد .

والنداء : الدعاء .

وفي الكافي (ج ٢/ص ٤٦٨ _ ٤٧٠) قال أمير المؤمنين (عليه السلام) :

((الدعاء مفاتيح النجاح ، ومقاليد الفلاح ، وخير الدعاء ما صدر عن قلب تقيّ وصدر نقيّ ، وفي المناجاة سبب النجاة ، وبالاخلاص يكون الخلاص ، فاذا اشتدّ الفزع فالى اللّه المفزع)) .

وقال (عليه السلام) :

((الدعاء تُرس المؤمن ، ومتى تكثر قرع الباب يُفتح لك)) .

وعن الامام الرضا (عليه السلام) :

((عليكم بسلاح الأنبياء ، فقيل : وما سلاح الأنبياء ؟ قال : الدعاء)) .

وعن الامام الصادق (عليه السلام) : ((إنّ الدعاء أنفذ من السنان)) .

وعنه(عليه السلام) :

((الدعاء يردّ القضاء بعد ما أبرم إبراماً ، فأكثر من الدعاء فانه مفتاح كلّ رحمة ، ونجاح كلّ حاجة ، ولا ينال ما عند اللّه(عزّ وجل) إلا بالدعاء، وانه ليس باب يكثر قرعه إلا ويوشك أن يفتح لصاحبه)) .

وعنه(عليه السلام) :

((إنّ اللّه(عزّ وجل) ليدفع بالدعاء الأمر الذي علمه أنه يدعى له فيستجيب، ولولا ما وفّق العبد من ذلك الدعاء لأصابه منه ما يجتثّه من جديد الأرض)) .

وفيه إشارة إلى دفع البلاء بالدعاء ، وانه كيف يجتمع مع الابرام ،فبيّن أنّ الدعاء والاستجابة أيضاً من الأمر المقدّر المعلوم إذا وقعتا ، فانه يجوز في كلّ وقت أن يكون البلاء متوجّها إليه ، ويأبى اللّه إلا أن يجري الأمور بأسبابها ومن أسباب دفع البلاء الدعاء ، فاذا كان العبد يدعو اللّه دائماً صرف اللّه عنه البلاء .

وعن الامام الكاظم(عليه السلام) :

((ما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيلهمه اللّه(عزّ وجل) الدعاء إلا كان كشف ذلك البلاء وشيكاً ، وما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيمسك عن الدعاء إلا كان ذلك البلاء طويلاً ، فاذا نزل البلاء فعليكم بالدعاء والتضرّع إلى اللّه(عزّ وجل))) .

والاجتثاث: القطع ، ويجتثّه عن جديد الأرض: يقطعه من وجهها كليّاً ويفنيه .

والعورة: العيب، بل هو كلّ ما يتحاشى منه الانسان ، ويتستّر إذا

فعله، لئلا يتوجّه عليه اللوم من الغير، واللّه سبحانه وتعالى كريم يستر على مخلوقه عيبه، ويغفر له ذنبه، ولا يفضحه على مسمع ومشهد من الغير، يمنيه بذلك التوبة والإقلاع، وليس ذلك إلا لطف منه وتفضّل وتكرّم، فسبحانه ما أرأفه وأعطفه وأوسع رحمته.

وفي دعاء الإمام زين العابدين (عليه السلام):
((أنا الذي أمهلتني فما ارعويتُ، وسترتَ عليّ فما استحييتُ، وعملتُ بالمعاصي فتعدّيت، وأسقطتني من عينك فما باليت، فبحلمك أمهلتني وبسترك سترتني حتى كأنّك أغفلتني، ومن عقوبات المعاصي جنّبتني حتى كأنّك استحييتني)).

وفي دعاء الإمام الصادق (عليه السلام):
((ربّ ما أسوأ فعلي، وأقبح عملي، وأقسى قلبي، وأطول أملي، وأقصر أجلي، وأجرأني على عصيان من خلقني، ربّ، وما أحسن بلاءك عندي، وأظهر نعماءك عليّ، كثرت عليّ منك النعم فما أحصيها، وقلّ منّي الشكر فيما أوليتنيه، فبطرت بالنعم، وتعرّضت للنقم، وسهوت عن الذكر، وركبت الجهل بعد العلم، وجزت من العدل إلى الظلم، وجاوزت البرّ إلى الإثم، وصرت إلى الهرب من الخوف والحزن، فما أصغر حسناتي، وأقلّها في كثرة ذنوبي، وما أكثر ذنوبي وأعظمها على قدر صغر خلقي وضعف ركني)).

وفي وصيّة أمير المؤمنين لابنه الحسن (صلوات اللّه عليهما) كما في النهج:
((واعلم أنّ الذي بيده خزائن السماوات والأرض قد أذن لك في

الدعاء، وتكفّل لك بالاجابة، وأمرك أن تسأله ليُعطيك، وتسترحمه ليرحمك، ولم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه، ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه، ولم يمنعك إن أسأت من التوبة، ولم يعاجلك بالنقمة، ولم يفضحك حيث الفضيحة، ولم يشدد عليك في قبول الإنابة، ولم يناقشك بالجريمة، ولم يُؤيسك من الرحمة، بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة، وحسب سيّئتك واحدة، وحسب حسنتك عشرة، وفتح لك باب العتاب وباب الإستعتاب، فاذا ناديته سمع نداءك، وإذا ناجيته علم نجواك، فأفضيت إليه بحاجتك، وابثثته ذات نفسك، وشكوت إليه همومك، واستكشفته كروبك، واستعنته على أُمورك، وسألته من خزائن رحمته ما لا يقدر عليه غيره من: زيادة الأعمار، وصحّة الأبدان، وسعة الأرزاق، ثم جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك فيه من مسألته، فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمته، واستمطرت شآبيب رحمته، فلا يقنّطنّك إبطاء إجابته فانّ العطيّة على قدر النيّة، وربّما أخّرت عنك الاجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السائل، وأجزل لعطاء الآمل، وربّما سألت الشيء فلا تؤتاه وأُوتيت خيراً منه عاجلاً وآجلاً، أو صرف عنك لما هو خير لك، فلربّ أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو أُوتيته، فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله، وينفى عنك وباله، فالمال لا يبقى لك ولا تبقى له))

والستر: التغطية، وربّنا سبحانه هو الستّار للعيوب، والغفّار للذنوب، لأنه يُغطّي على عباده ذنوبهم ومعائبهم فلا يفضحهم، ألا ترى أنه لشدّة اعتنائه بالستر على عبيده أناط ثبوت الزنا الذي هو أعظم الفواحش وأقبحها بما لا يمكن ثبوته إلا نادراً، فاشترط شهادة أربعة من العدول أنهم شاهدوا

الميل في المكحلة، وهل ذلك إلا مبالغة في الستر وحرصاً على التغطية، فاننا نعلم أنه ليس من عاقل مؤمن يجرأ على النظر إلى الفروج ذكراً كان أم أُنثى، لأنه كبيرة من الكبائر، وموبقة من الموبقات، ولا يسوغ لأيّ كان النظر إلى فرج امرأة ما لم يكن وزجاً، فهل يضع هذا الحرج ويضيق هذا التضييق الا وهو يريد الستر، ولا يحبّ فضيحة العباد، فانظر كيف أسبل الستر على العصاة في الدنيا، وضيّق الطرق المؤدّية إلى كشف سوآتهم، و من كان هذا شأنه فهل تظنّ أنه لا يستر عليك سوآتك يوم تُبلى السرائر.

وقد ورد في بعض الأحاديث:

((إنّ الله إذا ستر على عبد عورته في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها في الآخرة، وإن كشفها في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها مرّة أُخرى في الآخرة)).

وورد أيضاً:

((انه يُؤتى يوم القيامة بعبد يبكي، فيقول له سبحانه: لِمَ تبكي؟ فيقول: أبكي على ما ينكشف من عوراتي وعيوبي عند الناس والملائكة، فيقول الله: عبدي ما فضحتك في الدنيا بكشف عيوبك وفواحشك، وأنت تعصيني وتضحك، فكيف أفضحك اليوم بكشفها وأنت تعصيني وتبكي)).

وفي الاحياء (ج ٤ /ص١٠٨):

إنّ رسول الله سأل ربّه في ذنوب أُمّته فقال: اجعل حسابهم إليّ لئلا يطّلع على مساويهم غيري، فأوحى الله تعالى إليه: هم أُمتك وهم عبادي، وأنا أرحم بهم منك، لا أجعل حسابهم إلى غيري لئلا تنظر إلى

مساويهم أنت ولا غيرك.

ونعم الله كلّها عظيمة لا يمكن حصرها ،كما قال :﴿ وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها﴾ (إبراهيم/ الآية ٨٤) ، فمنها : إنه أوجدك ولم تكن شيئاً ، ومنها : إنه أمدّك بالروح والعقل وما يتبعه من القوى المدركة ، وهذه القوى وإن كانت من قبيل الهدايات فهي نعم جليلة في أنفسها ، ولا يمكن لأحد أن يقدر قدرها ، فانّ بها امتاز الإنسان عن غيره من سائر أنواع الحيوان ، وكان خليفة الله في الأرض دون غيره.

وقد علمت أنّ الكون وما فيه ـ سماءه وأرضه ـ نعمة من الله عليك ، ولا تستقيم حياتك بدونه ، فهل كافأت هذا المنعم بشيء على بعض ما آتاك ؟ وأنى لك المكافئة ؟ وكلّ ما فيك ولك وما هو خارج عن مقدورك مما يعمّك نفعه إنما هو منه وإليه ، فبماذا تكافئه ؟ وبماذا تجازيه ؟ إنه لا يرغب في مكافأتك ، ولا يتوقّع جزاءك ، ولا يريد منك معروفاً ؛ ﴿ وما تنفقوا من خير فلأنفسكم ـ وما تنفقوا من خير يوفّ إليكم وأنتم لا تظلمون﴾ (البقرة/ الآية ٢٧٢) وكيف يرغب في الجزاء والمكافئة من يجزيك على الحسنة بعشرة أمثالها،لا بل يضاعفها إلى ما فوق السبعمائة ؛ كما في قوله :

﴿ كمثل حبّة أنبتت سبع سنابل في كلّ سنبلة مائة حبّة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾ (البقرة/ الآية ٢٦١) .

والموهبة : العطيّة بدون عوض ، والهنيء : المريء السائغ ،والعظيمة : النائبة الشديدة يتخوّف منها ، والبهجة : الحسن والجمال ، والمونق : المعجب الرائع ، فقد أعطاك ما أعطاك من المواهب الكريمة ، والمنح الجسيمة ، وصرف عنك ما صرف من النوائب والآفات المهلكة ، وخوّلك ما خوّلك مما لا قوام لك

إلا به، فهل تستطيع من أداء حقّه غير صيغة الحمد؟ أو تتعجّب مما تشاهده من فواضله وآلائه فتقول: سُبحان الله.

الدُّعَاءُ ثم يستمر الداعي في ذكر صفات الكمال فيقول:

((الحمد لله الذي لا يُهتك حجابه، ولا يُغلق بابُه، ولا يُردّ سائله، ولا يُخيّب آمله)).

الشَرح الحجاب: الحاجز، والستر: الحائل بين الرائي والمرئي، وهتكه: إزالته، وحجاب الله تعالى قدرته وعظمته التي لا تحدّ ولا تكيّف، وفي بعض أدعيتهم (عليهم السلام):

((إحتجبت بحجاب الله النور الذي لا تراه العيون، ولا تخالطه الظنون)).

وفيه إشارة إلى أنّ حجابه تعالى خلاف الحجب المعهودة، فهو تعالى محتجب عن الخلق بأنوار عزّه وجلاله، وسعة عظمته وكبريائه، إحتجب بشدّة ظهوره فتاهت عنده العقول، وحارت الألباب وكلّت البصائر، ولو كشف من ذلك الحجاب مثل خرت إبرة وحصل التجلّي بما وراء ذلك من عظيم صفاته وبديع تجليّاته، لم يبق مخلوق إلا احترق، ولا ذو كبرياء إلا اضمحل، وقال تعالى: ﴿الله نور السماوات والأرض﴾ (النور/الآية ٣٥)، والمعنى: انه ظاهر بنفسه، ومظهر لغيره، وليس يحجبه شيء لقهره واستيلائه على كلّ شيء وغلبة نوره واستعلائه على كلّ ظلّ وفيء، ولنعم ما قيل:

فاذا احتجبت فأنت غير محجّب
وإذا بطنت فأنت عين الظاهر

والله سبحانه محض التجلّي فكيف يحتجب؟ ولكن لقصور العقول عن إدراك جماله وجلاله يقال: إنه احتجب، وقد ورد: ((إنّ الله احتجب عن

العقول كما احتجب عن الأبصار)) ، ففي الكافي (ج ١/ص٩٨) عن أبي هاشم الجعفري عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال : سألته عن الله هل يوصف ؟ فقال :

((أما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى ، قال : أما تقرأ قوله تعالى :*لا تُدركه الأبصار وهو يُدرك الأبصار* ؟ قلت: بلى ، قال : فتعرفون الأبصار؟ قلت: بلى ، قال : ما هي؟ قلت: أبصار العيون ، فقال : إنّ أوهام القلوب أكبر من أبصار العيون فهو لا تُدركه الأوهام وهو يُدرك الأوهام)) .

وفيه (ص ١٠٥) عن محمد بن زيد قال : جئت إلى الرضا (عليه السلام) أسأله عن التوحيد فأملى عليّ :

((الحمد لله فاطر الأشياء إنشاءً ، ومبتدعها ابتداعاً ، بقدرته وحكمته ، لا من شيء فيبطل الإختراع ، ولا لعلّة فيصحّ الابتداع ، خلق ما شاء كيف شاء ، متوحّداً بذلك لإظهار حكمته وحقيقة ربوبيّته ، لا تضبطه العقول ، ولا تبلغه الأوهام ، ولا تدركه الأبصار ، ولا يحيط به مقدار ، عجزت دونه العبارة ، وكلّت دونه الأبصار ، وضلّ فيه تصاريف الصفات ، إحتجب بغير حجاب محجوب ، واستتر بغير ستر مستور ، عرف بغير رؤية ووصف بغير صورة ونعت بغير جسم ، لا إلـه إلا الله الكبير المتعال)) .

واحتجابه عن العقول والأبصار إنما هو بواسطة قصورها لأنها لا تُدركه وأمّا أنه محتجب عنها في الواقع فكلاّ ، فانّ ذلك من شيم النفوس المحدثة ، لأنها تباشر الأجرام الخسيسة لتحصيل كمالاتها ، وتعالى الواجب القيّوم عن ذلك ، اللهم إلا التحريك الأمري كما أخبر عنه تعالى بقوله :

﴿والشمس والقمر والنجوم مسخّرات بأمره﴾ (الأعراف / الآية ٥٤).

فدلّ على تحريك هذه الأجرام العالية إنما هو بواسطة الأمر الـــذي هو واحد كلمح بالبصر، لا بواسطة ذاته الشريفة، وإذا كان سبحانه يحـــرّك شرايف الأجرام بواسطة الأمر والكلمة، فما ظنّك بغيرها من الأجرام والكائنات، تعالى الله عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً.

وسُئل الإمام الصادق (عليه السلام) عن قول: سبحان الله، ما يعنـــى به؟ قال: تنزيهه.

وإذ عرفت أنّ الله سبحانه هو حقيقة الوجود الصرف الذي لا أتمّ منه، وهو أصل سائر الوجودات الذي لا يتناهى وجوده شدّة، وفوق الذي لا يتناهى عدّة ومدّة، وكلّ وجود رشح وفيض عن وجوده وجوده، فلا يساويه وجـــود، ولا يدانيه قوّة، إذ المفاض أو المفاض عليه لا يمكن أن يساوي أو يداني المفيض، فضلاً عن أن يضبطه أو يحفظه أو يُحيط به أو يحدّه، بل هو الحافظ المحدد للأشياء، المحيط بما يشاء ذاتاً وعلماً، فلا عقل يضبطه لقصور العقول عـــن الإحاطة بكنه ذاته وصفاته، وعجزها عن إدراك شيء من عظمته وكمالاته، كلّما أدركته من أمور التوحيد بالإستقلال، أو بمعونة الوهم والخيال، فهو أمـــر اعتباريّ لا وجود له في جناب الحق، وإنما غاية كمالها في معرفته نفـــي الابطال والتشبيه.

ولا تبلغه الأوهام، لأنّ الوهم لا يصدق حكمه إلا فيما كان محسوساً أو متعلّقاً به، فأمّا الأمور الغائيّة عن الحسّ المجرّدة عن المادّة والوضـــع وعلايقهما، فالوهم ينكر وجودها فضلاً عن أن يدركه ويصدق بوجوده.

ولا تدركه الأبصار، لأنه ليس بلون ولا ضوء ولا متلوّن ولا مضيء، والبصر

إنما يتعلّق بهما ٠

ولا يحيط به مقدار، إشارة إلى نفي الكميّه عنه، لأنّ الكمّ من لواحق الجسم، واللّه سبحانه ليس بجسم ولا كم، وإلا كان قابلاً للتجزئة والتقسيم والتبعيض، وقدّسه تعالى بريء منها ٠

عجزت قبل البلوغ إلى صفاته عبارة الواصفين، وأعيت قبل الوصول إلى ذاته أبصار الناظرين، وضلّ في طرق صفاته الحقّه تصاريف صفات الواصفين وأنحاء تعبيراتهم، فانّهم وإن بالغوا في وصفه تعالى وانتقلوا من صفة صفة إلى ما هو أعظم وأشرف عندهم لم يبلغوا من كنه صفاته النزر اليسير، ولم يصفوه بما هو أهله، ولم ينعتوه كما هو حقّه، كيف ولسان التعبير يخبر عمّا في الضمير، وكلّ ما هو في الضمير مخلوق، وأنّى للمخلوق أن يُحيط بصفة الخالق، كما يرشد إليه ما ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) :

((كلّما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه، مصنوع مثلكم، مردود إليكم))

وقوله : إحتجب بغير حجاب محجوب واستتر بغير ستر مستور، لمّا ذكر من صفات جلاله ونعوت أحديّته انه غير معقول لأحد ولا محسوس، ومما لا شكّ فيه انّ كلّ ما هو مجهول مختف عن الحواس والعقول، فذلك لا يخلو من أمور ثلاثة : إمّا لقصور وإبهام في ذاته، وإمّا الحجاب من خارج وستر حائل بينه وبين مدركه، وإمّا لغاية ظهوره وشدّة نوره، بحيث يكلّ عنه الأبصار والبصائر٠

فأشار إلى أنّ السبب في كونه سبحانه محجوباً عن العقول مستوراً عن الحواس هو الشقّ الثالث. والمعنى : انه سبحانه احتجب عن العقول، وهو محجوب بغير حجاب عقلي يحجبه، واستتر عن الحواس وهو مستور بغير ستر

حسّي يستره، والستر بهذا المعنى من لواحق الصورة الجسميّة وعوارضها، وإذ تنزّه قدّس الحقّ عنها فقد تنزّه عنهما بالضرورة، وإنما كان احتجابه واستتاره لكونه خارجاً عن عالم مدركات العقول والحواس، وكون غاية ظهوره في بطونه، ونهاية جلاله في خفائه، وهو الظاهر والباطن، ألا ترى أنّك إذا نظرت إلى أنّ ضوء النهار ضدّ لظلمة الليل، وانّ الأول يتحقق ما دامت الشمس على وجه الأرض، ويزول عند غيبتها بطريان الظلمة، علمت علماً قطعيّاً أنّ ضوء النهار مستند إلى الشمس، ولو بقيت الشمس على وجه الأرض دائماً لأمكن أن تتوهّم أنّ ضوء النهار غير مستند إليها، وهذا يُعطي أنّ معرفة ظهور الأشياء بوجود أضدادها، ولما لم يكن لجناب الحق (جلّ شأنه) ضدّ ولا انتقال وكان نور وجوده أبداً ظاهراً فائضاً صار ذلك الظهور سبباً لخفائه، حتى أنكره من أنكره، عذّبهم اللّه في الدنيا والآخرة.

وفي نهج البلاغة:

((الذي لا يدركه بُعد الهمم، ولا يناله غوص الفِطَن، الذي ليس لصفته حدّ محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود)).

ولذلك أنّ صفات الجلال ونعوت الكمال ــ لما كانت ــ في عدم تناهيها والوقوف على حقايقها وأغوارها تشبه البحر الخضمّ، الذي لا يصل السابح فيه إلى ساحل، ولا ينتهي الغائص فيه إلى قرار، وكان السابح في هذا البحر الغائص في تيّاره الغائب في لججه هي الفطن الثاقبة، لا جرم كانت الفطنة أشبه بالغائص في البحر، لذلك أسند الغوص إليها، ويقرب منه أسناد الإدراك إلى بُعد الهمم، إذا كان الإدراك ــ حقيقة ــ لحوق جسم لجسم آخر، وإضافة الغوص إلى الفطن والبُعد إلى الهمم إضافة لمعنى

الصفة ـ بلفظ المصدر ـ إلى الموصوف، والتقدير لا تناله الفطن الغائصة، ولا تدركه الهمم البعيدة، فانّ حقيقته تعالى لما كانت بريئة من جهات التركيبات، عريّة عن اختلاف الجهات منزّهة عن تكثّر المتكثّرات، وكانت ماهيّات الأشياء إنما تعلم من جهة حدودها المؤلّفة من أجزائها، فاذن صدق أنّ واجب الوجود ليس بمركّب، وما ليس بمركّب ليس بمدرك الحقيقة، وصدق أنّ اللّه واجب الوجود ليس بمدرك الحقيقة، فلا تدركه همّة وإن بعدت، ولا تناله فطنة وإن اشتدّت، فكلّ سابح في بحار جلاله غريق، وكلّ مدّع الوصول إليه فبأنوار كبريائه حريق، سبحانه وتعالى علوّاً كبيراً .

الذي ليس لصفته حدّ محدود، ولا نعت موجود، أي ليس لما تعتبره عقولنا من الصفات السلبيّة والإضافيّة نهاية معقولة تقف عندها فيكون حدّاً له، وليس لمطلق ما يوصف به أيضاً وصف موجود يجمعه فيكون نعتاً له ومنحصراً فيه .

وفي الكافي (ج ١/ص ١٠٠) عن أبي حمزة قال: قال لي عليّ بن الحسين (عليهما السلام):

((يا أبا حمزة إنّ اللّه لا يوصف بمحدوديّة، عظم ربّنا عن الصفة، وكيف يوصف بمحدوديّة من لا يحدّ ؟)) .

والحدّ: الغاية والنهاية، أي ليس له حدّ عرفيّ ولا لغوي، لتنزّهه عن الأجزاء والنهايات، وتقدّسه عن الأطراف والغايات، وقد روي في الإحتجاج (ج ٢/ص ١٧٢) أنّ رجلاً من الزنادقة سأل الإمام الرضا (عليه السلام) أن يحدّه له ؟ قال الإمام الرضا (عليه السلام):

((لا حدّ له، قال: ولِمَ ؟ قال: لأنّ كلّ محدود متناه، وإذا احتمل التحديد احتمل الزيادة، وإذا احتمل الزيادة احتمل النقصان، فهو

غير محدود ، ولا متزايد ولا متناقص ، ولا متجزّى ، ولا متوهّم)) ٠

وفيه : (ص ١٥٦) عن الإمام الكاظم (عليه السلام) :
((لا أقول : إنه قائم فأزيله عن مكان ، ولا أحدّه بمكان يكون فيه ، ولا أحدّه أن يتحرّك في شيء من الأركان والجوارح ، ولا أحدّه بلفظ شقّ فم ، ولكن كما قال اللّه (عزّ وجل) : ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ بمشيئته من غير تردد في نفس ، صمداً فرداً لم يحتج إلى شريك يدبّر له ملكه ، ولا يفتح له أبواب علمه)) ٠

وفي الكافي (ج ١/ص٩٨) عن عاصم بن حميد قال :
ذاكرت أبا عبد اللّه (عليه السلام) فيما يروون من الرؤية ؟ فقال :
((الشمس جزء من سبعين جزأ من نور الكرسي ، والكرسي جزء من سبعين جزأ من نور العرش ، والعرش جزء من سبعين جزأ من نور الحجاب ، والحجاب جزء من سبعين جزأ من نور الستر ، فان كانوا صادقين فليملأوا أعينهم من الشمس ليس دونها سحاب)) ٠

وقوله (عليه السلام) : ((ولا وقت معدود ، ولا أجل ممدود)) لأنه أزليّ أبديّ واجب الوجود ، لا يختص وجوده بوقت دون وقت ، وبأجل دون أجل ، بل هو خالق الوقت والأجل ، لا ابتداء لوجوده ولا انتهاء لأوقاته ٠

وقولنا : لا يغلق بابه ؛ المراد : كثرة العطاء ، واللّه سبحانه لا يبرمه إلحاح الملحّين ، ولا يملّ من اعطاء السائلين ، كما في النهج ؛ قال (عليه السلام) :
((الحمد للّه الذي لا يفرّه المنع والجود ، ولا يكديه الاعطاء والجود)) ٠
وكيف وقد سمّى نفسه : الكريم ، والجواد ، والمنعم ، والمتفضّل ،

والمعطي ، وغير ذلك من الأسماء الدالّة على سعة كرمه وجوده ، وقد علمت أنه تعالى لم يزل واهباً لنا جميع ما نحتاج إليه ، ولم يجعلنا محتاجين إلى غيره ، وانّ الذي يرزق الطائع والعاصي ـ بل يعني بالكافر الذي يجحد فضله وإنعامه ويعبد غيره فيوسّع عليه الرزق ويغدق عليه العطاء ويهب له المال والأولاد والجاه والاعتبار ـ هل يصدق عليه أنه يغلق باب فضله وجوده ؟! كلاّ ثم كلاّ ٠

إنّ الذي هدانا السبيل ، وأعطانا من منّه وإحسانه أن سخّر لنا جميع الكائنات لمصالحنا ومنافعنا ، وأقام لنا السبيل ، وأوضح الدليل ، وفتح الباب لمن أراد الدخول كما في دعاء السحر :

((يا من يُعطي من سأله تحنناً منه ورحمة ، ويبتدئ بالخير من لم يسأله تفضّلاً منه وكرماً)) ٠

وقد قيل : انّ الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق ، والناس مختلفون في سلوكهم إليه كاختلافهم بالهيئات والألوان والأصوات والمقادير ٠

والطرق وإن اختلفت فانّ المقصد والهدف واحد ، وهو الربّ الواحد ، وأينما تولّوا فثمّ وجه الله ٠

عبارتنا شتّى وحسنك واحد   وكلّ إلى ذاك الجمال يُشير

نعم ، يجب على الطالب أن يكون طلبه صحيحاً عن نيّة صحيحة وعزم صحيح ، فانّ الأعمال بالنيّات ، وصدق النيّة منوط به نيل الطلبات ٠

والذي يفتح الباب للسؤال فانّ سائله رابح ، وآمله لا يخيب ، والله سبحانه وتعالى هو القاضي حوائج السائلين ، وراحم المساكين ، بابه مفتوح

للطالبين ، وسبيله واضح للمنيبين ، ورزقه عموم للطائعين والعاصين ، جلّ ثناؤه ، وتقدّست أسماؤه .

الدُّعاء ثم يستمر الداعي في ثنائه على الله وتمجيده قائلاً :

((الحمد لله الذي يُؤمن الخائفين ، ويُنجي الصادقين (الصالحين خ) ، ويرفع المستضعفين ، ويضع المستكبرين ، ويُهلك ملوكاً ويستخلف آخرين)) .

الشرح الأمن والأمان : السلامة ، وهو سكون القلب واطمئنانه ، والمؤمن : من كان متّصفاً بالإيمان .

وفي حديث رفاعة :

((أتدري يا رفاعة لِمَ سُمّي المؤمن مؤمناً ؟ قال : لا أدري ، قال : لأنه يؤمن على الله فيجيز أمانه)) .

والمؤمن من أسمائه تعالى ، سُمّي به لأنه يؤمن من عذابه من إطاعه ، والعبد مؤمن أي مصدّق بتوحيد الله وبآياته ، والله مؤمن أي مصدّق لما وعد به ومحققه ، ومعنى ثان : إنه محقق حقق وحدانيّته بآياته عند خلقه ، وعرّفهم حقيقته لما أبدى من علاماته ، وأبان من بيّناته ، وأراهم عجائب تدبيره ولطائف تقديره ، ومعنى ثالث : إنه آمنهم من الظلم والجور .

وفي الخصال (ص) عن عمّار بن أبي الأحوص قال :

قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : إنّ عندنا أقواماً يقولون بأمير المؤمنين (عليه السلام) ويفضّلونه على الناس كلّهم ، وليس يصفون ما تصف من فضلكم أنتولاّهم ؟ فقال لي :

((نعم في الجملة ، أليس عند الله ما لم يكن عند رسول الله ؟ ولرسول الله عند الله ما ليس لنا ؟ وعندنا ما ليس عندكم ؟ وعندكم ما

ليس عند غيركم ؟ إنّ اللّه تبارك وتعالى وضع الإسلام على سبعة أسهم : على الصبر والصدق واليقين والرضا والوفاء والعلم والحلم، ثم قسم ذلك بين الناس ، فمن جعل فيه هذه السبعة الأسهم فهو كامل الإيمان محتمل ، ثم قسم لبعض الناس السهم والسهمين ، ولبعض الثلاثة الأسهم ، ولبعض الأربعة الأسهم ، وليعض الخمسة الأسهم ، ولبعض الستّة الأسهم ، ولبعض السبعة الأسهم ، فلا تحملوا على صاحب السهم سهمين ، ولا على صاحب السهمين ثلاثة أسهم ، ولا على صاحب الثلاثة أربعة أسهم ، ولا على صاحب الأربعة خمسة أسهم ، ولا على صاحب الخمسة ستّة أسهم ، ولا على صاحب الستّة سبعةَ أسهم ، فتثقلوهم وتنفروهم ، ولكن ترفّقوا بهم ، وسهّلوا لهم المدخل .

وسأضرب لك مثلاً تعتبر به :

إنه كان رجل مسلم وله جار كافر ، وكان الكافر يرافق المؤمن ، فأحبّ المؤمن للكافر الإسلام ، ولم يزل يزيّن له الإسلام حتى أسلم ، فغدا عليه المؤمن فاستخرجه من منزله فذهب به إلى المسجد ليصلّي معه الفجر في جماعة ، فلمّا صلّى قال له : لو قعدنا نذكر اللّه (عزّ وجل) حتى تطلع الشمس فقعد معه ، فقال له : لو تعلّمت القرآن حتى تزول الشمس وصمت اليوم كان أفضل ، فقعد معه وصام حتى صلّى الظهر والعصر ، فقال : لو صبرت حتى تصلّي المغرب والعشاء كان أفضل ، فقعد معه حتى صلّى المغرب والعشاء الآخرة ، ثم نهضا وقد بلغ مجهوده وحمل عليه ما لا يطيق ، فلمّا كان من الغد غدا عليه وهو يُريد به مثل ما صنع بالأمس ، فدقّ عليه بابه ، ثم قال له : أخرج حتى نذهب إلى المسجد ، فأجابه أن انصرف عنّي فإنّ هذا دين شديد لا أطيقه ، فلا تخرقوا بهم ، أما علمت أنّ إمارة بني أُميّة كانت بالسيف والعسف والجور،

وإنّ إمارتنا بالرفق والتألّف والوقار والتقيّة وحسن الخلطة والورع والاجتهاد، فرغّبوا الناس في دينكم وفيما أنتم فيه)) ·

والخوف : كيفيّة نفسانيّة يتبعها حركة الروح البخاري إلى الداخل ، أو هو توقّع الألم من الغير، والخوف من الشيء : الحذر منه ، يقال : خاف خوفاً وخيفة ومخافة فهو خائف إذا حذر من عدوّ ونحوه ، والفرق بين الخوف والحزن : إنّ الخوف من المتوقّع ، والحزن على الواقع ·

والخوف : تألّم النفس من العقاب بسبب ارتكاب المنهيّات، والتقصير في الطاعات، كما في أكثر الخلق ، وقد يحصل بمعرفة عظمة الحق ومشاهدة هيبته ، كما في الأنبياء والأولياء ·

وفرّق بعض العارفين بين الخوف والرهبة فقال :

الخوف هو توقّع الوعيد ، وهو سوط الله يقوّم به الشاردين عن بابه ، ويسير بهم على صراطه حتى يستقيم به أمر من كان مغلوباً على رُشده ، ومن علاماته : قصر الأمل وطول البكاء ، والرهبة : هي إنصباب إلى جهة الهرب، بل هي الهرب(رهب وهرب مثل : جبذ وجذب) ، فصاحبها يهرب أبد لتوقّع العقوبة _ إنتهى _

في مراتب الخوف

وقال بعض المحققين :

الخوف له مراتب: ففي مقام ؛ خوف الموت قبل التوبة وخوف العقوبة ، وفي مقام ؛ خوف المكر﴿ أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾، (الأعراف / الآية ٩٩) ، وفي مقام ؛ خوف النقص عن درجة الأبرار إلى أن ينتهي إلى هيبة القهر عند مبادي تجلّي الذات، وطمس رسم العبد ·

واعلم انه إذا وصل العبد السالك إلى درجة الرضا يبدّل خوفه بالأمن *أُولئك لهم الأمن وهم مُهتدون* (الأنعام/الآية ٨٢) ،*ألا إنّ أولياء اللّه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون* (يُونس/الآية ٦٢) ، وفي مقام الفناء المحض لا خوف ولا خشية ولا دهش ولا هيبة ، لأنها كلّها أسام ورسوم لا بدّ من طمسها ومحقها ، فعند هذا هو تعالى أمان الخائفين ، ولا أمان في ما دونه ، إذ ما لم يصلوا إلى مقام الفناء لم يخلو عن خوف أو خشية أو هيبة .

إنتهى كلامه .

وقيل : من شهد من نفسه زلّة واحدة فلا يعتمد على شيء من حسناته وإن كثرت، لأنّ الزلّة مستلزمة للعقوبة بغير شرط، والعفو مقرون بشرط التوبة، والتوبة مقرونة بالقبول ، والقبول إلى غيره إن شاء قبل وإن شاء رد ، فله الفضل إذا قبل مع عظيم معصيته وكفران حق نعمته ، وله العدل إن عاقب بعد الإستحقاق وتقدّمه الأعذار والإنذار .

وفي الكافي (ج ٢/ص٦٨) عن إسحاق بن عمّار قال :

قال أبو عبد الله (عليه السلام) :

((يا إسحاق خف الله كأنّك تراه ، وإن كنت لا تراه فانه يراك، فان كنت ترى أنه لا يراك فقد كفرت، وإن كنت تعلم أنه يراك ثم برزت له بالمعصية فقد جعلته أهون الناظرين عليك)) .

قال المجلسي (رحمه اللّه) في مرآة العقول :

اعلم أنّ الرؤية تطلق على الرؤية بالبصر ، وعلى الرؤية القلبيّة ، وهي كناية عن غاية الإنكشاف والظهور ،

والمعنى الأول أنسب هنا ، أي خف اللّه خوف من يشاهده بعينه

وإن كان محالاً ، ويحتمل الثاني أيضاً ، فانّ المخاطب لما لم يكن من أهـــل الرؤية القلبيّة ولم يرتق إلى تلك الرجّة العلّية ــ فانها مخصوصة بالأنبيــــاء والأوصياء (عليهم السلام) ــ قال : ((كأنك تراه)) ، وهذه مرتبة عين اليقــين على مراتب السالكين ، وقوله : فان لم تكن تراه ، أي : إن لم تحصل لك تلــك المرتبة من الانكشاف والعيان فكن بحيث تتذكّر دائماً بأنه يراك ، وهذا مقــام المراقبة ، كما قال الله تعالى :

﴿أفمن هو قائم على كلّ نفس بما كسبت﴾ (الرعد / الآية ٣٣) .

﴿إنّ الله عليكم رقيبا﴾ (النساء / الآية ١) .

والمراقبة : مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به ، والمثمر لها هو تــذكر انّ الله تعالى مطّلع على كلّ نفس بما كسبت ، وانه سبحانه عالم بسرائر القلوب وخطراتها ، فاذا تقرر هذا العلم في القلب جذبه إلى مراقبة الله سبحانــــه دائماً ، وترك معاصيه خوفاً وحياء ، والمواظبة على طاعته وخدمته دائماً ، وقوله : ((وإن كنت ترى)) : تعليم لطريق جعل المراقبة ملكه للنفس ، فتصير سببــــاً لترك المعاصي ، والحق انّ هذه شبهة عظيمة للحكم بكفر أصحاب المعاصي ، ولا يمكن التفصّي عنها بالاتّكال على عفوه وكرمه سبحانه ، ومن هنا يظهر أنــه لا يجتمع الايمان الحقيقي مع الاصرار على المعاصي كما مرّت الاشارة إليــه ، ثم برزت له بالمعصية ، أي أظهرت له المعصية ، أو من البراز للمقاتلة ، كأنّــك عاديته وقاتلته ، وعليك متعلّق بأهون ــ إنتهى ــ .

وعنه (عليه السلام) :

((من خاف الله أخاف الله منه كلّ شيء ، ومن لم يخف الله أخافــه الله من كلّ شيء)) .

والظاهر انّ الله تعالى يُلقي الخوف منه على الأشياء مع احتمال أن

يكون سرّ ذلك أنّ الخائف منه تعالى نفسه قويّة قدسيّة ، مقرّبة للحضرة الإلٰهيّة ، قادرة على التأثّر في الممكنات، فلذلك يخاف منه كلّ شيء ، حتى الوحوش والحيّات والسباع، كما نقل ذلك عن كثير من المقرّبين ، ومن لم يخف اللّه كانت نفسه ضعيفة ذليلة ، متّصفة بالنقصان بعيدة عن التأثّر في عالم الامكان ، فلذلك يخاف من كلّ شيء ويتأثّر منه ، ولمّا كانت القوّة والضعف والتأثير والتأثّر بسبب القرب من اللّه وعدمه نسبت الإخافة إليه ٠

واعلم أنّ منشأ الخوف هو العلم بالسبب المفضي إلى المكروه ، فانّ من جنى جناية على ملك من الملوك ثم وقع في يده فانه يتخوّف القتل ، وقد يجوّز العفو والإفلات، ولكن يكون قلبه متألّماً بالخوف بحسب علمه بما فعل وبالأسباب الموجبة لقتله ، وهي تفاحش جنايته ، وكون الملك في نفسه حقوداً غضوباً منتقماً ، وكون هذا الملك محفوفاً بمن يحثّه على الإنتقام ، ولم يجد هذا الجاني من يتشفّع إلى الملك في حقّه ، وكان أيضاً عاطلاً عن كلّ وسيلة وحسنة تمحو أثر جنايته عند الملك، وبحسب ضعف هذه الأسباب يضعف الخوف، فالعلم بأسباب المكروه هو السبب الباعث المثير لاحتراق القلب وتألّمه ، وهذا الإحتراق هو ما نسمّيه : الخوف٠

وأمّا الخوف من اللّه تعالى فتارة يكون بمعرفة اللّه تعالى ومعرفة صفاته ، وتارة يكون لكثرة الجنايات من العبد ومقارفة المعاصي ، وتارة يكون بهما جميعاً ، وبحسب معرفته بعيوب نفسه وانه لا قيمة له أمام عظمة اللّه (عزّ وجل) وجلاله ، كما في دعاء كميل : ((وما أنا يا سيّدي وما خطري)) وهذا من أقوى دواعي الخوف، فانّ أشدّ الناس خوفاً من الربّ أعرفهم بنفسه وبربّه ، ولذلك قال رسول اللّه(صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) :

((أنا أخوفكم للّه)) ٠

وقال تعالى :

﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ (فاطر/ الآية ٢٨) ٠

وإذا كملت المعرفة أورثت جليل الخوف واحتراق القلب، ثم يفيض أثر المعرفة من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات٠

أمّا البدن : فبالنحول ، والصفار ، والغشية ، والرعقة والبكاء ، وقد تنشقّ به المرارة فيفضي إلى الموت، أو يصعد إلى الدماغ فيفسد العقل ، أو يقوى فيورث القنوط واليأس ٠

وأمّا الجوارح : فبكفّها عن المعاصي ، وتقييدها بالطاعات تلافياً لما فرط واستعداداً لما يستقبل ، ولذلك قيل : ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه ، بل يترك ما يخاف أن يعاقب عليه ٠

وأمّا الصفات: فهو أن يقمع الشهوات، ويكدّر اللذّات، فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة ، كما يصير العسل مكروهاً عند من يشتهيه إذا عرف أنّ فيه سمّاً ، فتحترق الشهوات بالخوف، وتتأدّب الجوارح فلا يصدر منها ما لا يليق ، ويحصل في القلب الذبول والخشوع والإستكانة والذلّة ويفارقه الكِبْر والحقد والحسد ، بل يصير مستوعب الهمّ بخوفه ، والنظر في خطر عاقبته ، فلا يتفرّغ لغير الحقّ ، ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنّة بالأنفاس واللحظات، ومؤاخذة النفس في الخطرات والخطوات والكلمات، فيكون ظاهرة وباطنة مشغولاً بما هو خائف منه لأنتسع فيه لغيره ، هذا حال من غلب عليه الخوف واستولى عليه ٠

وقوّة المراقبة والمجاهدة بحسب قوّة الخوف الذي هو تألّم القلب واحتراقه ٠

وقوّة الخوف بحسب قوّة المعرفة بجلال الله تعالى وصفاته وأفعاله ،

وبعيوب النفس وما تتوقّعه من أخطار وأهوال.

وأقلّ درجات الخوف مما يظهر أثره في الأعمال أن يمنع من المحظورات، ويسمّى الكفّ عن المحظورات ورعاً، فان زادت قوّته كفّ عمّا يتطرّق إليه التحريف، فكيف عمّا لا يتيقّن ـ أيضاً ـ تحريمه، ويسمّى ذلك تقوى، إذ التقوى أن يترك ما يريبه إلى ما لا يريبه، وقد يحمله ذلك على ترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس، وهذا هو الصدق في التقوى.

فاذا انضمّ إليه التجرّد للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه، ولا يجمع ما لا يأكله، ولا يلتفت إلى دنيا يعلم أنّها تفارقه، ولا يصرف إلى غير اللّه تعالى نفساً من أنفاسه فهو الصدق، وصاحبه جدير بأن يسمّى صديقاً، ويدخل في الصدق التقوى، ويدخل في التقوى الورع، ويدخل في الورع العفّة، فانها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصّة، فاذن الخوف يؤثّر في الجوارح بالكفّ والاقدام.

فهذه إشارة إلى مجامع معاني الخوف وما يكتنفه من جانب العلوّ كالمعرفة الموجبة له، ومن جانب السفل كالأعمال الصادرة عنه كفّاً وإقداماً.
إنتهى ملخّصاً من كتاب: ((الاحياء)).

وقال بعض العلماء:
اعلم أنّ خوف الخائفين من اللّه تعالى قد يكون لأمور مكروهة لذاتها، وقد يكون لأمور مكروهة لأدائها إلى ما هو مكروه لذاته.

أمّا القسم الأول: فمثل أن يتمثّل في نفوسهم ما هو المكروه لذاته، كسكرات الموت وشدّته، أو سؤال القبر أو عذابه، أو هول الموقف بين يدي اللّه تعالى، والحياء من كشف الستر والسؤال عن كلّ صغيرة وكبيرة، أو الخوف

من المرور على الصراط وحدّه، أو من النار وأهوالها وأغلالها، أو من حرمان الجنّة، أو من نقصان الدرجات فيها، أو خوف الحجاب من الله تعالى، وكلّ هذه الأسباب مكروهة في أنفسها، ويختلف حال السالكين فيها إلى الله وأعلاها رتبة خوف الفراق والحجاب من الله تعالى وهو خوف العارفين، وما قبل ذلك فهو خوف العبدين والصلحاء والزاهدين.

وأمّا القسم الثاني: فأقسامه كثيرة.. كخوف الموت قبل التوبة، أو خوف نقض التوبة، أو خوف الإنحراف عن القصد في عبادة الله، أو خوف استيلاء القوى الشهوانيّة بحسب مجرى العادة في استعمال الشهوات المألوفة أو خوف سوء الخاتمة، أو خوف سبق الشقاوة في علم الله، وكلّ هذه ونحوها مخاوف عباد الله الصالحين، وأغلبها على قلوب المتّقين خوف الخاتمة فانّ الأمر فيه خطير.

وأعلى الأقسام وأدلّها على كمال المعرفة خوف السابقة، لكون الخاتمة تبعاً لها ومظهرة لما سبق في اللوح المحفوظ.

وقد مثّل من له خوف السابقة ومن له خوف الخاتمة برجلين وقع لهما سلطان بتوقيع يحتمل أن يكون لهما فيه غنى أو هلاك، فتعلّق قلب أحدهما بنشر التوقيع وما يظهر فيه من خير وشرّ، وتعلّق قلب الآخر بما خطر للملك حال التوقيع من رحمة أو غضب وهذا إلتفات إلى السبب فكان أعلى، فكذلك الألتفات إلى القضاء الأزليّ الذي جرى بتوقيعه القلم الإلٰهيّ في اللوح المحفوظ أعلى من الإلتفات إلى الأبد.

وإليه أشار الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله) حيث كان على المنبر فقبض كفّه اليمنى ثم قال:

((هذا كتاب الله كتب فيه أهل الجنّة بأسمائهم وأسماء آبائهم لا يزاد فيهم ولا ينقص ، (ثم قبض كفّه اليسرى وقال) : هذا كتاب الله فيه أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم ولا يزاد فيهم ولا ينقص ، وليعملنّ أهل السعادة بعمل أهل الشقاوة حتى يقال كأنّهم منهم بل هم هم ، ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقه ، وليعملنّ أهل الشقاء بعمل أهل السعادة حتى يقال كأنهم منهم بل هم هم ، ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة ، السعيد من سعد بقضاء الله ، والشقيّ من شقى بقضاء الله ، والأعمال بالخواتيم)) .

إنتهى من كتاب : ((الاحياء)) / ج ٤ / ص ١١٤ .

وفي الكافي (ج ١ / ص ١٥٤) عن الإمام الصادق (عليه السلام) :

((يسلك بالسعيد في طريق الأشقياء حتى يقول الناس : ما أشبهه بهم ، بل هو منهم ، ثم يتداركه السعادة ، وقد يسلك بالشقيّ طريق السعداء حتى يقول الناس : ما أشبهه بهم ، بل هو منهم ، ثم يتداركه الشقاء ، إنّ من كتبه الله سعيداً وإن لم يبق من الدنيا إلا فواق ناقة ختم الله له بالسعادة)) .

وقوله (عليه السلام) : ((من كتبه الله سعيداً)) أي أنه سبق في علمه تعالى أنه سيتوجّه إلى الخير الذي يُؤدّي به إلى السعادة الأُخرويّة ، لأنه لا يجبر العباد على العمل ، فمن علم فيه الخير سهّل له الأسباب فكانت سعادته بتوفيق الله وحسن اختياره ، إذ لا يلزم من كونه مكتوباً من السعداء سلب الاختيار عنه لأنّ المعنى كتبه سعيداً ما هو إلا تعلّق علمه بأنه سعيد، وعلمه بسعادته لا يلزم وجودها لا باختياره وإرادته ، لأنّ العلم تابع للمعلوم ومطابق لما يقع في نفس الأمر ، وفيه تنبيه على الخوف من سوء الخاتمة .

واعلم انّ الاشتغال بذكر اللّه باعث على الأنس وطيب النفس ، فاننا وجدنا من يمشي في الظلمة أو في مكان مخيف فانه يوجس في نفسه الخوف من الشيطان يعرض له أو عدوّ يغتاله ، فيشغل لسانه بذكر اللّه دائماً، ويستمر على ذلك إذ لا أمان له ولا اطمئنان إلا بتكرار اسمه الشريف، فصحّ أنه سبحانه وتعالى يؤمن الخائفين .

وينجي الصالحين ، أو الصادقين ، أي يخلّصهم من العذاب بتوفيقه إيّاهم على الطاعة ، وصرفه إيّاهم عن المعصية ، حيث نصب لهم الدلائل وأوضح لهم السبل ، فهم مستغرقون في محبّة اللّه مثابرون على طاعته .

وفي الكافي (ج ٢/ص ٧٤) عن الامام الباقر (عليه السلام) قال :
((خطب رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) في حجّة الوداع فقال :
" يا أيها الناس واللّه ما من شيء يقرّبكم من الجنّة ويباعدكم من النار إلا وقد أمرتكم به ، وما من شيء يقرّبكم من النار ويباعدكم من الجنّة إلا وقد نهيتكم عنه ، ألا وإنّ الروح الأمين نفث في روعي : أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، فاتّقوا اللّه وأجملوا في الطلب، ولا يحمل أحدكم استبطاء شيء من الرزق أن يطلبه بغير حلّه ، فانه لا يدرك ما عند اللّه إلا بطاعته ")) .

وفي (ص ٧٥) عن الامام الصادق (عليه السلام) :
((إذا كان يوم القيامة يقوم عنق من الناس فيأتون باب الجنّة فيضربونه فيقال لهم : من أنتم ؟ فيقولون : نحن أهل الصبر ، فيقال لهم : على ما صبرتم ؟ فيقولون : كنّا نصبر على طاعة اللّه وكنّا نصبر عن معصية اللّه ، فيقول اللّه (عزّ وجل) : " أُدخلوهم الجنّة " وهو قول اللّه (عزّ وجل) : * إنّما يُوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب *)) (الزمر/الآية ١٠)

وفي (ص ٧٦) عن المفضّل قال :

كنتُ عند أبي عبد الله (عليه السلام) فذكرنا الأعمال فقلت أنا : ما أضعف عملي ؟ فقال :

((مه ، إستغفر الله ، (ثم قال لي) : إنّ قليل العمل مع التقوى خير من كثير العمل بلا تقوى ، قلت : كيف يكون كثير بلا تقوى ؟ قال : نعم مثل الرجل يطعم طعامه ويرفق جيرانه ، ويوطىء رحله ، فاذا ارتفع له الباب من الحرام دخل فيه ، فهذا العمل بلا تقوى ، ويكون الآخر ليس عنده ، فاذا ارتفع له الباب من الحرام لم يدخل فيه)) .

وفي (ص ٧٧) عنه (عليه السلام) :

((عليك بتقوى الله والورع والاجتهاد وصدق الحديث وأداء الأمانة وحُسن الخلق وحُسن الجوار ، وكونوا دعاة إلى أنفسكم بخير ألسنتكم ، وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً ، وعليكم بطول الركوع والسجود ، فانّ أحدكم إذا أطال الركوع والسجود هتف إبليس من خلفه وقال : يا ويله ، أطاع وعصيت ، وسجد وأبيت)) .

وفيه (ص ٨٣) عنه (عليه السلام) :

((في التوراة مكتوب : يا بن آدم تفرّغ لعبادتي ، إملأ قلبك غنى ولا أكلّك إلى طلبك ، وعليّ أن أسدّ فاقتك ، وإن لا تفرّغ لعبادتي إملأ قلبك شغلاً بالدنيا ، ثم لا أسدّ فاقتك ، وأكلّك إلى طلبك)) .

وعنه (عليه السلام) :

((إنّ العباد ثلاثة : قوم عبدوا الله (عزّ وجل) خوفاً فتلك عبادة العبيد ، وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلب الثواب فتلك عبادة الأُجراء ، وقوم عبدوا الله (عزّ وجل) حبّاً له فتلك عبادة الأحرار ، وهي

أفضل العبادة)) .

وفيه(ص ٨٩) عنه(عليه السلام) :

((إنّ الحرّ حرّ على جميع أحواله ، إن نابته نائبة صبر لها ، وإن تداكّت عليه المصائب لم تكسره ، وإن أسر وقهر واستبدل باليسر عسراً ، كما كان يوسف الصدّيق الأمين(صلوات الله عليه) لم يضرّ حرّيته إن استعبد وقهر وأسر ، ولم تضرره وحشة الجبّ وظلمته وما ناله أن منّ الله عليه ، فجعل الجبّار العاتي عبداً له بعد إذ كان له مالكاً ، فأرسله ورحم به أُمّة ، وكذلك الصبر يعقب خيراً ، فاصبروا ووطّنوا أنفسكم على الصبر تؤجروا)) .

وفيه(ص ٩٩) عنه(عليه السلام) :

((أربع من كنّ فيه كمل إيمانه ، وإن كان من قرنه إلى قدمه ذنوباً لم ينقصه ذلك ، وهو الصدق وأداء الأمانة والحياء وحسن الخلق)) .

قوله(عليه السلام) : ((وإن كان من قرنه إلى قدمه ذنوباً)) : مبالغة في كثرة ذنوبه أو كناية عن صدورها من كلّ جارحة من جوارحه ، فانّ هذه الخصال تدعو صاحبها إلى ترك الذنوب ، فانّ الصدق يخرج كثيراً من الذنوب كالصدق وما يشاكله ، وأداء الأمانة يخرج الكثير من الذنوب فلا يخون الناس في أموالهم ولا يمنع الزكاة والخمس وسائر حقوق الله تعالى ، وكذا الحياء من الخلق يمنعه من التظاهر في المعاصي ، والحياء من الله يمنعه من تعمّد العصيان والإصرار على الخطايا ، ويدعوه إلى التوبة سريعاً ، وكذلك حسن الخلق يمنعه من إيذاء الخلق مثل عقوق الوالدين وقطيعة الأرحام وإيصال الضرر إلى أيّ من الناس ، فلا يبقى من الذنوب إلا القليل الذي

لا يخرج إيمانه مع أنه موفّق للتوبة بعناية اللّه تعالى .

وعنه (عليه السلام) :

((إنّ اللّه تبارك وتعالى أعار أعداءه أخلاقاً من أخلاق أوليائه ليعيش أولياؤه مع أعدائه ، ولولا ذلك لما تركوا وليّاً للّه إلا قتلوه)) .

وفيه (ص ١٠٤) عنه (عليه السلام) :

((لا تغترّوا بصلاتهم ولا بصلاتهم ولا بصيامهم ، ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة)) .

وفيه (ص ١٢٦) عن الإمام السجّاد (عليه السلام) :

((إذا جمع اللّه الأولين والآخرين قام منادٍ فنادى يسمع الناس فيقول : أين المتحابّون في اللّه ؟ قال : فيقوم عنق من الناس فيقال لهم : إذهبوا إلى الجنّة بغير حساب، قال : فتتلقّاهم الملائكة فيقولون : إلى أين ؟ فيقولون : إلى الجنّة بغير حساب، قال : فيقولون : فأيّ ضرب أنتم من الناس؟ فيقولون : نحن المتحابّون في اللّه ، قال : فيقولون : وأيّ شيء كانت أعمالكم ؟ قالوا : كنّا نحبّ في اللّه ونبغض في اللّه ، قال : فيقولون : نعم أجر العاملين)) .

واعلم أنّ كلّ صفة حسنة تتصف بها ، وكلّ خلق جميل تتخلّق به ، وكلّ عمل تعمله ـ فرضاً كان أو نفلاً ـ وكلّ قبيح تجتنبه ، يؤهّلك لأن تكون صالحاً، حيث انّ الصالح هو المؤمن العارف المطيع للّه وللرسول ولمن لهم ولاية الأمر بعد الرسول الأكرم (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) كما في الكافي (ج ٢ / ص٣٩٨) عن الإمام الصادق (عليه السلام) :

((أمر الناس بمعرفتنا والردّ إلينا والتسليم لنا ، (ثم قال) : وإن صاموا

وصلّوا وشهدوا أن لا إلٰـه إلا اللّه وجعلوا في أنفسهم أن لا يـردوا إلينا كانوا بذلك مشركين)) .

وفيه(ج ١/ص ٣١٠) عنه(عليه السلام) :
((لو أنّ قوماً عبدوا اللّه وحده لا شريك له وأقاموا الصلاة وآتـوا الزكاة وحجّوا البيت وصاموا شهر رمضان ، ثم قالوا لشيء صنعه اللّـه أو صنعه رسول اللّه(صلّى اللّه عليه وآله) إلا صنع خلاف الذي صـنع ؛ أو وجدوا ذلك في قلوبهم ، إلا كانوا بذلك مشركين ،(ثم تلا) :﴿فـلا وربّك لا يُؤمنون حتى يُحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجـاً مما قضيت ويُسلّموا تسليما﴾ (النساء/الآية ٦٤) ،(ثم قـال أبو عبد اللّه ــ عليه السلام ــ) : فعليكم بالتسليم)) .

وفيه(ج ٢/ص ٢١٤) عن عمر بن حنظلة قال :
قال لي أبو عبد اللّه(عليه السلام) :
((يا أبا الصخر إنّ اللّه يعطي الدنيا من يحبّ ويبغض ، ولا يعطـي هذا الأمر إلا صفوته من خلقه ، أنتم واللّه على ديني ودين آبائـي إبراهيم وإسماعيل ، لا أعني : عليّ بن الحسين ولا محمد بن علي وإن كان هؤلاء على دين هؤلاء)) .

والحبّ : هو انجذاب خاصّ من إنسان لآخر ، ففيه شوب من معـنى الأنفعال ، وهذا المعنى إنما ينطق على المخلوق ، وأمّا الخالق الـذي لا تجوز عليه الأحوال ولا يتغيّر من حال إلى حال فهو ممتنع عليه ، وإنما نصفـه به من حيث الأثر كسائر الصفات من الرحمة والغضب وغيرهما ، فنقـول : إنّ رحمته هي ثوابه ، وغضبه عقابه ، ومحبّته لطفه وتوفيقه ، وبغضه خذلانه ، فهـو سبحانه يحبّ خلقه من حيث يريد إيجادهم والانعام عليهم بالرحمة والوجود،

وهو تعالى يحبّ عبده المؤمن من حيث يريد أنه يبقى مثابراً على طاعته فيختصّه بنعمة السعادة والعاقبة الحسنة في الآخرة، فالمراد بالمحبّة هنا المحبّة الخاصّة التي تؤول إلى كمال عبده وصلاحه.

فالمحبوب يجعل الدنيا وسيلة للآخرة ويتزوّد من هذه لهذه، وأمّا البغيض فقلبه متعلّق بالدنيا ومعرض عن الآخرة، فما له في الآخرة من خلاق.

ومعنى محبّة اللّه للعبد : كشف الحجاب عن قلبه، وتمكينه من أن يطأ بساط قربه، وعلامة حبّه له توفيقه للتجافي عن دار الغرور، وتمكينه من الترقّي إلى عالم النور، والأُنس باللّه والوحشة عمّا سواه.

ومعنى البغض وعلامته ضدّ ذلك، ومعنى محبّة العبد له يعود إلى دوام الذكر والصبر على الطاعة والإنقياد في جميع أوامره ونواهيه، كما انّ كثرة المعاصي والإصرار عليها تدلّ على العكس من ذلك، وقد أجاد من قال :

تعصي الإلـه وأنت تُظهر حبّه
هذا لعمرك في القياس بديع
لو كان حبّك صادقاً لأطعته
إنّ المُحبّ لمن يُحبّ مطيع

فقد لمت أنّ اللّه(عزّ وجل) ينجي عباده الصالحين والصادقين بتمكينهم من الطاعة وكفّهم عن المعصية، وقوله : ((لا أعني عليّ بن الحسين إلخ ..)) أي إنّ المراد بآبائي آبائي الأبعدون والأقربون جميعاً، لا خصوص آبائي الأدنين، وهو يُعطي أنّ الدين الحقّ واحد، فدين إبراهيم ومذهب أهل البيت واحد، لا أنّ الدين متشعّب وانّ مذهبهم (صلوات اللّه عليهم) شعبة منه، فانّ الحق لا يتعدد.

((ويرفع المستضعفين)) الضعف : ضدّ القوّة ، واستضعفه أي جعله ضعيفاً ، والمستضعفون هنا هم المؤمنون يتنقّصهم الناس ويضطهدونهم حيث لا قوّة عندهم ولا عشيرة تمنعهم ، كما قيل :

تركتني في الدرّ ذا غربة   قد ذلّ من ليس له ناصر

ومنه قوله (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) :

((بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً ، فطوبى للغرباء)) .

ويعني بالغرباء : المؤمنين ، فانّ المؤمن غريب إذا كان بين قوم يتهوّنون بالدين ولا يراقبون اللّه ، ولأنّ اللّه حكم عدل لا يجوز ولا يحيف فلا ريب ولا شكّ أنه يرفع المستضعفين من المؤمنين ، أمّا في الدنيا فبأن يديلهم من أعدائهم ويجعلهم حكّاماً عليهم كما وقع ليوسف الصدّيق (عليه السلام) ، وأمّا في الآخرة فيرقيهم الدرجات العلى ، كما نقل عن بعضهم أنه رأى رجلاً قتله الحجّاج وصلبه ، فقال : يا ربّ حلمك عن الظالم قد أضرّ بالمظلومين ، فلمّا كان الليل أُري في منامه : كأنه دخل الجنّة فرأى قصراً عالياً في أعلى مكان في الجنّة ، وذلك المصلوب في ذلك القصر ، وسمع نداء : حلمي عن الظالم رفع المظلوم إلى أعلى علّيين .

وإن كان المراد بالمستضعف من لا يستطيع التمييز بين الحقّ والباطل لجهله وعدم معرفته فلا يبعد أن يرفعه اللّه بأن يوفّقه للمعرفة وحسن النظر فيبصر الحق فيكون من الناجين .

((ويضع المستكبرين)) الكبر والكبرياء والتكبّر والاستكبار : التعاظم والتعالي على الغير ، وهو قبيح ممن أوله نطفة وآخره جيفة وبطنه وعاء للقاذورات والنجاسات ، وقد ورد في الكافي (ج ٢/ص ٣٠٩) عن الإمام الباقر (عليه السلام) : ((الكبر رداء اللّه ، والمتكبّر ينازع اللّه رداءه)) .

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) :

((إنّ المتكبّرين يجعلون في صور الذر ، يتوطّأهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب)) .

وفيه (ص٣٢٨) عن عقبة بن بشير الأسدي قال :

قلتُ لأبي جعفر (عليه السلام) : أنا عقبة بن بشير الأسدي وأنا في الحسب الضخم من قومي ، قال : فقال :

((ما تمنّ علينا بحسبك ، إنّ الله رفع بالإيمان من كان الناس يسمّونه وضيعاً ، إذا كان مؤمناً ، ووضع بالكفر من كان الناس يسمّونه شريفاً إذا كان كافراً ، فليس لأحد على أحد فضل إلا بالتقوى)) .

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) :

((أتى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) رجل فقال : يا رسول الله أنا فلان بن فلان ـ حتى عدّ تسعة ـ فقال له رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : " أما إنّك عاشرهم في النار ")) .

تكبّر هذا الرجل وتفاخر بسموّ النسب وعلوّ الحسب ، فردّ عليه النبيّ (صلّى الله عليه وآله) بأنه وآباءه كلّهم في النار ، وذلك باعتبار أنّ آباءه كانوا جميعاً موصوفين بوصف التكبّر ، أو باعتبار أنهم كلّهم كانوا كفّاراً ، أو باعتبار أنّ هذا الرجل كان متكبّراً وآباؤه كانوا كفّاراً ، ولعلّه الأظهر .

وقال الراغب : الكبر والتكبّر والاستكبار تتقارب ، فالكبر : الحالة التي يتخصص بها الانسان من اعجابه بنفسه ، وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره ، وأعظم التكبر التكبّر على الله بالامتناع عن قبول الحقّ والاذعان له بالعبادة ، والاستكبار يقال على وجهين :

أحدهما : أن يتحرّى الإنسان ويطلب أن يصير كبيراً ، وذلك متى كان على ما يجب وفي المكان الذي يجب ، وفي الوقت الذي يجب فمحمود .

والثاني : أن يتشبّع فيظهر من نفسه ما ليس له ، وهذا هو المذموم ،، وعلى هذا ما ورد في القرآن الكريم من لفظ الاستكبار في آيات كثيرة .

والتكبر يقال على وجهين :

أحدهما : أن تكون الأفعال الحسنة كثيرة في الحقيقة وزائدة على محاسن غيره ، وعلى هذا وصف الله تعالى بالتكبّر ، قال (عن نفسه) : ﴿العزيز الجبّار المتكبّر﴾ .

والثاني : أن يكون متكلّفاً لذلك متشبّعاً ، وذلك في وصف عامّة الناس نحو قوله :﴿فبئس مثوى المتكبّرين﴾ (الزمر / الآية ٧٢ _ غافر/ الآية ٧٦) . إنتهى .

وفي الكافي (ص ٣١٢) عن الإمام الصادق (عليه السلام) :

((ما من عبد إلا وفي رأسه حكمة وملك يمسكها ، فإذا تكبّر قال له : إتّضع وضعك الله ، فلا يزال أعظم الناس في نفسه وأصغر الناس في أعين الناس ، وإذا تواضع رفعه الله (عزّ وجل) ثم قال له : إنتعش نعشك الله ، فلا يزال أصغر الناس في نفسه ورافع الناس في أعين الناس)) .

قال في المصباح المنير :

((الحكمة وزان قصبة للدابّة ، سمّيت بذلك لأنها تذللها لراكبها حتى تمنعها الجماح ونحوه ، ومنه اشتقاق الحكمة لأنها تمنع صاحبها من أخلاق الأرذال)) إنتهى .

ولعلّ المراد هنا بالحكمة : الحالة المقتضية لسلوكه سبيل الهداية على نحو الاستعارة ، وإمساك الملك إيّاها كناية عن إرشاده إلى ذلك السبيل ، وإمساكه عن العدول عنه ، فقد أفاد هذا الحديث أنّ المتكبّر يذلّه اللّه ويضعه ويحقّره في أعين الناس ، كما أنه يرفع المتواضع ويعزّه ويعظّمه عند الناس ويجري ذكره بالخير والصلاح على ألسنتهم .

((ويُهلك ملوكاً ويستخلف آخرين)) ، وقال تعالى :

﴿كم تركوا من جنّات وعيون وزُروع ومقام كريم ونَعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوماً آخرين﴾ (الدخان/الآيات ٢٥ ـ ٢٨) .

أي انّهم كانوا يرفلون في ذلك النعيم المرموق ، وينالون الاحترام والتكريم ، ويتلذذون بأنواع المقتنيات والمطعومات والمشروبات والملبوسات ويعيشون فيها مغمورين بكلّ رفاهيّة وكرامة وسرور ، ثم نزع ذلك كلّه منهم وورثه قوم آخرون .

وفي نهج البلاغة :

((ألستم في مساكن من كان قبلكم أطول أعماراً ، وأبقى آثاراً ، وأبعد آمالاً ، وأعدّ عديداً ، وأكثف جنوداً ، تعبّدوا للدنيا أيّ تعبّد ، وآثروها أيّ إيثار ، ثم ظعنوا عنها بغير زاد مبلغ ، ولا ظهر قاطع ، فهل بلغكم أنّ الدنيا سخت لهم نفساً بفدية ، أو أعانتهم بمعونة ، بل أرهقتهم بالفوادح ، وأرهقتهم بالقوارع ، وضعضعتهم بالنوائب ، وعفّرتهم للمناخر ، ووطّئتهم بالمناسم ، وأعانت عليهم ريب المنون)) .

وقال لابنه الحسن (عليهما السلام) :

((لا تخلفنّ وراءك شيئاً من الدنيا ، فانّك تخلّفه لأحد رجلين : إمّا رجل عمل فيه بطاعة اللّه فسعد بما شقيت به ، وإمّا رجل عمل فيه

بمعصية الله فشقي بما جمعت له وكنت عوناً له على معصيته، وليس أحد من هذين حقيقاً أن تؤثره على نفسك)).

وقال (عليه السلام):
((إنّ الله سبحانه يختبر عباده المستكبرين في أنفسهم بأوليائه المستضعفين في أعينهم، ولقد دخل موسى بن عمران وأخوه هارون (عليهما السلام) على فرعون، وعليهما مدارع الصوف، وبأيديهما العصى، فشرطا له إن أسلم بقاء ملكه ودوام عزّه، فقال: ألا تعجبون من هذين يشرطان لي دوام العزّ وبقاء الملك، وهما بما ترون من حال الفقر والذلّ، فهلاّ ألقى عليهما أسورة من ذهب؛ إعظاماً للذهب وجمعه، واحتقاراً للصوف ولبسه، ولو أراد الله سبحانه لأنبيائه ــ حيث بعثهم ــ أن يفتح لهم كنوز الذهبان، ومعادن العقيان، ومغارس الجنان، وأن يحشر معهم طيور السماء ووحوش الأرض لفعل، ولو فعل لسقط البلاء، وبطل الجزاء، واضمحلّت الأنباء، ولما وجب للقابلين أجور المبتلين، ولا استحقّ المؤمنون ثواب المحسنين، ولا لزمت الأشياء معانيها)).

الدُّعاءُ ثم يستمر الداعي في ذكر المحامد الجلاليّة والجماليّة فيقول:
((والحمد لله قاصم الجبّارين، مُبير الظالمين، مُدرك الهاربين، نكال الظالمين، صريخ المستصرخين، موضع حاجات الطالبين، مُعتمد المؤمنين)).

الشَرح قصمه الله، قيل: معناه أهانه وأذلّه، وقيل: قرب موته، والقصم: الإهلاك، وقاصم الجبّارين، أي مهلكهم، وكذلك مبير الظالمين؛ معناه مهلكهم، والجبّار: المتغطرس المستبد، أو هو المتكبّر، أو هو الذي يقتل

على الغضب، والبور ـ بالضم ـ والبوار: الهلاك، والإدراك: اللحوق، والله سبحانه مدرك الهاربين لأنهم لا يفوتونه، وهم في قبضته دائماً، ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا، وكيف يفوتونه والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويّات بيمينه.

والنكل بوزن الطفل: القيد، وجمعه: أنكال، ونكّل به تنكيلاً، أي جعله نكالاً وعبرة لغيره، ونكل عن العدوّ وعن اليمين أي جبن، فهو نكال الظالمين لأنه يذلّهم ويقهرهم ويجعلهم عبرة للمعتبرين.

وفي نهج البلاغة:

((ولئن أمهل الظالم فلن يفوت أخذه، وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه، وبموضع الشجا من مساغ ريقه)).

والشجا: ما ينبت في الحلق من عظم ونحوه فيغصّ به، وهو كناية عمّا يعرض للانسان من شبه الغصّة التي تعتريه من شدّة الحزن والأسف، ومساغ الريق: سهولة بلعه، وصريخ المستصرخين، أي مغيث المستغيثين، والصريخ يطلق على المغيث والمستغيث أيضاً فهو من الأضداد، وتقول: استصرختة فأصرخني، أي استغثت به فأغاثني، فهو صريخ أي مغيث، وهو سبحانه مغيث المستغيثين ومجير الخائفين، وهو موضع حاجات الطالبين، ومعتمد المؤمنين لأنه محطّ آمالهم، وعليه يستندون في مهامّ أمورهم، وهو المنتهى إليه في الحاجات عند اليأس من كلّ مطلوب سواه، حيث انّ كلّ طالب حاجة إذا تصعّبت عليه الأمور ولم يجد عند مخلوق فرجاً رجع إلى الله في حوائجه وفزع إليه في طلبها.

وفي التوحيد (ص ٢٣١) سأل رجل أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال:

يا أمير المؤمنين أخبرني عن﴿ بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ما معناه ؟

قال :

((إنّ قولك: الله أعظم إسم من أسماء الله (عزّ وجل) ؛ وهو الاسم الذي لا ينبغي أن يسمّى به غير الله ، ولم يتّسم به مخلوق ،(فقال الرجل) : فما تفسير قوله : ((الله)) ؟ قال : هو الذي يتألّه إليه عند الحوائج والشدائد كلّ مخلوق عند انقطاع الرجاء من جميع من دونه ، وتقطع الأسباب من كلّ من سواه ، وذلك انّ كلّ مترئّس في هذه الدنيا ومتعظّم فيها ـ وإن عظم غناؤه وطغيانه ، وكثرت حوائج من دونه إليه ـ فانهم سيحتاجون حوائج لا يقدر عليها هذا المتعاظم ، وكذلك هذا المتعاظم يحتاج حوائج لا يقدر عليها ، فينقطع إلى الله عند ضرورته وفاقته حتى إذا كفى همّه عاد إلى شركه ، أما تسمع قول الله (عزّ وجل) يقول : ﴿قل أرأيتكم إنْ أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إنْ كنتم صادقين بل إيّاه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تُشركون﴾ (الأنعام/الآيتان ٤٠و٤١) ، فقال الله (عزّ وجل) لعباده : أيّها الفقراء إلى رحمتي إني قد ألزمتكم الحاجة إليّ في كلّ حال ، وذلّة العبوديّة في كلّ وقت ،فاليّ فافزعوا في كلّ أمر تأخذون فيه وترجون تمامه وبلوغ غايته ، فانّي إن أردّت أن أعطيكم لم يقدر غيري على منعكم ، وإن أردّت أن أمنعكم لم يقدر غيري على اعطائكم ، فأنا أحقّ من سُئِل وأولى من تضرّع إليه ، فقولوا : عند افتتاح كلّ أمر صغير أو عظيم : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم) ،أي أستعين على هذا الأمر بالله الذي لا يحقّ العبادة لغيره ، المُغيث إذا استُغيث ، المُجيب إذا دُعى)) .

ووجدّت في بعض كتب الأدب:

إنّ بعض الفقراء قصد بعض الملوك في حاجة فوعده الملك بقضائها وأباته عنده تلك الليلة، فلمّا مضى قسط من الليل سمع ذلك الفقير همهمة في الغرفة المجاورة له، فاطّلع فرآى الملك مفترشاً التراب وهو يبكي ويتضرّع ويسأل الله من فضله، فقال لنفسه: هذا الملك الذي جئت أسأله يتضرّع إلى الله ويطلب منه، وأنا عبد الله كما هو عبده، أتراه يعطيه ويمنعني؟ والله لا أسأل غير الله أبداً، ثم رحل من فوره ولم يسأل الملك شيئاً.

وفي الكافي (ج ٢/ص ٤٧٥) عن الإمام الصادق (عليه السلام):
((إنّ الله) كره إلحاح الناس بعضهم على بعض في المسألة وأوجب ذلك لنفسه، إنّ الله (عزّ وجل) يُحبّ أن يُسأل ويُطلب ما عنده)).

وفيه (ص ٦٦) عن الحسين بن علوان قال:
كنّا في مجلس نطلب فيه العلم، وقد نفدت نفقتي في بعض الأسفار فقال لي بعض أصحابنا: من تؤمّل لما قد نزل بك؟ فقلت: فلاناً، فقال: إذن والله لا تسعف حاجتك ولا يبلغك أملك ولا تنجح طلبتك، قلت: وما علمك ـ رحمك الله ـ؟ قال: إنّ أبا عبد الله (عليه السلام) حدّثني أنه قرأ في بعض الكتب أنّ الله تبارك وتعالى يقول:
((وعزّتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي لأقطعنّ أمل كلّ مؤمّل من الناس غيري باليأس، ولأكسونّه ثوب المذلّة عند الناس، ولأنحّينّه من قربي، ولأبعدنّه من فضلي، أيؤمّل غيري في الشدائد؟ والشدائد بيدي، ويرجو غيري ويقرع بالفكر باب غيري؟ وبيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة، وبابي مفتوح لمن دعاني، فمن ذا الذي أمّلني لنوائبه فقطعته دونها؟ ومن ذا الذي رجاني لعظيمة فقطعت رجاءه منّي؟ جعلت آمال عبادي عندي محفوظة فلم يرضوا بحفظي، وملأت

سماواتي ممن لا يملّ من تسبيحي وأمرتهم أن لا يغلقوا الأبواب بيني وبين عبيدي، فلم يثقوا بقولي، ألم يعلم من طرقته نائبة من نوائبي إنه لا يملك كشفها أحد غيري إلا من بعد إذني، فما لي أراه لاهياً عنّي، أعطيته بجودي ما لم يسألني ثم انتزعته عنه فلم يسألني ردّه وسأل غيري أفيراني أبدأ بالعطاء قبل المسألة ثم أُسأل فلا أُجيب سائلي؟ أبخيل أنا فيبخلني عبدي؟ أو ليس الكرم والجود لي؟ أو ليس العفو والرحمة بيدي؟ أو ليس أنا محلّ الآمال؟ فمن يقطعها دوني؟ أفلا يخشى المؤمّلون أن يؤمّلوا غيري؟ فلو أنّ أهل سماواتي وأهل أرضي جميعاً أمّلوا ثم أعطيت كلّ واحد منهم مثل ما أمّل الجميع ما انتقص ذلك من ملكي مثل عضو ذرّة، وكيف ينقص ملك أنا قيّمة؟ فيا بؤساً لمن عصاني ولم يراقبني)).

الدُّعاءُ ثم يتابع الداعي ذكر المحامد فيقول:

((الحمد لله الذي من خشيته ترعد السماء وسكّانها، وترجف الأرض وعمّارها، وتموج البحار ومن يسبّح في غمراتها، الحمد لله الذي يخلق ولم يُخلق، ويرزق ولا يُرزق، ويُطعِم ولا يُطعَم، ويُميت الأحياء ويُحيي الموتى وهو حيّ لا يموت، بيده الخير وهو على كلّ شيء قدير))

الشَرح ترعد، إمّا من الرعدة وهو الاضطراب يحصل من شدّة الفزع، وإمّا من الرعد وهو الصوت الذي يسمع من السحاب، وفي مجمع البيان: قيل: إنّ الرعد صوت ملك يزجر السحاب، وقيل: الرعد ملك موكّل بالسحاب يسبّح، روي ذلك عن ابن عبّاس ومجاهد وهو المرويّ عن أئمتنا (عليهم السلام)، وقيل: هو ريح تختنق تحت السحاب، رواه أبو الجد عن ابن عباس، وقيل: هو صوت اصطكاك أجرام السحاب، انتهى.

والرعد يسبّح الله سبحانه، لأن التسبيح والتقديس وما يجري مجراهما ليس إلا وجود لفظ يدلّ على حصول التنزيه للّه سبحانه وتعالى، ولمّا كان وجود هذا الصوت دليلاً على موجود متعال عن النقص والإمكان هو أوجد هذا الصوت كان ذلك في الحقيقة تسبيحاً للّه.

وفي مجمع البيان:

روي عن النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله) أنه قال:

((إنّ ربّكم سبحانه يقول: " لو أنّ عبادي أطاعوني لأسقيتهم المطر بالليل، وأطلعت عليهم الشمس بالنهار، ولم أسمعهم صوت الرعد "))

وكان (صلّى اللّه عليه وآله) إذا سمع صوت الرعد قال:

((سبحان من يُسبّح الرعد بحمده)).

وكان ابن عباس يقول: ((سبحان الذي سبّحت له)).

وروى سالم بن عبد اللّه عن أبيه:

((كان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) إذا سمع الرعد والصواعق قال: " اللهم لا تقتلنا بغضبك، ولا تهلكنا بعذابك، وعافنا قبل ذلك ")).

وقال ابن عباس:

من سمع صوت الرعد فقال: ((سبحان الذي يُسبّح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كلّ شيء قدير)) فان أصابته صاعقة فعليّ ديته)). إنتهى.

ورجفان الأرض، كناية عمّا يحدث فيها من الزلازل وغيرها، وكذا تموّج البحار وما فيها من كائنات، والغيضانات التي تحصل وغير ذلك من الآيات العجيبات، ولا يبعد أن يظهر ذلك جليّاً في القيامة بدون انقطاع

ويراه ويشعر به كلّ مخلوق ، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تشير إلى ذلك مثل قوله تعالى :

﴿ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض﴾ . (النمل/الآية ٨٧) ، وقوله :

﴿تكاد السماوات يتفطّرن من فوقهنّ﴾ (الشورى/الآية ٥) ، وقوله :

﴿يوم تمور السماء موراً وتسير الجبال سيراً﴾ (الطور/الآيتان ٩و١٠) .

والمور : الحركة السريعة والاضطراب الشديد ، أي تدور بما فيها وتموج موجاً ، وقيل : تكفأ أي تذهب وتجيء كما تمور النخلة العبدانيّة ، وقيل : تضطرب حيث تذهب الجاذبيّة ، وتحدث الفوضى ويعمّ الخراب ، وإذا مارت الأرض والسماء زالت الجبال من أماكنها ، وقوله :

﴿فاذا انشقّت السماء فكانت وردة كالدهان﴾ (الرحمٰن/الآية ٣٧)

أي انّ كواكب السماء تذوب يوم القيامة كما يذوب الدهن على النار ، ويصبح لون هذا السائل كحمرة الورد ، وقوله :

﴿فاذا نُفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الأرض والجبال فدُكّتا دكّة واحدة فيومئذٍ وقعت الواقعة وانشقّت السماء فهي يومئذٍ واهية﴾ (الحاقّة/الآيات ١٢ـ ١٦) ، أي أزيحت الأرض وسائر المكوّنات من أماكنها وتدكدكت وتفتّتت حتى صارت هباءً منبثّاً ، وتصدّعت السماء من هيبة الخالق العظيم ، وكذا قوله :

﴿وإذا السماء فُرجت وإذا الجبال نُسفت﴾ (المرسلات/الآية٩و١٠) .

﴿إذا الشمس كُوّرت ٠٠٠٠٠﴾ ، ﴿إذا السماء انفطرت ٠٠٠٠٠﴾ ،

﴿يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة﴾ (النازعات/الآية٦) .

وغيرها من الآيات الكريمة كثير .

وحيث ثبت أنّ الله (جلّ شأنه) هو المُولي لجميع النعم والمُعطي كلّ

الخيرات، فيحسن بالداعي أن يذكر أولي النعم وآخرها تمجيداً له سبحانـــه، وتعظيماً لنعمه وأياديه، وأولي النعم هي إيجاده الخلق وإبداعه الكائنات لا من شيء، وحيث انّ الخلق إنّما خُلقوا بمشيئة اللّه فلا مشيئة لمخلـــوق، وإذا سلبت المشيئة من المخلوق فقد سلب منه القدرة على التصرّف، فالإنسان لا يستطيع التصرّف حتى في نفسه إلا بمشيئة اللّه وإرادته، ولذا حتّم علينـــا أن نقول دائماً: ﴿إيّاك نعبد وإيّاك نستعين﴾، أي إننا مذعنون لك بالعبوديّة لأنّك أنت المتفضّل علينا بالايجاد، ولعجزنا عن القيام بما هو المطلوب منّا أمام عظمتك فاننا نطلب منك العون والتقوية عليه.

وفي نهج البلاغة:

((الحمد للّه الأول قبل كلّ أول، والآخر بعد كلّ آخر، وبأوليّته وجب أن لا أول له، وبآخريّته وجب أن لا آخر له)).

وفيه أيضاً:

((الحمد للّه الدالّ على وجوده بخلقه، وبحدث خلقه على أزليّـــته، وباشتباههم على أن لا شبيه له، لا تستلمه المشاعر، ولا تحجبـــه السواتـــر، لافتراق الصانع والمصنوع، والحادّ والمحـــدود، والربّ والمربوب، الأحد بلا تأويل عدد، والخالق لا بمعنى حركـــة ونصب، والسميع لا بأداة، والبصير لا بتفريق آلة، والشاهد لا بمماسّة، والبائن لا يتراخى مسافة، والظاهر لا برؤية، والباطن لا بلطافة، بان من الأشياء بالقهر لها، والقدرة عليها، وبانت الأشياء منه بالخضوع له، والرجوع إليه، من وصفه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومـــن عدّه فقد أبطل أزله، ومن قال: كيف فقد وصفه، و: من أين فقد حيّزه عالم إذ لا معلوم، وربّ إذ لا مربوب، وقادر إذ لا مقدور)).

وثانية النعم : الرزق ؛ فكما خلق الخلائق فقد خلق لهم أرزاقهم وتكفّل لهم بها ، قال تعالى :

﴿ وما من دابّة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾ (هود/ الآية ١٦) ، ويقول: ﴿ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ (الرعد / الآية ٢٦) .

فهو الخالق الرازق ، يرزق المؤمن والكافر لا على مقابلة أعمالهم ، ولا بحسب إيمانهم أو كفرهم ؛ يرزقهم لأنه خلقهم ، فلا يدلّ بسط الرزق على الكفّار أنّ لهم مكاناً مرموقاً عند الله ، أو منزلة رفيعة ، قال تعالى :

﴿ أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأُوتينّ مالاً وولداً أطّلع الغيب أم اتّخذ عند الرحمٰن عهداً كلاّ سنكتب ما يقول ونمدُّ له من العذاب مدّاً ونرثه ما يقول ويأتينا فردا ﴾ (مريم/ الآيات ٧٧ ـ ٨٠) .

يقول : من أين جاءه هذا العلم ؟ هل عنده مفاتح الغيب أم أخذ من الله ميثاقاً بذلك ؟ وهذا كلّه عنه ممنوع ، ليس الأمر كما يدّعيه ، فانه لم يكن يعلم الغيب، ولا أخذ ميثاقاً وعهداً على صحّة دعواه من الله ، ولكن سنؤتيه المال والبنين لأنّ حكمتنا تقتضي ذلك ، ولا ينفعه ماله ولا بنوه ، أمّا المال فانه سيتركه لمن بعده ميراثاً ، وأمّا الولد فلا يدفع عنه عادية الموت ولا يخلّصه من عقاب الآخرة ويرد الآخرة وحيداً فريداً بلا مال ولا ولد ، ولا عدّة ولا عدد، وحينئذٍ يقول :

﴿ ما أغنى عنّي ماليه هلك عنّي سلطانيه ﴾ (الحاقّة/ الآيتان ٢٨و٢٩) .

فلا مُجير ولا ناصر :

﴿ ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا ﴾ (الكهف / الآية)

وقال تعالى :

﴿ وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون ما أُريد منهم من رزق وما أُريد منهم أن يُطعمون إنّ الله هو الرزّاق ذو القوّة المتين ﴾ .

(الذاريات/ الآيات ٥٦ــ ٥٨) .

أراد بالجنّ : العالم الخفيّ ، وبالإنس : العالم المحسوس ، لأنه خالق الكلّ ومتكفّل برزق الكلّ ، خلقهم لعبادته لا أنه يستجرّ نفعاً بعبادتهم له ، كما في الزبور سورة (١٤٤) :

((يا بن آدم ما خلقتكم لأستكثر بكم من قلّة ، ولا لأستأنس بكم من وحشة ولا لأستعين بكم على أمر عجزت عنه ، ولا لجلب منفعة إليّ ، ولا لدفع مضرّة عنّي ، بل خلقتكم لتعبدوني طويلاً ، وتشكروني جزيلاً ، وتسبّحوني بكرة وأصيلاً ، ولو أنّ أولكم وآخركم ، وحيكم وميّتكم ، وصغيركم وكبيركم ، وإنسكم وجنّكم ، إذا عبدتموني واجتمعتم على طاعتي ما يزيد ذلك في ملكي مثقال ذرّة ، ولو أنّ أولكم وآخركم ، وحيكم وميّتكم ، وصغيركم وكبيركم ، وإنسكم وجنكم ، وحرّكم وعبدكم اجتمعتم على معصيتي ما ينقص ذلك في ملكي مثقال ذرّة ، ومن جاهد فانّما يُجاهد لنفسه ، ومن كفر فانّ الله غنيّ عن العالمين ، يا بن آدم كما تدين تُدان ، وكما تفعل تُجزى)) .

وإنّما يحبّ أن يكونوا دائماً شاعرين في ذلّة العبوديّة أمام عظمة الأُلوهيّة كأنّهم في محراب العبادة ، وكما أنّ العبد إذا كان في حالة الصلاة وجب عليه الإقبال بكلّه على الله ، ولا يجوز له الإلتفات يمنة ولا يسرة ، فكذلك ينبغي أن يراقب الله في كلّ حالاته ، مستحيياً منه حقّ الحياء ، ويعلم باطّلاع الله عليه في جميع الأحوال ، ولا يغيب عنه شيء من حالاته كلّها سرّاً وعلناً ، وأنه الغنيّ المطلق فلا يحتاج إلى شيء بل جميع الأشياء من إفاضاته وإبداعاته ، ألا ترى أنه سلب عن نفسه المنفعة في هذه الآية حيث يقول :

﴿ما أُريد منهم من رزق وما أُريد أن يُطعمون﴾

وما ذلك إلا لتعاليه عن شبه المخلوقات واحتياج الممكنات، ولقد

أسند إلى نفسه خاصّة إفاضة الخيرات والقوى على جميع خلقه فقال: ﴿إنّ الله هو الرزّاق﴾ المفيض الرزق وأنواع الطعام وغيره مما لا غناء للبشر عنه، وانّه ﴿ذو القوّة﴾ أي محيطها ومفيضها على جميع مخلوقاته، وانّه ﴿المتين﴾ المتمكّن من ذلك كلّه يستحيل عليه العجز والضعف لأنه مصدر كلّ قوّة ومُفيض كلّ نعمة.

وقيل: إنّ مجوسيّاً استضاف إبراهيم الخليل (عليه السلام)، فقال: إن أسلمتَ أضفتك، فمرّ المجوسي فأوحى الله تعالى إلى إبراهيم: ((يا إبراهيم لم تطعمه إلا بتغيير دينه؟ ونحن منذ سبعين سنة نُطعمه على كفره، فلو أضفته ليلة ماذا كان عليك))؟ فمرّ إبراهيم يسعى خلف المجوسي فردّه وأضافه فقال المجوسي: ما السبب فيما بدا لك؟ فذكر له، فقال المجوسي: أهكذا يعاملني؟ ثم قال: أعرض عليّ الإسلام، فأسلم.

وفي نهج البلاغة:

((يا بن آدم الرزق رزقان: رزق تطلبه، ورزق يطلبك، فان لم تأته أتاك، فلا تحمل همّ سنتك على همّ يومك، كفاك كلّ يوم بما فيه، فان تكن السنة من عمرك فانّ الله سيؤتيك في كلّ غد جديد بما قسم لك وإن لم تكن السنة من عمرك فما تصنع بالهمّ فيما ليس لك؟ ولن يسبقك إلى رزقك طالب، ولن يغلبك عليه غالب، ولن يُبطئ عنك ما قد قدر لك)).

((ويُميت الأحياء ويُحيي الموتى)):

أمّا أنّه يُميت الأحياء، فانه يفنيهم بعد تمام وجودهم، فالكائنات قبل وجودها لم تكن ثم أحدثها الله، وكلّ ما هو حادث فله بداية، ولا بدّ لكلّ بداية من نهاية، وبما أنّ الانسان من طبعه حبّ الاستيلاء على الغير

والاستعلاء عليه فلابدّ له من شيء يقهره ويحدّ من نزواته، ولا قاهر كالموت، ولذا كان النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله) يقول:

((أكثروا من ذكر هادم اللذّات)) أي: أكثروا ذكر الموت.

وفي الخصال (ص ٤٤١) في جواب أسئلة الشامي قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

((وأمّا عشرة أشياء بعضها أشدّ من بعض، فأشدّ شيء خلقه اللّه: الحجر، وأشدّ من الحجر: الحديد الذي يُقطع به الحجر، وأشدّ من الحديد: النار، تُذيب الحديد، وأشدّ من النار: الماء يُطفئ النار، وأشدّ من الماء: السحاب يحمل الماء، وأشدّ من السحاب: الريح تحمل السحاب، وأشدّ من الريح الملك الذي يرسلها، وأشدّ من الملك: ملك الموت الذي يُميت الملك، وأشدّ من ملك الموت: الموت الذي يُميت ملك الموت، وأشدّ من الموت: أمر اللّه ربّ العالمين الذي يُميت الموت)).

وعن النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله):

((ما خلق اللّه (عزّ وجل) خلقاً إلا وقد أمّر عليه آخر يغلبه به، وذلك انّ اللّه تبارك وتعالى لمّا خلق البحار فخرت وزخرت وقالت: أيّ شيء يغلبني؟ فخلق اللّه (عزّ وجل) الفلك فأدارها به وذللها، ثم انّ الأرض فخرت وقالت: أيّ شيء يغلبني؟ فخلق اللّه الجبال فأثبتها في ظهرها أوتاداً منعها أن تميد بما عليها فذلّت الأرض واستقرّت ثم انّ الجبال فخرت على الأرض فشمخت واستطالت وقالت: أيّ شيء يغلبني؟ فخلق اللّه الحديد فقطعها فقرّت الجبال وذلّت، ثم انّ الحديد فخر على الجبال وقال: أيّ شيء يغلبني؟ فخلق اللّه النار

فأذابت الحديد فذلّ الحديد ، ثم انّ النار زفرت وشهقت وفخرت ، وقالت: أيّ شيء يغلبني ؟ فخلق اللّه الماء فأطفأها فذلّت، ثم انّ الماء فخر وزخر وقال: أيّ شيء يغلبني ؟ فخلق اللّه الريح فحرّكت أمواجه ، وأثارت ما في قعره وحبسته عن مجاريه ، فذلّ الماء ، ثم انّ الريح فخرت وعصفت وأرخت أذيالها وقالت: أيّ شيء يغلبني؟ فخلق اللّه الانسان فاحتال واتّخذ ما يستتر به من الريح وغيرها فذلّت الريح ، ثم انّ الانسان طغى وقال: من أشدّ منّي قوّة ؟ فخلق له الموت فقهره فذلّ الانسان ، ثم انّ الموت فخر في نفسه ، فقال اللّه (جلّ جلاله) : لا تفخر فانّي ذابحك بين الفريقين أهل الجنّة وأهل النار ، ثم أحييك أبدا فذلّ وخاف)) .

ولو كان الناس مخلّدين في الدنيا مع ما يعرض لهم من أحوال كالهرم والعجز وضعف البنية والزمانة والخوف وغيرهما مما يصيب الانسان ، لشقّ ذلك على أولادهم ولم يستطيعوا القيام بشؤونهم وخدمتهم ، ولشغلهم ذلك عن السعي في أمور معاشهم ومقوّمات حياتهم ، كما في الكافي (ج ٣/ص ٢٦٠) :

((إنّ قوماً فيما مضى قالوا لنبيّ لهم: أُدع لنا ربّك يرفع عنّا الموت، فدعا لهم فرفع اللّه عنهم الموت، فكثروا حتى ضاقت عليهم المنازل وكثر النسل ، ويصبح الرجل يطعم أباه وأُمّه وجدّ جدّه ويوضيهم ويتعاهدهم ، فشغلوا عن طلب المعاش ، فقالوا : سل لنا ربّك أن يردّنا إلى حالنا التي كنّا عليها ، فسأل نبيّهم ربّه فردّهم إلى حالهم))

وفي كنز الفوائد للكراجكي :

إنّ معاوية بن أبي سفيان قال : إنّي أُحبّ أن أرى رجلاً أتت عليه سنّ وقد رأى الناس يخبرنا عمّا رأى ، فقيل له : هذا رجل بحضرموت ، فأرسل إليه

فأتاه، فقال : ما اسمك ؟ قال : امد ، قال : إبن من ؟ قال : إبن لبد ، قال : ما أتى عليك من السنين ؟ قال : ستّون وثلاثمائة سنة ، قال : كذبت، ثم تغافل عنه معاوية ثم أقبل عليه بعد ذلك فقال : ما اسمك ؟ قال : امد ، قال : إبن من ؟ قال : إبن لبد ، قال : ما أتى عليك من السنين ؟ قال : ستّون ومائة سنة ، قال : أخبرنا عمّا رأيت من الأزمان الماضية إلى زماننا هذا؟ قال : يا أمير المؤمنين وكيف تسأل من يكذب ؟ قال : ما كذّبتك ولكن أحببت أن أعلم كيف عقلك ، قال : يوم شبيه يوم ، وليلة شبيهة بليلة ، يموت ميّت ويولد مولود ، ولولا كثرة من يموت لم تسعهم الأرض ، ولولا من يولد لم يبق أحد على وجه الأرض ، قال : فأخبرني هل رأيت هاشماً؟ قال : نعم ، رأيت رجلاً طوالاً حسن الوجه يقال : انّ بين عينيه بركة ، أو غرّة بركة ، قال : فهل رأيت أُميّة؟ قال : نعم ، رأيت رجلاً قصيراً يقال : انّ في وجهه شرّاً أو شؤماً ، قال: فهل رأيت محمداً؟ قال : من محمد ؟ قال : رسول الله ، قال : ويحك ، أفلا فخمّته كما فخّمه الله ؟ فقلت: رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ؟قال : فأخبرني ما كانت صناعتك ؟ قال : كنت تاجراً ، قال : فما بلغت في تجارتك ؟ قال : كنت لا أستر عيباً ولا أرد ربحاً ، قال معاوية : سلني ؟ قال : أسألك أن تدخلني الجنّة ؟ قال : ليس ذلك بيدي ولا أقدر عليه ، قال : فأسألك أن تردّ عليّ شبابي ، قال : ليس ذلك بيدي ولا أقدر عليه ، قال : فلا أرى عندك شيئاً من أمر الدنيا ولا من أمر الآخرة ، فردّني من حيث جئت بي ، قال : أمّا هذا فنعم ، ثم أقبل معاوية على جلسائه فقال : لقد أصبح هذا زاهداً فيما أنتم فيه راغبون .

واعلم أنّ خوف الموت يزهّد في الدنيا ويرغّب في الآخرة ، ولولا الموت قلّ الديّانون ولم يطع الله أحد ، فانّ من جعل الموت نصب عينيه أعرض عن

الدنيا وهانت عليه المصائب، ورغب في فعل الخير وانصرف إلى التوبة، ولا بدّ من أن يقيّده خوف الموت عن الفتك ويقطعه عن بسط الأمل في الدنيا

وقد سُئل النبيّ (صلّى الله عليه وآله) :
أيّ المؤمنين أكيس؟ فقال : أكثرهم ذِكْراً للموت وأشدّهم له استعداداً

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) :
((من علم أنّ الموت مصدره ، والقبر مورده ، وبين يدي الله موقفه ، وجوارحه شهيدة له ، طالت حسرته ، وكثرت عبرته ، ودامت فكرته)) .

ورأيت في بعض النقول :
انّ أُسامة بن زيد اشترى من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار إلى شهر فبلغ النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ذلك فقال :
((ألا تعجبون من أُسامة المشتري إلى شهر ، إنّ أُسامة لطويل الأمل ، والذي نفسي بيده ما طرقت عيناي إلا ظننت أن شفريّ لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ، ولا رفعت طرفي فظننت أنّي واضعه حتى أُقبض ، ولا لقمتُ لقمة إلا وظننت أنّي لا أسيغها حتى أغصّ بها من الموت، ثم قال : يا بني آدم إن كنتم تعقلون عدّوا أنفسكم من الموتى ، والذي نفسي بيده إنّ ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين)) .

والذي يُميت الأحياء فهو الذي يُحيي الموتى ، أي أنه يعيدهم خلقاً جديداً كما كانوا في الدنيا ، لأنه خلقهم للبقاء لا للفناء ، يُحييهم ليجازيهم على أعمالهم إن خيراً فخيراً ، وإن شرّاً فشرّاً :

﴿ فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره﴾ (الزلزال/ الآيتان ٧و٨) .

وقال تعالى أيضاً :

﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنّا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلّقة وغير مخلّقة لنبيّن لكم ونُقرّ في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمّى ثم نُخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشُدّكم ومنكم من يُتوفّى ومنكم من يُردّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت وربت وأنبتت من كلّ زوجٍ بهيج﴾ (الحج / الآية ٥) .

وفي هذه الآية دليلان على الاحياء :

(الأول) : قوله :﴿خلقناكم﴾ أي خلقنا أصلكم وهو آدم (عليه السلام) ﴿من تراب﴾ ، فمن قدر أن يصيّر التراب بشراً سويّاً عاقلاً حيّاً في الابتداء لا يعجز عن إعادة الحياة بعد الموت. ومن قدر على إخراج مادّة الحياة من التراب الموات وقدّر سريانها في النبات والغذاء ثم حوّله دماً جارياً في العروق والأعضاء ، ثم أفرز منه النطفة ماءً دافقاً في الأصلاب، ثم صيّرها علقة ـ قطعة من الدم الجامد ـ في الرحم، ثم حوّلها مضغة ـ جسماً هلاميّاً شبيهاً باللحم ـ لا تخطيط فيها ولا تصوير، ثم أحدث فيها الصورة وخطوط الأعضاء ثم أخرجه بعد ذلك إنساناً كاملاً إظهار العظيم قدرته وشدّة عنايته بالإنسان في هذه الأطوار من أنواع التصاريف. وهكذا إلى نهاية عمر الانسان، هل يعجز عن إعادة الانسان ثانياً إلى الحياة .

(والثاني) : قوله :﴿وترى الأرض هامدة﴾ أي يابسة جرداء لا أثر فيها للنبات. ﴿فاذا أنزلنا عليها الماء﴾ يعني : المطر ﴿إهتزّت﴾ أي تحركت بالنبات في كلّ جهة وصوب. ﴿وربت﴾ إنتفخت لظهور النبات ﴿وأنبتت من كلّ زوج﴾ : من كلّ صنف ذكر وأُنثى ، حيواناً كان أم نباتاً أم جماداً . ﴿بهيج﴾

: مونق للعين ، مبهج للناظرين ، حسن الصورة واللون ، فهل يعجز من لـــه هذه التصرّفات العظيمة العجيبة في جميع الموجودات عن إعادة الحياة بعد الموت، أو ليس إلا قادر على الإنشاء أولاً قادر على الاعادة ثانياً؟ نعم، إنّ من يقدر على إيجاد المعدومات يقدر على إفناء الموجودات واعادتها ٠

وقال تعالى :

((أو ليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلـهم بلى وهو الخلاّق العليم﴾ (يـٰس/ الآية ٨١) ٠

أي : من خلق السماوات والأرض واخترعهما مع عظمهما وكثرة أجزائهما لا يعجز عن إعادة من بلى ، مع العلم انّ الإعادة ثانياً أهون من الخلق أولاً، لأنّ الإعادة إنّما هي جمع أجزاء تفرّقت، فالمادة موجودة ، وأمّا الخلـــق أولاً فهو اختراع الحكيم القدير يجري هذه الأمور من غير تقدير لأحد ، ولا يـــدور في خلد مخلوق ، إنّ هذه الذرّة الترابيّة ستتحوّل إنساناً عاقلاً مدركاً ، وخلق الناس وإن كان عظيماً بما فيه من الحياة والحواس المهيّـأة لأنواع مختلفة من الإدراكات، فانّ خلق السماوات والأرض ما فيهما من مكوّنات وجريان الفلــك والكواكب من غير سبب أعظم وأهول في النفس من خلق الناس ، كما قـــال تعالى :﴿لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكنّ أكثر النـــاس لا يعلمون﴾ ، فكيف يقرّون بخلق السماوات والأرض وينكرون خلق الإنسان ثانيـــاً وإعادته بعد الموت، فلينظر العاقل وليتأمّل ويعمل الفكر والتدبّر ، هل يعجـز هذا الخالق العظيم عن إعادة الأجسام بعد الموت ويجمع أجزائهـــــا ومتفرّقاتها وهو العالم بها ومحصي عدد ذرّاتها ٠

هذا الإنسان العاجز يذيب الإناء من النحاس أو الحديد ثم يصنعـه من جديد ، وإنّ الذي هداه إلى ذلك وأعطاه قوّة التمييز وملكه التفكير أعظـم

وأعظم من أن يشبهه شيء من المخلوقين ، ولم يهتد الانسان إلى هذه الأمور إلا بتوفيق الله سبحانه وهدايته ، كما قال :

﴿ علّم الإنسان ما لم يعلم﴾ (العلق/ الآية ٥) ، وقال :

﴿خلق الإنسان علّمه البيان﴾ (الرحمن/ الآيه ٣و٤) .

وأمّا كيفيّة الإحياء :

فمما يُشير إليه قوله تعالى :

﴿ وإذ قال إبراهيم ربّ أرني كيف تُحيي الموتى قال : أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئنّ قلبي قال فخذ أربعةً من الطير فصرهنّ إليك ثم اجعل على كلّ جبل منهنّ جزءاً ثم ادعهنّ يأتينك سعياً واعلم أنّ الله عزيز حكيم﴾ (البقرة/ الآية ٢٦٠) .

قال في مجمع البيان :

اختلف في سبب سؤال إبراهيم هذا على وجوه :

(أحدها) : ما قاله الحسن والضحّاك وقتادة ، وهو المرويّ عن أبي عبد الله (عليه السلام) :

((أنه رأى جيفة تمزقها السباع فيأكل منها سباع البرّ وسباع الهواء ودوابّ البحر ، فسأل الله إبراهيم فقال : يا ربّ قد علمت أنّك تجمعها من بطون السباع والطير ودوابّ البحر ، فأرني كيف تحييها لأُعاين ذلك)) .

(وثانيها) : ما روي أنّ الملك بشّر إبراهيم أنّ الله اتّخذه خليلاً ، وأنّه يُجيب دعوته ويُحيي الموتى بدعائه ، فسأل الله أن يفعل ذلك ليطمئنّ قلبه بأنه قد أجاب دعوته واتّخذه خليلاً .

(وثالثها) : إنّ سبب السؤال منازعة نمرود إيّاه في الإحياء ، إذ قال : أنا أُحيي وأُميت، وأطلق محبوساً وقتل إنساناً ، فقال إبراهيم : ليس هذا باحياء ، وقال : يا ربّ أرني كيف تُحيي الموتى ليعلم نمرود ذلك.

وروي أنّ نمرود توعّده بالقتل إن لم يحيي اللّه الميّت بحيث يشاهده ، فلذلك قال : ((ليطمئنّ قلبي)) أي بأن لا يقتلني الجبّار ، (عن محمد بن إسحاق بن يسار) .

(ورابعها) : إنه أحبّ أن يعلم علم عيان بعد أن كان عالماً به من جهة الإستدلال والبرهان ، لتزول الخواطر ووساوس الشيطان ، وهذا أقوى الوجوه ، إنتهى .

واعلم أنّ الأغلب من المتفلسفين أنكر حشر الأجساد بحجّة أنّ المعدوم لا يعاد ، وقالوا : باستحالته ، وذلك لأمور :

منها : انّه تنعدم هويّته كليّاً ، فلا يتميّز عن غيره ، فلا يمكن الاشارة إليه فلا يمكن عوده .

ومنها : انّ الشيء بعد عدمه نفي صرف وعدم محض ، واعادته إنّما يصدق عليها معنى الاعادة إذا كان الجسم المعاد هو الجسم المبتدأ بعينه في الحقيقة ، فيلزم تخلل العدم بين الشيء ونفسه ، وتخلل النفي بين الشيء الواحد ونفسه غير معقول ، لأنّ فرض الموجود في الزمان الثالث نفس ذلك الموجود في الزمان الأول حتى يصدق الاعادة بلزم كونهما شيئاً واحداً ، وتخلل العدم يخرجه عن الوحدة ويصيّره إثنين ، وكلّ إثنين يكون كلّ واحد منهما غير الآخر فلا يكون هو ذاك بعينه ، فلم تتحقق الاعادة ، بل وجد في الزمان الثالث شيء غير ما كان موجوداً في الزمان الأول ، والحاصل : انّ الاعادة تستلزم أن يكون الواحد من حيث هو واحد إثنين ، وهو مستحيل فهي

مستحيلة.

ونحن نقول لهم:

نحن معكم ـ المعدوم لا يُعاد ـ ولكن أنتم تقصدون العدم الكلّي، بمعنى أنّ الجسم كلّه يعود تراباً بحتاً، وهذا لا يمكن تميّزه عن غيره، نحن يبول في البحر، حيث لا يمكن إخراج البول بعينه من البحر بعد أن أستهلك في مائة إذ لا يمكن تمييز المستهلك من غيره، وهذا إنّما يصحّ بالنسبة إلى مقدوراتنا ومدركاتنا، أمّا اللّه سبحانه فليس يعجزه شيء وهو القادر على ما يُريد.

ونحن نقصد بالعدم: تفكك بنية الجسد عمّا كان عليه أولاً، فالبدن يتمزّق وتتفرّق أجزاؤه، وهو وإن تناهى في البلى حتى يكون هباء فانّ اللّه عالم بتلك ومحيط بمعرفتها ومكانها مهما صغرت حتى لا يدركها البصر، وهو قادر على جمع متفرّقها ولمّ متبددها وإن بعدت المسافات بين تلك الأجزاء لأنه العالم بكلّ معلوم والقادر على كلّ مقدور، ألا ترى حين أخذ الكافر عظماً رميماً وفتّة على كفّه وقال: يا محمد أبعد أن أكون هكذا رميماً أعود كما أنا عليه الآن؟ فقال تعالى حاكياً قوله ومجيباً عليه:

﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يُحيي العظام وهي رميم قل يُحيها الذي أنشأها أول مرّة وهو بكلّ خلق عليم﴾
(يس/الآيتان ٧٨و٧٩).

قال: وهو بكلّ خلق عليم، ولم يقل: إنه على كلّ شيء قدير مع إنه على كلّ شيء قدير، وهي إشارة إلى أنه لا يغيب عنه من تلك الذرّات ولا من غيرها شيء، ولذلك قال الخليل (عليه السلام): ﴿ربّ أرني كيف تُحيي الموتى﴾ أي: بصّرني كيفيّة إحيائك الموتى بأن تحييها وأنا أنظر إليها، وإنما

سأل ذلك ليكون علمه بالمشاهدة، وكان الله قد شرّفه بعلم اليقين، بل بحقّ اليقين الذي هو أعلى المقامات، وذلك عندما أراه ملكوت السماوات والأرض حيث يقول:

﴿وكذلك نُري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين﴾ (الأنعام/ الآية ٧٥).

ويجيبه الله سبحانه بقوله: ﴿أولم تُؤمن﴾؟ ألستَ معتقداً بأنّ الله قادر على الإحياء بإعادة التركيب والحياة، قال له ذلك وقد علم أنه أثبت الناس في الإيمان وأعرفهم به وأرسخهم فيه، ليجيب بما علم الله أنه يجيب فيعلم السامعون غرضه، ﴿قال بلى ولكن ليطمئنّ قلبي﴾ أنا مؤمن بقدرتك ومعتقد أنه لا يعجزك شيء، ولكنّ السؤال كي أزداد بصيرة، وليسكن قلبي بمضامة العيان إلى الوحي والبيان، أو لتقوى حجّتي على المنكرين لا يقولوا: هذا منك ظنّ وتخمين، فاذا انضمّ إلى الخبر العيان ضعفت حجّة المنكر وتلاشت شبهة الجاحد، ﴿قال: فخذ أربعة من الطير﴾ قيل: إنّها الطاووس والديك والحمام، والغراب، وقيل: النسر والبطّ بدل الغراب والحمام، ﴿فصرهنّ إليك﴾ أي املهنّ، من الصور بفتح فسكون ومعناه: الميل، وقيل: قطعهنّ صورة صورة، وقال بعضهم: ﴿صرهنّ﴾ أي صح بهنّ، قلتُ: ولا يبد أن يكون ﴿صرهنّ﴾ من الصيرورة بمعنى التحويل، أي صيّرهنّ وحوّلهنّ إليك، واضممهنّ إليك لتتأمّلها وتعرفها جيّداً لئلا يلتبس عليك شيء من أمرها بعد الإحياء، ولتعلم بأنّ جزءاً من أجزائها لم يلتزق إلا بموضعه الأول أصلاً، (ثم) قطّعهنّ واخلطهنّ وجزّئهنّ وفرّقهنّ على الجبال ﴿إجعل على كلّ جبل منهنّ جزءاً﴾ وكانت الجبال عشرة، وقيل: سبعة، وقيل: أربعة، ﴿ثم ادعهنّ يأتينك سعياً﴾ سراعاً ﴿واعلم أنّ الله عزيز﴾ غالب على أمره لا يعجز عمّا يريد، ﴿حكيم﴾ ذو حكمة بالغة وصنع متقن وتدبير محكم في كلّ ما يصدر عنه.

وفي العيّاشي (ص ١٤٤) عن الامام الصادق (عليه السلام) :

((انه أخذ الهدهد والصرد والطاووس والغراب فذبحهنّ وعزل رؤوسهنّ، ثم نحز أبدانهنّ بالمنحاز بريشهنّ ولحومهنّ وعظامهنّ حتى اختلطت، ثم جزّأهنّ عشرة أجزاء على عشرة جبال، ثم وضع عنده حبّاً وماءً، ثم جعل مناقيرهنّ بين أصابعه ثم قال: ائتيني سعياً باذن الله، فتطايرت بعضهنّ إلى اللحوم والريش والعظام حتى استوت بالأبدان كما كانت، وجاء كلّ بدن حتى التزق برقبته التي فيها المنقار، فخلّى إبراهيم عن مناقيرها، فوقعن وشربن من ذلك الماء والتقطن من ذلك الحبّ، ثم قلن: يا نبيّ الله أحييتنا أحياك الله. فقال: بل الله يُحيي ويُميت)).

فهذا تفسير الظاهر، وأمّا تفسيره في باطن القرآن قال:

خذ أربعة من الطير من يحتمل الكلام فاستودعهم علمك، ثم ابعثهم في أطراف الأرض حججاً لك على الناس، وإذا أردت أن يأتوك دعوت بالاسم الأكبر يأتوك سعياً باذن الله تعالى.

والنحز: الدقّ، والمنحاز الهاون الذي يدقّ به، وفي رواية إبدال الغراب بالوزّة والحمامة بالنعامة.

وفي هذه القصّة إشارة إلى أنّ إحياء النفس بالحياة الأبديّة إنّما يتأتّى باماتة القوى البدنيّة الباعثة على حبّ الشهوات والحرص والزخارف وطول الأمل، فيكون الاشارة بالطاووس إلى ما في الانسان من حبّ الزينة والجاه والترفّع، وبالنسر إشارة إلى ما في الانسان من الشغف بالأكل، وبالديك إلى ما في الانسان من شهوة الفرج، وبالغراب إلى ما في الانسان من الحرص على الجمع والطلب، ومزج بعضها ببعض حتى تنكسر سؤرتها

بداعية العقل والشرع ، وأيضاً فانّ في النعامة جبن ونفور، وبالحمامة والهدهد والبطّ حرص وأمل وخوف، وإنّما خصّ الطير لأنه أقرب إلى الانسان وأجمع لصفات الحيوان، فاذا لم يذبح نفسه بالمجاهدة لم يُحيي قلبه بالمشاهدة.

واعلم أنّ الموت أنواع بحسب أنواع الحياة :

فالأول : ما هو بأزاء القوّة النامية الموجودة في الإنسان والحيوان والنبات، نحو:﴿ يُحيي الأرض بعد موتها﴾ (الروم/الآية ٥٠) .

والثاني : زوال القوّة الحاسّة، نحو:﴿يا ليتني متّ قبل هذا﴾(مريم/الآية٢٣) .

والثالث: زوال القوّة العاقلة، نحو:﴿أو من كان ميتاً فأحييناه﴾(الأنعام/الآية١٢٢) .

والمقصود بها : الجهالة، أي كان جاهلاً فأحييناه بنور العلم.

والرابع : الحزن والخوف المكدّر للحياة، نحو:﴿ويأتيه الموت من كلّ مكان وما هو بميّت﴾ (إبراهيم/الآية١٧) .

والخامس: المنام، فقد قيل : النوم موت خفيف، والموت نوم ثقيل ، وعلى هذا النحو سمّاها اللّه توفّياً ، قال :﴿وهو الذي يتوفّاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنها﴾ (الأنعام/الآية ٦٠) ، وقال :﴿اللّه يتوفّى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾ (الزمر/الآية ٤٢) ، وفي دعاء الأنبياء :

((الحمد للّه الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور)) .

سمّي النوم موتاً لأنه يزول معه العقل والحركة تمثيلاً أو تشبيها لا تحقيقاً .

وقيل : الموت في كلام العرب: يطلق على السكون، يقال : ماتت الريح أي سكنت، وقد يُستعار الموت للأحوال الشاقّة كالفقر والذلّ والهدم

والسؤال وغير ذلك.

وفي التنزيل العزيز:

﴿ هو الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور﴾ (الملك/ الآية ٢).

الحياة: هي كون الإنسان بحيث يشعر ويريد، والموت عدم ذلك.

وقال قوم: الموت صفة وجوديّة مضادّة للحياة.

وعلى كلّ حال: الموت انتقال من نشأة من نشآت الحياة إلى نشأة أُخرى، كما يستفاد من قوله تعالى:

﴿نحن قدّرنا بينكم الموت والحياة ونحن بمسبوقين على أن نُبدّل أمثالكم وننشأكم فيما لا تعلمون﴾ (الواقعة ٦٠ و ٦١).

فلا مانع من تعلّق الخلق بالموت كالحياة.

وبما أنّ مقدّر الحياة هو مقدّر الموت قال: ﴿نحن قدّرنا بينكم الموت﴾.

والتقدير: ترتيب الأمر على مقدار، أي نحن أجرينا الموت بين العباد على مقدار تقتضيه الحكمة، فاختلفت أعماركم من قصير وطويل، وقد يراد به التسوية، أي: سوّينا فيه بين الطائع والعاصي وبين أهل السماء وأهل الأرض، وقد يراد به الخطر، أي: جعلناه ذا خطر فانه ما من مخلوق إلا ويخاف من الموت. ﴿وما نحن بمسبوقين﴾ أي: لا يسبقنا منكم أحد على ما قدّرناه من الموت حتى يزيد في مقدار حياته، أو أنه يرد: ما نحن بمغلوبين؛ أي: لا يستطيع أحد أن يردّ أمرنا وما قدّرناه وقضيناه، ومن عظيم القدرة وجليل النعمة أن أنشأناكم أولاً لعمارة الأرض وجعلناكم خلفاء فيها، ثم نأتي بغيركم وهم أولادكم وأشباهكم ليكون لهم نصيب من عمارة الأرض والخلافة فيها وكما نأتي بالبديل عنكم فاننا سنغيّر خلقكم الأول وننشأكم نشأة ثانية لا تعلمونها ولا تدرون ما هي، وهل تشبه هذه النشأة أم هي شيء مغاير تمام المغايرة.

وتلك النشأة هي النشأة الأخرى، ووجودها مغاير لهذا الوجود الدنيوي لأنّ هذا فاني وذاك وجود باقي وشتّان مابين الوجودين، فلا يظنّ ظانّ أنّ تقديرنا عليكم الموت ناشيء عن نقص في قدرتنا بأن لا يتيسّر لنا إدامة حياتكم، أم انّ أسباب الإبادة تقهرنا وتعجزنا فلا نستطيع حفظ حياتكم كلاّ، ثم كلاّ ليس الأمر كذلك، وإنما قدّرناه بينكم على أساس تبديل الأمثال، وإذهاب قوم وإتيان بآخرين، وإنشاء خلق لكم يناسب الحياة الآخرة وراء الخلق الدنيوي الداثر، فالموت انتقال من دار إلى دار، وتبدّل خلق إلى خلق آخر، وليس بانعدام ولا فناء، على أنه لو أخذ عدمياً كما هو المعروف فهو عدم ملكة الحياة في الدنيا، وله حظّ من الوجود مع تعلّق الخلق به، كالعمى من البصر والظلمة من النور.

وفي مجمع البيان:

خلق الموت للتعبّد بالصبر عليه، والحياة للتعبّد بالشكر عليها.

وقيل: خلق الموت للاعتبار، والحياة للتزوّد.

وقيل: إنّما قدّم ذكر الموت لأنه إلى القهر أقرب، كما قدّم البنات على البنين في قوله:

يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور (الشورى/الآية ٤٩)

وقيل: إنّما قدّمه لأنه أقدم، فانّ الأشياء في الابتداء كانت في حكم الأموات، كالنطفة والتراب، ثم اعترضت الحياة، إنتهى.

ونقول: بما أنّ الله تعالى خلق الخلق للآخرة لا للدنيا لم يعتبر الحياة الدنيا حياة بكلّ ما للحياة من معنى لأنها زائلة، والزائل الفاني لا قيمة له في جانب الدائم الباقي، فلذلك قدّم الموت على الحياة لأنه طور من أطوار الخلق، وهو بمثابة حياة ثانية لهذا الإنسان، فكما أنّ الإنسان ينتقل

بواسطة الولادة من الرحم إلى هذا الوجود ، كذلك ينتقل بواسطة المـــوت إلى الحياة الآخرة، ولذا قالوا : الموت ولادة الحياة، وقال الشاعر :

خلق الناس للبقاء فضلّت أُمّــة يحسبونهم للنفـــاد
إنّما ينقلون من دار أعمال إلى دار شقوة أو رشـــاد

﴿ليبلوكم﴾ أي : ليعاملكم معاملة المختبر بالأمر والنهي ، فيجازي كــلّ عامل بما عمل ، وليخرج من عالم القوّة إلى عالم الفعل ما يستحقّه الانسان من نتائج أعماله، وليعلم أنّ الله لا يظلم أحداً ، كما قال سبحانه :

﴿يوم تجد كلّ نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تــودّ لو أنّ بينها وبينه أمداً بعيدا﴾ (آل عمران/الآية ٣٠) .

وفي الحديث: ((الناس مجزيّون بأعمالهم)) .

﴿أيّــكم أحسن عملاً﴾ وذلك انّ خوف الموت داع إلى حسن العمل، أي : ليظهر منكم ما في علمه السابق ؛ فيعلم المحسن من المسيء علم مشاهدة وحضور، حيث انّ الغاية من خلقه تعالى الموت والحياة إنّما هو البــــلاء والامتحان لتتم الحجّة ويبطل الاعتراض ، فخلقكم ثم موتكم خلق مقدمي إمتحانــي يمتاز به منكم من هو أحسن عملاً وإخلاصاً من غيره، وفيه إشارة إلى أنّ المقصود بالذات من الخلقة هو إيصال الخير من الجزاء إلى المكلّف، يدلّ على ذلـك ذكر حسن العمل وامتياز من جاء بأحسنه ، فالمحسنون هم المقصودون بالخلق، أمّا غيرهم فمقصود لأجلهم .

وقد ختم الكلام بقوله : ﴿وهو العزيز الغفور﴾ وفيه تخويف وتطميع ، فهـو العزيز لأنّ الملك والقدرة المطلقين له وحده ، فلا يغلبه غالب، ولم يكـــن ليعصيه من عصاه إلا لأنه جعله على الفعل والترك، فكانت المعصية بســـوء اختيار العبد ، وسينتقم من المصرّين والمستكبرين .

وهو الغفور: لأنه يعفو عن كثير من سيّئاتهم في الدنيا ، ويقبل توبة التائبين ويستر عليهم في الآخرة ويغفر لهم كما وعد ·

وقال الرازي :

ذكروا في تفسير﴿أحسن عملاً﴾ وجوها :

أحدها : أن يكون أخلص الأعمال وأصوبها ، لأنّ العمل إذا كان خالصاً غير صواب لم يقبل ، وكذلك إذا كان صواباً غير خالص ، فالخالص أن يكون لوجه الله ، والصواب أن يكون على السنّة ·

وثانيهما : قال قتادة : سألت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : فقال : يقول : أحسنكم عقلاً ، ثم قال : أتمّكم عقلاً أشدّكم لله خوفاً ، وأحسنكم فيما أمر الله به ونهى عنه نظراً ·

وثالثها : روي عن الحسن :

أيّكم أزهد في الدنيا وأشدّ تركاً لها ـ إنتهى ـ ·

وقيل : ليبلوكم أيّكم أكثر ذكراً للموت، وأحسن له استعداداً ، وأحسن صبراً على موته وموت غيره ، وأيّكم أكثر امتثالاً للأوامر والنواهي في حال حياته ·

﴿بيده الخير﴾ الأسماء الحسنى أكثرها أسماء رحمة وكرم ، وقد أمرنا أن ندعوه بها ، فهو يرغّبنا في أن نرغب إليه لأنه محطّ الآمال ، ومحلّ رجاء الراجين ، وكلّ ما يصدر منه فهو خير ، وكلّ خير فمنه وبتوفيقه ، ومعنى : ((بيده الخير)) أي إنه مالكه ومفيضه ·

﴿وهو على كلّ شيء قدير﴾ ؛ القدير: مبالغة في القادر ، وهو الفاعل

لما يشاء على ما تقتضي حكمته لا زائد عليها ولا ناقصاً عنها ، ولذلـــك لا يصحّ أن يوصـــف به إلا اللّه تعالى ٠

وليكن هذا آخر الجزء الأول من هذا الكتاب، ويتلوه الجزء الثانـــي إن شاء اللّه ، وأوله : ((ذكر الوسائط بيننا وبين اللّه تعالى)) ، نسأل اللّـــه التوفيق لإكماله والحمد للّه ربّ العالمين ٠

مُحتوياتُ الكِتابْ

((الجزء الأول))

الإهداء	٣
خطبة الكتاب	٥
المقدّمة	٧
الانسان أشرف من الملك	١٠
فصل : قيمة الانسان في هذا الكون	١٣
تشريف الانسان على غيره من الحيوان	١٤
لمصلحة الانسان وجدت الموجودات	١٦
فصل : في تعريف الدعاء والحثّ عليه	١٨
رفع اليدين في الدعاء	٣٥
الدعاء وشرحه	٣٩
الافتتاح بالثناء	٤٥
بحث في الانيّة والأنانيّة	٥٣
افتتاح الثناء بالحمد	٥٤
بحث في التسديد	٥٦
الاعتقاد بأنه تعالى حكيم يضع الأمور في مواضعها	٥٨

((محتويات الكتاب))

الأذن في الدعاء ٦١
كيفيّة طلب الحاجة ٦٤
تعداد النعم ٦٤
تنزيهه عن الصاحبة والولد والشريك ٦٥
معنى الحمد والمحامد ٦٩
الثناء عليه بصفات الجلال ٧٤
تنزيهه عن الشبيه والشريك ٧٥
تسبيح الكائنات له ومعنى الكرم والجود ٧٨
عود إلى ذكر الأيادي العظيمة المتوجّهة للّه تعالى إلى خلقه ٨١
كذلك ذكر ما أفاضه من نِعَم وأياد مقوّمات للحياة ٨٧
علّة كون الخلق على أنواع شتى ٩٥
الأمن والأُنس حال الدعاء ٩٧
جهل الانسان بعتبه على اللّه والامتنان عليه ١٠٣
الاعتراف بعلّة الابطاء ولعلّه خير ١٠٥
تعداد نعم اللّه مع كثرة معاصي العبد ١٠٦
عوالي ذكر المحامد والثناء ١٠٧
في أنّه حليم لا يعجل ١١٠
استمرار في ذكر المحامد الجلاليّة والكماليّة ١١١
ما يناسب من محامد العزّة وصفات الجلال ١١٢

((محتويات الكتاب))

في تعداد جلّ النعم على العباد	١١٣
في تعداد صفات الكمال	١٢٠
الاستمرار في الثناء	١٢٨
فِي مراتب الخوف	١٣٠
معنى الكِبْر وذمّة	١٤٤
شرح فقرات: ((قاصِمُ الجبّارين)) ـ ((مُعتمد المؤمنين))	١٤٨
معنى: ((تَرْعَدُ السما ...)) الخ	١٥٢
تفسير قوله: ((ربِّ أرني كيف تُحيي الموتى))	١٦٥
أنواع الموت	١٧٠

مُصطفى مرتضى

نَظرة في

دُعاءِ الافتِتاح

الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، وصلّى الله وسلّم على محمد وآله الطيّبين الطاهرين .

وبعد :

فقد علمت أنّ من شروط الدعاء تقديم المدحة إلى الله (عزّ وجل) والثناء عليه ، ثم الصلاة على النبيّ وآله ، ثم يطلب الداعي حوائجه ، وقد تقدّم في الجزء الأول ما يتعلّق في الثناء على الله بما يناسب عظمة الله (جلّ جلاله) وحالة الداعي من الخضوع والاعتراف، ونبتدى في جزئنا هذا ما يتعلّق بالصلاة على النبيّ وآله لأنهم الوسائط إلى الله فنقول :

لابُدَّ مِنَ الوَسائِط

من المعلوم أنّ من كانت له حاجة عند صاحب سلطة فانه يتوسّل إليه بمن هو مقرّب عنده وحبيب له ، فلا جرم أنّ هذا السلطان يقضي حاجة هذا الطالب تكريماً لمن تقرّب إليه به ، وربّما صدر من أحد الرعيّة ذنب يثير غضب هذا الملك عليه ويبعثه على الإنتقام منه فيأمر بقتله ، فيتشفّع فيه بعض المقرّبين من السلطان فيعفو عنه .

هذه حالة أهل الدنيا ، فما ظنّك بربّ العالمين وقد جعلت واسطتك إليه أحبّ خلقه وأكرمهم عليه ، ولولا هم لم يخلق الجنّة ولا النار ولا العرش ولا الكرسيّ ولا أحداً من العالمين ،كما في فرائد السمطين (ج١ص٣٦) للجويني الشافعي باسناده عن أبي هريرة عن النبيّ الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم)

أنه قال :

((لمّا خلق الله تعالى آدم أبا البشر ونفخ فيه من روحه التفت آدم يمنة العرش فاذا في النور خمسة أشباح سُجّداً ورُكّعاً ، قال آدم : يا ربّ هل خلقت أحداً من طين قبلي ؟ قال : لا يا آدم ، قال : فمن هؤلاء الخمسة الأشباح الذين أراهم في هيئتي وصورتي ؟ قال : هؤلاء خمسة من ولدك لولا هم ما خلقتك ، هؤلاء خمسة شققت لهم خمسة أسماء من أسمائي ، لولا هم ما خلقت الجنّة ولا النار ، ولا العرش ولا الكرسيّ ، ولا السماء ولا الأرض ، ولا الملائكة ولا الانس ولا الجنّ ، فأنا المحمود وهذا محمد ، وأنا العالي وهذا علي ، وأنا الفاطر وهذه فاطمة ، وأنا الاحسان وهذا الحسن ، وأنا المُحسن وهذا الحسين ، آليت بعزّتي أنه لا يأتيني أحد بمثقال حبّة من خردل من بغض أحدهم إلا أدخلته ناري ولا أُبالي .

يا آدم هؤلاء صفوتي من خلقي بهم أنجيهم وبهم أهلكهم ، فاذا كان لك إليّ حاجة فبهؤلاء توسّل .

فقال النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) :

نحن سفينة النجاة ، من تعلّق بها نجا ، ومن حاد عنها هلك ، فمن كان له إلى الله حاجة فليسأل بنا أهل البيت)) .

وفيه (ص ٤١) عن سلمان الفارسي (رضى الله عنه) قال :

((سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يقول : خُلقتُ أنا وعلي بن أبي طالب من نور الله عن يمين العرش ، نُسبّح الله ونُقدّسه من قبل أن يخلق الله (عزّ وجل) آدم بأربعة عشر ألف سنة ، فلمّا خلق الله آدم نقلنا إلى أصلاب الرجال وأرحام النساء الطاهرات ، ثم نقلنا إلى صُلب عبد المطّلب وقسمنا نصفين ، فجعل نصف في صلب أبي عبد الله ، وجعل

نصف (آخر) في صلب عمّي أبا طالب، فخلقت من ذلك النصف، وخلق علـيّ من النصف الآخر، واشتقّ الله تعالى لنا من أسمائه أسماء: فالله (عزّ وجـل) محمود وأنا محمد، والله الأعلى وأخي عليّ، والله الفاطر وابنتي فاطمة، والله محسن وإبناي الحسن والحسين، وكان إسمي في الرسـالة والنبوّة، وكـان اسمه في الخلافة والشجاعة، وأنا رسول الله وعليّ وليّ الله»)).

من هم الوسائط الى الله سبحانه

ومن هذا المنطلق يتوجّـه الداعي إلى الله تعالى بذكر الوسائط إليه والدعاء لهم، لأنهم سفينة النجاة وأمان لأهل الأرض من العذاب، كما فـي فرائد السمطين (ج ٢/ص ٢٤١) عن سلمة بن الأكوع انّ رسول الله (صلّى اللـه عليه وآله وسلّم) قال:

((النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأُمّـتي)).

وفيه (ص ٢٤٢) عن أبي سعيد الخدري قال:

سمعتُ النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يقول:

((إنّما مَثَلُ أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّـف عنها غرق، وإنّما مَثَلُ أهل بيتي فيكم كمثل باب حطّة في بني إسرائيل من دخله غُفر له)).

وفيه (ص ٢٤٦) عن حنش بن المعتمر الكناني قال:

سمعت أبا ذر وهو آخذ بباب الكعبة وهو يقول:

((يا أيها الناس من عرفني فأنا من قد عرفتم، ومن لا يعرفني فأنـا أبو ذر، إنّي سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يقول: إنّما مَثَـلُ أهل بيتي فيكم كَمَثَلِ سفينة نوح من دخلها نجا ومن تخلّف عنها هلك)).

وفي (ص ٢٤٩) قال الواحدي:

((أنظر كيف دعا الخلق إلى التثبّت إلى ولائهم والسير تحت لوائهم بضرب مثلهم بسفينة نوح (عليه السلام) ، جعل (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ما في الآخرة من مخاوف الأخطار وأهوال النار كالبحر الذي يلج براكبه فيورده مشارع المنية ، ويفيض عليه سجال البليّة ، وجعل أهل بيته (عليه وعليهم السلام) سبب الخلاص من مخاوفه والنجاة من متالفه ، فكما لا يعبر البحر المهياج عند تلاطم الأمواج إلا بالسفينة ، كذلك لا يأمن من لفح الجحيم ، ولا يفوز بدار النعيم إلا من تولّى أهل بيت النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ونحل لهم ودّه ونصحه ، وأكّد في موالاتهم عقيدته ، فانّ الذين تخلّفوا عن تلك السفينة آلوا شرّ مآل ، وخرجوا من الدنيا إلى أنكال وجحيم ذات أغلال ، وكذا ضرب مثلهم بسفينة نوح قرنهم بكتاب الله تعالى ، فجعلهم ثاني الكتاب وشفع التنزيل)) .

وهو ما عن يزيد بن حيّان قال :

دخلنا على زيد بن أرقم فقال : خطبنا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقال :

((إنّي تارك فيكم الثقلين ، أحدهما : كتاب الله (عزّ وجل) من تبعه كان على الهُدى ومن تركه كان على ضلالة ، ثم أهل بيتي أُذكّركم الله في أهل بيتي)) ـ قالها ثلاث مرّات ـ .

قلنا : يا زيد من أهل بيته ؟ نساؤه ؟ قال : لا ، أهل بيته : عُصبته وأهله الذين حُرموا الصدقة من بعده)) .

وفيه (ص ٦٦) عن الحسين بن عليّ (عليهما السلام) قال :

((قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : فاطمة بهجة قلبي ، وابناها ثمرة فؤادي ، وبعلها نور بصري ، والأئمة من ولدها أُمناء ربّي

وحبله الممدود بينه وبين خلقه ، من اعتصم به نجا ، ومن تخلّف عنه هوى ")) .

وفيه (ص ٢٥٣) باسناده عن حيثمة الجعفي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : سمعته يقول :

((نحن جنب الله ، ونحن صفوة الله ، ونحن خيرته ، ونحن مستودع مواريث الأنبياء ، ونحن أمناء الله (عزّ وجل) ، ونحن حجّة الله ، ونحن أركان الإيمان ، ونحن دعائم الإسلام ، ونحن من رحمة الله على خلقه ، ونحن من بنا يفتح وبنا يختم ، ونحن أئمة الهدى ، ونحن مصابيح الدجى ، ونحن منار الهدى ، ونحن السابقون ، ونحن الآخرون ، ونحن العلم المرفوع للحق ، من تمسّك بنا لحق ، ومن تأخّر عنّا غرق ، ونحن قادة الغرّ المحجّلين ، ونحن خيرة الله ، ونحن الطريق الواضح والصراط المستقيم إلى الله ، ونحن من نعمه الله على خلقه ، ونحن المنهاج ، ونحن معدن النبوّة ، ونحن موضع الرسالة ، ونحن الذين مختلف الملائكة ، ونحن السراج لمن استضاء بنا ، ونحن السبيل لمن اقتدى بنا ، ونحن الهداة إلى الجنّة ، ونحن عرى الإسلام ، ونحن الجسور والقناطر ، من مضى عليها لم يسبق ، ومن تخلّف عنها محق ، ونحن السنان الأعظم ، ونحن الذين بنا ينزل الله الرحمة ، وبنا يسقون الغيث ، ونحن الذين بنا يصرف عنكم العذاب ، فمن عرفنا وأبصرنا وعرف حقّنا وأخذ بأمرنا فهو منّا وإلينا)) .

وفي عدّة الداعي (ص ١٥١) عن سلمان الفارسي (رضي الله عنه) قال : سمعت محمداً (صلّى الله عليه وآله) يقول :

((إنّ الله (عزّ وجل) يقول : " يا عبادي أوليس من له إليكم حوائج كبار

لا تجودون بها إلا أن يتحمّل عليكم بأحبّ الخلق إليكم تقضونها كرامة لشفيعهم ؟ ألا فاعلموا أنّ أكرم الخلق عليّ وأفضلهم لدى محمد وأخوه عليّ ومن بعده الأئمة الذين هم الوسائل إليّ ، ألا فليدعني من همّته حاجة يُريد نفعها ، أو دهته داهية يريد كشف ضررها ؛ بمحمد وآله الطيّبين الطاهرين أقضها له أحسن ما يقضيها من يستشفعون بأعزّ الخلق عليه »))

فقال له قوم من المشركين والمنافقين ـ وهم المستهزئون به ـ : يا أبا عبد الله فما لك لا تقترح على الله بهم أن يجعلك أغنى أهل المدينة؟ فقال سلمان (رضي الله عنه) : دعوت الله وسألته ما هو أجلّ وأنفع وأفضل من ملك الدنيا بأسرها ؛ سألته بهم (عليهم السلام) أن يهب لي لساناً ذاكراً لتحميده وثنائه ، وقلباً شاكراً لآلائه ، وبدناً على الدواهي الداهية صابراً ، وهو (عزّ وجل) قد أجابني إلى ملتمسي من ذلك ، وهو أفضل من ملك الدنيا بحذافيرها وما اشتمل عليه من خيراتها مائة ألف ألف مرّة .

وفيه (ص ١٧١) روى عليّ بن إبراهيم عن أبيه قال :

رأيت عبد الله بن جندب بالموقف ، فلم أر موقفاً أحسن من موقفه فما زال مادّاً يده إلى السماء ودموعه تسيل على خدّيه حتى تبلغ الأرض ، فلمّا صدر الناس قلت : يا أبا محمد ما رأيت موقفاً قطّ أحسن من موقفك ، فقال :

((والله ما دعوت إلا لإخواني ، وذلك انّ أبا الحسن (عليه السلام) أخبرني : إنّ من دعا لأخيه بظهر الغيب نودي من العرش : ولك مائة ألف ضعف ، فكرهت أن أدع مائة ألف مضمونة لواحد لا أدري يستجاب أم لا)) .

وروى إبن أبي عمير عن زيد النرسي قال :

كنت مع معاوية بن وهب في الموقف وهو يدعو، فتفقّدت دعاءه فما رأيته يدعو لنفسه بحرف، ورأيته يدعو لرجل رجل من الآفاق ويسمّيهم ويسمّي آباءهم حتى أفاض الناس، فقلت له: يا عم لقد رأيت منك عجباً، قال: وما الذي أعجبك مما رأيت؟ قلت: إيثارك إخوانك على نفسك في مثل هذا الموضع وتفقّدك رجلاً رجلاً، فقال لي:

((لا تعجب يا بن أخي من هذا، فانّي سمعت مولاي ومولاك ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة، وكان والله سيّد من مضى وسيّد من بقي بعد آبائه (عليهم الصلاة والسلام)؛ وإلا صمّتا أُذن معاوية وعميت عيناه، ولا نالته شفاعة محمد (صلّى الله عليه وآله) إن لم أكن سمعته منه وهو يقول: من دعا لأخيه في ظهر الغيب ناداه ملك من السماء الدنيا: يا عبد الله ولك مائة ألف ضعف مما دعوت، وناداه ملك من السماء الثانية: يا عبد الله ولك مائتا ألف ضعف مما دعوت، وناداه ملك من السماء الثالثة: ولك يا عبد الله ثلاثمئة ألف ضعف مما دعوت، وناداه ملك من السماء الرابعة: ولك يا عبد الله أربعمائة ألف ضعف مما دعوت، وناداه ملك من السماء الخامسة: يا عبد الله ولك خمسمائة ألف ضعف مما دعوت، وناداه ملك من السماء السادسة: يا عبد الله ولك ستمائة ألف ضعف مما دعوت، وناداه ملك من السماء السابعة: يا عبد الله ولك سبعمائة ضعف مما سألت، ثم يناديه الله تبارك وتعالى: أنا الغنيّ الذي لا أفتقر، يا عبد الله لك ألف ألف ضعف مما دعوت، فأيّ الخطرين أكبر يا بن أخي؟ ما اخترته أنا لنفسي أو ما تأمرني به؟)).

وإذا كانت هذه حال من يدعو للمؤمنين، فما ظنّك بمن هم سادات المؤمنين وأشرف من في السماوات والأرضين وحجّة الله على جميع العالمين؟

ولذلك يتوجّه الداعي إلى هؤلاء السادة الوسائط، فيدعو لهم واحداً واحداً مبتدئاً بالدعاء لنبيّ الرحمة محمد المصطفى (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ولآل بيته الأطهار، أولهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، ثم الزهراء فاطمة، ثم الحسن، فالحسين، فعليّ بن الحسين، فمحمد بن عليّ، فجعفر بن محمد، فموسى بن جعفر، فعليّ بن موسى، فمحمد بن عليّ، فعلي بن محمد، فالحسن بن علي، فالحجّة المهدي المنتظر، (صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين إلى يوم الدين)، هؤلاء هم الصفوة الهادية، أوصياء النبيّ الأكرم، وحاملو ثقل النبوّة والرسالة بقاء واستمراراً، وللّه درّ من قال:

هم السادة الأطهار آل محمد
هم الدين والدنيا لمن يتعقّل
هم الطور والأعراف والنور والضحى
ويٰس والأحقاف والمتزمّل
مهابط وحي اللّه في حجراتهم
وتبيان حقّ والكتاب المنزّل
فما مثلهم في الكون إن عُدّ مفخر
أعد نظراً يا صاح إن كنت تعقل.

فيقول الداعي:

الدُّعاءُ ((اللهم صلّ على محمد عبدك ورسولك وأمينك وصفيّك وحبيبك وخيرتك من خلقك وحافظ سرّك ومبلّغ رسالاتك، أفضل وأحسن وأجمل وأكمل وأزكى وأنمى وأطيب وأطهر وأسنى وأكبر ما صلّيت وباركت وترحّمت وتحننت وسلّمت على أحدٍ من عبادك وأنبيائك ورُسلك وصفوتك وصفوتك وأهل الكرامة عليك من خلقك)).

الشَرح

الصلاة من اللّه: الرحمة، ومن الناس: الدعاء، قال اللّه تعالى:

﴿إنّ الله وملائكته يُصلّون على النبيّ يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليما﴾ (الأحزاب / الآية ٥٦).

قال بعض الأفاضل:

الصلاة وإن كانت بمعنى الرحمة لكن المراد بها هنا الاعتناء باظهار شرفه ورفعه شأنه، ومن هنا قال بعضهم: تشريف الله محمدا (صلّى الله عليه وآله) بقوله: ﴿إنّ الله وملائكته يُصلّون على النبيّ﴾ أبلغ من تشريف آدم بالسجود.

الصلاة على النبيّ ص

واختلف في وجوب الصلاة على محمّد (ص) في الصلاة، فذهب أكثر الإماميّة وأحمد والشافعي إلى وجوبها فيها، وخالف أبو حنيفة ومالك في ذلك ولم يجعلاها شرطاً في الصلاة، وكذلك اختلف في إيجابها عليه في غير الصلاة، فذهب الكرخي إلى وجوبها في العمر مرّة، والطحاوي: كلّما ذكر، واختاره الزمخشري، وكذلك ابن بابويه من فقهائنا وهو قوي.

وفي الحديث:

((الصلاة على النبيّ أفضل من الدعاء لنفسه)).

ووجهه: انّ فيها ذكر الله وتعظيم النبيّ (ص)، ومن ذكر النبيّ فصلّى عليه ونسي مسألته أعطاه الله أفضل ما يعطى الداعي لنفسه، ويدخل في ذلك كفاية ما يهمّه في الدارين.

ففي فرائد السمطين باسناده (ص ٢٤ ج ١) عن أنس بن مالك قال:

قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله):

((من صلّى عليّ واحدة صلّى الله عليه عشر صلوات، وحطّت عنه عشر خطيئات، ورفع له عشر درجات)).

وفي الكافي (ج ٢/ص ٤٩٢) عن أبي عبد الله (عليه السلام):
((إذا ذكر النبيّ (صلّى الله عليه وآله) فأكثروا الصلاة عليه، فانه من صلّى على النبيّ (صلّى الله عليه وآله) صلاة واحدة صلّى الله عليه ألف صلاة فى ألف صفّ من الملائكة، ولم يبق شيء مما خلق الله إلا صلّى على العبد لصلاة الله عليه وصلاة ملائكته، فمن لم يرغب في هذا فهو جاهل مغرور، قد برئ الله منه ورسوله وأهل بيته)).

وعنه (عليه السلام) أيضاً قال:
((قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): الصلاة عليّ وعلى أهل بيتي تذهب بالنفاق)).

وفي عدّة الداعي (ص ١٥٢):
قال أمير المؤمنين (عليه السلام):
((أعطي السمع أربعة: النبيّ (صلّى الله عليه وآله)، والجنّة والنار، والحور العين، فاذا فرغ العبد من صلاته فليصل على النبيّ (صلّى الله عليه وآله)، وليسأل الله الجنّة، وليستجر به من النار، وليسأله أن يزوجه من الحور العين، فانه من صلّى على النبيّ (صلّى الله عليه وآله) رفعت دعوته، ومن سأل الله الجنّة قالت الجنّة: يا ربّ أعط عبدك ما سألك، ومن استجار بالله من النار قالت النار: يا ربّ أجر عبدك مما استجار منه، ومن سأل الحور العين قلن: يا ربّ أعط عبدك ما سأل)).

وروى محمد بن مسلم عن أحدهما (عليهما السلام):
((ما في الميزان شيء أثقل من الصلاة على محمد وآل محمد، إنّ الرجل ليوضع عمله في الميزان فيميل به، فيخرج النبيّ (ص) الصلاة

فيضعها في ميزانه فيرجح به)) .
وروى هشام بن سالم عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال :
((لا يزال الدعاء محجوباً حتى يصلّي على محمد وآل محمد)) .
وثقل الميزان كناية عن كثرة الحسنات ورجحانها على السيّئات.

سبب حجب الدُّعاءِ بدون الصلاة على النبيّ (ص)

والسرّ في حجب الدعاء بدون الصلاة أمور :

(الأول) : انّ العبد إذا ضمّ الصلاة مع دعائه، وعرض بالمجموع على الله سبحانه وكانت الصلاة على محمد وآله غير محجوبة فانّ الدعاء أيضاً يكون غير محجوب.

(الثاني) : انّ من الآداب المقررة في العقول والعادات ؛ انّ من كانت له حاجة إلى سلطان يقتضي أن يهدي إلى المقرّبين إليه تحفاً لكي يشفعوا له عنده، وطبعاً متى علم السلطان ذلك قضى حاجته.

(الثالث) : انّ الصلاة على محمد وآله مكفّرة للسيّئات المانعة من قبول الدعوات.

(الرابع) : انّ حبّهم وولاءهم والإقرار بهم والاعتراف بفضلهم من أعظم أركان الايمان، وانّ بالصلاة عليهم والتوسّل بهم يكمل الايمان، ولا ريب انّ كمال الايمان يوجب مزيد القرب من الرحمان.

(الخامس) : انّ المقصود من إيجاد الثقلين هو رسول الله وأهل بيته (صلوات الله وسلامه عليهم)، وبواسطتهم تفيض الرحمات، وهم القابلون لجميع الفيوض القدسيّة، فاذا أفيض عليهم فبتفضّلهم يفيض على سائر الموجودات، فاذا أراد الداعي استجلاب رحمة من الله سبحانه يُصلّي عليهم، وهذا الدعاء لا يردّ لأن المبدأ فيّاض، والمحل قابل، وببركتهم يفيض على الداعي بل على جميع الخلق.

(السادس) : انهم (صلوات الله عليهم) وسائط بيننا وبين ربّنا (عزّ وجل) في إيصال الحكم والأحكام لعدم ارتباطنا بساحة جبروته، وبعدنا عن حريم ملكوته، فلابدّ أن يكون بيننا وبينه سفراء وحجب ذوو جهات قدسيّة وحالات بشريّة، يكون لهم بالجهات الأول ارتباط بالجناب الأعلى يأخذون عنه، ويكون لهم بالجهات الأُخرى مناسبة للخلق يلقون إليهم ما أخذوا من ربهم.

ولذا جعل الله سفراءه وأنبياءه ـ ظاهراً ـ من نوع البشر ـ وباطناً ـ مباينين لهم معيّزين عنهم في أطوارهم وأخلاقهم ونفوسهم وقابليّاتهم، فهم مقدّسون روحانيّون قائلون: ((إنما نحن بشر مثلكم))، لئلا ينفر عنهم أُممهم، وليقبلوا منهم ويأنسوا بهم، فكذلك في إفاضة سائر الغيوض والكمالات هم وسائط بين خالقهم وبين سائر الموجودات، فكلّ فيض وجود يبتدئ بهم (صلوات الله عليهم) ثم ينقسم على سائر الخلق، فالصلوات استجلاب للرحمة من معدنها، وللغيوض إلى مقسمها لتنقسم على سائر البرايا بحسب استعداداتها وقابليّاتها.

والصلاة تأتي بمعنى التعظيم، وسُمّيت العبادة المخصوصة صلاة: لما فيها من تعظيم الربّ تعالى، وقولنا: ((اللهم صلّ على محمد وآل محمد))؛ أي عظّمه في الدنيا باعلاء ذكره وإظهار دعوته وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بتشفيعه في أُمّته ومضاعفة أجره ومثوبته، وحيث انّ الصلاة من الله الرحمة، ومن الملائكة الاستغفار، ومن العبد الدعاء كان معنى صلاة الله على نبيّه إفاضة أنواع الكرامات ولطائف النعم عليه.

شرف العبوديّة

والعبد: ضدّ الحرّ، والعبد: المتعبّد وهو الدائم على عبادة الله، وهذا هو المقصود من النبيّ (صلّى الله عليه وآله) وهو شرف عظيم له، فانّ

العبادة هي الخضوع والتذلل ، ولذلك لا تحسن إلا للّه تعالى الذي هو مولّي أعظم النعم ، فهو حقيق بغاية الشكر ٠

وفي مجمع البحرين (ج ٣/ ص ٩٥) :

قال المحقق الطوسي في الأخلاق الناصريّة :

قال الحكماء : عبادة اللّه ثلاثة أنواع :

(الأول) : ما يجب على الأبدان كالصلاة والصيام والسعي في المواقف الشريفة لمناجاته جلّ ذكره ٠

(الثاني) : ما يجب على النفوس كالاعتقادات الصحيحة من العلم بتوحيد اللّه ومايستحقّه من الثناء والتمجيد ، والفكر فيما أفاضه اللّه سبحانه على العالم من وجوده وحكمته ، ثم الإتّساع في هذه المعارف٠

(الثالث) : ما يجب عند مشاركات الناس في المدن ، وهي في المعاملات والمزارعات والمناكح وتأدية الأمانات، ونصح البعض للبعض بضروب المعاونات، وجهاد الأعداء والذبّ عن الحريم وحماية الحوزة ،إنتهى ٠

ثم قال في المجمع :

وحقيقة العبوديّة هي كما في حديث عنوان : ثلاثة أشياء : أن لا يرى العبد لنفسه فيما خوّله ملكاً ، لأنّ العبيد لا يكون لهم ملك ، بل يرون المال مال اللّه يضعونه حيث أمرهم اللّه ٠

ولا يدبّر العبد لنفسه تدبيرا ٠

وجملة اشتغاله فيما أمره اللّه تعالى ونهاه عنه ٠

فاذا لم ير العبد فيما خوّله اللّه ملكاً هان عليه الإنفاق ٠

وإذا فوّض العبد تدبير نفسه إلى مدبّرها هانت عليه مصائب الدنيا ٠

وإذا اشتغل العبد فيما أمره اللّه ونهاه، لا يتفرّغ منهما إلى المراء

والمباهاة مع الناس ، فاذا كرّم اللّه العبد بهذه الثلاث هانت عليه مصائب الدنيا والمسيس والخلق ، ولا يطلب الدنيا تفاخراً وتكاثراً ، ولا يطلب عند الناس عزّاً وعلوّاً ، ولا يدع أيّامه باطلة ، فهذا أول درجة المتّقين ، إنتهى .

وفي مصباح الشريعة : قال الإمام الصادق (عليه السلام) :
((العبوديّة جوهرة كنهها الربوبيّة ، فما فُقد من العبوديّة وجد في الربوبيّة ، وما خُفي عن الربوبيّة أُصيب في العبوديّة ، قال اللّه تعالى : * سنُريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم أنه الحق أو لم يكفِ بربّك أنه على كلّ شيء شهيد * (فُصّلت/ الآية ٥٣) ، أي موجود في عينيك وفي حضرتك ، وتفسير العبوديّة بذل الكل ، وسبب ذلك منع النفس عمّا تهوى وحملها على ما تكره ، ومفتاح ذلك ترك الراحة وحبّ العزلة ، وطريقة الافتقار إلى اللّه تعالى)) .

قال النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله) :
((أعبد اللّه كأنّك تراه ، فان لم تكن تراه فانّه يراك)) .

وحروف العبد ثلاثة : (ع ، ب ، د) ، فالعين : علمه باللّه ، والباء : بونه عمّا سواه ، والدال : دنوّه من اللّه تعالى بلا كيف ولا حجاب .

وأصول المعاملات تقع على أربعة أوجه :
معاملة اللّه تعالى ، ومعاملة النفس ، ومعاملة الخلق ، ومعاملة الدنيا .
وكلّ وجه منها منقسم على سبعة أركان .
أمّا أُصول معاملة اللّه تعالى فسبعة أشياء :
أداء حقّه ، وحفظ حدّه ، وشكر عطائه ، والرضا بقضائه ، والصبر على

بلائه، وتعظيم حرمته، والشوق إليه.

وأصول معامله النفس سبعة:

الجهد، والخوف، وحمل الأذى، والرياضة، وطلب الصدق، والاخلاص، وإخراجها من محبوبها، وربطها في الفقر.

وأُصول معاملة الخلق سبعة:

الحلم، والعفو، والتواضع، والسخاء، والشفقة والنصح، والعدل، والإنصاف.

وأُصول معاملة الدنيا سبعة:

الرضا بالدون، والايثار بالموجود، وترك طلب المفقود، وبغض الكثرة، واختيار الزهد، ومرفة آفاتها، ورفض شهواتها مع رفض الرياسة.

فاذا حصلت هذه الخصال في نفس واحد فهو من خاصّة اللّه وعباده المقرّبين وأوليائه حقّاً.

قال الامام الصادق (عليه السلام):

((كتاب اللّه تعالى على أربعة أشياء: العبادة، والإشارة، واللطائف والحقائق، فالعبادة للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء (عليهم السلام) والحمد للّه ربّ العالمين)).

الفرق بين الرسول، والنبيّ، والإمام

والنبيّ: هو الإنسان المُنبىء أي المخبر عن اللّه.

والرسول: هو الذي يبعثه اللّه إلى طائفة من الناس قلّوا أو كثروا.

وفي بصائر الدرجات (ص ٣٦٩) كتب الحسن بن العبّاس بن المعروف إلى الرضا (عليه السلام):

جعلت فداك أخبرني ما الفرق بين الرسول والنبيّ والامام؟ قال:

فكتب أو قال :

((الفرق بين الرسول والنبيّ والإمام : إنّ الرسول : الذي ينزل عليه جبرائيل فيراه ويسمع كلامه ، والنبيّ : ينزل عليه جبرائيل ، وربّما نبّئ في منامه نحو رؤيا إبراهيم ، والنبيّ ربّما يسمع الكلام ، وربّما يرى الشخص ، ولم يسمع الكلام ، والإمام : هو الذي يسمع ولا يرى الشخص))

وعن زرارة قال :

سألتُ أبا جعفر (عليه السلام) : من الرسول؟ من النبيّ ؟ من المحدّث ؟ فقال :

((الرسول الذي يأتيه جبرئيل فيكلّمه قبلاً ، فيراه كما يرى أحدكم الذي يكلّمه ، فهذا الرسول ، والنبيّ الذي يرى في النوم نحو رؤيا إبراهيم ونحو ما كان يأخذ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من السبات إذا أتاه جبرئيل في النوم ، فهكذا النبي ، ومنهم من يجتمع له الرسالة والنبوّة ؛ فكان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) رسولاً يأتيه جبرئيل قبلاً فيكلّمه ويراه في النوم ، وأمّا المحدّث فهو الذي يسمع كلام الملك فيحدّثه من غير أن يراه ، ومن غير أن يأتيه في النوم)) .

وقوله : ((قبلاً)) ؛ هي بضمّتين وبفتحتين وبوزن صرد وعنب ؛ أي عياناً ومقابلة .

والأمين : الذي يُؤدّي الأمانة بكلّ خلوص وصدق ، والصفوة والصفي : المختار ، فمحمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) صفيّ الله وصفوة الله لأنّ الله اختاره واختصّه بالشرف الأعظم على جميع الخلائق ، والحبيب : المحبوب ، ومحبّة الله للعباد إنعامه عليهم وانّه يوفّقهم لطاعته ويهديهم لدينه الذي ارتضاه ، وحبّ العباد لله أن يطيعوه ولا يعصوه ، وقيل : محبّة الله صفة من صفات فعله ، فهي إحسان مخصوص يليق بالعبد ، وأمّا محبّة العبد لله

تعالى فحاله يجدها في قلبه يحصل منها التعظيم له وإيثار رضاه والاستئناس بذكره ٠

وعن بعض المحققين :

محبّة الله تعالى للعبد كشف الحجاب عن قلبه ، وتمكينه من أن يطأ على بساط قربه ، فانّما ما يوصف به سبحانه إنّما يُؤخذ باعتبار الغايات لا المبادئ ، وعلامة حبّه للعبد توفيقه للتجافي عن دار الغرور ، والترقّي إلى عالم النور ، والأنس بالله ، والوحشة ممن سواه ، وصيرورة جميع الهموم همّاً واحداً ٠

ومن أحقّ من نبيّنا بجميع ذلك ، والاختيار الاصطفاء ، فمحمد (صلى الله عليه وآله) خيرة الله من خلقه ، والخيرة : بكسر الخاء المعجمة الفوقيّة وبالباء المثنّاة التحتيّة والراء المهملة المفتوحتين ، أي المختار المنتخب، والسرّ : الأمر الذي يكتم ، وحفظه كتمانه عن غير أهله ، وفي الحديث:

((لا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم)) ٠

والمستحفظون هم أهل البيت(عليهم السلام) لأنهم حفظوا ما جاء به رسول الله(صلّى الله عليه وآله) فهو باق إلى الأبد ، وحفظوا شريعته من الاندراس والتغيير والتبديل ، ففي البصائر(ص ٣٣١) :

عن الامام الصادق(عليه السلام) :

((لن تبقى الأرض إلا وفيها رجل منّا يعرف الحق ، فاذا زاد الناس فيه قال: قد زادوا ، وإذا نقصوا منه قال : قد نقصوا ، وإذا جاؤا به صدّقهم ، ولو لم يكن كذلك لم يعرف الحق من الباطل)) ٠

وعنه(عليه السلام) أيضاً :

((إنّ الأرض لا تخلو من أن يكون فيها من يعلم الزيادة والنقصان ، فاذا جاء المسلمون بزيادة طرحها ، وإذا جاؤا بالنقصان أكمله لهم ، ولولا ذلك لاختلط على المسلمين أمرهم)) .

وفي بعض الأحاديث: ((هذا من سرّ آل محمد)) أي هذا من مكتوم آل محمد الذي لا يظهر لكلّ أحد .

قال بعض الشرّاح :

اعلم أنّ سرّ آل محمد (صلّى الله عليه وآله) صعب مستصعب، فمنه ما يعلمه الملائكة والنبيّون ، وهو ما وصل إليهم بالوحي ، ومنه ما يصل إليهم بغير واسطة ، وهو السرّ الذي ظهرت فيه آثار الربوبيّة عنهم ، فرتاب لذلك المبطلون ، وفاز العارفون ، فكفر فيهم من أنكر وفرّط ، ومن غلا فيهم وأفرط ، وفاز من أبصر وتبع النمط الأوسط .

والتبليغ : إسم من البلاغ وهو البيان ، والرسول مبلّغ الرسالة ، أي مبيّنها ، قال تعالى :* وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للناس ما نزّل إليهم ولعلّهم يتفكّرون* (النحل/الآية ٤٤) ، والفضل : الزيادة وهو الشرف أيضاً والمكانة المرموقة ، أفضل بمعنى أشرف وأعلى ، والحسن : عبارة عن كلّ مبهج مرغوب فيه ، ومثله الجمال إلا أنّ فيه معنى الكثرة ، فأحسن وأجمل أي أكثر حسناً وجمالاً ، والكمال : تماميّة الشيء ، وهو ضدّ النقص ، والأكمل هنا : الأشدّ تماميّة ، أي كمال ليس فوقه كمال ، والزكوّ والزكاة : الطهارة وفيه معنى الزيادة ، أي أكثر طهارة ، وأنمى مثله ، وكذلك أطيب وأطهر ، والطيّب من الانسان : من تعرّى من نجاسة الجهل والفسق وقبائح الأعمال ، وتحلّى بالعلم ومحاسن الأعمال ، والسناء بالمدّ : الرفعة ، وبالقصر : النور الساطع ، وأسنى يحتمل المعنيين ، أي أعظم رفعة ونوراً وسطوعاً .

نُبْذَة مِنْ حَيَاة النَّبِيّ الأكرم

ومن المناسب في المقام أن نذكر شيئاً من تأريخ ولادته ووفاته، وشيئاً من أخلاقه وسيرته (صلّى الله عليه وآله وسلّم) على سبيل الإختصار، وكذلك الأئمة من بعده (عليهم السلام) واحداً فواحداً عند ذكر أسمائهم فنقول وبالله التوفيق:

ولد النبيّ (صلّى الله عليه وآله) يوم الجمعة على المشهور بين الامامية ورواية الطبري عن ابن إسحاق يوم الاثنين، وهو المشهور عند غير الامامية عند طلوع الشمس، وقيل: عند طلوع الفجر، وقيل: عند الزوال، السابع عشر من شهر ربيع الأول، وعليه إتّفاق الامامية، وقال الكليني منهم وجماعة العامّة: لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول.

واتّفق الرواة أنه ولد في عام الفيل، بعد خمسين يوماً، أو خمسة وخمسين يوماً، أو خمسة وأربعين يوماً، أو ثلاثين يوماً من هلاك أصحاب الفيل لأربع وثلاثين سنة وثمانية أشهر مضت من ملك كسرى أنوشروان، أو لاثنتين وأربعين من ملكه، أو لسبع بقين من ملكه.

أبوه: عبد الله بن عبد المطّلب بن هاشم، وأُمّه: آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب، وأمّا إسمه: فهو محمد وأحمد، وكنيته: أبو القاسم، وألقابه كثيرة أشهرها: المصطفى، والرسول، والنبيّ، والمزمّل، والمدثّر، والشاهد، والبشير، والنذير، والماحي، والعاقب، والحاشر، وخاتم النبيين.

وأمّا نسبه الشريف: فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطّلب ـ واسمه شيبة الحمد، أو عامر في نقل آخر ـ ابن هاشم ـ واسمه: عمرو ـ ابن عبد مناف ـ واسمه المغيرة ـ ابن قصي ـ واسمه زيد ـ ابن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ـ وقريش ـ ابن كنانة بن خزيمة

بن مدركة ابن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

وقد روي عنه (عليه وآله الصلاة والسلام) أنه قال :

((إذا بلغ نسبي عدنان فأمسكوا)) .

قلت: لعلّ ذلك للاختلاف الواقع بين النسّابين، فلا تدري بأيّ قول تأخذ فيقع الخلط في نسبه (صلّى الله عليه وآله) ، وهذا ما لا يجوز،

وقد روي عنه أيضاً :

((كذب النسّابون، قال الله تعالى :﴿وقرونا بين ذلك كثيرا﴾ (الفرقان) / الآية ٣٨))) .

وفي البحار (ج ١٥ / ص ١٠٥) :

قال القاضي عبد الجبّار بن أحمد :

المراد بذلك أنّ اتصال الأنساب غير معلوم، فلا يخلو إمّا أن يكون كاذباً أو في حكم الكاذب، وقد روي أنه انتسب إلى إبراهيم .

أُمّ سلمة : سمعتُ النبيّ (صلّى الله عليه وآله) يقول :

((معد بن عدنان بن أدد))، وسمّي أدد لأنه كان مادّ الصوت، كثير الغر، ابن زيد بن ثرا بن أعراق الثرى)) .

قالت أُمّ سلمة : زيد هميسع ، وثرا نابت، وأعراق الثرى إسماعيل بن إبراهيم ، قالت: ثم قرأ (عليهم السلام) :﴿وعاداً وثمود وأصحاب الرّس﴾،

واعتمد النسّابة وأصحاب التواريخ أنّ عدنان هو ابن أدبن أدد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن نبت بن حمل بن قيذار بن إسماعيل .

وقال ابن بابويه :

عدنان بن أدبن أدد بن زيد بن يقدد بن يقدم بن الهميسع بن نبت

بن قيذار بن إسماعيل .

وقال ابن عبّاس :

عدنان بن أد بن أدد بن اليسع بن الهميسع ـ ويقال : ابن ياحين (يامين خ ل) بن يخشب بن منحر بن صابوغ بن نبت بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم بن تارخ بن ناخور بن بن سروغ بن أرغو وهو هود ، ويقال : ابن فالغ بن غابر وهو هود بن أرفخشد بن متوشلخ بن سام بن لمك بن أخنوخ، ويقال : احنوخ وهو إدريس بن مهلايل ، ويقال : مهاييل بن زبارز ، ويقال: مارد ، ويقال : أياد بن قينان بن أنوش بن شيث وهو هبه الله بن آدم . إنتهى .

صفات النبيّ ص

وأمّا صفاته (صلّى اللّه عليه وآله) :

ففي مناقب ابن شهرآشوب (ج ١/ص ١٥٥) :

كان فخماً مفخماً ، في العيون معظماً ، وفي القلوب مكرماً ، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ، أزهر ، أنور ، منوّر اللون ، مشرباً بحمرة ، لم تزر به مقلة ، ولم تعبه ثجله ، أغر ، أبلج ، أحور ، أدعج ، أكحل ، أزج ، عظيم الهامة ، رشيق القامة ، مقصداً ، واسع الجبين ، أقنى العرنين ، أشكل العينين ، مقرون الحاجبين ، سهل الخدّين ، صلتهما ، طويل الزندين ، شبح الذراعين ، عظيم مشاشة المنكبين ، طويل ما بين المنكبين ، شثن الكفّين ، ضخم القدمين ، عاري الثديين ، خمصان الأخمصين ، مخطوط المتنين ، أهدب الأشفار ، كثّ اللحية ، ذا وفرة ، وافر السبلة ، أخضر الشمط ، ضليع الفم ، أشم ، أشنب ، مفلج الأسنان ، دقيق المسربة ، معتدل الخلق ، مفاض البطن ، عريض الصدر ، كأنّ عنقه جيد دمية في صفاء الفضّة ، سائل الأطراف ، منهوس العقب ، قصير الحنك ، دافي الجبهة ، ضرب اللحم ، كأنّ في خاصرته انفتاق ، فعم

الأوصال ، لم يكن بالطويل البائن ، ولا القصير الشائن ، ولا بالطويل الممغط ، ولا بالقصير المتردد ، ولا بالجعد القطط ، ولا بالسبط ، ولا بالمطهم ، ولا بالمكلثم ، ولا بالأبيض الأمهق ، ضخم الكراديس ، جليل المشاش ، أنور المتجرّد ، لم يكن في بطنه ولا في صدره شعر إلا موصل ما بين اللبّة إلى السرّة كالخطّ ، جليل الكتد ، أجرد ذا مسربة ، وكان أكثر شيبة في فودى رأسه ، وكأنّ كفّه كفّ عطّار مسّها طيب ، رحب الراحة ، سبط القصب ، وكان إذا رضي وسرّ فكأنّ وجهه المرآة ، وكان فيه شيء من صور ، يخطو تكفّؤاً ، ويمشي الهوينا ، يبدو للقوم إذا سارع إلى خير ، وإذا مشى تقلّع كأنّما ينحدر في صبب ، إذا تبسّم يتبسّم عن مثل المنحدر عن بطون الغمام ، وإذا إفترّ إفترّ عن سنا البرق إذا تلألأ ، لطيف الخلق ، عظيم الخلق ، ليّن الجانب ، إذا طلع بوجهه على الناس رأوا جبينه كأنه ضوء السراج المتوقّد ، كان عرقه في وجهه كاللؤلؤ ، وريح عرقه أطيب من ريح المسك الأذفر ، بين كتفيه خاتم النبوّة . (إنتهى)

تفسير بعض ألفاظ هذه الصفات:

المقلة : شحمة العين التي تجمع البياض والسواد ، وقيل : الحدقة ، والثجلة : عظم البطن ، ثجل الرجل ـ كفرح ـ : عظم بطنه واسترخى ، والأغرّ : الأبيض من كلّ شيء ، أو هو الأبيض الوجه ، والرجل الكريم الأفعال ، والذي أخذت اللحية جميع وجهه إلا قليلاً ، والرجل الشريف ، والبلوج : الاشراق ، وأبلج الحق : ظهر ، وكلّ متّضح أبلج ، والبلجة والبلج : تباعد ما بين الحاجبين وقيل : ما بين الحاجبين إذا كان نقيّاً من الشعر ، وهنا معناه : مشرق الوجه ، والحور ـ بالتحريك ـ : إشتداد بياض العين واشتداد سواد سوادها فهو أحور وهي حوراء ، والأكحل : من اشتدّ سواد عينه حتى كأنه مكحول وإن لم يكحل ، ومثله الأدعج ، والزجج ـ محركة ـ : دقّة الحاجبين مع طولهما

وتقوّسهما ، وهو أزجّ وهي زجّاء ، والهامة : تطلق على الجثة ، أو هي الرأس ، أو هي وسطه ، وهامة كلّ شيء أعلاه ، وأقنى العرنين : دقيق الأنف ، وأشكل العينين : في بياضهما شيء من الحمرة وهو لطيف ومحمود ، والسهل : بوزن فلس وكتف كلّ شيء إلى اللين وقلّة الخشونة ، وسهل الخدّين صلتهما ، أي سائل الخدّين غير مرتفع الوجنتين ، وشبح الذراعين بالتسكين ، ومشبوحهما أي طويلهما أو عريضهما ، والمشاشة بضمّ الميم رأس العظم اللين ، وششنت الكفّ أي غلظت وخشنت لحماً ، والأخمص من القدم : الموضع الذي لا يلصق بالأرض منها عند الوطء ، والخمصان ـ المبالغ منه ـ : أي انّ ذلك الموضع من أسفل قدمه شديد التجافي عن الأرض ، والمتنان ـ قيل ـ : لحمتان معصوبتان بينهما صلب الظهر ، ومخطوط المتنين : أي بارزهما يريد : كأنّ ظهره قناة ماء ، والهدب : شعر أشفار العين ، والأهدب الذي طال هدب عينيه وكثرت أشفارها ، وكثّ اللحية أي اجتمع شعرها وكثف ، وجعد : من غير طول ، والسبلة بالتحريك الشارب ، والشمط محرّكة : بياض الرأس يخالط سواده ، أي كانت الشعرات التي شابت منه قد اخضرّت بالطيب والدهن الممزوج ، وضليع الفم أي عظيمه ، وقيل : واسعة ، والعرب تذمّ صغر الفم وتحمد كبره ، وأشمّ : أي ذو شم ، والشم : ارتفاع قصبة الأنف مع حسنها واستوائها ، وأشنب : بياض الأسنان ، والفلج ـ بالتحريك ـ : فرجه ما بين الثنايا والرباعيّات ، والسبط من الشعر : المنبسط المسترسل ، وهو ضدّ المجعّد ، والسربة والمسربة : الشعر ما بين الصدر إلى البطن ، ومغاض البطن أي مستوي البطن مع الصدر ، والدمية : بضمّ الدال الصورة المزينة فيها حمرة كالدم ، والمنهوس القليل اللحم ، وضرب اللحم بالكسر : خفيفة ، والإنفتاق : الإتّساع ، وإتّساع الخاصرتين في الرجال ممدوح وفي النساء مذموم ، وفعم الأوصال : أي ممتليء الأعضاء ، لم يكن بالطويل البائن : أي المفرط طولاً

الذي بعد عن حدّ الرجال الطوال ، والمتردد : المتناهي في القصر ، والقطط : الشديد الجعودة ، أي كان شعره وسطاً بين الجعودة والسبوطة ، والمطهّم : الفاحش السمن ، وقيل : النحيف الجسم ، وهو من الأضداد ، ووجه مكلثم : أي مستدير كثير لحم الوجه ، ولم يكن بالمكلثم : أنه لم يكن مستدير الوجه ولكنّه كان أسيلاً ، والأمهق : الأبيض الشديد البياض الذي لا يخالط بياضه حمرة وليس بنير ولكنّه كالجصّ ، والرسول ليس كذلك ، ولكنّه كان نير البياض ، والكراديس : جمع كردوس ، وكردوسه : وهو كلّ عظمين التقيا في مفصل ، نحو المنكبين والركبتين والوركين ، وقيل : كلّ عظم كثير اللحم عظمت نحضته كردوس ، وقال ابن فارس : الكردوس منحوت من كلم ثلاث : من كرد ، وكرس ، وكدس ، وكلّها تدلّ على التجمّع ، والكرد : الطرد ، ثم اشتقّ من ذلك ثم اشتقّ من ذلك فقيل : لكلّ عظم عظمت نحضته : كردوس ، ومنه كردس الرجل: جمعت يداه ورجلاه (إنتهى) .

والمراد بضخم الكراديس : ضخم الأعضاء ، وجليل المشاش : أي عظيم رؤوس العظام كالكتفين والمرفقين والمنكبين والركبتين ، وأنور المتجرّد : أي نير الجسد الذي تجرّد منه الثياب ، واللبّة ــ بفتح اللام وتشديد الباء : موضع القلادة من الصدر ، والكتد ــ بفتح التاء وكسرها ــ : مجتمع الكتفين من الإنسان ، والأجرد : الذي لا شعر له ، والفود : جانب الرأس مما يلي الأُذنين إلى الأمام والشعر الذي عليه ، ورحب الراحة : كناية عن السخاء والكرم ، والصور محركة الميل والاشتياق ، وهو كناية عن الوقار في المشي فهو يخطو تكفّؤاً : أي يميل ويميد إلى قدّام من غير التفات إلى اليمين والشمال ، وتقلّع في مشيه : أي مشي كأنه ينحدر ، وقيل : التقلّع رفع الرجل بقوّة ، والصبب ما انحدر من الأرض .

وفي نهج البلاغة :

((أرسله على حين فترة من الرُسل ، وطول هجعه من الأمم ، واعتـــزام من الفتن ، وانتشار من الأُمور ، وتلظّ من الحروب ، والدنيا كاسفة النور ظاهرة الغرور ، على حين اصفرار من ورقها ، وأياس من ثمرها ، واغورار من مائها ، قد درست منار الهدى وظهرت أعلام الردى ، فهـــي متجهّمه لأهلها ، عابسه في وجه طالبها ، ثمرها الفتنه ، وطعامها الجيفـــه ، وشعارها الخوف ، ودثارها السيف)) .

وفيه أيضاً :

((بعثه والناس ضلاّل في حيرة ، وحاطبون في فتنة ، قد استهوتـــهم الأهواء ، واستزلّتهم الكبرياء ، واستخفتهم الجاهليّة الجهلاء ، حيارى في زلزال من الأُمر ، وبلاء من الجهل ، فبالغ (صلّى اللّه عليه وآله) في النصيحة ، ومضى على الطريقة ، ودعا إلى الحكمة والموعظة الحسنة)) .

وفيه أيضاً :

((مستقره خير مستقر ، ومنبته أشرف منبت ، في معادن الكرامـــــة ، ومماهد السلامة ، قد صرفت نحوه أفئدة الأبرار ، وثنيت إليه الأبصار ، دفن اللّه به الضغائن ، وأطفأ به الثوائر ، ألّف به إخواناً ، وفرّق بـــه أقراناً ، أعزّ به الذلّة ، وأذلّ به العزّة ، كلامه بيان ، وصمته لسان)) .

وفي معاني الأخبار (ص ١٣٧) :

عن الإمام الصادق (عليه السلام) :

((نزل جبرئيل على النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله) فقال : " يا محمـد إنّ اللّه (جلّ جلاله) يقرئك السلام ويقول : * (إنّي قد حرّمت النار عـلى صلب أنزلك ، وبطن حملك ، وحجر كفلك) * ". فقال : يا جبرئيل بيّـن

لي ذلك ؟ فقال : « أمّا الصلب الذي أنزلك فعبد الله بن عبد المطّلب، وأمّا البطن الذي حملك فآمنة بنت وهب، وأمّا الحجر الذي كفلك فأبو طالب بن عبد المطّلب وآمنة بنت أسد »)) .

وفيه (ص ١٧٨) :

عن أنس بن مالك قال :

أتى أبو ذر يوماً إلى مسجد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال :

((ما رأيت كما رأيت البارحة ، قالوا : وما رأيت البارحة ؟ قال : رأيت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ببابه فخرج ليلاً فأخذ بيد عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) وخرجا إلى البقيع فما زلت أقفو أثرهما إلى أن أتيا مقابر مكّة ، فعدل إلى قبر أبيه فصلّى عنده ركعتين ، فاذا بالقبر قد انشق وإذا بعبد الله جالس وهو يقول : ((أنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنّ محمداً عبده ورسوله)) ، فقال له : من وليّك يا ابه ؟ فقال : وما الوليّ يا بُني ؟ فقال : هو هذا علي ، فقال : وأنّ عليّاً وليي ، قال : فارجع إلى روضتك ، ثم عدل إلى قبر أُمّه فصنع كما صنع عند قبر أبيه فاذا القبر قد انشق وإذا هي تقول : ((أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك نبيّ الله ورسوله)) فقال لها : من وليّك يا أُمّاه ؟ فقالت : وما الولاية يا بُني ؟ قال : هو هذا عليّ بن أبي طالب ، فقالت : وأنّ عليّاً وليي ، فقال : ارجعي إلى حفرتك وروضتك ، فكذّبوه ولببوه وقالوا : يا رسول الله كذب عليك اليوم ، فقال : وما كان من ذلك ؟ قالوا : إنّ جندب حكى عنك كيت وكيت ، فقال النبيّ (صلّى الله عليه وآله) : « ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر »)) .

قال عبد سلام بن محمد :

فعرضت هذا الخبر على الجهمي محمد بن الأعلى فقال :

أما علمت أنّ النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله) قال :

((أتاني جبرئيل (عليه السلام) فقال : " إنّ اللّه حرّم النار على ظهر أنزلك ، وبطن حملك ، وثدي أرضعك ، وحجر كفلك ")) .

وعاش (صلّى اللّه عليه وآله) ثلاثاً وستّين سنة : منها مع أبيه سنتين وأربعة أشهر ، ومع أُمّه وجدّه ثمانية سنين ، وكفله أبو طالب من بين إخوته بعد وفاة عبد المطّلب ، وكان حاميه وناصره أيّام حياته ، وتزوّج بخديجة بنت خُويلد وهو ابن خمس وعشرين سنة ، ولها يومئذٍ أربعون سنة ، وقيل : ثمانية عشرون ، ومكثت مع النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله) إثنين وعشرين سنة ، وروي أنّه (صلوات اللّه عليه وآله) تزوّجها وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، وقيل : مات أبوه وأُمّه حامل به ، وقيل : كان عمره سبعة أشهر ، وقال الكليني : شهران .

وبُعث بمكّة يوم السابع والعشرين من رجب وهو ابن أربعين سنة .

ورُميت الشياطين بالنجوم بعد مبعثه بعشرين يوماً ، وأنزل عليه القرآن يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان ، وروي : انّ اللّه تبارك وتعالى أنزل القرآن كلّه في ليلة القدر إلى البيت المعمور ، ثم أنزله إليه من البيت المعمور في مدّة عشرين سنة أو ثلاث وعشرين .

وعُرج به إلى السماء بعد البعثة بسنتين ، وقيل : قبل الهجرة بسنة ، وقيل : بسنتين ، وقيل : قبل الهجرة بستّة أشهر ، ليلة السبت ، أو ليلة الاثنين في السابع عشر من شهر رمضان ، أو ليلة سبع عشرة من ربيع الأول ، أو ليلة سبع وعشرين منه ، أو ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر ، أو ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان ، أو ليلة تسع وعشرين منه ، أو ليلة سبع وعشرين من رجب ، على اختلاف الأقوال والروايات .

وحُصر في الشعب بعد أن رمي الشياطين بالنجوم بخمس سنين ،

فمكث في الحصار خمس سنين .

وقال الكليني :

ماتت خديجة قبل الهجرة بسنة ، حين خرج رسول الله من الشعب ، ومات أبو طالب بعد موت خديجة بسنة ، فلمّا فقدهما رسول الله (صلّى الله عليه وآله) شنأ المقام بمكّة ، ودخله حزن شديد وشكا ذلك إلى جبرئيل (عليه السلام) ، فأوحى الله إليه : « أخرج من القرية الظالم أهلها ، فليس لك بمكّة ناصر بعد أبي طالب » وأمره بالهجرة .

وكانت إقامته بعد البعثة ثلاثة عشر سنة بمكّة على خوف وتقيّة من المشركين ، وقبل أن هاجر (صلوات الله عليه) إستتر في الغار ثلاثة أيّام ، وقيل ستّة ، والأول أصح ، ثم هاجر منها ودخل المدينة يوم الإثنين الحادي عشر من ربيع الأول ، وبقي بها عشر سنين إلى أن قبض .

وكانت وفاته (صلّى الله عليه وآله) يوم الإثنين لليلتين بقيتا من صفر عند أكثر الإماميّة ، وقال الكليني منهم وأكثر العامّة :

إنّه (صلّى الله عليه وآله) قُبض لإثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول .

وعن بعض العامّة : انّ وفاته في أول ربيع الأول ، وعن بعضهم : ثامنه ، وعن بعضهم : عاشره ، وعن بعضهم : ثامن عشرة ، والله أعلم .

مُعجزات النبيّ

وأمّا معجزاته (صلّى الله عليه وآله) فكثيرة ، قيل : إنها تنوف على الألف ، ونحن نذكر منها شيئاً يسيراً ، فمن ذلك ما في أمالي الصدوق باسناده عن ليث بن سعد قال :

قلتُ لكعب وهو عند معاوية : كيف تجدون صفة مولد النبيّ (صلى الله عليه وآله) عندكم ؟ وهل تجدون لعترته فضلاً ؟ فالتفت كعب إلى معاوية لينظر كيف هواه ، فأجرى الله على لسانه ، فقال : هات يا أبا

إسحاق رحمك الله ما عندك، فقال كعب:

إنّي قرأت إثنين وسبعين كتاباً كلّها أنزلت من السماء، وقرأت صحف دانيال كلّها، ووجدت في كلّها ذكر مولده ومولد عترته، وانّ اسمه لمعروف، وإنّه لم يولد نبيّ قطّ فنزلت عليه الملائكة ما خلا عيسى وأحمد (ص)، وما ضرب على آدميّة حجب الجنّة غير مريم وآمنة أمّ أحمد، وما وكّلت الملائكة بأُنثى حملت غير مريم وآمنة أمّ أحمد، وكان من علامة حمله أنه لمّا كانت الليلة التي حملت آمنة به (صلّى الله عليه وآله) نادى مناد في السماوات السبع: أبشروا فقد حمل الليلة بأحمد، وفي الأرضين كذلك حتى في البحور، وما بقي يومئذٍ في الأرض دابّة تدبّ ولا طائر يطير إلا علم بمولده، ولقد بُني في الجنّة ليلة مولده سبعون ألف قصر من ياقوت أحمر، وسبعون ألف قصر من لؤلؤ رطب فقيل: هذه قصور الولاية، ونجدت الجنان وقيل لها: إهتزّي وتزيّني فانّ نبيّ أُوليائك قد ولد، فضحكت الجنّة يومئذٍ فهي ضاحكة إلى يوم القيامة، وبلغني أنّ حوتاً من حيتان البحر يُقال له: طموساً وهو سيّد الحيتان، له سبعمائة ألف ذنب يمشي على ظهره سبعمائة ألف ثور؛ الواحد منها أكبر من الدنيا، لكلّ ثور سبعمائة ألف قرن من زمرّد أخضر لا يشعر بهنّ؛ إضطرب فرحاً بمولده، ولولا أنّ الله تبارك وتعالى ثبّته لجعل عاليها سافلها، ولقد بلغني أنّ يومئذٍ ما بقي جبل إلا نادى صاحبه بالبشارة ويقول: لا إلٰه إلا الله، ولقد قدّست الأشجار أربعين يوماً بأفنانها وثمارها فرحاً بمولده (صلى الله عليه وآله)، ولقد ضرب بين السماء والأرض سبعون عموداً من أنواع الأنوار لا يشبه كلّ واحد صاحبه، وقد بشّر آدم بمولده فزيد في حسنه سبعين ضعفاً، وكان قد وجد مرارة الموت وكان قد مسّه ذلك فسرى عنه ذلك، ولقد بلغني أنّ الكوثر اضطرب في الجنّة واهتزّ فرمى بسبعمائة ألف قصر من قصور الدرّ والياقوت نثاراً لمولد محمد (ص)، ولقد زُمّ ابليس وكُبّل وأُلقي في الحصن

أربعين يوماً وغرق عرشه أربعين يوماً ، ولقد تنكّست الأصنام كلّها وصاحت وولولت، ولقد سمعوا صوتاً من الكعبة : يا آل قريش لقد جاءكم البشير، جاءكم النذير معه عزّ الأبد والربح الأكبر، وهو خاتم الأنبياء.

ونجد في الكتب:

إنّ عترته خير الناس بعده في أمان من العذاب ما دام من عترته في دار الدنيا خلق يمشي.

فقال معاوية: يا أبا إسحاق ومن عترته ؟ قال كعب: ولد فاطمة، فعبس وجهه وعضّ على شفتيه، وأخذ يعبث بلحيته، فقال كعب: وإنّا نجد صفة الفرخين المستشهدين وهما فرخا فاطمة يقتلهما شرّ البريّة، قال : فمن يقتلهما؟ قال : رجل من قريش، فقام معاوية وقال : قوموا إن شئتم فقمنا.

وفيه (ص ١٩٨) :

عن الأصبغ بن نباته عن عليّ (عليه السلام) قال :

((إنّ اليهود أتت إمرأة منهم يقال لها عبدة، فقالوا : يا عبدة قد علمت أنّ محمداً قد هدّ ركن بني إسرائيل وهدم اليهوديّة، وقد غالى الملأ من بني إسرائيل بهذا السمّ له، وهم جاعلون لك جعلاً على أن تسمّيه في هذه الشاة، فعمدت عبدة إلى الشاة فشوتها، ثم جمعت الرؤساء في بيتها وأتت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقالت: يا محمد قد علمت ما توجب لي وقد حضرني رؤساء اليهود فزيّنّي بأصحابك، فقام رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ومعه عليّ (عليه السلام) وأبو دجانة وأبو أيّوب وسهل بن حنيف وجماعة من المهاجرين، فلمّا دخلوا وأخرجت الشاة سدّت اليهود آنافها بالصوف، وقاموا على أرجلهم وتوكّأوا على عصيّهم، فقال لهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : أقعدوا، فقالوا : إنّا إذا زارنا نبيّ لم يقعد منّا أحد،

وكرهنا أن يصل إليه من أنفسنا ما يتأذّى به، وكذبت اليهود (عليها لعنة الله)، إنّما فعلت ذلك مخافة سورة السمّ ودخانة. فلمّا وضعت الشاة بين يديه تكلّم كتفها فقالت: مه يا محمد لا تأكلني فانّي مسمومة، فدعا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عبده فقال لها: ما حملك على ما صنعت؟ فقالت: قلت: إن كان نبيّاً لم يضرّه، وإن كان كاذباً أرحت قومي منه، فهبط جبرئيل فقال: الله السلام يقرئك السلام ويقول: قل: ((بسم الله الذي يسمّيه به كلّ مؤمن، وبه عزّ كلّ مؤمن، وبنوره الذي أضاءت به السماوات والأرض، وبقدرته التي خضع لها كلّ جبّار عنيد، وانتكس كلّ شيطان مريد، من شرّ السمّ والسحر واللمم، بسم الله العليّ الملك الفرد الذي لا إله إلا هو، وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا)) فقال النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ذلك، وأمر أصحابه فتكلّموا به، ثم قال: كلوا، ثم أمرهم أن يحتجموا)).

ومن المعجزات ؛ ما في الاحتجاج للطبرسي:

وهو أنّ يهودياً من يهود الشام وأحبارهم كان قد قرأ التوراة والانجيل والزبور وصحف الأنبياء وعرف دلائلهم، جاء إلى مجلس فيه أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال: يا أُمّة محمد ما تركتم لنبيّ درجة، ولا لمرسل فضيلة، إلا أنحلتموها نبيّكم، فهل تجيبوني عمّا أسألكم عنه؟ فكاع القوم عنه، فقال عليّ بن أبي طالب: نعم ما أعطى الله نبيّاً درجة، ولا مرسلاً فضيلة إلا وقد جمعها لمحمد (صلّى الله عليه وآله) وزاد محمداً على الأنبياء أضعافاً مضاعفة.

وانّ اليهودي سأل عليّاً (عليه السلام) عن أربعين مسألة من معجزات الأنبياء وفضائلهم، وأجابه (عليه السلام) عنها، ونحن نكتفي بايراد ثماني

مسائل منها :

ففي (ص ٣١٤) : قال اليهودي :

هذا آدم أسجد الله له ملائكته، فهل لمحمد فعل شيئاً من هذا؟.

فقال له عليّ (عليه السلام) :

((لقد كان كذلك، أسجد الله لآدم (عليه السلام) ملائكته فإنّ سجودهم لم يكن سجود طاعة، وانهم عبدوا آدم من دون الله (عزّ وجل)، ولكن اعترافاً بالفضيلة، ورحمة من الله له، ومحمد (صلّى الله عليه وآله) أُعطي ما هو أفضل من هذا، إنّ الله (عزّ وجل) صلّى عليه في جبروته والملائكة بأجمعها، وتعبّد المؤمنين بالصلاة عليه، فهذه زيادة يا يهودي)).

(ص ٣١٥) : قال اليهودي :

فانّ هذا إدريس رفعه الله مكاناً علياً، وأطعمه من تُحف الجنّة بعد وفاته؟ قال له عليّ (عليه السلام) :

((لقد كان كذلك، ومحمد (صلّى الله عليه وآله) أُعطي ما هو أفضل من هذا، إنّ الله جلّ ثناؤه قال فيه: ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ (الإنشراح / الآية ٤)، فكفى بهذا من الله رفعة، ولئن أُطعم إدريس من تُحف الجنّة بعد وفاته فانّ محمد أُطعم فى الدنيا في حياته، بينما يتضوّر جوعاً فأتاه جبرئيل (عليه السلام) بجام من الجنّة فيه تحفة، فهلل الجام وهللت التحفة في يده، وسبّحا، وكبّرا، وحمدا، فناولها أهل بيته ففعلت الجام مثل ذلك، فهمّ أن يناولها بعض أصحابه فتناولها جبرئيل وقال له: كلها فانّها تحفة من تحف الجنّة أتحفك الله بها، وإنها لا تصلح إلا لنبيّ أو وصيّ نبيّ، فأكل منها (صلّى الله عليه وآله) وأكلنا معه، وإنّي لأجد حلاوتها ساعتي هذه)).

(ص ٣١٩) : قال اليهودي :

فانّ إبراهيم (عليه السلام) أسلمه قومه إلى الحريق فصبر فجعل اللّـــه (عزّ وجل) عليه برداً وسلاماً ، فهل فعل بمحمد شيئاً من ذلك ؟ قال عليّ (عليه السـلام) :

((لقد كان كذلك ، ومحمد (صلّى اللّه عليه وآله) لمّا نزل بخيبر سمّــته الخيبريّة فصيّر اللّه السمّ في جوفه برداً وسلاماً إلى منتهى أجله ،فالسمّ يحرق إذا استقرّ في الجوف كما انّ النار تحرق ، فهذا من قدرتــه لا تنكره)) ٠

(ص ٣٢١) : قال اليهودي :

فانّ هذا موسى بن عمران قد أرسله اللّه إلى فرعون وأراه الآيـــة الكبـــرى ؟ ٠ قال عليّ (عليه السلام) :

((لقد كان كذلك ، ومحمد أُرسل إلى فراعنة شتّى ، مثل أبي جهل بن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة ، وأبي البختري ، والنضر بن الحارث ، وأُبيّ بن خلف ، ومنبه ونبيه إبني الحجّاج ، وإلى الخمسة المستهزئين : الوليد بن المغيرة المخزومي ، والعاص بن وائل السهمي ، والأسود بن عبد يغوث الزهري ، والأسود بن المطّلب ، والحرث بن أبي الطلاطلة ، فأراهم الآيات في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم الحق)) ٠

(ص ٣٢٣) : قال اليهودي :

فانّ هذا موسى بن عمران قد أُعطي العصا فكانت تحوّل ثعباناً؟ قال عليّ (عليه السلام) :

((لقد كان كذلك ، ومحمد (ص) أُعطي ما هو أفضل من هذا ، انّ رجلاً كان يطالب أبا جهل بدين ثمن جزور قد اشتراه ، فاشتغل عنـــه

وجلس يشرب، فطلبه الرجل فلم يقدر عليه، فقال له بعض المستهزئين: من تطلب؟ فقال: عمرو بن هشام ـ يعني أبا جهل ـ لي عليه دين، قال: فأدلك على من يستخرج منه الحقوق؟ قال: نعم، فدله على النبيّ (صلّى الله عليه وآله) وكان أبو جهل يقول: ليت لمحمد إليّ حاجة فأسخر به وأرده، فأتى الرجل النبيّ (صلّى الله عليه وآله) فقال: يا محمد بلغني أنّ بينك وبين عمرو بن هشام حُسْن صداقة، وأنا أستشفع بك إليه، فقام معه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فأتى بابه، فقال له: قم يا أبا جهل فأدّ إلى الرجل حقّه، وإنّما كنّاه بأبي جهل ذلك اليوم، فقام مسرعاً حتى أدّى إلى الرجل حقّه، لمّا رجع إلى مجلسه قال له بعض أصحابه: فعلت ذلك فرقاً من محمد؟ قال: ويحكم اعذروني، انه لمّا أقبل رأيت عن يمينه رجالاً معهم حراب تتلألأ، وعن يساره ثعبانين تصطكّ أسنانهما، وتلمع النيران من أبصارهما، لو امتنعت لم آمن أن يبعجوا بالحراب بطني ويقضمني الثعبانان، هذا أكبر مما أُعطي موسى، وزاد الله محمداً ثعباناً وثمانية أملاك معهم الحراب)).

ولقد كان النبيّ (صلّى الله عليه وآله) يُؤذي قريشاً بالدعاء، فقام يوماً فسفّه أحلامهم، وعاب دينهم، وشتم أصنامهم، وضلّل آباءهم، فاغتمّوا من ذلك غمّاً شديداً فقال أبو جهل: والله للموت خير لنا من الحياة، فليس فيكم معاشر قريش أحد يقتل محمداً فيُقتل به، قالوا: لا، قال: فأنا أقتله، فان شاءت بنو عبد المطّلب قتلوني به، وإلا تركوني، قالوا: إنّك إن فعلت ذلك إصطنعت إلى أهل الوادي معروفاً لا تزال تذكر به، قال: إنه كثير السجود حول الكعبة، فاذا جاء وسجد أخذت حجراً فشدختة به، فجاء رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فطاف بالبيت أسبوعاً، ثم صلّى وأطال السجود، فأخذ

أبو جهل حجراً فأتاه من قبل رأسه ، فلمّا أن قرب منه أتاه فحل من قبل رسول الله(ص) فاغراً فاه نحوه ، فلمّا أن رآه أبو جهل فزع منه وارتعدت يده ،وطرح الحجر فشدخ رجله ، فرجع مدمي متغيّر اللون يفيض عرقاً ، فقال له أصحابه : ما رأيناك كاليوم ؟ قال : ويحكم اعذروني ؛ فانّه أقبل من عنده فحل فاغراً فاه فكاد يبتلعني ، فرميت بالحجر فشدخت رجلي .

(ص ٣٢٧) : قال اليهودي :

هذا سليمان قد سخّرت له الرياح ، فسارت به في بلاده غدوّها شهر ورواحها شهر؟ .

قال عليّ(عليه السلام) :

((لقد كان كذلك، ومحمد (صلّى الله عليه وآله) أُعطي ما هو أفضل من هذا ، إنّه أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى مسيرة شهر، وعُرج به في ملكوت السماوات مسيرة خمسين ألف عام، في أقلّ من ثلث ليلة ، حتى انتهى إلى ساق العرش، فدنا بالعلم فتدلّى من الجنّة رفرف أخضر ، وغشي النور بصره فرآى عظمة ربّه(عزّ وجل) بفؤاده، ولم يرها بعينه ، فكان كقاب قوسين بينه وبينها أو أدنى ، فأوحى الله إلى عبده ما أوحى ، وكان فيما إليه : الآية التي في سورة البقرة قوله : *لله ما في السماوات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تُخفوه يُحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويُعذّب من يشاء والله على كلّ شيء قدير* (البقرة/ الآية ٢٨٤) ،وكانت الآية عرضت على الأنبياء من ولد آدم(عليه السلام) إلى أن بعث الله تبارك وتعالى محمداً (صلّى الله عليه وآله) ، وعرضت على الأُمم فأبوا أن يقبلوها من ثقلها ،وقبلها رسول الله(صلّى الله عليه وآله) وعرضها على أُمّته فقبلوها ، فلمّا رأى الله تبارك وتعالى منهم القبول علم أنهم لا يطيقونها ، فلمّا أن سار

إلى ساق العرش كرر عليه الكلام ليفهمه فقال : ﴿آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربّه﴾ ، فأجاب (صلّى اللّه عليه وآله) مجيباً عنه وعن أُمّته : ﴿والمؤمنون كُلّ آمن باللّه وملائكته وكُتُبه ورُسُله لا نُفرّق بين أحد من رُسله﴾ ، فقال (جلّ ذكره) : ”لهم الجنّة والمغفرة عليّ إن فعلوا ذلك“، فقال النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله): [أمّا إذا فعلت ذلك بنا فغفرانك ربّنا وإليك المصير] ، يعني : المرجع في الآخرة، قال : فأجابه اللّه (عزّ وجل) : ”قد فعلت ذلك بك وبأُمّتك“.

ثم قال (عزّ وجل) : ”أمّا إذا قبلت الآية بتشديدها وعظم ما فيها ـ وقد عرضتها على الأُمم فأبوا أن يقبلوها وقبلتها أُمّتك ـ حق عليّ أن أرفعها عن أُمّتك“، وقال :﴿لا يُكلّف اللّه نفساً إلا وسعها لها ما كسبت ـ من خير ـ وعليها ما اكتسبت﴾ من شرّ، فقال النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله) لمّا سمع ذلك: [ما إذا فعلت ذلك بي وبأُمّتي فزدني] ، قال : ((سل)) ، قال : [ربّنا لا تُؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا]، قال اللّه (عزّ وجل) : ”لست أُؤاخذ أُمّتك بالنسيان والخطأ لكرامتك عليّ ، وكانت الأُمم السالفة إذا نسوا ما ذُكّروا به فتُحت عليهم أبواب العذاب، وقد رفعت ذلك عن أُمّتك، وكانت الأُمم السالفة إذا أخطأوا أُخذوا بالخطأ وعُوقبوا عليه ، وقد رفعت ذلك عن أُمّتك لكرامتك عليّ“.

فقال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) : [اللهم إذا أعطيتني ذلك فزدني] قال اللّه تبارك وتعالى له: ((سل)) ، قال : ﴿ربّنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا﴾ ، يعني : بالإصر الشدائد التي كانت على من كان قبلنا ، فأجابه اللّه (عزّ وجل) إلى ذلك وقال تبارك اسمه : ”قد رفعت عن أُمّتك الآصار التي كانت

على الأُمم السالفة، كنت لا أقبل صلاتهم إلا في بقاع من الأرض معلومة إخترتها لهم وإن بعدت، وقد جعلت الأرض كلّها لأُمّتك مسجداً وطهوراً، فهذه من الآصار التي كانت على الأُمم قبلك فرفعتها عن أُمّتك ")) .

وكانت الأُمم السالفة إذا أصابهم أذىً من نجاسة قرضوه من أجسادهم، وقد جعلت الماء لأُمّتك طهوراً، فهذا من الآصار التي كانت عليهم فرفعتها عن أُمّتك، وكانت الأُمم السالفة تحمّل قرابينها على أعناقها إلى بيت المقدس، فمن قبلت ذلك منه أرسلت عليه ناراً فأكلته فرجع مسروراً، ومن لم أقبل منه ذلك رجع مثبوراً، وقد جعلت قربان أُمّتك في بطون فقرائها ومساكينها، فمن قبلت ذلك منه أضعفت له ذلك أضعافاً مضاعفة، ومن لم أقبل ذلك منه رفعت عقوبات الدنيا، وقد رفعت ذلك عن أُمّتك، وهي من الآصار التي كانت على الأمم من كان من قبلك.

وكانت الأُمم السالفة صلواتها مفروضة عليها في ظلم الليل وأنصاف النهار، وهي من الشدائد التي كانت عليهم، فرفعتها عن أُمّتك وفرضت صلاتهم في أطراف الليل والنهار، وفي أوقات نشاطهم.

وكانت الأُمم السالفة قد فرضت عليهم خمسين صلاة في خمسين وقتاً وهي من الآصار التي كانت عليهم، فرفعتها عن أُمّتك وجعلتها خمساً في خمسة أوقات، وهي إحدى وخمسون ركعة، وجعلت لهم أجر خمسين صلاة.

وكانت الأُمم السالفة حسنتهم بحسنة وسيّئتهم بسيّئة، وهي من الآصار التي عليهم، فرفعتها عن أُمّتك وجعلت الحسنة بعشرة والسيّئة بواحدة.

وكانت الأُمم السالفة إذا نوى أحدهم حسنة فلم يعملها لم تكتب له،

وإن عملها كتبت له حسنة ، وانّ أُمّتك إذا همّ أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، وإن عملها كتبت له عشرة ، وهي من الآصار التي كانت عليهم فرفعتها عن أُمّتك.

وكانت الأُمم السالفة إذا همّ أحدهم بسيّئة فلم يعملها لم تُكتب عليه ، وإن عملها كتبت عليه سيّئة ، وانّ أُمّتك إذا همّ أحدهم بسيّئة فلم يعملها كتبت له حسنة ، وهذه من الآصار التي كانت عليهم فرفعتها عن أُمّتك.

وكانت الأُمم السالفة إذا أذنبوا كتبت ذنوبهم على أبوابهم ، وجعلت توبتهم من الذنوب أن حرّمت عليهم أحبّ الطعام إليهم ، وقد رفعت ذلك عن أُمّتك وجعلت ذنوبهم فيما بيني وبينهم ، وجعلت عليهم ستوراً كثيفة ، وقبلت توبتهم بلا عقوبة ، ولا أعاقبهم بأن أحرّم عليهم أحبّ الطعام إليهم.

وكانت الأُمم السالفة يتوب إلى اللّه أحدهم من الذنب الواحد مائة سنة ، أو ثمانين سنة ، أو خمسين سنة ، ثم لا أقبل توبته دون أن أعاقبة في الدنيا بعقوبة ، وهي من الآصار التي كانت عليهم فرفعتها عن أُمّتك ، وانّ الرجل من أُمّتك ليذنب عشرين سنة ، أو ثلاثين سنة ، أو أربعين سنة ، أو مائة سنة ، ثم يتوب ويندم طرفة عين فأغفر ذلك كلّه.

فقال النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله) :

إذا أعطيتني ذلك كلّه فزدني ، قال : سل ، قال : ﴿ربّنا ولا تُحمّلنا ما لا طاقة لنا به﴾ ، قال تبارك اسمه : قد فعلت ذلك بأُمّتك ، وقد رفعت عنهم عظم بلايا الأمم ، وذلك حكمي في جميع الأُمم ، أن لا أُكلّف خلقاً فوق طاقتهم.

فقال النبي (صلّى اللّه عليه وآله) :

﴿واعف عنّا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا﴾ ، قال الله (عزّ وجل) : قد فعلتُ ذلك بتائبي أُمّتك، ثم قال (صلّى الله عليه وآله) : ﴿فانصرنا على القوم الكافرين﴾ ، قال الله (جلّ اسمه) : إنّ أُمّتك في الأرض كالشامة البيضاء في الثور الأسود ؛ هم القادرون، وهم الفائزون، يستخدمون ولا يُستخدمون، لكرامتك عليّ، وحقّ عليّ أن أظهر دينك على الأديان، حتى لا يبقى في شرق الأرض ولا غربها إلا دينك، ويؤدّون إلى أهل دينك الجزية.

(ص٣٣٢) : فانّ عيسى يزعمون أنه قد أبرأ الأكمه والأبرص باذن الله؟ قال عليّ (عليه السلام) :

((لقد كان كذلك، ومحمد (صلّى الله عليه وآله) أُعطي ما هو أفضل من ذلك: أبرأ ذا العاهة من عاهته، بينما هو جالس إذ سأل عن رجل من أصحابه، فقالوا : يا رسول الله إنه قد صار من البلاء كهيئة الفرخ الذي لا ريش عليه، فأتاه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فاذا هو كهيئة الفرخ من شدّة البلاء، فقال له: قد كنت تدعو في صحّتك دعاء؟ قال: نعم، كنت أقول: يا ربّ أيّما عقوبة أنت معاقبي بها في الآخرة فاجعلها لي في الدنيا، فقال له النبيّ (صلّى الله عليه وآله) : ألا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، فقالها الرجل فكأنّما نشط من عقال، وقام صحيحاً وخرج معنا)) .

ولقد أتاه رجل من جهينة أجذم يتقطّع من الجذام فشكا إليه (صلّى الله عليه وآله) ، فأخذ قدحاً من ماء فتفل عليه، ثم قال: إمسح جسدك ففعل فبرئ حتى لم يوجد عليه شيء.

ولقد أتى النبيّ (ص) بأعرابي أبرص فتفل من فيه عليه، فما قام من

عنده إلا صحيحاً ٠

ولئن زعمت أنّ عيسى أبرأ ذا العاهات من عاهاتهم ، فانّ محمداً (صلّى اللّه عليه وآله) بينما هو في أصحابه إذ هو بامرأة ، فقالت: يا رسول اللّه إنّ ابني قد أشرف على حياض الموت، كلّما أتيته بطعام وقع عليه التثاؤب، فقام النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله) وقمنا معه ، فلمّا أتيناه قال له : جانب يا عدوّ اللّه عن وليّ اللّه عن وليّ اللّه فأنا رسول اللّه ، فجانبه الشيطان فقام صحيحاً ، وهو معنا في عسكرنا ٠

ولئن زعمت أنّ عيسى أبرأ العميان ، فانّ محمداً قد فعل ما هو أكبر من ذلك : إنّ قتادة بن الربيع كان رجلاً صحيحاً ، فلمّا أن كان يوم أُحد أصابته طعنة في عينه ، فبدرت حدقته ، فأخذها بيده ثم أتى بها النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله) فقال : يا رسول اللّه إنّ امرأتي الآن تبغضني ،فأخذها رسول اللّه من يده ثم وضعها مكانها فلم تكن تعرف إلا بفضل حسنها وفضل ضوئها على العين الأُخرى ٠

ولقد جرح عبد اللّه بن عبيد وبانت يده يوم حُنين ، فجاء إلى النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله) فمسح عليه يده فلم تكن تعرف من اليد الأُخرى ٠

ولقد أصاب محمد بن مسلم يوم كعب بن الأشرف مثل ذلك في عينه ويده ، فمسحه رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) فلم تستبينا ٠

ولقد أصاب عبد اللّه بن أنس مثل ذلك في عينه ، فمسحها ، فما عرفت من الأخرى ، فهذه كلّها دلالة لنبوّته (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ٠

قال اليهودي : إنّ عيسى يزعمون أنه أحيا الموتى باذن اللّه ؟

قال عليّ (عليه السلام) :

((لقد كان كذلك، ومحمد سبّحت في يده تسع حصيّات، تسمع نغماتها في جمودها ولا روح فيها لتمام حجّة نبوّته)) .

ولقد كلّمه الموتى من بعد موتهم واستغاثوا به مما خافوا تبعته.

ولقد صلّى بأصحابه ذات يوم فقال :

((ما هٰهنا من بني النجّار أحد ، وصاحبهم محتبس على باب الجنّة بثلاثة دراهم لفلان اليهودي ــ وكان شهيداً)) .

ولئن زعمت أنّ عيسى كلّم الموتى فلقد كان لمحمد ما هو أعجب من هذا : إنّ النبيّ (ص) لمّا نزل بالطائف وحاصر أهلها بعثوا إليه بشاة مسلوخة مطلية بسمّ، فنطق الذراع منها فقالت: يا رسول الله لا تأكلني فانّي مسمومة ، فلو كلّمته البهيمة وهي حيّة لكانت من أعظم حجج الله على المنكرين لنبوّته ، فكيف وقد كلّمته بعد ذبح وسلخ وشي .

الدُّعَاء ثــم نعود إلى الدعاء :

((اللهم صلّ على عليّ أمير المؤمنين ، ووصيّ رسول ربّ العالمين ، ــ وفي بعض النسخ زيادة على هذا ــ عبدك ووليّك وحجّتك على خلقك، وآيتك الكبرى والنبأ العظيم)) .

الشَرح الأمر : طلب الفعل من الغير ، أمره يأمره من باب نصر ، والأمير : من بيده الأمر.

بعض فضائل أمير المؤمنين عليه السلام

وأمير المؤمنين : هو عليّ بن أبي طالب كما في (ج٢) من ترجمة علي بن أبي طالب من تاريخ بن عساكر، باسناده عن بريدة الأسلمي قال : أمرنا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أن نُسلّم على عليّ بأمرة المؤمنين ، ونحن سبعة وأنا أصغر القوم يومئذٍ (ص ٢٦٠) .

وفيه (ص ٤٨٦) : عن أنس قال :

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) :

أسكب لي وضوءاً ، ثم قام فصلّى ركعتين ، ثم قال : ياأنس أول من يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين ، وسيّد المسلمين ، وقائد الغُرّ المُحجّلين ، وخاتم الوصيين ، قال أنس : قلت: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار ــ وكتمته ــ إذ جاء عليّ ، فقال : من هذا يا أنس؟ فقلتُ: عليّ ، فقام مستبشراً فاعتنقه ، ثم جعل يمسح عن وجهه بوجهه ويمسح عرق عليّ بوجهه ، فقال : يا رسول الله لقد رأيتك صنعت شيئاً لم تصنع بي قبل ، قال : وما يمنعني وأنت تُؤدّي عنّي وتسمعهم صوتي وتبيّن لهم ما اختلفوا فيه بعدي .

وفي أمالي الصدوق (ص ١٠) : باسناده عن ابن عبّاس قال :

قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) :

((المخالف على عليّ بن أبي طالب بعدي كافر ، والمشرك به مشرك ، والمُحبّ له مؤمن ، والمبغض له منافق ، والمقتفي لأثره لاحق ، والمحارب له مارق ، والرادّ عليه زاهق ، عليّ نور الله في بلاده ، وحجّته على عباده ، عليّ سيف الله على أعدائه ، ووارث علم أنبيائه ، عليّ كلمة الله العُليا ، وكلمة أعدائه السُفلى ، عليّ سيّد الأوصياء ، ووصيّ سيّد الأنبياء ، عليّ أمير المؤمنين ، وقائد الغُرّ المُحجّلين ، وإمام المسلمين ، لا يقبل الله الايمان إلا بولايته وطاعته)) .

وفيه (ص ١١١) : عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال :

((قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يوم غدير خمّ : ((أفضل أعياد أُمّتي وهو اليوم الذي أمرني الله تعالى ذكره فيه بنصب أخي عليّ بن أبي طالب علماً لأُمّتي يهتدون به من بعدي ، وهو اليوم الذي

أكمل الله به الدين وأتمّ فيه على أُمّتي النعمة ورضى لهم الاسلام ديناً ، ثم قال : معاشر الناس إنّ علياً منّي وأنا من عليّ ، خُلق من طينتي ، وهو إمام الخلق بعدي يبيّن لهم ما اختلفوا فيه من سُنّتي ، وهو أمير المؤمنين ، وقائد الغُرّ المحجّلين ، ويعسوب المؤمنين ، وخير الوصيين ، وزوج سيّدة نساء العالمين ، وأبو الأئمة المهديين ،معاشر الناس من أحبّ علياً أحببته ، ومن أبغض علياً أبغضته ، ومن وصل علياً وصلته ، ومن قطع علياً قطعته ، ومن جفا علياً جفوته ، ومن والى علياً واليته ، ومن عادى علياً عاديته ، معاشر الناس أنا مدينة الحكمة وعليّ بن أبي طالب بابها ، ولن تُؤتى المدينة إلا من قبل الباب، وكذب من زعم أنّه يحبّني ويبغض علياً ، معاشر الناس والذي بعثني بالنبوّة واصطفاني على جميع البريّة ، ما نصبت علياً علماً لأُمّتي في الأرض حتى نوّه الله باسمه في سماواته ، وأوجب ولايته على ملائكته)) .

وفيه(ص ٢٦٤) : عن إبن عبّاس قال :

قال رسول الله(صلّى الله عليه وآله) :

((أنا سيّد الأنبياء والمُرسلين ، وأفضل من الملائكة المقرّبين ، وأوصيائي سادة أوصياء النبيين والمُرسلين ، وذُرّيتي أفضل ذرّيات النبيين والمُرسلين ، وأصحابي الذين سلكوا منهاجي أفضل أصحاب النبيين والمُرسلين ، وابنتي فاطمة سيّدة نساء العالمين ، والطاهرات من أزواجي أُمّهات المؤمنين ، وأُمّتي خير أُمّة أخرجت للناس ، وأنا أكثر النبيين تبعاً يوم القيامة ، ولي حوض عرضه ما بين بصري وصنعاء ، فيه من الأباريق عدد نجوم السماء ، وخليفتي على الحوض يومئذٍ خليفتي في الدنيا ، فقيل : ومن ذاك يا رسول الله ؟ قال : إمام المسلمين ، أمير المؤمنين ومولاهم بعدي : عليّ بن أبي طالب، يسقي

منه أولياءه، ويذود عنه أعداءه كما يذود أحدكم الغريبة من الإبل عن الماء، ثم قال: من أحبّ عليّاً وأطاعه في دار الدنيا ورد على حوضي غداً، وكان معي في درجتي في الجنّة، ومن أبغض عليّاً في دار الدنيا وعصاه لم أره ولم يرني يوم القيامة، واختلج دوني وأخذ به ذات الشمال إلى النار)).

سبب تسميته بأمير المؤمنين

وفيه (ص ١١٦): عن عليّ بن الحسين عن أبيه عن أمير المؤمنين (صلوات الله عليهم):

((إنّه جاء إليه رجل فقال: يا أبا الحسن إنّك تُدعى: أمير المؤمنين: فمن أمّرك عليهم؟ قال: الله (جلّ جلاله) أمّرني عليهم، فجاء الرجل إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله أيصدق عليّ فيما يقول: إنّ الله أمّره على خلقه؟ فغضب النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ثم قال: إنّ عليّاً أمير المؤمنين بولاية من الله (عزّ وجل)؛ عقدها له فوق عرشه، وأشهد على ذلك ملائكته، إنّ عليّاً خليفة الله، وحجّة الله، وأنه لإمام المسلمين، طاعته مقرونة بطاعة الله، ومعصيته مقرونة بمعصية الله، فمن جهله فقد جهلني، ومن عرفه فقد عرفني، ومن أنكر إمامته فقد أنكر نبوّتي، ومن جحد إمرته فقد جحد رسالتي، ومن دفع فضله فقد تنقّصني، ومن قاتله فقد قاتلني، ومن سبّه فقد سبّني، لأنه منّي خُلق من طينتي، وهو زوج فاطمة إبنتي، وأبو ولدي: الحسن والحسين، ثم قال (صلّى الله عليه وآله): أنا وعليّ وفاطمة والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين حجج الله على خلقه، أعداؤنا أعداء الله، وأولياؤنا أولياء الله)).

وفيه (ص ٣٦٥): عن ابن عبّاس قال:

سمعتُ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وهو على المنبر يقول ـ وقد بلغه عن أُناس من قريش إنكار تسميته لعليّ أمير المؤمنين ـ فقال :

((معاشر الناس إنّ الله بعثني إليكم رسولاً ، وأمرني أن أستخلف عليكم عليّاً أميراً ، ألا فمن كنت نبيّه فانّ عليّاً أميره ، تأمير أمره الله (عزّ وجل) عليكم وأمرني أن أعلمكم ذلك لتسمعوا له وتُطيعوا إذا أمركم تأتمرون ، وإذا نهاكم عن أمر تنتهون ، ألا فلا يأتمرنّ أحد منكم على عليّ في حياتي ولا بعد وفاتي ، فانّ الله أمّره عليكم وسمّاه : ((أمير المؤمنين)) ، ولم يُسمّ أحداً من قبله بهذا الاسم ، وقد أبلغتكم ما أُرسلتُ به في عليّ ، فمن أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ولا حجّة له عند الله (عزّ وجل) وكان مصيره إلى ما قال الله (عزّ وجل) في كتابه : ﴿ ومن يعص الله ورسوله ويتعدّ حدوده يدخله ناراً خالداً فيها ﴾ (النساء / الآية ١٤))) .

مَعْنَى الوَصِيَّة

والوصيّة : فعيلة ؛ من وصى يصي ؛ يعني : إذا أوصل الشيء بغيره ، لأنّ الموصي يوصل تصرّفه بعد الموت بما قبله.

وفي الشرع : هي تمليك العين أو المنفعة بعد الوفاة أو جعلها في جهة مباحة ، وأوصيتُ له بشيء وأوصيتُ إليه : إذا جعلته وصيّك ، والاسم الوصاية بالكسر والفتح ، وهي استنابة الموصي غيره بعد موته فيما كان له التصرّف فيه ، من إخراج حقّ واستيفائه ، أو ولاية على طفل أو مجنون يملك الولاية عليه .

وأوصياء الأنبياء كما جاءت به الرواية :

((شيث بن آدم وصيّ آدم ، وسام بن نوح وصيّ نوح ، ويوحنّا بن حنان بن عمّ هود وصيّ هود ، وإسحاق بن إبراهيم وصيّ إبراهيم ، ويوشع بن نون وصيّ موسى ،

وشمعون بن حمون الصفاعم مريم وصي عيسى ، وعليّ بن أبي طالب وصيّ محمد (صلّى الله عليه وآله))) .

وفي تاج العروس :
والوصي كغنيّ لقب عليّ (رضي الله تعالى عنه) إنتهى .
وقد لهج باسم الوصي جماعة من الصحابة في أقوالهم وأشعارهم حتى أنهم كانوا يُطلقون هذا الاسم على عليّ (عليه السلام) إطلاق الأسماء على مسمّياتها ، كقول عبد الله بن العبّاس :

وصيّ رسول الله من دون أهله
وفارسه ان قيل هل من منازل

وقال المغيرة بن الحارث بن عبد المطّلب من أبيات يُحرّض فيها أهل العراق على حرب معاوية :

هذا وصي رسول الله قائدكم
وصهره وكتاب قد نُشرا

وقال عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب:

ومنّا عليّ ذاك صاحب خيبر
وصاحب بدر يوم سالت كتائبه
وصيّ النبيّ المصطفى وابن عمّه
فمن ذا يدانيه ومن ذا يُقاربه

وقال أبو الهيثم بن التيّهان وكان بدريّاً من أبيات يوم الجمل :

إنّ الوصيّ إمامنا ووليّنا
برح الخفاء وباحت الأسرار

وقال خزيمة بن ثابت من أبيات يوم الجمل :

أعايش خلّي عن عليّ وعيبه
بما ليس فيه إنّما أنت والده
وصيّ رسول اللّه من دون أهله
وأنت على ما كان من ذاك شاهده

وقال عبد الرحمٰن بن جعيل إذ بايع الناس عليّاً بعد عثمان :

لعمريَ لقد بايعتم ذا حفيظة
على الدين معروف العفاف موفّقا
عليّاً وصيّ المصطفى وابن عمّه
وأول من صلّى أخا الدين والتقى

وقال رجل من الأزد يوم الجمل :

هذا عليّ وهو الوصي
آخاه يوم النجوة النبي
وقال هذا بعدي الولي
وعاه واع ونسي الشقي

وهو كثير، فمن أراد الإستقصاء فليراجع كتب السير وشرح النهج لابن أبي الحديد .

وفي مناقب ابن المغازليِ الشافعي باسناده عن عبد اللّه بن بريدة قال : قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) :

((لكلّ نبيّ وصيّ ووارث، وانّ وصيّي ووارثي عليّ بن أبي طالب)) .

وفي فرائد السمطين (ج ١/ص ٢٧٠) باسناده عن محمد بن المنكدر عن أُمّ سلمة وكانت من ألطف نساء النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وأشدّهنّ له حبّاً ، قال : وكان لها مولى كان أحضنها ورباها ، وكان لا يُصلّي صلاة إلا سبّ

علياً وشتمه، فقالت له: يا أبه ما حملك على سبّ عليّ؟ قال: لأنّه قتل عثمان وشرك في دمه، قالت: أما انّه لولا أنّك مولاي وربّيتني ما حدّثتك بسرّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ولكن أجلس حتى أُحدّثك عن عليّ ما رأيتُ:

قد أقبل النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إليّ يوماً وكان يومي – وإنّما كان نصيبي في تسعة أيّام يوم واحد – فدخل النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وهو مخلل أصابعه في أصابع عليّ واضعاً يده عليه، فقال: يا أُمّ سلمه أخرجي من البيت وأخليه لنا، قالت: فخرجت وأقبلا يتناجيان، وأنا أسمع الكلام ولا أدري ما يقولان حتى إذا قلتُ: قد انتصف النهار وأقبلتُ فقلتُ: السلام عليكم ألج؟ فقال النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): لا تلجي وارجعي إلى مكانك، ثم تناجيا طويلاً حتى قام عمود الظهر فقلتُ: ذهب يومي وشغله عليّ، فأقبلتُ أمشي حتى وقفتُ على الباب فقلتُ: السلام عليكم ألج؟ قال النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): فلا تلجي، فرجعتُ فجلستُ في مكاني حتى إذا قلتُ: زالت الشمس الآن يخرج إلى الصلاة فيذهب يومي – ولم أر قطّ يوماً أطول منه – فأقبلتُ أمشي حتى قلتُ: السلام عليكم ألج؟ فقال النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): نعم فلجي، فدخلتُ وعليّ واضع يده على ركبتي رسول الله (ص) قد أدنى فاه من أُذن النبيّ (ص) وفم النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) على أُذن علي يتسارّان وعليّ يقول: أفأمضي وأفعل؟ والنبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يقول: نعم.

قالت: فدخلتُ وعليّ معروض وجهه حتى دخلت وخرج، فأخذني النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وأقعدني في حجره، فالتزمني فأصاب ما يُصيب الرجل من أهله من اللطف والإعتذار، ثم قال: يا أُمّ سلمة لا تلوميني

فانّ جبرئيل أتاني من الله تعالى بأمر وأمرني أن أُوصي به عليّاً من بعدي ، وكنت بين جبرئيل وعليّ ، جبرئيل عن يميني وعليّ عن شمالي ، فأمر جبرئيل أن آمر عليّاً بما هو كائن بعدي إلى يوم القيامة ، فأعذريني ولا تلوميني ، إنّ الله (عزّ وجل) اختار من كلّ أُمّة نبيّاً واختار لكلّ نبيّ وصيّاً ، فأنا نبيّ هذه الأُمّة ، وعليّ وصيّي في عترتي وأهل بيتي وأُمّتي من بعدي ، ثم قالت أمّ سلمة : فهذا ما شهدت في عليّ ، الآن يا أبتاه فسبه أو دعه ، فأقبل أبوها ومولاها الذي كان ربّاها يناجي الله الليل والنهار ويقول : اللهم اغفر لي ما جهلت من أمر عليّ فانّ وليّي وليّ عليّ ، وعدوّي عدوّ عليّ .

مِنْ فَضَائِلْ عَلىّ وَمَنَاقِبِهِ

وفيه (ص ١١٦) : عن ابن عمر ، قال :

آخى رسول الله (ص) بين أصحابه ، فجاء عليّ وتدمع عيناه فقال : يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تُؤاخ بينى وبين أحد ؟ فقال له رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : أنت أخي في الدنيا والآخرة .

سماك بن حرب قال :

قلتُ لجابر : إنّ هؤلاء القوم يدعونني إلى شتم عليّ ، قال : وما عسيت أن تشتم به ؟ قال : أكنّيه بأبي تُراب ؟ قال : فوالله ما كانت لعليّ كُنية أحبّ إليه من أبي تراب ، إنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله) آخى بين الناس ولم يُؤاخ بينه وبين أحد ، فخرج مغضباً حتى أتى كثيباً من الرمل فنام عليه ، فأتاه النبيّ (صلّى الله عليه وآله) فقال : قم أبا تراب ، وجعل ينفض التراب عن ظهره وبردته ويقول : قم يا أبا تراب ، أغضبت أن آخيت بين الناس ولم أُواخ بينك وبين أحد ؟ قال : نعم ، قال : أنت أخي وأنا أخوك .

وفي (ص ١٠٩) : قال :

لمّا أُسري بالنبيّ (صلّى الله عليه وآله) قال :

((رُفعتُ إلى رفارف من نور ثم رفعتُ إلى حجب من نور ، فأوعز إلـيّ الجبّار بما شاء ،فلمّا انقلبتُ من عنده نادى منادٍ من وراء الحُجب:: يا محمد نِعْمَ الأب أبوك إبراهيم، ونِعْمَ الأخ أخوك عليّ فاستوص بـه خيراً)) .

وفي الكافي (ج ١/ص ١٦٨) : عن منصور بن حازم قال :
قلتُ لأبي عبد الله (عليه السلام) : إنّ الله أجلّ وأكرم من أن يُعرف بخلقه ، بل الخلق يُعرفون بالله ، قال : صدقت، قلتُ: إنّ من عرف أنّ له ربّاً فينبغي له أن يعرف أنّ لذلك الربّ رضاً وسخطاً ، وأنّه لا يعرف رضاه وسخطه إلا بوحي أو رسول ، فمن لم يأته الوحي فقد ينبغي له أن يطلب الرسل فاذا لقيهم عرف أنّهم الحجّة وانّ لهم الطاعة المفترضة .

وقلتُ للناس : تعلمون أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كان هو الحجّة من الله على خلقه ؟ قالوا : بلى ، قلتُ: فحين مضى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من كان الحجّة لله على خلقه ؟ فقالوا : القرآن ، فنظرت في القرآن فاذا يخاصم به المرجيّ والقدريّ والزنديق الذي لا يُؤمن به حتى يغلب الرجال بخصومته ، فعلمت أنّ القرآن لا يكون حجّة إلا بقيّم ، فما قال فيه من شيء كان حقّاً ، فقلتُ لهم : من قيّم القرآن ؟ فقالوا : إبن مسعود قد كان يعلم وعمر يعلم وحذيفة يعلم ، قلتُ: كلّه ؟ قالوا : لا ، فلم أجد أحداً يقال : إنّه يعرف ذلك كلّه إلا علياً (عليه السلام) ، وإذا كان الشيء بين القوم فقال هذا : لا أدري، وقال هذا : لا أدري، وقال هذا : لا أدري ، فأشهد أن علياً (عليه السلام) قيّم القرآن ، وكانت طاعته مفترضة ، وكان الحجّة على الناس بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وانّ ما قال في القرآن فهو حق ، فقال : ((رحمك الله)) .

والآية: العلامة والمعجزة والإمارة، أفعله بآية كذا كما تقول: بامارة كذا، وبعلامة كذا، والآية من القرآن: كلام متّصل إلى انقطاعه، سمّيت آية لأنها علامة لانقطاع كلام من كلام، وقيل: لأنها جماعة حروف من القرآن، والآيات الدلائل والعلامات والعجائب.

وفي احتجاج الطبرسي (ج ٢/ص ٥٩):

سأل نافع مولى عمر بن الخطّاب أبا جعفر الباقر (عليه السلام) عن قول الله (عزّ وجل): *واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمٰن آلهة يعبدون* (الزخرف/الآية ٤٥)، من الذي سأل محمد؟ فتلا أبو جعفر (ع) هذه الآية: *سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنُريه من آياتنا* (الإسراء/الآية ١)، كان من الآيات التي أراها محمداً حيث أسرى به إلى بيت المقدس: إنّ الله حشر الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين، ثم أمر جبرئيل (عليه السلام): فأذّن شفعاً وأقام شفعاً، وقال في أُذانه: ((حيّ على خير العمل))، ثم تقدّم محمد (صلّى الله عليه وآله) فصلّى بالقوم، فلمّا انصرف قال الله (عزّ وجل): *واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الله آلهة يُعبدون*، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): علام تشهدون؟ وما كنتم تعبدون؟ قالوا: نشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأنك رسول الله، أخذت على ذلك عهودنا ومواثيقنا.

وفي الكافي (ج ٨/ص ٢٠٩): عن عمّار بن سويد قال:

سمعتُ أبا عبد الله (عليه السلام) يقول في هذه الآية: *فلعلّك تارك بعض ما يُوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك* (هود/الآية ١٢):

((إنّ رسول الله (ص) لمّا نزل قديد قال لعليّ (عليه السلام) : " يا علي إنّي سألتُ ربّي أن يُوالي بيني وبينك ففعل ، وسألتُ ربّي أن يُؤاخي بيني وبينك ففعل ، وسألتُ ربّي أن يجعلك وصيّي ففعل " ، فقال رجلان من قريش : والله لصاع من تمر في شنّ بال أحبّ إلينا مما سأل محمد ربّه ، فهلاّ سأل ربّه مَلَكاً يعضده على عدوّه ، أو كنز يستغني به عن فاقته ، والله ما دعاه إلى حقّ ولا باطل إلا أجابه إليه ، فأنزل الله سبحانه : ﴿فلعلّك تارك بعض ما يُوحى إليك وضائق به صدرك ...﴾)) .

وأمير المؤمنين (عليه السلام) : هو وصيّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ووارثه ، وهو وصيّه ووزيره وأخوه وأنه منه كهارون من موسى ، وهو حجّة الله العظمى وآيته الكبرى ، وهو العلم المنصوب بين الخلق ، يحتجّ الله به على عباده ، وهو النبأ العظيم والصراط المستقيم ، لما في عيون أخبار الرضا (ج ٢/ ص ٩) : باسناده عن ياسر الخادم عن أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عن أبيه عن آبائه عن الحسين بن عليّ (عليهم السلام) قال :

((قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لعليّ (عليه السلام) : " يا عليّ أنت حجّة الله ، وأنت باب الله ، وأنت الطريق إلى الله ، وأنت النبأ العظيم ، وأنت الصراط المستقيم ، وأنت المثل الأعلى ")) الحديث .

وفي بصائر الدرجات (ص ٧٦) : عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر (عليه السلام) ، قال :

قلتُ : جعلتُ فداك إنّ الشيعة يسألونك عن تفسير هذه الآية : ﴿عمّ يتساءلون عن النبأ العظيم﴾ (النبأ/ الآية ١ـ٢) ؟ قال : فقال : ذلك إليّ ؛ إن شئت أخبرتهم وإن شئت لم أخبرهم ، قال : ثم قال : لكنّي أخبرك

بتفسيرها ، قال : فقلتُ: عمّ يتساءلون ؟ قال : فقال : هي والله في أمير المؤمنين (عليه السلام) ، قال : كان أمير المؤمنين يقول : ما لله آية أكبر منّي ، ولا لله من نبأ عظيم أعظم منّي ، ولقد عرضت ولايتي على الأُمم الماضية فأبت أن تقبلها ، قال : قلت له : ﴿قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون﴾ (ص/ الآية ٦٧) ؟ قال : هو والله أمير المؤمنين (عليه السلام) .

وفي الكافي (ج ١ص ٤١٨) : عن عبد الله بن كُثير عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قوله تعالى : ﴿عمّ يتساءلون عن النبأ العظيم﴾ ، قال : النبأ العظيم : الولاية ، وسألته عن قوله : ﴿هنالك الولاية لله الحق﴾ (الكهف / الآية ٤٣) ؟ قال : ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) .

ومن الدعاء المأثور بعد صلاة الغدير عن الإمام الصادق (عليه السلام) كما في التهذيب (ج ٣/ص ١٤٦) :

((شهدنا بمنّك ولطفك بأنّك أنت الله لا إله إلا أنت ربّنا، ومحمد عبدك ورسولك نبيّنا ، وعليّ أمير المؤمنين ، والحجّة العظمى ، وآيتك الكبرى ، والنبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون)) .

وفي زيارته (عليه السلام) أيضاً كما في التهذيب (ج٦ /ص ٢٩) :

((أشهد أنّك كلمة التقوى ، وباب الهُدى ، والعروة الوثقى ، والحبل المتين ، والصراط المستقيم ، وأشهد أنّك حجّة الله على خلقه ، وشاهده على عباده ، وأمينه على علمه ، وخازن سرّه ، وموضع حكمته ، وأخو رسوله)) .

ولادة عليّ عليه السلام

وكانت ولادته (عليه السلام) في بيت الله الحرام يوم الجمعة ، الثالث عشر من رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة ، ولم يُولد قبله ولا بعده مولود في

بيت الله تعالى سواه إكراماً من الله له ·

ففي روضة الواعظين (ص ٧٦) : قال يزيد بن قعنب:

كنت جالساً مع العبّاس بن عبد المطّلب وفريق من عبد العزّى بازاء بيت الله الحرام ، إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أُمّ أمير المؤمنين وكانت حاملاً به لتسعة أشهر ، وقد أخذها الطلق فقالت: يا ربّ إنّي مؤمنة بك ، وبما جاء من عندك من رُسل وكتب ، وإنّي مصدّقة بكلام جدّي إبراهيم الخليل (عليه السلام) وأنه بنى البيت العتيق ، فبحقّ الذي بنى هذا البيت ، وبحقّ المولود الذي في بطني لما يسّرت عليّ ولادتي ، قال يزيد بن قعنب: فرأينا البيت وقد انفتح من ظهره ودخلت فاطمة فيه ، وغابت عن أبصارنا والتزق الحائط ، فرمنا أن ينفتح لنا قفل الباب فلم ينفتح ، فعلمنا أنّ ذلك أمر من الله (عزّ وجل) ، ثم خرجت بعد الرابع وبيدها أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ثم قالت: إنّي فُضّلت على من تقدّمني من النساء ، لأنّ آسية بنت مزاحم عبدت الله (عزّ وجل) سرّاً في موضع لا يحبّ الله أن يعبد فيه إلا اضطراراً ، وانّ مريم بنت عمران هزّت النخلة اليابسة بيدها حتى أكلت منها رطباً جنيّاً ، وإنّي دخلت بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنّة وأوراقها ، فلمّا أردت الخروج هتف بي هاتف: يا فاطمة سمّيه عليّاً ، فهو عليّ والله العليّ الأعلى يقول : إنّي شققت اسمه من اسمي ، وأدبّته بأدبي ، ووفّقته على غوامض علمي ، وهو الذي يكسر الأصنام في بيتي ، وهو الذي يُؤذّن فوق ظهر بيتي ويقدّسني ويمجّدني ، فطوبى لمن أحبّه وأطاعه ، وويل لمن أبغضه وعصاه ·

وفي مناقب ابن شهرآشوب (ج ٢/ ص ١٧٢) :

شيخ السنّة القاضي أبو عمرو عثمان بن أحمد في خبر طويل :

إنّ فاطمة بنت أسد رأت النبيّ (صلّى الله عليه وآله) يأكل تمراً له

رائحة تزداد على كلّ الأطائب من المسك والعنبر من نخلة لا شماريخ لها، فقالت: ناولني أنل منها، قال (عليه السلام): لا تصلح إلا أن تشهدي أن لا إلٰه إلا اللّه، وأنّي رسول اللّه، فشهدّت الشهادتين فناولها فأكلت فازدادت رغبتها وطلبت أُخرى لأبي طالب، فعاهدها أن لا تعطيه إلا بعد الشهادتين، فلمّا جنّ عليها الليل اشتمّ أبو طالب نسماً ما اشتمّ مثله قطّ، فأظهرت ما معها، فالتمسه منها، فأبت عليه إلا أن يشهد الشهادتين، فلم يملك نفسه أن شهد الشهادتين غير أنّه سألها أن تكتم عليه لئلا تعيّره قريش، فعاهدته على ذلك، فأعطته ما معها وآوى إلى زوجته؛ فعلقت بعليّ في تلك الليلة، ولمّا حملت بعليّ ازداد حسنها، فكان يتكلّم في بطنها، فكانت في الكعبة فتكلّم عليّ مع جعفر فغشي عليه، فألقيت الأصنام خرّت على وجوهها، فمسحت على بطنها وقالت: يا قُرّة العين سجدتك الأصنام داخلاً فكيف بك خارجاً، وذكرت ذلك لأبي طالب فقال: هو الذي قال لي أسد في طريق الطائف.

قال شاعر:

وقد روي عن أُمّه فاطمة
ذات التقى والفضل بين النسا

بأنّها كانت ترى أصنامهم
نصباً على الكعبة أو بين الصفا

فربّما رامت سجوداً كالذي
كانت مراراً من قريش قد ترى

وهي به حاملة فيغتدي
منتصباً يمنعها مما تشا

وفيه (ص ١٧٤) : أبو عليّ همام رفعه :

انّه لمّا ولد عليّ (عليه السلام) أخذ أبو طالب بيد فاطمة وعليّ على صدره وخرج إلى الأبطح ونادى :

يا ربّ يا ذا الغسق الدجيّ
والقمر المبتلج المضيّ
بيّن لنا من حكمك المقضيّ
ماذا ترى في اسم ذا الصبيّ

قال : فجاء شيء يدبّ على الأرض كالسحاب حتى حصل في صدر أبي طالب فضمّه مع عليّ إلى صدره ، فلمّا أصبح إذا هو بلوح أخضر فيه مكتوب :

خُصّصتما بالولد الزكيّ
والطاهر المنتجب الرضيّ
فاسمه من شامخ عليّ
عليّ اشتقّ من العليّ

قال : فعلّقوا اللوح في الكعبة ، وما زال هناك حتى أخذه هشام بن عبد الملك ، فاجتمع أهل البيت : انّه في الزاوية الأيمن من البيت.

فالولد الطاهر من النسل الطاهر ولد في الموضع الطاهر ، فأين توجد هذه الكرامة لغيره ؟ فأشرف البقاع الحرم ، وأشرف الحرم المسجد ، وأشرف بقاع المسجد الكعبة ، ولم يُولد فيه مولود سواه ، فالمولود فيه يكون في غايه الشرف ، فليس المولود في سيّد الأيام يوم الجمعة ، في الشهر الحرام في البيت الحرام سوى أمير المؤمنين (عليه السلام) .

قال الحميري :

ولدته في حرم الإلـه وأمنـه
والبيت حيث فناؤه والمسجد

بيضاء طاهرة الثياب كريمة
طابت وطاب وليدها والمولد

في ليلة غابت نحوس نجومها
وبدت مع القمر المنير الأسعد

ما لفّ في خرق القوابل مثله
إلا ابن آمنة النبيّ محمد

والدة عليّ عليه السلام

أمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف (رضي الله عنها وأرضاها) ، فقد كانت لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) كالأُم ، تربّى في حجرها ، وكان شاكراً لبرّها ، وآمنت به في الأولين ، وهاجرت معه في المهاجرين ، ولمّا قبضها الله إليه كفّنها النبيّ (صلّى الله عليه وآله) بقميصه ليدرأ به عنها هوام الأرض ، وتوسدّ في قبرها لتأمن من ضغطه القبر ، ولقّنها الإقرار بولاية إبنها أمير المؤمنين (عليه السلام) لتجيب به عند المسائلة بعد الدفن ، تخصيصاً منه (صلوات الله عليه وآله) بهذا الفضل العظيم لها لمنزاتها من الله تعالى ومنه (عليه وعلى آله السلام) .

ففي روضة الواعظين (ص ١٤٢) :

قال ابن عبّاس (رضي الله عنهما) :

أقبل عليّ بن أبي طالب ذات يوم إلى النبيّ (صلّى الله عليه وآله) باكياً وهو يقول : ((إنّا لله وإنّا إليه راجعون)) ، فقال له رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : مه يا علي ؟ فقال : ماتت أُمّي فاطمة ، فبكى النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ثم قال : ((رحم الله أُمّك يا علي ، أما أنها كانت لي أُمّاً ، خذ

عمامتي هذه وخذ ثوبيّ هذين فكفّنها فيهما ، ومر النساء فلتحسنّ غسلها ، ولا تخرجها حتى أجيء فألي أمرها)) قال : وأقبل النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله) بعد ساعة وخرجت فاطمة أُمّ عليّ (عليه السلام) ، فصلّى عليها النبيّ صلاة لم يُصل على أحد قبلها مثل تلك الصلاة ، ثم كبّر عليها أربعين تكبيرة ، ثم دخل القبر فتمدد فيه فلم يسمع له أنين ولا حركة ، ثم قال : يا عليّ أدخل ، يا حسن أدخل ، فدخلا القبر ، فلمّا فرغ مما احتاج إليه قال له : يا عليّ أخرج يا حسن أخرج ، فخرجا ثم زحف النبيّ حتى صار عند رأسها ، ثم قال : يا فاطمة أنا سيّد ولد آدم ولا فخر ، فان أتاك منكر ونكير فسألاك عن ربّك فقولي : اللّه ربّي ، ومحمد نبيّي ، والإسلام ديني ، والقرآن كتابي ، وابني إمامي ، ثم قال : اللهم ثبّت فاطمة بالقول الثابت ، ثم ضرب بيده اليمنى على اليسرى فنفضهما ، ثم قال : والذي نفس محمد بيده لقد سمعت فاطمة تصفق يميني على شمالي .

فقام إليه عمّار بن ياسر فقال :

فداك أبي وأُمّي يا رسول اللّه لقد صلّيت عليها صلاة لم تصل على أحد قبلها مثل تلك الصلاة ؟ فقال : يا أبا اليقظان وأهل ذلك هي منّي ، لقد كان لها من أبي طالب ولد كثير ، ولقد كان خيرهم كثيراً وكان خيرنا قليلاً ، وكانت تشبعني وتجيعهم ، وتكسوني وتعريهم ، وتدهنني وتشعثهم ، قال : فلم كبّرت عليها أربعين تكبيرة يا رسول اللّه ؟ قال : نعم يا عمّار إلتفتّ إلى يميني ونظرتُ أربعين صفّاً من الملائكة فكبّرت لكلّ صفّ تكبيرة ، قال : فتمدد في القبر ولم يسمع لك أنين ولا حركة ؟ قال : إنّ الناس يُحشرون يوم القيامة عُراة فلم أزل أطلب إلى ربّي أن يبعثها ستيرة ، والذي نفسي بيده ما خرجت من قبرها حتى رأيت مصباحين من نور عند يديها ، ومصباحين من نور عند رجليها ، وملكيها الموكّلين بقبرها يستغفران لها إلى أن تقوم الساعة .

أبو طالب وإيمانه

وأبوه أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، كان كافل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ومربّيه ومحاميه وناصره، ولمّا توفّي أبو طالب ـ كما في الكافي (ص ٤٤٩ / ج ١) ـ : نزل جبرئيل على رسول الله (ص) فقال : يا محمد أخرج من مكّة فليس لك فيها ناصر.

وفي أمالي الصدوق (ص ٥٥٠) :

سأل رجل ابن عبّاس فقال له : يا بن عمّ رسول الله أخبرني عن أبي طالب هل كان مسلماً؟ فقال : وكيف لم يكن مسلماً؟ وهو القائل :

وقد علموا انّ ابننا لا مُكـذّب

لدينا ولا يعني بقول الأباطل

إنّ أبا طالب مثله كان كمثل أصحاب الكهف، حين أسرّوا الايمان وأظهروا الشرك فآتاهم الله أجرهم مرّتين.

ومثله مرويّ عن الامام الصادق (عليه السلام).

وفي إكمال الدين (ص ١٧٢) : عن الأصبغ بن نباته قال :

سمعتُ أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول : ((والله ما عبد أبي ولا جدّي عبد المطّلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنماً قطّ)) ، قيل : فما كانوا يعبدون ؟ قال : ((كانوا يصلّون إلى البيت على دين إبراهيم متمسّكين به)).

وفي كنز الفوائد للكراجكي (ص ٧٩) :

من شعر أبي طالب (صلّى الله عليه) :

ألا أبلغا عنّي على ذات بينها

لويّاً وخصا من لوي بني كعب

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمداً

نبيّاً كموسى خطّ في أول الكتب

وانّ عليه في العباد محـــبّة

ولا سن فيمن خصّه اللّه بالحـــبّ

وقال لابنه جعفر وقد أمره بالصلاة مع النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم):

إنّ عليّاً وجعفـــراً ثقـــتي

عند ملـــمّ الزمان والكـــــرب

واللّـه لا أخذل النـــبيّ ولا

يخذله من بني ذو حســـــب

لا تخذلا وانصرا ابن عمكـــما

أخي لأُمـــي من بينهم وأبـــي

وقال أيضاً :

زعمت قريش أنّ أحمد ساحـر

كذبوا وربّ الراقصات إلى الحرم

ما زلت أعرفه بصدق حديثـــه

وهو الأمين على الحرائر والحـرم

بهتوه لا سعدوا بقطر بعدها

ومضت مقالتهم تسير إلى الأُمـــم

وقال أيضاً في التوحيد :

يا شاهد اللّه عليّ فاشهـــد

آمنت بالواحد ربّ أحمـــــد

من ضلّ في الدين فانّي مهتدي

وهذا كلّه دليل واضح على إيمانه (رضوان اللّه عليه) باللّه وبرسولـــه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ٠

ثم قال الكراجكي (رحمه اللّه) :

ومن الحديث الوارد بصحّة إيمانه ما أخبرني به شيخي أبو عبد اللّه الحسين بن عبد اللّه بن عليّ المعروف بابن الواسطي (رضي اللّه عنه) قال: أخبرني أبو محمد هارون بن موسى التلعكبري، قال: حدّثني أبو علي بن همام قال: حدّثنا أبو الحسن علي بن محمد القمّي الأشعري، قال: حدّثني منجح الخادم مولى بعض الطاهريّة بطوس قال: حدّثني أبان بن محمد قال: كتبتُ إلى الإمام الرضا عليّ بن موسى (عليهما السلام): جُعلتُ فداك قد شككتُ في إيمان أبي طالب؟ قال: فكتب إليّ:

((بسم اللّه الرحمٰن الرحيم، أمّا بعد، فمن يتّبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولّى، إنّك إن لم تقرّ بإيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار)).

وباسناده عن أبان بن محمد عن يونس بن نباته عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) أنه قال:

((يا يونس ما يقول الناس في إيمان أبي طالب؟ قلت: جعلت فداك يقولون: هو في ضحضاح من نار يغلي منها أُمّ رأسه. فقال: كذب أعداء اللّه، إنّ أبا طالب من رفقاء النبيين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أُولئك رفيقا)).

وباسناده إلى مفضّل بن عمر عن جعفر بن محمد عن أبيه عن عليّ بن الحسين عن أبيه عن أمير المؤمنين عليّ (عليهم السلام):

((إنّه كان جالساً في الرحبة والناس حوله، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين إنّك بالمكان الذي أنزلك اللّه وأبوك معذّب في النار؟ فقال له: مه، فضّ اللّه فاك، والذي بعث محمداً بالحقّ نبيّاً لو شفّع في كلّ مذنب على وجه الأرض لشفّعه اللّه فيه، أأبي معذّب في النار وابنه قسيم الجنّة والنار؟ والذي بعث محمداً بالحق إنّ نور أبي طالب

يوم القيامة ليطفىء أنوار الخلائق إلا خمسة أنوار: نور محمد ، ونور فاطمة، ونور الحسن والحسين ، ونور ولده من الأئمة، إلا أنّ نوره من نورنا ، خلقه الله من خلق آدم بألفي عام)) .

وسأل العباس رسول الله(صلّى الله عليه وآله) : ما ترجو لأبي طالب؟ فقال: ((كلّ خير أرجو من ربّي (عزّ وجل))) .

أبو رافع: سمعتُ أبا طالب بن عبد المطّلب يقول:
حدّثني محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : انّ ربّه بعثه بصلة الرحم، وأن يُعبد الله وحده ولا يُعبد معه غيره، ومحمد عندي الصادق الأمين.

كفالة النبي (ص) لعلي (ع)

وفي مناقب الخوارزمي (ص ١٧) :
وكان مما أنعم الله به على عليّ بن أبي طالب انه كان في حجر رسول الله قبل الإسلام.
قال ابن إسحاق:
حدّثني عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد بن أبي خير عن أبي الحجّاج قال: كان من نعمه الله على عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) أنه مما صنع الله وأراد به من الخير أنّ قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله(ص) للعباس عمّه وكان من أيسر بني هاشم: إنّ أخاك أبا طالب كثير العيال، ولقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق حتى نخفف عنه من عياله. فأخذ العبّاس جعفراً، وأخذ رسول الله(صلّى الله عليه وآله) عليّاً (عليه السلام) فضمّه إليه، فلم يزل مع رسول الله(صلّى الله عليه وآله) حتى بعثه الله نبياً، فاتّبعه عليّ (عليه السلام) وآمن به وصدّقه.

اسلام عليّ (ع) ومتابعته

وباسناده عن سلمان قال :

سمعتُ النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله) يقول :

((أول الناس وروداً عليّ الحوض يوم القيامة أولهم إسلاماً عليّ بن أبي طالب)) ·

وعن محمد بن إسحاق قال :

إنّ علياً جاء بعد أن صلّى النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله) فوجده يُصلّي فقال : ما هذا يا محمد ؟ فقال له رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله : دين اللّه الذي اصطفى لنفسه وبعث به رسوله ، فأدعوك إلى اللّه وحده لا شريك له ، وإلى عبادته والكفر باللآت والعُزّى ، فقال له عليّ (ع) : هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم ، فلست بقاض أمراً حتى أحدّث به أبا طالب ، فكره رسول اللّه أن يُفشي عليه سرّه قبل أن يستعلن أمره ، فقال : يا علي إذا لم تسلم فاكتم ، فمكث عليّ (عليه السلام) تلك الليله ، ثم انّ اللّه أوقع في قلب عليّ بن أبي طالب الإسلام فأصبح غادياً على رسول اللّه (ص) حتى جاءه فقال : ما عرضت عليّ يا محمد ؟ فقال رسول اللّه (ص) : تشهد أن لا إلـه إلا اللّه وحده لا شريك له ، وتكفر باللآت والعُزّى ، وتتبرّأ من الأنداد ، فدخل عليّ (عليه السلام) وأسلم مع أنه ما سجد لصنم قطّ ، فمكث عليّ (عليه السلام) يأتيه على خوف من أبي طالب وكتم عليّ (عليه السلام) إسلامه ·

وعن ابن عبّاس قال : قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) :

((صلّت الملائكة عليّ وعلى عليّ بن أبي طالب سبع سنين ، قالوا: ولم ذلك يا رسول اللّه ؟ قال : لم يكن معي من أسلم من الرجال غيره)) ·

وعن أنس قال : قال رسول اللّه (صلّى اللّـه عليه وآله) :

((صلّت الملائكة عليّ وعلى عليّ بن أبي طالب سبع سنين ، وذلك

أنه لم ترفع شهادة أن لا إلـه إلا اللّه إلى السماء إلا منّي ومن عليّ)) .

وعن ابن عبّاس قال : سمعتُ عمر بن الخطّاب وعنده جماعة ، فتذاكروا السابقين إلى الإسلام ، فقال عمر : أمّا عليّ فسمعت رسول اللّه يقول : ((فيه ثلاث خصال لوددت أنّ لي واحدة منهنّ ، فكان أحبّ إليّ مما طلعت عليه الشمس)) ، كنت أنا وأبو عبيدة وأبو بكر وجماعة من أصحابه ، إذ ضرب النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) بيده على منكب عليّ (عليه السلام) فقال : يا عليّ أنت أول المؤمنين إيماناً ، وأول المسلمين إسلاماً ، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى)) .

وعن أبي رافع : صلّى النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله) أول يوم الاثنين ، وصلّت خديجة آخر يوم الاثنين ، وصلّى عليّ يوم الثلاثاء من الغد ، وصلّى مستخفياً قبل أن يُصلّي مع النبيّ أحد سبع سنين وأشهر ، وقال (عليه السلام) : ((أنا ناصرت الدين طفلاً وكهلاً)) .

وعن ابن عبّاس قال : قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) :
((السبّاق ثلاثة : فالسابق إلى موسى يوشع بن نون ، والسابق إلى عيسى صاحب يٰس ، والسابق إلى محمد عليّ بن أبي طالب)) .

وربّما قيل : وأيّ فضل له في تقدّم إسلامه وهو بعد صبيّ لم يبلغ الحلم وإنّما كان إسلامه على سبيل التلقين كما يلقّن أحدنا ولده مبادى الدين والأدب ليألفه وينشأ عليه ، ولو أنصف هذا القائل لعلم أنّ هذا القول ظاهر الفساد ؛ لما قد علمت من حال النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله) ـ في ابتداء أمره ـ من كتمان ما هو عليه وستره ، وصلاته مختفياً في شعاب مكّة خوفاً من المضاربة والتشنيع عليه قبل استحكام أمره وتدبير ما يمكنه من الدفاع عن نفسه وعن مبدئه

فكيف يصحّ أن يُلقي بسرّه ذاك إلى الصبيان والأطفال الذين لا عقول لهم تمنعهم من الإفشاء ، ولا قدرة لهم على معرفة العواقب، ولمّا رأينا النبيّ (صلّى الله عليه وآله) قد أوقف على هذا السرّ العظيم أحد الأطفال تحققنا أنّ ذلك الطفل متميّز عن غيره بقوّة الإدراك وصحّة العقل ، وأنه وهو في إبّان طفولته في أعلى درجات الكمال ، وقد عرّفنا الله تعالى عن نبيين كريمين ؛ أحدهما : عيسى (عليه السلام) فقد تكلّم وهو في المهد :﴿قال إنّي عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيّاً﴾ (مريم/ الآية ٣٠) ، والآخر : يحيى قال: ﴿يا يحيى خُذْ الكتاب بقوّة وآتيناه الحكم صبيّاً﴾ (مريم/ الآية ١٢) ، فان قالوا: إنّ هذين نبيّان يصحّ أن يكون لهما الآيات والمعجزات، قلنا : ما يمنع من أن يكمل الله تعالى عقل طفل في عهد نبيّنا ويمنحه صحّة التمييز والاستدلال ويخصّه بالتكليف دون سائر الأطفال ، وتكون آية ومعجزة لنبيّنا (صلّى الله عليه وآله) .

وقد علمت ما وصف الله به نبيّه قال :

﴿وما ينطق عن الهوى إنْ هو إلا وحي يُوحى﴾ (النجم/ الآيتان ٣و٤) .

وقال :

﴿قل ما كنتُ بِدْعاً من الرُسل وما أدري ما يُفعل بي ولا بكم إنْ أتّبع ما يُوحي إليّ من ربّي﴾ (الأحقاف / الآية ٩) .

فاذن لم يدع النبيّ (ص) عليّاً إلا بأمر من الله ، فقد دعاه ثقة به وعلماً بتأييد الله له .

وقال الله تعالى :

﴿لا يُكلّف الله نفساً إلا وسعها﴾ (البقرة/ الآية ٢٨٦) .

فكيف يجوز من الله أن يأمر نبيّه بدعاء من لا يمكنه قبول ما يؤمر به لصغره وحداثة سنّه وضعفه عن القبول ، ولماذا لم ينكر عليه أبو طالب بل قال

لولده جعفر: صل جناح ابن عمّك.

ومما يدلّ على رجاحه عقله وقوّة نظره أنه لم يجب النبيّ (ص) فوراً ولم ينكر عليه النبيّ (ص) ذلك لأنه في زمان محلّه النظر والتمييز بين الحق والباطل، ومما يدلّ على ثقة النبيّ (ص) به وأنه في أعلى درجات الكمال قوله له: ((يا علي إن لم تسلم فاكتم)).

وفي الكافي (ج ١/ص ٣٨٢):

عن يزيد الكناسي قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام):

سألتُ أبا جعفر (عليه السلام): أكان عيسى بن مريم (عليه السلام) حين تكلّم في المهد حجّة للّه على أهل زمانه؟ فقال:

((كان يومئذٍ نبيّاً حجّة غير مُرسل، أما تسمع لقوله حين قال: ﴿إنّي عبد اللّه آتاني الكتاب وجعلني نبيّاً وجعلني مباركاً أينما كنتُ وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمتُ حيّاً﴾ (مريم/الآية ٣١))).

قلت: فكان يومئذٍ حجّة للّه على زكريّا في تلك الحال وهو في المهد؟ فقال:

((كان عيسى في تلك الحال آية للناس ورحمة لمريم فعبّر عنها، وكان نبيّاً حجّة على من سمع كلامه في تلك الحال، ثم صمت فلم يتكلّم حتى مضت له سنتان، وكان زكريّا الحجّة للّه (عزّ وجل) على الناس بعد صمت عيسى بسنتين، ثم مات زكريّا فورثه إبنه يحيى الكتاب والحكمة وهو صبيّ صغير، أما تسمع لقول اللّه (عزّ وجل): ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوّة وآتيناه الحكم صبيّاً﴾ (مريم/الآية ١٢) فلمّا بلغ عيسى (عليه السلام) سبع سنين تكلّم بالنبوّة والرسالة حين أوحى اللّه تعالى إليه، فكان عيسى الحجّة على يحيى وعلى الناس أجمعين،

وليس تبقى الأرض ــ يا أبا خالد ــ يوماً واحداً بغير حجّة للّه على الناس منذ يوم خلق اللّه آدم (عليه السلام) وأسكنه الأرض)) .

فقلتُ: جُعلتُ فداك أكان عليّ (عليه السلام) حجّة من اللّه ورسوله على هذه الأُمّة في حياة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) ؟ فقال :

((نعم ، يوم أقامه رسول اللّه (ص) للناس ونصبه علماً ودعاهم إلى ولايته وأمرهم بطاعته)) .

قلتُ: وكانت طاعة عليّ (عليه السلام) واجبة على الناس في حياة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) في حياته وبعد وفاته ؟ فقال :

((نعم ، ولكنّه صمت فلم يتكلّم مع رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) ، وكانت الطاعة من اللّه ومن رسوله على الناس كلّهم لعليّ (عليه السلام) بعد وفاة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله ، وكان عليّ (عليه السلام) حكيماً عالماً)) .

وعن صفوان بن يحيى قال : قلتُ للرضا (عليه السلام) :

قد كنّا نسألك قبل أن يهب اللّه لك آبا جعفر (عليه السلام) فكنت تقول : ((يهب اللّه لي غلاماً)) ، فقد وهب اللّه لك فقرّ عيوننا ، فلا أرانا اللّه يومك ، وان كان كون فالى من ؟ فأشار بيده إلى أبي جعفر (عليه السلام) وهو قائم بين يديه ، فقلت: جُعلتُ فداك هذا إبن ثلاث سنين ؟ قال : ((وما يضرّه من ذلك شيء ، قد قام عيسى (عليه السلام) بالحجّة وهو ابن ثلاث سنين)) .

فقد علمت من هذا وأشباهه من خصائص الأئمة أنّهم أوتوا الحكم في حال الصبي ، وورد أيضاً أنهم ولدوا مختونين مطهّرين على ما صحّ في الروايات، ففي الكافي (ص٣٨٨) : باسناده عن زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام) قال :

((للامام عشر علامات: يُولد مُطهّراً مختوناً ، وإذا وقع على الأرض وقع على راحته رافعاً صوته بالشهادتين ، وتنام عينه ولا ينام قلبه ، ولا يجنب، ولا يتثاءب، ولا يتمطّى ، ويرى من خلفه كما يرى من أمامه ، ونجوه كرائحة المسك والأرض موكّله بستره وابتلاعه ، وإذا لبس درع رسول اللّه(صلّى اللّه عليه وآله) كانت عليه وفقاً ، وإذا لبسها غيره من الناس طويلهم وقصيرهم زادت عليه شبراً ، وهو محدث إلى أن تنقضي أيّامه))

شيء من سيرة علي(ع) ومناقبه

عاش أمير المؤمنين(عليه السلام) ثلاثاً وستّين سنة ؛ منها : عشر سنين قبل البعثة ، وكانت مدّة إقامته مع رسول اللّه(صلّى اللّه عليه وآله) بعد البعثة ثلاثاً وعشرين سنة ؛ منها : ثلاث عشرة سنة بمكّة قبل الهجرة في امتحان وابتلاء متحمّلاً معه أكبر الأثقال ، وعشر سنين بعد الهجرة بالمدينة يُكافح عنه المشركين ؛ بنفسه من أعدائه في الدين ، حتى قبض اللّه نبيّه إلى جنّته ورفعه (صلوات اللّه عليه وآله) في علّيين ، وله يومئذٍ ثلاث وثلاثون سنة ، وأقام بعد رسول اللّه(صلّى اللّه عليه وآله) وهو وليّ بأمره ووصيّه ثلاثين سنة ، وغُصب حقّه منها ومُنع من التصرّف فيه أربعاً وعشرين سنة وأشهراً ممتحناً بجهاد المنافقين من الناكثين والقاسطين والمارقين ، كما كان رسول اللّه(صلّى اللّه عليه وآله) ثلاث عشرة سنة من أيّامه ممنوعاً من احكامها ، ومحبوساً ، وهارباً ، ومطروداً غير متمكّن من جهاد الكافرين ، ولا مستطيع دفعاً عن المؤمنين ، ثم هاجر وأقام بعد الهجرة عشر سنين ؛ مجاهداً للمشركين ، مبتلي بالمنافقين ، إلى أن قبضه اللّه إليه .

وفي فرائد السمطين ؛ باسناده عن عبد اللّه بن مسعود قال : قال رسول اللّه(صلّى اللّه عليه وآله) :

((يا عبد الله أتاني ملك فقال: يا محمد واسأل من أرسلنا من قبلك من رُسلنا على ما بُعثوا (الزخرف/الآية ٤٣)، قال: قلت: على ما بُعثوا؟ قال: على ولايتك وولاية عليّ بن أبي طالب (صلّى الله عليهما)) (ص ٨١).

وفيه (ص ١٠٦): عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): إذا سألتم الله (عزّ وجل) فاسألوه لي الوسيلة، قال أبو سعيد: فسألت النبيّ (صلّى الله عليه وآله) عن الوسيلة؟ فقال: هي درجتي في الجنّة، وهي ألف مرقاة، ما بين المرقاة إلى المرقاة حضر الغرس الجواد شهراً، وهي ما بين مرقاة جوهر، إلى مرقاة زبرجد، ومرقاة ياقوت إلى مرقاة ذهب، إلى مرقاة فضّة، فيُؤتى بها يوم القيامة حتى تنتصب مع درجة النبيين، فهي في درج النبيّين كالقمر بين الكواكب، فلا يبقى يومئذٍ نبيّ ولا صدّيق ولا شهيد إلا قال: طوبى لمن كانت هذه الدرجة درجته، فيأتي النداء من عند الله (عزّ وجل) يسمع النبيين وجميع الخلايق: هذه درجة محمد، فأقبل أنا يومئذٍ متّزراً بربطة من نور الجنّة، وعليّ تاج المُلْك وإكليل الكرامة، وعليّ بن أبي طالب أمامي وبيده لوائي وهو لواء الحمد مكتوب عليه: ((لا إلـه إلا الله، المفلحون هم الفائزون بالله، فاذا مررنا بالنبيين قالوا: هذان ملكان مقرّبان لم نعرفهما ولم نرهما، وإذا مررنا بالملائكة قالوا: هذان نبيّان مُرسلان، حتى أعلو الدرجة وعليّ يتبعني، حتى إذا صرت في أعلى درجة منها، وعليّ أسفل منّي بدرجة، فلا يبقى يومئذٍ نبيّ ولا صدّيق ولا شهيد إلا قال: طوبى لهذين العبدين ما أكرمهما على الله، فيأتي النداء من قبل الله (جلّ جلاله) يسمع النبيين والصدّيقين والشهداء والمؤمنين: هذا حبيبي محمد، وهذا وليّ عليّ، طوبى لمن أحبّه، وويل لمن أبغضه وكذّب عليه.

ثم قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) :

((فلا يبقى يومئذٍ أحد ـ يا عليّ ـ إلا استروح إلى هذا الكلام وابيضّ وجهه وفرح قلبه ، ولا يبقى أحد ممن نصب لك وعاداك ونصب لك حرباً إلا اسودّ وجهه واضطربت قدمه ، فبينما أنا كذلك إذ ملكان قد أقبلا عليّ ؛ أمّا أحدهما : فرضوان خازن الجنّة ، وأمّا الآخر : فمالك خازن النار ، فيدنو رضوان فيقول : السلام عليك يا أحمد ، أنا رضوان خازن الجنّة وهذه مفاتيح الجنّة بعث بها إليك ربّ العزّة ، فخذها يا أحمد ، فأقول : قد قبلت ذلك من ربّي فله الحمد على ما فضّلني به ، إدفعها إلى أخي عليّ بن أبي طالب ، ثم يرجع رضوان فيدنو مالك فيقول : السلام عليك يا أحمد ، فأقول : السلام عليك أيّها الملك ، من أنت ؟ ما أقبح وجهك وأنكر رؤيتك ، فيقول : أنا مالك خازن النار ، وهذه مقاليد النار قد بعث بها إليك ربّ العزّة ، فخذها يا أحمد ، فأقول : قد قبلت ذلك من ربّي فله الحمد على ما فضّلني به ، إدفعها إلى أخي عليّ بن أبي طالب ، ثم يرجع مالك ، فيقبل عليّ ومعه مفاتيح الجنّة ومقاليد النار ، فيقف على عجزة جهنّم ، وقد تطاير شررها وعلا زفيرها واشتدّ حرّها ، وعليّ آخذ بزمامها ، فتقول له جهنّم : جزني يا علي ، فقد أطفأ نورك لهبي ، فيقول لها عليّ (عليه السلام) : قرّي يا جهنّم ، خُذي هذا واتركي هذا ، خذي هذا عدوّي ، واتركي هذا وليّي ، فلجهنّم يومئذٍ أشدّ مطاوعة لعليّ من غلام أحدكم لصاحبه ، فان شاء يذهبها يمنة وإن شاء يذهبها يسرة ، ولجهنّم يومئذٍ أشدّ مطاوعة لعليّ فيما يأمرها به من جميع الخلائق)) .

وفي مناقب الخوارزمي (٢٠٨) ، قال : قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) :

((يا عليّ إنّي سألت الله تعالى فيك خمس خصال فأعطاني ، أمّا

أولها : فسألت ربّي أن تشقّ عنّي الأرض وانفض التراب عن رأسي وأنت معي فأعطاني ، وأمّا الثانية : فسألت ربّي أن يوقفني عند كفّه الميزان وأنت معي فأعطاني ، وأمّا الثالثة : فسألت اللّه أن يجعلك حامل لوائي الأكبر وهو لواء اللّه الأكبر عليه المفلحون الفائزون بالجنّة فأعطاني ، وأمّا الرابعة : فسألت ربّي أن تسقي أُمّتي من حوضي فأعطاني ، وأمّا الخامسة : فسألتُ ربّي أن تكون قائد أُمّتي إلى الجنّة فأعطاني ، فالحمد للّه الذي منّ عليّ بذلك))

وفيه قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) :

((يا علي أنت قسيم الجنّة والنار ، وانّك تنقر باب الجنّة فتدخلها بغير حساب)) .

وعنه (صلّى اللّه عليه وآله) :

((إذا كان يوم القيامة نوديت من بطنان العرش : يا محمد نِعْم الأب أبوك إبراهيم الخليل ، ونِعْم الأخ أخوك عليّ بن أبي طالب)) .

وعنه (صلّى اللّه عليه وآله) :

((يا عليّ ليس في القيامة راكب غيرنا ، ونحن أربعة ،فقام إليه رجل من الأنصار فقال : فداك أبي وأُمّي أنت ومن ؟ قال : أنا على دابّة اللّه البراق ، وأخي صالح على ناقة اللّه التي عُقرت ، وعمّي حمزة على ناقتي العضباء ، وأخي عليّ بن أبي طالب على ناقة من نُوق الجنّة وبيده لواء الحمد ينادي : ((لا إله إلا اللّه ، محمد رسول اللّه)) ، فيقول الآدميّون : ما هذا إلا ملك مُقرّب أو نبيّ مُرسل أو حامل عرش ، فيُجيبهم مَلَك من بطنان العرش : يا معشر الآدميين ليس هذا ملكاً مقرّباً ولا نبيّاً مُرسلاً ولا حامل عرش ، هذا عليّ بن أبي طالب)) .

وفيه قال علـــــيّ (عليه السلام) :

((قال النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله) : " لمّا أُسري بي إلى السمـــاء، ثم من السماء إلى سدرة المُنتهى وقفت بين يدي ربّي (عزّ وجل) ، فقال لي : يا محمد ، قلتُ: لبّيك وسعديك، قال : قد بلوت خلقي فأيّـهم رأيت أطوع لك ؟ قلت: يا ربّي عليّاً ، قال : صدقت يا محمد ، فهل اتخذت لنفسك خليلاً يُؤدّي عنك؛ يعلّم عبادي ما لا يعلمون ؟ قلت: يا ربّ إخترلي ، فانّ خيرتك خيرتي ، قال : إخترت لك عليّـــاً فاتّخذه لنفسك خليفة ووصيّاً ، ونحلته علمي وحلمي ، وهو أمير المؤمنين حقّاً لم ينلها أحد قبله ، وليست لأحد بعده ، يا محمد عليّ رايـــة الهُدى ، وإمام من أطاعني ، ونور أوليائي ، وهو الكلمة التي ألزمتـــها المتّقين ، من أحبّه فقد أحبّني ، ومن أبغضه فقد أبغضني ، فبشّره يـــا محمد بذلك ، فقال النبيّ (ص) : فقلت: يا ربّ قد بشّرته فقال : أنـــا عبد اللّه وفي قبضته ، إن يُعاقبني فبذنوبي ولم يظلمني شيئاً ، وإن تمم لي وعدي فانه مولاي ، قال : أجل ، قال : قلت: يا ربّ واجعل ربيعـه الإيمان ، قال : قد فعلت ذلك به يا محمد ، غير أنّي مختصّ له بشيء من البلاء لم أخصّ به أحداً من أوليائي ، قال : قلت: يا ربّ أخـــي وصاحبي ؟ قال : قد سبق في علمي أنه مبتلي ولولا عليّ لم يُعــــرف حزبي ولا أوليائي ولا أولياء رُسلي ")) (ص ٢١٥) .

وعن أنس بن مالك قال :

صلّى بنا رسول اللّه (ص) صلاة العصر ، وأبطأ في ركوعه حتى ظننا أنـــه قد سها وغفل ، ثم رفع رأسه فقال : سمع اللّه لمن حمده ، ثم أوجز في صلاتـــه وسلّم ، ثم أقبل علينا بوجهه كأنّه القمر ليلة البدر في وسط النجوم ، حتى جثا على رُكبتيه وبسط قامته حتى تلألأ المسجد من نور وجهه ، ثم رمى بطرفه إلـــى

الصفّ الأول يتفقّد أصحابه رجلاً رجلاً ، ثم رمى بطرفه إلى الصفّ الثاني ، ثم رمى بطرفه إلى الصفّ الثالث يتفقّدهم رجلاً رجلاً ، ثم كثرت الصفوف على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، ثم قال : مالي لا أرى ابن عمّي عليّ بن أبي طالب ؟ ياابن عمّ ، فأجابه عليّ (عليه السلام) من آخر الصفوف وهو يقول : لبّيك لبّيك يا رسول الله ، فنادى النبيّ بأعلى صوته : أُدن منّي يا عليّ فما زال عليّ يتخطّى أعناق المهاجرين والأنصار حتى دنا من المصطفى فقال له النبيّ : يا عليّ ما الذي خلّفك عن الصفّ الأول؟ قال : كنت على غير طهور فأتيت منزل فاطمة فناديت: يا حسن يا حسين يا فضّة ، فلم يُجبني أحد ، فاذا بهاتف يهتف بي من ورائي وهو يُنادي : يا أبا الحسن ، يا ابن عمّ النبيّ ، فالتفتّ فاذا أنا بسطل من ذهب وفيه ماء وعليه منديل ، فأخذت المنديل ووضعته على منكبي الأيمن وأومأت إلى الماء ، فاذا الماء يفيض على كفّي ، فتطهّرت فأسبغت الطُهر ، ولقد وجدته في لين الزبد وطعم الشهد ورائحته المسك ، ثم التفتُّ ولا أدري من وضع السطل والمنديل ، ولا أدري من أخذه ، فتبسّم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في وجهه وضمّه إلى صدره فقبّل ما بين عينيه ، ثم قال : يا أبا الحسن ألا أُبشّرك أنّ السطل من الجنّة ، والماء والمنديل من الفردوس الأعلى ، والذي هيّأك للصلاة جبرئيل ، والذي مندلك ميكائيل ، يا علي والذي نفس محمد بيده ما زال إسرافيل قابضاً على منكبي بيده حتى لحقت معي الصلاة ، أفيلومني الناس على حبّك ؟ والله تعالى وملائكته يحبّونك من فوق السماء .

وفيه (ص ٢٢٧) :

عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله (ص) :

((لمّا خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه عطس آدم ، فقال : الحمد لله فأوحى الله إليه : حمدني عبدي ، وعزّتي وجلالي لولا عبدين أُريد أن أخلقهما

في دار الدنيا ما خلقتك، قال: إلٰهي فيكونان منّي ؟ قال: نعم يا آدم إرفع رأسك وانظر، فرفع رأسه فاذا هو مكتوب على العرش: ((لا إلٰـه إلا اللّـه، محمد رسول اللّه، عليّ مقيم الحجّة ، ومن عرف حقّ عليّ زكا وطاب، ومن أنكر حقّه لعن وخاب، أقسمت بعزّتي أن أدخل الجنّة من أطاعه وإن عصاني، وأقسمت بعزّتي أن أدخل النار من عصاه وإن أطاعني)) .

وعن ابن عبّاس قال: سمعت رسول اللّه (ص) يقول:

((ليلة أُسرى بي إلى السماء دخلت الجنّة، فرأيت نور أضرم وجهي فقلت لجبرئيل: ما هذا النور الذي رأيته ؟ قال: يا محمد ليس هذا نور الشمس ولا نور القمر، ولكن جارية من جواري عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) إطّلعت من قصورها فنظرت إليك وضحكت، فهذا النور خرج من فيها، وهي تدور في الجنّة إلى أن يدخلها عليّ أمير المؤمنين (عليه السلام))) .

وفيه (ص ٢٣١) : عن ابن عبّاس قال:

كان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) في بيته، فغدا عليه عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) بالغداة وكان لا يُحبّ أن يسبقه إليه أحد ، فدخل، وإذا النبيّ في صحن الدار، وإذا رأسه في حجر دحية بن خليفة الكلبي، فقال: السلام عليك كيف أصبح رسول اللّه ؟ قال: بخير يا أخا رسول اللّه ، قال له علي: جزاك اللّه عنّا أهل البيت خيراً ، قال له دحية: إنّي أُحبّك، وانّ لك عندي مدحة أزفّها إليك: أنت أمير المؤمنين، وقائد الغُرّ المُحجّلين، أنت سيّد ولْد آدم يوم القيامة ما خلا النبيين والمُرسلين، ولواء الحمد بيدك يوم القيامة تزفّ أنت وشيعتك مع محمد وحزبه إلى الجنّة زفّاً زفّاً، قد أفلح من تولاّك، وخاب وخسر من عاداك، مُحبّوا محمد محبّوك، ومبغضوك لن تنالهم شفاعة محمد (ص) ، أُدن منّي صفوة اللّه، فاخذ رأس النبيّ (ص) فوضعه في

حجره وذهب، فرفع رسول الله(ص) رأسه فقال: ما هذه الهمهمة ؟ فأخبره عليّ(عليه السلام) ، فقال: يا عليّ ليس هو دحية الكلبي ، هو جبرئيل سمّاك باسم سمّاك الله به، هو الذي ألقى محبّتك في صدور المؤمنين ، ورهبتك في صدور الكافرين ·

وفيه(ص ٢٣٦) باسناده عن مجاهد قال:

قيل لابن عبّاس: ما تقول في عليّ بن أبي طالب ؟ فقال: ذكرت والله أحد الثقلين، سبق بالشهادتين ، وصلّى القبلتين ، وبايع البيعتين ، وأُعطي السبطين ، وهو أبو السبطين : الحسن والحسين ، ورُدّت عليه الشمس مرّتين ، بعد ما غابت عن الثقلين ، وجرّد السيف تارتين ، وهو صاحب الكرّتين ، فمثله في الأُمّة مَثَلُ ذي القرنين ، ذاك مولاي عليّ بن أبي طالب·

وفي أمالي الطوسي(ص ٦١) : باسناده عن أبان بن عثمان عن أبي عبد الله جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال:

((إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من بطنان العرش: إين خليفة الله في أرضه ؟ فيقوم داود النبيّ(ع) ، فيأتي النداء من عند الله(عزّ وجل) : لسنا إيّاك أردنا وإن كنت خليفة، ثم ينادي مناد ثانياً :أين خليفة الله في أرضه ؟ فيقوم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ، فيأتي النداء من قبل الله(عزّ وجل) : يا معشر الخلائق هذا عليّ بن أبي طالب خليفة الله في أرضه وحجّته على عباده، فمن تعلّق بحبله في دار الدنيا فليتعلّق بحبله في هذا اليوم يستضيء بنوره وليتبعه إلى الدرجات العُلى من الجنّات، قال: فيقوم الناس الذين قد تعلّقوا بحبله في الدنيا فيتبعونه إلى الجنّة، ثم يأتي النداء من عند الله(عزّ وجل) : ألا من تعلّق بامام في دار الدنيا

فليتبعه إلى حيث يذهب، فحينئذٍ ﴿تبرّأ الذين أُتّبعوا من الذين اتّبعوا ورأوا العذاب وتقطّعت بهم الأسباب ﴾ وقال الذين اتّبعوا لو أنّ لنا كرّة فنتبرّأ منهم كما تبرّأوا منّا كذلك يُريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار﴾ (البقرة/ الآيتان١٦٦و١٦٧)))

وفيه(ص١٠٢) : إبن عبّاس قال :

سمعتُ رسول الله(صلّى الله عليه وآله) يقول :

((أعطاني الله تبارك وتعالى خمساً وأعطى علياً خمساً : أعطاني جوامع الكلم وأعطى علياً جوامع العلم، وجعلني نبيّاً وجعله وصيّاً ، وأعطاني الكوثر وأعطاه السلسبيل ، وأعطاني الوحي وأعطاه الإلهام، وأُسري بي إليه وفتح له أبواب السماء والحُجب حتى نظر إلى ما نظرتُ إليه)) .

قال : ثم بكى رسول الله(صلّى الله عليه وآله) فقلتُ له : ما يُبكيك فداك أبي وأُمّي؟ فقال : يا ابن عبّاس إنّ أول ما كلّمني به أن قال : يا محمد أُنظر تحتك، فنظرت إلى الحُجب قد انخرقت، وإلى أبواب السماء قد فُتحت، ونظرت إلى عليّ وهو رافع رأسه إليّ ، فكلّمني وكلّمته وكلّمني ربّي (عزّ وجل) .

فقلت: يا رسول الله بِمَ كلّمك ربّك ؟ قال : قال لي : يا محمد إنّي جعلت علياً وصيّك ووزيرك وخليفتك من بعدك فأعلمه، فها هو يسمع كلامك، فأعلمته وأنا بين يدي ربّي (عزّ وجل) ، فقال لي : قد قبلت وأطعت، فأمر الله الملائكة أن تُسلّم عليه ، ففعلت، فردّ عليهم السلام ، ورأيت الملائكة يتباشرون به ، وما مررت بملائكة من ملائكة السماء إلا هنّأوني وقالوا : يا محمد والذي بعثك بالحق لقد دخل السرور على جميع الملائكة باستخلاف الله(عزّ وجل) لك ابن عمّك، ورأيت حملة العرش قد نُكسوا رؤوسهم إلى الأرض ، فقلت: يا جبرئيل لِمَ نكّس حملة العرش رؤوسهم ؟ فقال : يا محمد ما من ملك من

الملائكة إلا وقد نظر إلى وجه عليّ بن أبي طالب استبشاراً به ما خلا حملة العرش، فانّهم استأذنوا الله (عزّ وجل) في هذه الساعة فأذن لهم أن ينظروا إلى عليّ بن أبي طالب فنظروا إليه، فلمّا هبطّت جعلت أخبره بذلك وهو يخبرني به، فعلمت أنّي لم أطأ موطئاً إلا وقد كشف لعليّ عنه حتى نظر إليه.

قال ابن عبّاس:

فقلت: يا رسول الله أوصني، فقال: عليك بمودّة عليّ بن أبي طالب، والذي بعثني بالحقّ لا يقبل الله من عبد حسنة حتى يسأله عن حُبّ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) وهو تعالى أعلم، فان جاء بولايته قبل عمله على ما كان منه، وإن لم يأت بولايته لم يسأله عن شيء ثم أمر به إلى النار، يا ابن عبّاس والذي بعثني بالحق نبيّاً إنّ النار لأشدّ غضباً على مبغض عليّ منها على من زعم أنّ لله ولداً، يا ابن عبّاس لو أنّ الملائكة المقرّبين والأنبياء المُرسلين اجتمعوا على بُغض عليّ ــ ولن يفعلوا ــ لعذّبهم الله بالنار.

قلت: يا رسول الله وهو يبغضه أحد؟ قال:

((يا ابن عبّاس نعم، يبغضه قوم يذكرون أنهم من أُمّتي لم يجعل الله لهم في الإسلام نصيباً، يا ابن عبّاس إنّ من علامة بغضهم تفضيلهم من هو دونه عليه، والذي بعثني بالحق نبيّاً ما بعث الله نبيّاً أكرم عليه منّي، ولا وصيّاً أكرم عليه من وصيّي عليّ)).

قال ابن عبّاس: فلم أزل له كما أمرني رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ووصّاني بمودّته، وانه لأكبر عملي عندي.

قال ابن عبّاس: ثم مضى من الزمان ما مضى وحضرت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الوفاة حضرته، فقلت له: فداك أبي وأُمّي يا رسول الله قد دنا أجلك فما تأمرني؟ فقال: يا ابن عبّاس خالف من خالف عليّاً ولا تكوننّ

لهم ظهيراً ولا ولياً ، قلت: يا رسول اللّه فلم لا تأمر الناس بترك مخالفته ؟ قال : فبكى (عليه السلام) حتى أُغمي عليه ، ثم قال : يا ابن عبّاس قد سبق فيهم علم ربّي ، والذي بعثني بالحق نبياً لا يخرج أحد ممن خالفه في الدنيا وأنكر حقّه حتى يُغيّر اللّه ما به من نعمة . يا ابن عبّاس إذا أردّت أن تلقى اللّه وهو عنك راض فاسلك طريقة عليّ بن أبي طالب ومل معه حيث مال ، وارض به إماماً ، وعاد من عاداه ، ووال من والاه . يا ابن عبّاس احذر أن يدخلك شكّ فيه ، فانّ الشكّ في عليّ كفر باللّه تعالى .

استشهاده (عليه السلام)

والأحاديث في فضله (عليه السلام) تجلّ عن الحصر ، فلنكتف بما ذكرناه ، ومضى (صلوات اللّه عليه) ليلة الجمعة الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة ، قتيلاً بالسيف ، قتله عبد الرحمٰن بن ملجم المرادي (لعنة اللّه عليه) ، وهو أشقى الأولين والآخرين ، كما هو المتّفق عليه عند نقله الآثار .

وفي مناقب الخوارزمي (ص ٢٧٥) : باسناده عن زيد بن أسلم :

إنّ أبا سنان الدؤلي حدّثه أنه عاد علياً (عليه السلام) ، في شكوى إشتكاها قال : فقلت له : لقد تخوّفنا عليك يا أمير المؤمنين في شكواك هذا ، فقال : ولكنّي واللّه ما تخوّفت على نفسي منه ، لأني سمعت رسول اللّه الصادق المُصدّق (صلّى اللّه عليه وآله) يقول : إنّك لتُضرب ضربة هٰهنا ــ وأشار إلى صدغيه ــ ويسيل دمها حتى يخضب لحيتك ، ويكون صاحبها أشقاها ، كما كان عاقر الناقة أشقى ثمود .

وكانت شهادته (عليه السلام) في مسجد الكوفة ، وذلك انّه (عليه السلام) خرج يُوقظ الناس لصلاة الصبح ليلة تسع عشرة ، وكان ابن ملجم اللعين إرتصده من أول الليل لذلك ، فلمّا مرّ به في المسجد وهو مستخف تماكر

باظهار النوم ، ثم ثار إليه وضربه على أُمّ رأسه بالسيف وكان مسموماً، فمكث (عليه السلام) يوم تسع عشر وليلة العشرين ويومها ، وليلة إحدى وعشرين إلى نحو الثلث الأول من الليل ، ثم قضى نحبه (صلوات الله عليه) شهيداً ، ولقي ربّه (عزّ وجل) مظلوماً .

وفي الكافي (ج ١/ص ٤٥٤) ، وأمالي الصدوق (ص ٣١٤) بالاسناد عن أسيد بن صفوان صاحب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال :

لمّا كان اليوم الذي قُبض فيه أمير المؤمنين (عليه السلام) إرتجّ الموضع بالبكاء ، ودهش الناس كيوم قبض فيه النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ، وجاء رجل باكياً وهو مُسرع مُسترجع ، وهو يقول : اليوم انقطعت خلافة النبوّة ، حتى وقف على باب البيت الذي فيه أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال :

رحمك الله يا أبا الحسن ، كنتَ أول القوم إسلاماً ، وأخلصهم إيماناً ، وأشدّهم يقيناً ، وأخوفهم لله ، وأعظمهم عناء ، وأحوطهم على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وآمنهم على أصحابه ، وأفضلهم مناقب ، وأكرمهم سوابق ، وأرفعهم درجة ، وأقربهم من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وأشبههم به هدياً وخلقاً وسمتاً وفعلاً ، وأشرفهم منزلة ، وأكرمهم عليه ، فجزاك الله عن الاسلام وعن رسوله وعن المسلمين خيراً .

قويت حين ضعف أصحابه ، وبرزت حين استكانوا ، ونهضت حين وهنوا ، ولزمت منهاج رسوله إذ هم أصحابه ، وكنت خليفته حقّاً ، لم تنازع ولم تضرع برغم المنافقين ، وغيظ الكافرين ، وكره الحاسدين ، وضغن الفاسقين ، فقمت بالأمر حين فشلوا ، ونطقت حين تتعتعوا ، ومضيت بنور الله إذ وقفوا ، فاتّبعوك فهُدوا ، وكنت أخفضهم صوتاً ، وأعلاهم قنوتاً ، وأقلّهم كلاماً ، وأصوبهم منطقاً ، وأكبرهم رأياً ، وأشجعهم قلباً ، وأشدّهم يقيناً ، وأحسنهم عملاً ، وأعرفهم بالأمور .

كنتَ واللّه يعسوباً للدين أولاً وآخراً : الأول حين تفرّق الناس ، والآخر حين فشِلوا ، كنتَ للمؤمنين أباً رحيماً ، إذ صاروا عليك عيالاً ، فحملتَ أثقال ما عنه ضعفوا ، وحفظتَ ما أضاعوا ، ورعيتَ ما أهملوا ، وشمّرتَ إذ اجتمعوا، وعلوتَ إذ هلعوا ، وصبرتَ إذ أسرعوا ، وأدركتَ أوتار ما طلبوا ، ونالوا بكَ ما لم يحتسبوا ، كنتَ على الكافرين عذاباً صبّاً ونهباً ، وللمؤمنين عمداً وحصناً ، فطرتَ واللّه بنعمائها ، وفزتَ بحبائها ، وأحرزتَ سوابقها ، وذهبتَ بفضائلها، لم تفلل حجّتك ، ولم يزغ قلبك ، ولم تضعف بصيرتك ، ولم تجبن نفسك ، ولم تخر .

كنت كالجبل لا تُحرّكه العواصف ، ولا تُزيله القواصف ، كنت كما قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) : ضعيفاً في بدنك ، قويّاً في أمر اللّه ، متواضعاً في نفسك ، عظيماً عند اللّه (عزّ وجل) ، كبيراً في الأرض ، جليلاً عند المؤمنين ، لم يكن لأحد فيك مهمز ، ولا لقائل فيك مغمز ، ولا لأحد فيك مطمع ، ولا لأحد عندك هوادة ، الضعيف الذليل عندك قويّ عزيز حتى تأخذ له بحقّه ، والقويّ العزيز عندك ضعيف ذليل حتى تأخذ منه الحق ، والقريب والبعيد عندك في ذلك سواء ، شأنك الحقّ والصدق والرفق ، وقولك حكم وحتم ، وأمرك حلم وحزم ، ورأيك علم وعزم ، فيما فعلت ، وقد نهج السبيل ، وسهل العسير ، وأطفئت النيران ، واعتدل بك الدين ، وقوي بك الإسلام ، فظهر أمر اللّه ولو كره الكافرون ، وثبت بك الإسلام والمؤمنون ، وسبقت سبقاً بعيداً ، وأتعبت من بعدك تعباً شديداً ، فجللت عن البكاء ، وعظمت رزيّتك في السماء ، وهدّت مُصيبتك الأنام ، فإنّا للّه وإنّا إليه راجعون ، رضينا عن اللّه قضاءه ، وسلّمنا للّه أمره ، فواللّه لن يُصاب المسلمون بمثلك أبداً .

كنت للمؤمنين كهفاً وحصناً ، وقنة راسياً ، وعلى الكافرين غلظة وغيظاً ، فألحقك اللّه بنبيّه ، ولا أحرمنا أجرك ، ولا أضلّنا بعدك .

وسكت القوم حتى انقضى كلامه ، وبكي وبكي أصحاب رسول اللّه (ص) ،

ثم طلبوه فلم يُصادفوه .

وفي روضة الواعظين (ص ١٣٥) : روى الأصبغ بن نُباتة قال : خطبنا أمير المؤمنين (ع) في الشهر الذي قُتل فيه ، فقال : ((أتاكم شهر رمضان ، وهو سيّد الشهور ، وأول السنة ، وفيه يدور رحا السلطان ، ألا وإنّكم الحاج صفاً واحداً ، وآية ذلك أنّي لست فيكم)) ، فهو ينعى بنفسه إلينا ونحن لا ندري .

وروي أنه لمّا دخل شهر رمضان كان أمير المؤمنين (ع) يتعشّى ليلة عند الحسن وليلة عند عبد الله بن العبّاس ، فكان لا يزيد على ثلاث لقم ، فقيل له في ليلة من الليالي : ما لك لا تأكل؟ فقال: ((يأتيني أمر ربّي وأنا خميص ، إنّما هي ليله أو ليلتان)) فأُصيب (عليه السلام) في آخر الليل .

وفي أعلام الورى : إشتهر في الرواية أنّه كان لمّا دخل شهر رمضان يتعشّى ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند عبد الله بن العبّاس ، والأصح عبد الله بن جعفر ، وكان لا يزيد على ثلاث لقم ، فقيل له في ذلك ؟ فقال : ((أُريد أن يأتيني أمر ربّي وأنا خميص ، إنّما هي ليلة أو ليلتان)) ، فأُصيب (عليه السلام) في آخر تلك الليلة .

وفيه (ص ١٦١) : عن أبي صالح الحنفي قال : سمعتُ عليّاً يقول : ((رأيت النبيّ في منامي فشكوت إليه ما لقيته من أُمّته من الأود واللدد فبكيت ، فقال : لا تبك يا علي ، والتفتّ فاذا رجلان مصفّدان ، وإذا جلاميد تُرضخ بها رؤوسهما)) .
قال أبو صالح : فغدوت إليه من الغد فلقيت الناس يقولون : قُتل أمير المؤمنين (عليه السلام) .

وروى الحسن البصري ؛ قال :

سهر أمير المؤمنين (عليه السلام) في الليلة قُتل في صبيحتها ، ولم يخرج إلى المسجد لصلاة الليل على عادته ، فقالت له أُمّ كلثوم إبنته : ما هذا الذي قد أسهرك ؟ فقال : إنّي مقتول لو قد أصبحت ، وأتاه ابن التيّاح فآذنه بالصلاة ، فمشى غير بعيد ثم رجع ، فقالت له أُمّ كلثوم : مُر جُعدة فليصلّ بالناس ، قال : نعم ، مُروا جعدة ليُصلّي ، ثم قال : لا مفرّ من الأجل ، فخرج إلى المسجد فإذا هو بالرجل قد سهر ليلته كلّها يرصده ، فلمّا برد السحر نام ، فحرّكه أمير المؤمنين (عليه السلام) برجله وقال له : الصلاة ، فقام إليه فضربه .

وفي حديث آخر :

إنّه (عليه السلام) سهر تلك الليلة ، وكان يُكثر الخروج والنظر إلى السماء ، وهو يقول : ((والله ما كَذِبْت ولا كُذِّبت ، وإنّها الليلة التي وُعدت بها)) ، ثم يُعاود مضجعه ، فلمّا طلع الفجر شدّ إزاره وخرج وهو يقول :

((أُشدد حيازيمك للموت ... فانّ الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت ... إذا حلّ بواديكا))

فلمّا خرج إلى صحن الدار إستقبلته الأوز فصحن في وجهه ، فجعلوا يطردوهنّ ، فقال : دعوهنّ فانّها صوائح تتبعها النوائح ، ثم خرج فأُصيب .

وفي روضة الواعظين (ص ١٣٦) :

إنّ أمير المؤمنين (ع) لمّا حضرته الوفاة قال للحسن والحسين (عليهما السلام) :

((إذا أنا متّ فاحملاني على سرير ، ثم أخرجاني واحملا مؤخّر السرير فانّكما تكفيان مقدّمه ، ثم ائتيا بي الغريين فانّكما ستريان صخرة بيضاء فاحتفرا

فيها ، فانكما ستجدان فيها ساجة فادفناني فيها)) ٠

قال : فلمّا مات أخرجناه ، وجعلنا نحمل مُؤخّر السرير ونكفى مقدّمه ، وجعلنا نسمع دويّاً وحفيفاً حتى أتينا الغريين ، فاذا صخرة بيضاء تلمع نوراً، فاختفرنا فاذا ساجة مكتوب عليها : ((هذا ما ادّخره نوح لعليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ، فدفنّاه فيها ، وانصرفنا ونحن مسرورون باكرام الله (عزّ وجل) لأمير المؤمنين (عليه السلام) ، فلحقنا قوم من الشيعة لم يشهدوا الصلاة عليه ، فأخبرناهم بما جرى وباكرام الله (عزّ وجل) لأمير المؤمنين (عليه السلام) ، فقالوا : نُحبّ أن نُعاين من أمره ما عاينتم ، فقلنا لهم : انّ الموضع قد عفي أثره بوصيّة منه ، فمضوا إليه ، فقالوا : إنّهم إحتفروا فلم يجدوا شيئاً ٠

وقال الإمام الباقر (عليه السلام) :

((دُفن أمير المؤمنين (عليه السلام) بناحية الغريين ، ودُفن قبل طلوع الفجر ، ودخل قبره الحسن والحسين ومحمد بنو عليّ (عليهم السلام) وعبد الله بن جعفر (رضي الله عنه))) ٠

وفي مناقب ابن شهراشوب (ج ٣/ ص ٣٠٨) :

عن تفسير وكيع والسدّي وسفيان وأبي صالح : انّ عبد الله بن عمر قرأ قوله تعالى : *أو لم يروا أنّا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها* (الرعد/ الآية ٤١ ، والأنبياء/ الآية ٤٤) يوم قُتل أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وقال : لقد كنت يا أمير المؤمنين الطرف الأكبر في العلم ، اليوم نقص علم الاسلام ، ومضى ركن الايمان ٠

الزعفراني عن المزني عن الشافعي عن مالك عن سمي عن أبي صالح قال :

لمّا قُتل عليّ بن أبي طالب قال ابن عبّاس : هذا نقص العلم والفقه

من أرض المدينة ، ثم قال : إنّ نقصان الأرض نقصان علمائها وخيار أهلها ، إنّ اللّه لا يقبض هذا العلم إنتزاعاً ينتزعه من صدور الرجال ، ولكنّه يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم إتّخذ الناس رؤساء جهّالاً فيسألوا فيفتوا بغير علم فضلّوا وأضلّوا .

وفي فرحة الغري :

عن عبد اللّه بن محمد بن عائشة قال : حدّثني عبد اللّه بن حازم قال : خرجنا يوماً مع الرشيد من الكوفة نتصيّد ، فصرنا إلى ناحية الغريين والثويّة ، فرأينا ظباء فأرسلنا عليها الصقورة والكلاب ، فحاولتها ساعة ، ثم لجأت الظباء إلى أكمّة فسقطت عليها ، فسقطت الصقورة ناحية ورجعت الكلاب ، فتعجّب الرشيد من ذلك ، ثم إنّ الظباء هبطت من الأكمّة ، فسقطت الصقورة والكلاب ، فرجعت الظباء إلى الأكمّة فتراجعت عنها الكلاب والصقورة ، ففعلت ذلك ثلاثاً ، فقال هارون : أُركضوا ، فمن لقيتموه فأتوني به ، فأتيناه بشيخ من بني أسد ، فقال هارون : ما هذه الأكمّة ؟ قال : إن جعلت لي الأمان أخبرتك ، قال : عهد اللّه وميثاقه ألا أهيجك ولا أُؤذيك ، قال : حدّثني أبي عن أبيه أنّهم كانوا يقولون : هذه الأكمّة قبر عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ؛ جعله اللّه حرماً لا يأوى إليه أحد إلا أمن ، فنزل هارون ودعا بماء فتوضّأ فصلّى عند الأكمّة وتمرّغ عليها ، فجعل يبكي ، ثم انصرفنا ، فقال محمد بن عائشة : فكان قلبي لا يقبل ذلك ، فلمّا كان بعد ذلك حججت إلى مكّة فرأيت فيها ياسر الجمّال ــ جمّال الرشيد ــ وكان يجلس معنا إذا طفنا ، فجرى الحديث إلى أن قال : قال لي الرشيد ليلة من الليالي وقد قدمنا من مكّة فنزلنا الكوفة فقال : يا ياسر قل لعيسى بن جعفر فليركب ، فركبا جميعاً وركبت معهما حتى إذا صرنا إلى الغريين ، فأمّا عيسى فطرح نفسه فنام ، وأمّا الرشيد فجاء إلى أكمّة فصلّى عندها ، فلمّا صلّى ركعتين دعا وبكى وتمرّغ على

الأكمّة، وجعل يقول : يا ابن عمّ أنا والله أعرف فضلك وسابقتك، وبك والله جلستُ مجلسي الذي أنا به، وأنت أنت، ولكنّ ولدك يُؤذونني ويخرجون عليّ، ثم يقوم فيصلّي ويُعيد هذا الكلام ويدعو ويبكي، حتى إذا كان وقت السحر قال : يا ياسر أقم عيسى، فأقمته، فقال : يا عيسى قم صلّ عند قبر ابن عمّك، قال له : أيّ عمومتي هذا؟ قال : هذا قبر عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، فتوضّأ وقام يُصلّي، فلم يزالا كذلك حتى الفجر، فقلت: يا أمير المؤمنين أدركك الصبح، فركبا ورجعا إلى الكوفة (ص ١١٩).

والذي دلّ عليه الإمام الصادق (عليه السلام)، ففي فرحة الغري (ص ٦٤):

باسناده عن زيد بن طلحة قال : قال لي أبو عبد الله (عليه السلام)؛ وهو بالحيرة :

((أما تُريد ما وعدّتك؟ قال : قلت: بلى ــ يعني الذهاب إلى قبر أمير المؤمنين (عليه السلام) ــ قال : فركب وركب إسماعيل وركبت معهم، حتى إذا جاز الثويّة، فكان بين الحيرة والنجف عند ذكوات بيض نزل ونزل إسماعيل ونزلت معهم فصلّى وصلّى إسماعيل وصلّيت، فقال لإسماعيل : قم فسلّم على جدّك الحسين، فقلت: جُعلت فداك أليس الحسين بكربلاء؟ فقال : نعم ولكن لمّا حمل رأسه إلى الشام سرقه مولى لنا ودفنه بجنب أمير المؤمنين (عليه السلام))).

وفيه (ص٥٧) : عن أبي الفرج السندي قال :

كنت مع أبي عبد الله جعفر بن محمد حين تقدّم إلى الحيرة، فقال ليلة : أسرجوا لي البغل، فركب وأنا معه، حتى انتهينا إلى الظهر فنزل فصلّى ركعتين، ثم تنحّى فصلّى ركعتين، ثم تنحّى فصلّى ركعتين، فقلت:

جُعلت فداك إنّي رأيتك صلّيت في ثلاثة مواضع؟ فقال: أمّا الأول فموضع قبر أمير المؤمنين (عليه السلام)، والثاني موضع رأس الحسين (عليه السلام)، والثالث موضع منبر القائم (عليه السلام).

ونعود إلى الدّعاء:

((وصلّ على الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين))

نبذة من حياة فاطمة ع وفضائلها

في علل الشرايع (ص ١٧٦): باسناده قال:

قال أبو عبد الله (عليه السلام):

((لفاطمة (عليها السلام) تسعة أسماء عند الله (عزّ وجل): فاطمة، والصدّيقة، والمباركة، والطاهرة، والزكيّة، والراضية، والمرضيّة، والمُحدّثة، والزهراء، ثم قال: أتدري أيّ شيء تفسير فاطمة (عليها السلام)؟ قلت: أخبرني يا سيّدي، قال: فُطمت من الشرّ، قال: ثم قال: لولا أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) تزوّجها ما كان لها كفؤ إلى يوم القيامة على وجه الأرض، آدم فمن دونه)).

وعن الإمام الباقر (عليه السلام):

((لمّا وُلدت فاطمة (عليها السلام) أوحى الله إلى مَلَك فانطق به لسان محمد فسمّاها فاطمة، ثم قال: إنّي فطمتكِ بالعلم، وفطمتكِ عن الطمث، ثم قال أبو جعفر (عليه السلام): والله لقد فطمها الله تبارك وتعالى بالعلم وعن الطمث بالميثاق)).

وعنه (عليه السلام) قال:

((قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): يا فاطمة أتدرين لِمَ سُمّيتِ فاطمة؟ فقال عليّ (عليه السلام): يا رسول الله لِمَ سُمّيت؟ قال: لأنها فُطمت هي وشيعتها من النار)).

وعن محمد بن مسلم الثقفي قال :

سمعتُ أبا جعفر (عليه السلام) يقول :

((لفاطمة وقفة على باب جهنّم ، فاذا كان يوم القيامة كتب بين عيني كلّ رجل : مؤمن أو كافر ؛ فيؤمر بمحبّ قد كثرت ذنوبه إلى النار ، فتقرأ فاطمة بين عينيه : مُحبّاً ، فتقول : إلٰهي وسيّدي سمّيتني فاطمة وفطمت من تولاّني وتولّى ذُرّيتي من النار ووعدك الحق وأنت لا تُخلف الميعاد ، فيقول اللّه (عزّ وجل) : صدقتِ يا فاطمة ، إنّي سمّيتكِ فاطمة وفطمت من أحبّكِ وتولاّكِ وأحبّ ذُرّيتكِ وتولاّهم من النار ، ووعدي الحق ، وأنا لا أُخلف الميعاد ، وإنّما أمرت بعبدي هذا إلى النار لتشفعي فيه فأُشفّعكِ ، وليتبيّن لملائكتي وأنبيائي ورُسلي وأهل الموقف موقفكِ منّي ، ومكانتكِ عندي ، فمن قرأت بين عينيه مؤمناً فخذي بيده وأدخليه الجنّة)) .

وعن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن ، قال : قال لي أبو الحسن : لِمَ سُمّيت فاطمة فاطمة ؟ قلتُ: فرقاً بينه وبين الأسماء ، قال : إنّ ذلك لمن الأسماء ، ولكنّ اللّه تبارك وتعالى علم ما كان قبل كونه ، فعلم أنّ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) يتزوّج في الأحياء (يُريد بالأحياء : بطون العرب) وانّهم يطمعون في وراثة هذا الأمر فيهم من قبله ، فلمّا وُلدت فاطمة سمّاها اللّه تبارك وتعالى : فاطمة لما أخرج منها ، وجعل في ولدها ، فقطعهم عمّا طمعوا ، فبهذا سُمّيت فاطمة لأنها فطمت طمعهم .

ومعنى فطمت: قطعت.

وعن جابر عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) قال : قلت له : لِمَ سُمّيت فاطمة الزهراء زهراء؟ فقال :

((لأنّ الله (عزّ وجل) خلقها من نور عظمته ، فلمّا أشرقت أضاءت السماوات والأرض بنورها ، وغشيت أبصار الملائكة ، وخرّت الملائكة لله ساجدين ، وقالوا : إلٰهنا وسيّدنا ما هذا النور؟ فأوحى الله لهم : هذا نور من نوري ، أسكنته في سمائي ، خلقته من عظمتي ، أُخرجه من صُلب نبيّ من أنبيائي ، أُفضّله على جميع الأنبياء ، وأُخرج من ذلك النور أئمة يقومون بأمري ، يهدون إلى حقّي ، وأجعلهم خلفائي في أرضي بعد انقضاء وحيي)) .

جعفر بن محمد بن عمارة عن أبيه قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن فاطمة : لم سمّيت زهراء؟ فقال :
((لأنّها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء كما يزهو نور الكواكب لأهل الأرض)) .

وسُئل النبيّ (صلّى الله عليه وآله) : ما البتول؟ فانّا سمعناك يا رسول الله تقول : ((إنّ مريم بتول ، وفاطمة بتول)) ، فقال :
((البتول التي لم تر حمرة قطّ ــ أي لم تحض ــ فانّ الحيض مكروه في بنات الأنبياء)) .

ولا يبعد أن يكون سبيل أُمّهات الأئمة (عليهم السلام) سبيل فاطمة (صلوات الله عليها) في ارتفاع الحيض عنهنّ ، وذلك انّ الله (عزّ وجل) أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً ، والرجس : القذر ، والمأثم ، وكلّ ما ستقذر من العمل ، والعذاب ، والعمل المؤدّي إلى العذاب ، والشكّ ، وكل هذا فالأئمة (عليهم السلام) منزّهون عنه ، وعموم الطهارة يدلّ على خلوصهم (صلوات الله عليهم) من ما يختلج في البال من ريب ومن دنس وخصوصاً الأصل الذي إنحدروا منه ، وهي (صلوات الله عليها) أصل ذلك المنحدر .

وفي مناقب ابن شهراشوب (ج ٣/ص ٣٣٥) :

دخل النبيّ (ص) على فاطمة فرآها منزعجة، فقال لها: ما لكِ؟ قالت: الحميراء إفتخرت على أُمّي أنّها لم تعرف رجلاً قبلك، وانّ أُمّي عرفتها مسنّة، فقال (صلّى اللّه عليه وآله) : ((إنّ بطن أُمّك كان للامامة وعاء)).

والزهراء (صلوات اللّه عليها) هي والدة السبطين، فكما انّ والدة السبطين مطهّرة من دنس الطمث، فكذلك أُمّهات سائر الأئمة (عليهم السلام)، واللّه أعلم حيث يجعل رسالته، وهذا مما تميّزت به أئمتنا (صلوات اللّه عليهم) بطهارة أُمّهاتهم هذه الطهارة الخاصّة من بين سائر النساء، ولم يصح في واحدة من النساء حصول الولادة مع ارتفاع الحيض عنها سواهنّ لمكان أولادهنّ المعصومين (صلوات اللّه عليهم أجمعين).

ولقد أجاد من قال:

مُطهّرون نقيّات ثيابهم ... تجري الصلاة عليهم أينما ذُكروا
من لم يكن علويّاً حين تنسبه ... فما له من قديم الدهر مُفتخر
واللّه لمّا برى خلقاً وأتقنه ... صفاكم واصطفاكم أيّها البشر
فأنتم الملأ الأعلى وعندكم ... علم الكتاب وما جاءت به السور

وفي علل الشرايع (ص ١٧٤) : عن الامام الصادق (عليه السلام) :

((إنّما سُمّيت فاطمة لأنّ الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران، فتقول: يا فاطمة إنّ اللّه إصطفاكِ وطهّركِ واصطفاكِ على نساء العالمين، يا فاطمة اقنُتي لربّكِ واسجدي واركعي مع الراكعين، فتُحدّثهم ويُحدّثونها، فقالت لهم ذات ليلة: أليست المفضّلة على نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا: إنّ مريم

كانت سيّدة نساء عالمها ، وانّ اللّه(عزّ وجل) جعلكِ سيّدة نساء عالمكِ وعالمها ، وسيّدة نساء الأولين والآخرين)) ٠

وفي معاني الأخبار باسناده عن سدير الصيرفي عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه(عليهم السلام) قال :

((قال رسول اللّه(صلّى اللّه عليه وآله) : خُلق نور فاطمة قبل أن تُخلق السماء والأرض)) فقال بعض الناس : يا رسول اللّه فليست هي إنسيّة ؟ فقال(صلّى اللّه عليه وآله) :((فاطمة حوراء إنسيّة)) ، قال : يا نبيّ اللّه وكيف هي حوراء إنسيّة ؟ قال :((خلقها اللّه من نوره قبل أن يخلق آدم إذ كانت الأرواح ، فلمّا خلق اللّه(عزّ وجل) آدم عُرضت على آدم)) ، قيل : يا نبيّ اللّه وأين كانت فاطمة ؟ قال : كانت في حُقّة تحت ساق العرش ،قالوا يا نبيّ اللّه فما كان طعامها؟ قال((التسبيح ، والتهليل ، والتحميد ، فلمّا خلق اللّه(عزّ وجل) آدم وأخرجني من صُلبه ، أحبّ اللّه(عزّ وجل) أن يخرجها من صُلبي ، جعلها تفّاحة في الجنّة وأتاني بها جبرئيل(عليه السلام) وقال لي: السلام عليك ورحمة اللّه وبركاته يا محمد ، قلت: وعليك السلام ورحمة اللّه حبيبي جبرئيل ، فقال : يا محمد إنّ ربّك يقرئك السلام ، قلت: منه السلام وإليه يعود السلام) ، قال : يا محمد إنّ هذه تفّاحة أهداها اللّه(عزّ وجل) إليك من الجنّة ، فأخذتها وضممتها إلى صدري ، قال يا محمد يقول اللّه(جلّ جلاله) : كلها ، ففلقتها فرأيت نوراً ساطعاً ففزعت منه ، فقال : يا محمد ما لك لا تأكل ، كلها ولا تخف، فان ذلك النور المنصورة في السماء ، وهي في الأرض فاطمة ، قلت: حبيبي جبرئيل ؛ ولِمَ سُمّيت في السماء المنصورة وفي الأرض فاطمة ؟ قال : سُمّيت في الأرض فاطمة لأنها فطمت شيعتها من النار وفطم أعداؤها عن حبّها ، وهي في السماء المنصورة ؛ وذلك قول اللّه(عزّ وجل) :﴿ ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر اللّه ينصر من يشاء﴾ (الروم/ الآية٣) يعني

نصر فاطمة لمحبّيها)) (ص ٣٩٦) ٠

قال بعض شرّاح الحديث :

إعلم أنّه قد ورد عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) أخبار كثيرة جدّاً تربو على المئين تفيد ـ على اختلاف مضامينها وتعبيراتها ـ انّ بين وجود الواجب ووجود الممكنات مرتبة من الوجود شريفة ؛ منها : ترشّح وجودها ، وفيها جرى الفيض من مبدئه عليها ، وقد عبّر في جلّها أنّه تعالى خلق من نوره هذا النور ـ وقد تقدّس نوره عن ظلمة المادة وغواشيها ـ ثم خلق من هذا النور أنواراً أُخر ، وشقّه فأوجدها منه ، ونحو هذا النهج من التعبير ، وفي بعضها انّ القلم واللوح خلقاً من هذا النور ٠

وقد أنكر بعض من لم يرزق بصيرة في دينه تلك الروايات الجمّة ، بل المتواترة ، وردّها ونسبها إلى جعل الجاعلين ، وغلوّ الغالين ، وأوهام المتصوّفين ، ولو ردّ علمها إلى أهله وسكت عن القول فيها بالاثبات والإنكار لكان أحسن وأحوط ٠

فليس في وسع الحازم الباحث ، والمحقق المنصف أن يُرسل عنان القلم واللسان في هذا الميدان ، بل عليه إعمال غاية التثبّت ، وبذل نهاية الجهد ، وإن لم ينل بعد بغيته ، ولم يظفر على ما يشفي علّته ، ويروي غلّته ، فلا يتركنّ الاحتياط ، ولا يدعنّ الحزم ، وليأخذ بالأحوط الأحزم ، فانّه الطريق الأسلم ، فللعالم أسرار ولظواهره حقائق ، وللكلّ أهل ، وكلّ ميسّر لما خلق له ٠

وكيف كان فلا يسعنا معشر الآخذين بأذيال أهل البيت (عليهم السلام) إلا الخضوع تجاه علومهم الزاخرة ، وحكمهم الغزيرة ، وبياناتهم الشافية وكلماتهم المكنونة ، فان وافق ظواهر كلماتهم الباهرة البرهان ؛ موافقة تدركها

وتصدّقها الأجنان ، وإلا فالتوقّف حتى يكشف القناع عن وجه الحق فيشاهد بالعيان ، وقد تطابق العقل والنقل والبيان والبرهان كما ادّعى عليه الكشف والعيان ، والشهود والوجدان ٠

على أنّ في باطن هذا العالم عالماً أشرف وأكمل ، وكذا في باطنه حتى ينتهي إلى الحق الأول ، وقد سُمّيت تلك العوالم في الروايات بالغيب والنور والروح والذرّ ، وأشباهها ، وقد عبّر عنها أصحاب الحكمة المتعالية بمراتب الوجود المشككة ، وكلّما أمعن في البطون وارتفع سنام الوجود اشتدّ وحدته وبساطه ، حتى يصل إلى الواحد الأحد (جلّ شأنه) ، وعلى هذا ؛ فما صدر في طليعة الممكنات : موجود واحد شريف في غاية النوريّة والبهجة ، وله ظهور في كلّ عالم بحسبه ، ولا غرو أن يكون مظهره في عالم الطبيعة جسم النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ، ثم الوليّ الذي هو نفسه ، وبنته التي هي بضعته منه ، والأئمة المعصومين المولودين بواسطتها عنه ، وكلّهم نور واحد ، فافهم ، ولعلّك بما ذكر تقدر على حلّ ما أشكل عليك من تلك الأخبار ، الحاكية عن بعض ما في الوجود من الحقائق والأسرار ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، إنتهى ٠

وفي أمالي الصدوق (ص ٥٣١) : باسناده عن المفضّل بن عمر قال :
قلتُ لأبي عبد الله الصادق : كيف كان ولادة فاطمة ؟ فقال :
((نعم ؛ إنّ خديجة لمّا تزوّج بها رسول الله هجرتها نسوة مكّة ، فكنّ لا يدخلن عليها ، ولا يُسلّمن عليها ، ولا يتركن إمرأة تدخل عليها ، فاستوحشت خديجة لذلك ، وكان جزعها وغمّها حذراً عليه ، فلمّا حملت بفاطمة كانت فاطمة تحدّثها من بطنها وتصبّرها ، وكانت تكتم ذلك من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، فدخل رسول الله (ص)

يوماً فسمع خديجة تُحدّث فاطمة، فقال لها: يا خديجة من تُحدّثين؟ قالت: الجنين الذي في بطني يُحدّثني ويُؤنسني، قال: يا خديجة هذا جبرئيل يُبشّرني أنّها أنثى، وأنّها النسلة الطاهرة الميمونة، وانّ اللّه تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها، وسيجعل من نسلها أئمة، ويجعلهم خلفاءه في أرضه بعد انقضاء وحيه، فلم تزل خديجة على ذلك إلى أن حضرت ولادتها، فوجّهت إلى نساء قريش وبني هاشم: أن تعالين لتلين منّي ما تلي النساء من النساء، فأرسلن إليها: أنت عصيتينا ولم تقبلي قولنا، وتزوّجتِ محمداً ـ يتيم أبي طالب ـ فقيراً لا مال له، فلسنا نجيء ولا نلي من أمرك شيئاً، فاغتمّت خديجة لذلك، فبينا هي كذلك إذ دخل عليها أربع نسوة سُمر طوال كأنهنّ من نساء بني هاشم، ففزعت خديجة منهنّ لمّا رأتهنّ، فقالت إحداهنّ: لا تحزني يا خديجة، فانّا رُسل ربّك إليك ونحن أخواتك، أنا سارة، وهذه آسية بنت مزاحم وهي رفيقتك في الجنّة، وهذه مريم بنت عمران، وهذه كلثوم أُخت موسى بن عمران، بعثنا اللّه إليك لنلي منك ما تلي النساء، فجلست واحدة عن يمينها، وأُخرى عن يسارها، والثالثة بين يديها، والرابعة من خلفها، فوضعت فاطمة طاهرة مطهّرة، فلمّا سقطت إلى الأرض أشرق منها النور حتى دخل بيوتات مكّة، ولم يبق في شرق الأرض ولا غربها موضع إلا أشرق فيه ذلك النور، ودخل عشر من الحور العين كلّ واحدة منهنّ معها طشت من الجنّة وإبريق من الجنّة، وفي الابريق ماء من الكوثر، فتناولتها المرأة التي كانت بين يديها فغسّلتها بماء الكوثر، وأخرجت خرقتين بيضاوين أشدّ بياضاً من اللبن وأطيب ريحاً من العنبر، فلفّتها بواحدة وقنّعتها بالثانية، ثم استنطقتها فنطقت

فاطمة(عليها السلام) بالشهادتين وقالت: ((أشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأنّ أبي رسول الله سيّد الأنبياء، وأنّ بعلي سيّد الأوصياء، وولديّ سادة الأسباط)) ، ثم سلّمت عليهنّ وسمّت كلّ واحدة منهنّ باسمها، وأقبلن يضحكن إليها، وتباشرت الحور العين، وبشّر أهل السماء بعضهم بعضاً بولادة فاطمة(عليها السلام) ، وحدث في السماء نور زاهر لم تره الملائكة قبل ذلك، وقالت النسوة: خذيها يا خديجة طاهرة مطهّرة زكيّة ميمونة، بُورك فيها وفي نسلها، فتناولتها فرحةً مستبشرة، وألقمتها ثديها فدرّ عليها، فكانت فاطمة(عليها السلام) تنمي في اليوم كما ينمي الصبي في الصبر، وتنمي في الشهر كما ينمي الصبي في السنة)) .

وفيه(ص ٥٠٠) : عن الإمام الصادق(عليه السلام) عن أبيه عن آبائه عن عليّ (عليهم السلام) قال:

((لقد هممت بتزويج فاطمة إبنة محمد حيناً، ولم أتجرّأ أن أذكر ذلك للنبيّ(صلّى الله عليه وآله) ، وانّ ذلك إختلج في صدري ليلي ونهاري حتى دخلت على رسول الله(صلّى الله عليه وآله) فقال لي: يا عليّ، قلت: لبّيك يا رسول الله، قال: هل لك في التزويج؟ قلت: رسول الله أعلم، وإذا هو يُريد أن يزوّجني بعض نساء قريش، وإنّي لخائف على فوت فاطمة، فما شعرت بشيء إذا أتاني رسول رسول الله(صلّى الله عليه وآله) فقال لي: أجب النبيّ وأسرع، فما رأينا رسول الله أشدّ فرحاً منه اليوم، قال: فأتيته مسرعاً، فاذا هو في حجرة أُم سلمة، فلمّا نظر إليّ تهلل وجهه فرحاً وتبسّم حتى نظرت إلى بياض أسنانه يبرق، فقال: أبشر يا عليّ فانّ الله(عزّ وجل) قد كفاني ما قد كان همّني من أمر تزويجك، فقلت: وكيف ذلك يا رسول

اللّه ؟ قال : أتاني جبرئيل ومعه من سُنبل الجنّة وقرنفلها، فناولنيهما فأخذتهما وشممتهما فقلت: ما سبب هذا السنبل والقرنفل؟ فقال : إنّ اللّه تبارك وتعالى أمر سكّان الجنان من الملائكة ومن فيها أن يزيّنوا الجنان كلّها بمغارسها وأشجارها وثمارها وقصورها ، وأمر ريحها فهبّت بأنواع العطر والطيب، وأمر حور عينها بالقراءة فيها بسورة طه ، وطواسين ، ويس ، وحمعسق ، ثم نادى مُناد من تحت العرش : ألا إنّ اليوم يوم وليمة عليّ بن أبي طالب، ألا إنّي أُشهدكم أنّي قد زوّجت فاطمة بنت محمد من عليّ بن أبي طالب، رضىً منّي بعضهما لبعض ، ثم بعث اللّه تبارك وتعالى سحابة بيضاء فقطرت عليهم من لؤلؤها وزبرجدها ويواقيتها ، وقامت الملائكة فنثرت من سنبل الجنّة وقرنفلها ، هذا مما نثرت الملائكة، ثم أمر اللّه تبارك وتعالى ملكاً من ملائكة الجنّة يُقال له : راحيل ـ وليس في الملائكة أبلغ منه ـ فقال : اخطب يا راحيل ، فخطب بخطبة لم يسمع بمثلها أهل السماء ولا أهل الأرض ، ثم نادى مناد : ألا يا ملائكتي ، وسكّان جنّتي ، باركوا على عليّ بن أبي طالب حبيب محمد ، وفاطمة بنت محمد ، فقد باركت عليهما ، ألا إنّي زوّجت أحبّ النساء إليّ من أحبّ الرجال إليّ بعد النبيين والمُرسلين ، فقال راحيل الملك : يا ربّ وما بركتك فيهما بأكثر مما رأينا لهما في جنانك ودارك ؟ فقال (عزّ وجل) : يا راحيل إنّ من بركتي عليهما أن أجمعهما على محبّتي ، وأجعلهما حجّة على خلقي ، وعزّتي وجلالي لأخلقنّ منهما خلقاً ، ولأنشئنّ منهما ذرّية ، أجعلهم خزّاني في أرضي ومعادن لعلمي ، ودعاه إلى ديني ، بهم أحتجّ على خلقي بعد النبيين والمُرسلين ، فأبشر يا علي ، فإنّ اللّه أكرمك كرامة لم يكرم بمثلها أحداً ، وقد زوّجتك إبنتي فاطمة على

ما زوّجك الرحمٰن ، وقد رضيت لها بما رضي الله لها ، فدونك أهلك ، فانّك أحقّ بها منّي ، ولقد أخبرني جبرئيل أنّ الجنّة مشتاقة إليكما ، فلولا أنّ الله قدّر أن يخرج منكما ما يتّخذه على الخلق حجّة لأجاب فيكما الجنّة وأهلها ، فنِعْم الأخ أنت، ونِعْم الختن أنت، ونعم الصاحب أنت، وكفاك برضى الله رضىً ، قال عليّ (ع) : فقلت: يا رسول الله بلغ من قدري حتى أنّي ذكرت في الجنّة وزوّجني الله في ملائكته ؟ فقال (عليه السلام) : إنّ الله (عزّ وجل) إذا أكرم وليّه وأحبّه أكرمه بما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، فأحباها الله لك يا عليّ ، فقال عليّ (عليه السلام) : ((ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ)) ،فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : آمين ·

وفي عيون المعجزات (ص ٥٣) :

دخل العبّاس فقال : يا محمد بماذا فضّلت علينا أهل بيتك ؟ فقال (صلّى الله عليه وآله) :

((إليك يا عمّ لا تقل هذا ، فانّ الله تبارك وتعالى خلقني وعليّاً نوراً، ثم فتق من نورنا سبطيّ ، ثم فتق من نورنا نور العرش ، ومن نور سبطيّ نور الشمس والقمر ، كنّا نُعلّم الملائكة التسبيح والتهليل والتمجيد ، ثم قال الله تعالى للملائكة : وعزّتي ، وجلالي ، ووجودي ، وارتفاعي لأفعلنّ ، فخلق سبحانه نور فاطمة (عليها السلام) كالقنديل ، فزهرت به السماوات، فسمّيت الزهراء ، لمّا استنار بنورها الأفق))·

فخرج العبّاس من عنده لا يحير جواباً ، فاستقبله عليّ (عليه السلام) فضمّه إلى صدره وقبّل ما بين عينيه وجبينه وقال : ما أكرمكم على الله يا أهل بيت المصطفى ·

وكان إسمها في دار الدنيا : فاطم ، وفاطر ، والزهراء ، والبتول ، والحصان ، والحوراء ، والسيّدة ، والصدّيقة ، ومريم الكبرى ·

وعن سلمان الفارسي قال :

حدّثني عمّار وقال : أخبرك عجباً ؟ فقلت : حدّثني يا عمّار ، قال : نعم ، شهدّت عليّ بن أبي طالب وقد ولج على فاطمة (عليهما السلام) ، فلمّا بصرت به نادت : ((أدن لأُحدّثك بما كان وما هو كائن وبما لم يكن إلى يوم القيامة حين تقوم الساعة)) قال : فرأيت أمير المؤمنين (عليه السلام) يرجع القهقرى ، فرجعت برجوعه ، إذ دخل على النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله) ، فقال له : ((أدن يا أبا الحسن)) فدنا ، فلمّا اطمأنّ به المجلس قال له : ((تُحدّثني أم أُحدّثك)) ؟ فقال : الحديث منك أحسن يا رسول اللّه ، فقال : ((كأنّي بك وقد دخلت على فاطمة وقالت لك كيت وكيت فرجعت)) ، فقال عليّ (عليه السلام) : نور فاطمة من نورنا ؟ فقال (صلّى اللّه عليه وآله) : ((أو لا تعلم)) ؟ فسجد عليّ شكراً للّه تعالى ·

قال عمّار :

فخرج أمير المؤمنين وخرجت بخروجه ، فولج على فاطمة (عليها السلام) وولجت معه ، فقالت : كأنّك رجعت إلى أبي فأخبرته بما قلت لك؟ قال: كان كذلك يا فاطمة ، فقالت : إعلم يا أبا الحسن إنّ اللّه تعالى خلق نوري ، وكان يسبّح اللّه (جلّ جلاله) ، ثم أودعه شجرة من شجر الجنّة فأضاءت ، فلمّا دخل أبي (صلّى اللّه عليه وآله) إلى الجنّة أوحى اللّه تعالى إليه إلهاماً : أن اقطف الثمرة من تلك الشجرة وأدرها في لهواتك ، ففعل ، فأودعني اللّه تعالى صلب أبي ، ثم أودعني خديجة بنت خُويلد (عليها السلام) فوضعتني ، وأنا من ذلك النور ، أعلم ما كان وما يكون وما لم يكن ، يا أبا الحسن المؤمن

ينظر بنور الله تعالى ٠

وفاة فاطمة عليها السلام

وروي أنّ فاطمة (عليها السلام) تُوفّيت ولها ثمانية عشرة سنة وشهران، وأقامت بعد النبيّ (صلّى الله عليه وآله) خمسة وسبعين يوماً، وروي أربعين يوماً، وتولّى غسلها وتكفينها أمير المؤمنين (عليه السلام)، وأخرجها ومعه الحسن والحسين (عليهما السلام) في الليل، وصلّوا عليها ولم يعلم بها أحد، ودفنها في البقيع وجدد أربعين قبراً، فاشتكل على الناس قبرها، فأصبح الناس ولام بعضهم بعضاً، وقالوا: إنّ نبيّنا (ص) خلّف بنتا، ولم نحضر وفاتها والصلاة عليها ودفنها، ولا نعرف قبرها فنزورها، فقال من تولّى الأمر: هاتوا من نساء المسلمين من ينبش هذه القبور، حتى نجد فاطمة فنصلّي عليها فنزور قبرها، فبلغ ذلك أمير المؤمنين (عليه السلام)، فخرج مغضباً قد احمرّت عيناه، وقد تقلّد سيفه ذا الفقار، حتى بلغ البقيع، وقد اجتمعوا فيه، فقال (عليه السلام): لو نبشتم قبراً من هذه القبور لوضعت السيف فيكم، فتولّى القوم عن البقيع ٠

وفي مناقب إبن شهراشوب (ص ٣٢٤ / ج ٣):

سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي صالح في قوله: * وإذا النفوس زُوّجت * (التكوير/ الآية ٧) قال:

ما من مؤمن يوم القيامة، إلا إذا قطع الصراط زوّجه الله على باب الجنّة بأربع نسوة من نساء الدنيا، وسبعين ألف حوريّة من حور الجنّة، إلا عليّ بن أبي طالب، فانّه زوج البتول في الدنيا، وهو زوجها في الآخرة في الجنّة، ليست له زوجة في الجنّة غيرها من نساء الدنيا، لكن له في الجنان سبعون ألف حوراء، لكلّ حوراء سبعون ألف خادم ٠

وروي أنّ فاطمة تمنّت وكيلاً عند غزاة عليّ (عليه السلام) فنزل: * ربّ

المشرق والمغرب لا إلـٰه إلا هو فاتّخذه وكيلا﴾ (المُزمّل/ الآية٩) .

وسُئل عالم فقيل :

إنّ الله تعالى قد أنزل :﴿هل أتى﴾ في أهل البيت وليس فيه شيء من نعيم الجنّة إلا وذُكروا فيه إلا الحور العين؟ قال : ذلك إجلالاً لفاطمة (عليها السلام) .

وعن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) :

((لمّا خلق اللهالجنّة خلقها من نور وجهه ثم أخذ ذلك النور فقذفه فأصابني ثلث النور ، وأصاب فاطمة ثلث النور ، وأصاب عليّاً وأهل بيته ثلث النور ، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى إلى ولاية آل محمد ومن لم يصبه من ذلك النور ضلّ عن ولاية آل محمد)) .

وفي دلائل الإمامة للطبري (ص٢٧) : باسناده عن أبي بصير قال :

سألتُ أبا جعفر محمد بن عليّ عن مصحف فاطمة ؟ فقال :

((أنزل عليها بعد موت أبيها ، قلت: ففيه شيء من القرآن ؟ فقال : ما فيه شيء من القرآن ، قلت: فصفه لي؟ قال : له دفّتان من زبرجدتين على طول الورق وعرضه حمراوين ، قلت: جعلت فداك فصف لي ورقه ، قال : ورقه من درّ أبيض قيل له : كن فكان ، قلت: جعلت فداك فما فيه ؟ قال : فيه خبر ما كان وخبر ما يكون إلى يوم القيامة ، وفيه خبر سماء سماء ، وعدّ ما في السماوات من الملائكة وغير ذلك ، وعدد كلّ من خلق الله مرسلاً وغير مُرسل ، وأسمائهم وأسماء من أُرسل إليهم ، وأسماء من كذّب ومن أجاب، وأسماء جميع من خلق الله من المؤمنين والكافرين من الأولين والآخرين ، وأسماء البلدان ، وصفة كلّ بلد في شرق الأرض وغربها وعدد ما فيها من المؤمنين ، وعدد ما فيها من الكافرين ، وصفة كلّ من كذّب وصفة القرون الأُولى وقصصهم ، ومن ولي من

الطواغيت ومدّة ملكهم وعددهم، وأسماء الأئمة وصفتهم، وما يملك كلّ واحد واحد، وصفة كبرائهم وجميع من تردد في الأدوار، قلتُ: جُعلت فداك وكم الأدوار؟ قال: خمسون ألف عام، وهي سبعة أدوار فيه أسماء جميع ما خلق الله وآجالهم، وصفة أهل الجنّة، وعدد من يدخلها، وعدد من يدخل النار، وأسماء هؤلاء وهؤلاء، وفيه علم القرآن كما أنزل، وعلم التوراة كما أنزلت، وعلم الإنجيل كما أنزل، وعلم الزبور، وعدد كلّ شجرة ومدرة في جميع البلاد.

قال أبو جعفر (عليه السلام):

((ولمّا أراد الله تعالى أن ينزله عليها أمر جبرئيل وميكائيل وإسرافيل أن يحملوه فينزلون به عليها، وذلك في ليلة الجمعة من الثلث الثاني من الليل، فهبطوا به وهي قائمة تُصلّي، فما زالوا قياماً حتى قعدت، ولمّا فرغت من صلاتها سلّموا عليها وقالوا: السلام يقرئكِ السلام، ووضعوا المصحف في حجرها، فقالت: لله ومنه السلام وإليه السلام، وعليكم يا رُسل الله السلام، ثم عرجوا إلى السماء، فما زالت من بعد صلاة الفجر إلى زوال الشمس تقرؤه حتى أتت على آخره، ولقد كانت (عليها السلام) مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله من الجنّ والإنس والطير والوحش والأنبياء والملائكة)).

قلتُ: جُعلت فداك فلمن صار ذلك المصحف بعد مضيّها؟ قال:

((دفعته إلى أمير المؤمنين، فلمّا مضى صار إلى الحسن، ثم إلى الحسين، ثم عند أهله حتى يدفعوه إلى صاحب هذا الأمر)).

فقلت: إنّ هذا العلم كثير؟ قال:

((يا أبا محمد إنّ هذا الذي وصفته لك لفي ورقتين من أوله، وما وصفت لك بعد ما في الورقة الثالثة ولا تكلّمت بحرف منه)).

وفي البحار(ج ٤٣/ص٣٠) : عن الخرايج والجرايح :

روى أنّ علياً إستقرض من يهوديّ شعيراً ، فاسترهنه شيئاً ، فدفع إليه مُلاءة فاطمة رهناً ، وكانت من الصوف، فأدخلها اليهودي إلى دار ووضعها في بيت، فلمّا كانت الليلة دخلت زوجته البيت الذي فيه الملائة بشغل ، فرأت نوراً ساطعاً في البيت أضاء به كلّه ، فانصرفت إلى زوجها فأخبرته بأنّها رأت في ذلك البيت ضوءاً عظيماً ، فتعجّب اليهودي زوجها ـ وقد نسي أنّ في بيته ملاءة فاطمة ـ فنهض مسرعاً ، ودخل البيت فاذا ضياء الملاءة إنتشر شعاعه كأنّه يشتعل من بدر منير، يلمع من قريب ، فتعجّب من ذلك،، فأمعن النظر في موضع الملاءة ، فعلم أنّ ذلك النور من ملاءة فاطمة ، فخرج اليهودي يعدو إلى أقربائه، وزوجته تعدو إلى أقربائها ، فاجتمع ثمانون من اليهود فرأوا ذلك فأسلموا ٠

وروى أنّ اليهود كان لهم عرس ، فجاؤا إلى رسول اللّه(صلّى اللّه عليه وآله) وقالوا : لنا حقّ الجوار، فنسألك أن تبعث إبنتك فاطمة إلى دارنا حتى يزداد عرسنا بها حُسناً ، وألحّوا عليه، فقال:((إنها زوجة عليّ بن أبي طالب وهي بحكمه)) ، فسألوه أن يشفع إلى عليّ في ذلك، وقد جمع اليهود الطمّ والرمّ من الحليّ والحلل ، وظنّ اليهود أنّ فاطمة تدخل في بذلّتها وأرادوا استهانة بها ، فجاء جبرئيل بثياب من الجنّة لها ، وحُليّ وحلل لم يروا مثلها ، فلبستها فاطمة وتحلّت بها ، فتعجّب الناس من زينتها وألوانها وطيبها ، فلمّا دخلت فاطمة دار اليهود سجد لها نساؤهم يقبّلن الأرض بين يديها ، وأسلم بسبب ما رأوا ثمانون أو أكثر من اليهود ٠

وفي مناقب إبن شهراشوب (ج ٣/ص٣٣٨) :

عن الإمام الصادق(عليه السلام) ، وعن سلمان الفارسي :

((انّه لمّا استخرج أمير المؤمنين (عليه السلام) من منزله خرجت فاطمة حتى انتهت إلى القبر فقالت: خلّوا عن ابن عمّي، فوالذي بعث محمداً بالحق لئن لم تُخلّوا لأنشرنّ شعري، ولأضعنّ قميص رسول الله على رأسي، ولأصرخنّ إلى الله تعالى، فما ناقة صالح بأكرم على الله من ولدي، قال سلمان: فرأيت والله أساس حيطان المسجد تقلّعت من أسفلها، حتى لو أراد رجل أن ينفذ من تحتها نفذ، فدنوت منها وقلت: يا سيّدتي ومولاتي انّ الله تبارك وتعالى بعث أباك رحمة فلا تكوني نقمة، فرجعت الحيطان حتى سطعت الغبرة من أسفلها فدخلت في خياشيمنا)) .

وفي أمالي الصدوق (ص ٣٤٣) : باسناده عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن أبيه عن جدّه عن عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام) عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أنّه قال :

((يا فاطمة إنّ الله تبارك وتعالى ليغضب لغضبكِ ويرضى لرضاكِ)) .

قال : فجاء صندل فقال لجعفر بن محمد : يا أبا عبد الله إنّ هؤلاء الشباب يجيئونا عنك بأحاديث منكرة، فقال له جعفر (عليه السلام) : وما ذاك يا صندل؟ قال: جاءنا عنك أنّك حدّثتهم : إنّ الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها؟ قال : فقال جعفر (ع) : يا صندل ألستم رويتم فيما تروون أنّ الله تبارك وتعالى ليغضب لغضب عبده المؤمن ويرضى لرضاه ؟، قال : بلى ، قال : فما تنكرون أن تكون فاطمة (عليها السلام) مؤمنة يغضب الله لغضبها ويرضى لرضاها؟ قال : فقال : الله أعلم حيث يجعل رسالته .

خُطبة فاطمة (ع) في نساء الأنصار وشرحها

وفي الاحتجاج (ص ١٤٦) : قال سويد بن غفلة :

لمّا مرضت فاطمة (صلوات الله عليها) المرضة التي توفّيت فيها دخلت عليها نساء المهاجرين والأنصار يعدنها ، فقلن لها : كيف أصبحت

من علّتك يا ابنة رسول اللّه ؟ فحمدت اللّه وسلّمت على أبيها ، ثم قالت:

((أصبحت واللّه ، عائفة لدنياكن ، قالية لرجالكن ، لفظتهم بعد أن عجمتهم ، وسئمتهم بعد أن سبرتهم ، فقبحاً لفلول الحد ، واللعب بعد الجد ، وقرع الصفاة ، وصدع القناة ، وختل الآراء ، وزلل الأهواء، وبئس ما قدّمت لهم أنفسهم : أن سخط اللّه عليهم وفي العذاب هم خالدون ، لا جرم لقد قلّدتهم ربقتها ، وحملتهم أوقتها ، وشننت عليهم غاراتها ، فجدعاً وعقراً وبُعداً للقوم الظالمين ، ويحهم أنّى زعزعوها عن رواسي الرسالة ، وقواعد النبوّة والدلالة ، ومهبط الروح الأمين ، والطبين بأُمور الدنيا والدين ؟ ألا ذلك هو الخُسران المُبين .

وما الذي نقموا من أبي الحسن (ع) ؟ ، نقموا واللّه منه نكير سيفه ، وقلّة مبالاته لحتفه ، وشدّة وطأته ، ونكال وقعته ، وتنمّره في ذات اللّه ، وتاللّه لو مالوا عن المحجّة اللايحة ، وزالوا عن قبول الحجّة الواضحة ، لردّهم إليها ، وحملهم عليها ، ولسار بهم سيراً سجحاً ، لا يكلّم خشاشه ، ولا يكلّ سائره ، ولا يملّ راكبه ، ولأوردهم منهلاً نميراً ، صافياً ، رويّاً ، تطفح ضفتاه ، ولا يترنّق جانباه ، ولأصدرهم بطاناً ، ونصح لهم سرّاً وإعلاناً ، ولم يكن يتحلّى من الدنيا بطائل ، ولا يحظى منها بنائل ، غير ريّ الناهل ، وشبعة الكافل ، ولبان لهم الزاهد من الراغب ، والصادق من الكاذب ، ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتّقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ، ولكن كذّبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ، والذين ظلموا من هؤلاء سيُصيبهم سيّئات ما كسبوا وما هم بمعجزين ،

ألا هلمّ فاسمع ، وما عشت أراك الدهر عجباً ، وإن تعجب فعجب قولهم ، ليت شعري إلى أيّ سناد إستندوا ؟ وإلى أيّ عماد اعتمدوا ؟

وبأيّ عروة تمسّكوا؟ وعلى أيّ ذرّية قدموا واحتنكوا؟ لبئس المولى ولبئس العشير، وبئس للظالمين بدلاً ؛ إستبدلوا ــ والله ــ الذنابي بالقوادم ، والعجز بالكاهل ، فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً ، ألا انّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ، ويحهم أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يُتّبع أم من لا يهدّي إلا أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون ، أما لعمري لقد لقحت، فنظِرة ريثما تنتج ، ثم احتلبوا ملء القعب دماً عبيطاً ، وزعافاً مبيداً ، هنالك يخسر المبطلون ، ويعرف البطّالون غبّ ما أسس الأولون ، ثم طيبوا عن دنياكم نفساً ، واطمئنّوا للفتنة جأشاً ، وأبشروا بسيفٍ صارم ، وسطوة معتدٍ غاشم ، وبهرج شامل ، واستبداد من الظالمين : يدع فيئكم زهيداً ، وجمعكم حصيداً ، فيا حسرتا لكم ، وأنّى لكم وقد عميت عليكم أنُلزمكموها وأنتم لها كارهون)) .

قال سويد بن غفلة : فأعادت النساء قولها (عليها السلام) على رجالهن فجاء إليها قوم من المهاجرين والأنصار معتذرين ، وقالوا : يا سيّدة النساء ، لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر قبل أن يبرم العهد ، ويحكم العقد ، لما عدلنا عنه إلى غيره ، فقالت (عليها السلام) :

((إليكم عنّي ، فلا عُذر بعد تعذيركم ، ولا أمر بعد تقصيركم)) .

بيان ما لعلّه يحتاج إلى البيان من معاني ألفاظ هذا الحديث الشريف:

قولها (ع) : ((عائفة)) أي كارهة ، من عاف الرجل الطعام أو الشراب يعافه ويعيفه عيفاً بالفتح وعيفاناً محرّكة ، وعيافة وعيافاً بكسرهما : كرهه فلم ينل منه ، و ((قالية)) أي مبغضة ، من القلي بكسر القاف والقصر ، أو القلاء بفتح القاف والمدّ ، وهو البغض والترك ، و((لفظتهم)) : طرحتهم فلا قدر لهم

عندي ولا قيمة ، يقال : لفظت الشيء من فمي ألفظه لفظاً من باب ضرب: رميت به ، ومثله لفظه البحر ، ولفظ ريقه ، وذلك الشيء لفاظه ، ولفظت الميّت الأرض : قذفته من بطنها ، و((العجم)) : العضّ والمضغ ، وهو هنا كناية عن الاختبار ، أي إختبرتهم وجرّبتهم ، و((السأم)) والسآمة : الملالة ، و((السبر)) : الاختبار ، وفي بعض النسخ : شنئتهم بدل سئمتهم ، من الشنآن وهو البغض والكراهة ، فيكون معنى هذه العبارات كلّها :

طرحتهم وأبغضتهم بعد إمتحانهم ومشاهدة سيرتهم وأطوارهم ، أو إنّي كنت عالمة بقبح سيرتهم وسوء سريرتهم فطرحتهم ، ثم تأكّد لي هذا كلّه بعد اختياري إيّاهم فأنكرتهم وأبغضتهم .

وقولها (عليها السلام) : ((فقبحاً)) بالضمّ : مصدر حذف فعله ، إمّا من قولهم : قبّحه الله قبحاً ، أو من قبح بوزن كرم قباحة ، فحرف الجرّ على الأول داخل على المفعول ، وعلى الثاني داخل على الفاعل ،(والفلول)) بالضمّ : جمع فل بالفتح ، وهو الثلم والكسر في حدّ السيف: شباته وهي الطرف الرقيق الذي يحصل به القطع ، وحدّ الرجل بأسه ، والمعنى : كما انّه يقبح بالسيف أن يكون مكسور الحدّ غير قاطع ، فكذلك يقبح بالرجل أن يكون ساقط الهمّة ، ضعيفاً لا غناء عنده .

وقولها (ع) : ((واللعب بعد الجد)) ، كأنّه جملة تفسيريّة لفتور الهمّة وسقوطها ، أي انكم أخذتم دينكم لعباً وباطلاً بأهوائكم وتركتم الحقّ الصريح والحجّة القاطعة التي لقّنكم إيّاها رسول الله (ص) عن الله (عزّ وجل) .

و((الصفاة)) : الصخرة الملساء ، وقرعها أي الضرب عليها لا يجدي نفعاً ، وقرع الصفاة ، أيضاً كناية عن الاعتداء ، ومنه : لا يقرع لهم صفاة ، أي لا ينالهم أحد بسوء ، وفلان لا تندى صفاته ، كناية عن البخل ، أي لا يحصل منه خير ، ولا يبعد أن يكون المراد أنّ ما صدر منهم لا يحطمنّ قدرها ، ولا يقلل

من خطرها ومقامها عند الله وفي قلوب المؤمنين ، فمثلهم كمثل من يضرب بالسيف على الصفاة ، فلا يُؤثّر فيها الضرب ويفلّ السيف، و((القناة)) إمّا أن يراد بها الرمح ، وصدعه : كسره أو انحناؤه ، فلا يبلغ الطاعن به النكاية في العدوّ، وربّما تنقلب عليه النكاية ، وإمّا أن يُراد بها القناة التي تُحفر لاجراء الماء فيها ، وصدعها هو أن ينهدم أحد جانبيها فيذهب الماء ضياعاً ، وإمّا أن يُراد بها قناة الظهر وهي تجمع فقاره ، وانّ أقلّ عارض يحصل لبعض الفقار يرمى بالانسان ، ويشلّه ، ويمنعه عن الحركة ، والمقصود قناة الدين ، أي طريقه واستقامته ، فقد صدعوه بخلافهم وإدخالهم فيه ما ليس فيه فأضاعوه ،

و((ختل الآراء)) : زيفها وخدعها ، فانّ الخداع والمراوغة في الدين محق للدين ، و((الزلل)) : الإنحراف، وزلّ زلّة ؛ أي أخطأ، ومعناه : إنحرف عن الحق ، والمزلّة : المكان الدحض الذي تزلّ فيه الأقدام ، أي أنّه يكثر فيه الوقوع والسقوط.

و((الأهواء)) : الشهوات، وفي أمالي الطوسي : ((فقبحاً لأفون الرأي ، وخطل القول ، وخور القناة)) ، وقد علمت أنّ الأفن بالتحريك والأفون : النقص ورجل أفن ومأفون : أي ناقص العقل ،((والخور)) بالفتح والتحريك : الضعف، ((والخطل)) بالتحريك : المنطق الفاسد المضطرب ، وخطل الرأي : فساده واضطرابه ، ولمّا كانت هذه الأمور مستقبحة ومذمومة كانت محرّمة قطعاً ، ذكرت صيغة الذمّ فقالت : ((بِئْس ما قدّمت لهم أنفسهم)) ، وبئس : كلمة ذمّ كما انّ نِعْم : كلمة مدح ، كأنّها (عليها السلام) تقول : إنّ الذي تزوّدوه بسبب تسويلات أنفسهم ، وغلبة أهوائهم هو سخط الله تعالى وانتقامه ، ثم الخلود في النار ،

وقولها (عليها السلام) : ((لا جرم لقد قلّدتهم ربقتها)) ،لا جرم : كلمة تورد لتحقيق الشيء ، وفي مجمع البحرين : قيل : لا جرم بمعنى لا شكّ، وعن الفرّاء : هي كلمة في الأصل بمعنى لا بدّ ، ولا محالة ، فجرت على ذلك،

وكثرت حتى تحوّلت إلى معنى القسم ، وصارت بمعنى حقاً ، فلذلك يجاب عنها باللام كما يُجاب عن القسم ، ألا تراهم يقولون : لا جرم لآتينّك ، ولأفعلنّ كذا ، وقيل : جرم بمعنى كسب أي كسب لهم كفرهم الخسران ، وقيل : بمعنى وجب وحق ـ قال في النهاية ـ : و(لا) ردّ لما قبلها من الكلام ثم يبتدأ بها كقوله تعالى :﴿لا جرم أنّ لهم النار﴾ (هود / الآية ٦٢) أي ليس الأمر كما قالوا ثم ابتدأ فقال : وجب لهم النار ، إنتهى .

والربقة في الأصل : عروة في حبل تجعل في عنق البهيمة أو يدها تمسكها ، ويقال للحبل الذي تكون فيه الربقة : ربق ، وتجمع على ربق ورباق وأرباق مثل عنب وأصحاب وجبال ، والضمير في ربقتها راجع إلى الخلافة المدلول عليها بالمقام ،أو إلى فدك ، أو إلى حقوق أهل البيت (عليهم السلام) ، أي جعلت إثمها لازماً لرقابهم كالقلائد ، ((وحملتهم أوقتها)) أي حملتهم ثقلها ومشقّتها وشؤمها ، ففي القاموس:الأوق : الثقل والشؤم ، قلت : ولعلّ الأوقة هٰهنا تأنيث الأوق ، أو أنّها بمعنى الهوّة وهي الحفرة العميقة في الأرض ، فيكون المعنى : حملتهم خطرها ، وفي تاج العروس : قال ابن شميل : الأوقة بالضمّ : الركيّة مثل البالوعة في الأرض ؛ خليقة في بطون الأودية ، وتكون في الرياض أحياناً ، تسمّى إذا كانت قامتين فما زاد أوقة ، وما كان أقلّ من قامتين فليست بأوقة ، وفمها مثل فم الركيّة وأوسع أحياناً ، وهي الهوّة . (إنتهى) .

((وشننت عليهم غاراتها)) ؛ ليست الغارة هنا غارة الحرب ولكنّها غارة الاثم ، أي أنّها حمّلتهم إثمها من جميع الجهات ، أي إثم فعلهم وإثم من رضي بفعلهم ، وإثم من أقرّ ذلك إلى يوم القيامة .

وقولها (عليه السلام) : ((فجدعاً وعقراً وبُعداً)) ؛ وفي بعض النسخ: ((ورغماً)) ، وفي بعضها : ((وسُحقاً)) ؛ الجدع : قطع الأذن والأنف والشفة ،

وهو بالأنف أخص ، ويكون بمعنى الحبس ، والعقر : بالفتح : الجرح ، ويُقال في الدعاء إلى الإنسان : حلقاً له وعقراً ، أي أصابه الله بوجع في حلقه وعقر في جسده ، وأصل العقر ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف ، ثم اتّسع فيه فاستعمل في القتل والهلاك ، والرغم إلصاق الأنف بالرغام وهو التراب هواناً ، والمعنى : أرغم الله أنوفهم ، أي أصابتهم الذلّة والصغار ، والسحق بالضمّ ، والبُعد بمعنى واحد ، وهو الإبعاد والطرد ، وكلّ هذه المصادر يجب حذف الفعل منها .

((ويحهم)) ؛ ويح : كلمة رحمة يرثى لمن وقع في بليّة يدعى به بالتخلّص وهي زجر لمن أشرف على الهلكة ، وتُقال في التقبيح ، وقالوا : إنّها تجيء بمعنى ويل وفي موضع رأفة واستملاح ، فتقول للصبيّ : ويحه ما أملحه ، وليس لها غلظ ويل وشدّتها ، بل لين وحسن ، وأصل ويح : وي ؛ وصلت بحاء مرّة فكانت : ويح ، وبلام مرّة فكانت : ويل ، وبكاف مرّة فكانت : ويك ، وبباء مرّة فكانت : ويب ، وبسين مرّة فكانت : ويس ، وبهاء مرّة فكانت : ويه ، وبخاء مرّة فكانت : ويخ ، والزعزعة والزحزحة : التحريك والتبعيد ، والرواسي من الجبال : الثوابت الرواسخ ، وقواعد البيت : أساسه ، ((والطبين)) ؛ هو بالطاء المهملة والباء الموحّدة التحتيّة : الفطن الحاذق ، و((نكير سيفه)) ؛ أي إنكار سيفه ؛ فانّه لم يكت يسله إلا لتغيير المنكرات ، والحتف : الهلاك ، وكان (عليه السلام) يقول: ((والله ما يُبالي إبن أبي طالب أوقع على الموت أم وقع الموت عليه)) .

والوطأة : الأخذة الشديدة والضغطة ، وأصل الوطء الدوس بالقدم ، ويطلق على الغزو والقتل ، لأنّ من يطأ الشيء برجليه فقد استقصى في هلاكه وإهانته ، والنكال : العقوبة التي تنكل الناس أي تردّهم إلى الوراء وتجبنهم ، والوقعة : صدمة الحرب ، وتنمّر فلان ؛ أي تنكّر وتغيّر وأوعد ، لأنّ النمر لا تلقاه أبداً إلا متنكّراً غضبان .

وقولها (عليها السلام) : ((في ذات اللّه)) ؛ ذات الشيء : نفسه وحقيقته ، والمراد ما أُضيف إليه ، وفي مجمع البيان : ﴿وأصلحوا ذات بينكم﴾ (الأنفال/الآية ١) كناية عن المنازعة والخصومة ، والذات هي الخلقة والبُنية ، يُقال : فلان في ذاته صالح ، أي في خلقته وبنيته ، يعني : أصلحوا نفس كلّ شيء بينكم ، أو أصلحوا حال كلّ نفس بينكم ، وقيل : معناه وأصلحوا حقيقة وصلكم ، وكذلك معنى : اللهم أصلح ذات البين ، أي أصلح الحال التي بها يجتمع المسلمون ، إنتهى .

ولا يبعد أن يكون المراد بقولها : ((في ذات اللّه)) ؛ أي في اللّه وللّه بناء على أنّ المراد بالذات الحقيقة ، أو في الأُمور والأحوال التي تتعلّق باللّه من دينه وشرعه وغير ذلك كقوله : ﴿إنّه عليم بذات الصدور﴾ ، أي المضمرات التي في الصدور .

((وتاللّه لو مالوا)) ، وفي نسخة : تكافّوا ، والمعنى واحد ؛ أي بعد أن مكّنوه من الخلافة ، والمحجّة : الطريق ، والمقصود بها الشريعة ، تُريد : لو مكّنوه من الخلافة لقوّم المعوجّ وعدّل المائل ، ولحملهم على الطريق القويم ، ولسار بهم أسهل سير ، فانّ السجح معناه السهل ، وقولها : ((لا يكلّم خشاشه)) ؛ الكلم : الجرح ، والخشاش بكسر أوله مع التخفيف : ما يُجعل في أنف البعير من خشب ، أي أنّه (عليه السلام) يرفق بهم ، والكلال : التعب ، والمنهل : المورد وهو عين ماء ترده الإبل في المراعي ، وربّما سُمّيت المنازل التي على طريق السفار في المفاوز مناهل لأنّ فيها ماء ، والنمير والصافي بمعنى ، والرويّ : الذي ينقع الغلّة ، وفي الصحاح : الرويّ : سحابة عظيمة القطر شديدة الوقع ، وضفتا النهر بالكسر والفتح : جانباه ، وتطفح : تمتلىء حتى تفيض ، ورنق الماء كفرح ونصر وترنّق : كدر ، والترنوق : الطين الذي يكون

في الأنهار والمسيل ، ورنق القوم في أمر كذا أي خلطوا الرأي ، أي انّ أحكامه وأموره وقضاياه في نهاية الخلوص والصفاء خالية من كلّ كدر واختلاط .

وقولها : ((ألا هلمّ فاسمع)) ، قال في الصحاح : هلمّ يا رجل بفتح الميم بمعنى : تعال ، قال الخليل : أصله :لمّ ، من قولهم : لمّ اللّه شعثه أي جمعه ، كأنّه أراد : لمّ نفسك إلينا ، أي أقرب، وها : للتنبيه ، وإنّما حذفت ألفها لكثرة الاستعمال وجعلا إسماً واحداً يستوي فيه الواحد والجمع والتأنيث في لغة أهل الحجاز ، وأهل نجد يصرّفونها ، فيقولون للاثنين : هلمّا، وللجمع : هلمّوا ، وللمرأة : هلمّي ، وللنساء : هلممن ، والأول أفصح ، وإذا أدخلت عليه النون الثقيلة قلت: هلمّنّ يا رجل ، وللمرأة : هلمّنّ بكسر الميم ، وفي التثنية : هلمّان للمذكر والمؤنّث جميعاً ، وهلمّنّ يا رجال بضمّ الميم ، وهلممنانّ يا نسوة ، إنتهى .

((وما عشت أراك الدهر عجباً)) ، معناه : إنّ الدهر دائماً يأتي بالمفتجئات والغرائب ، فلا تنقضي عجائبه وغرائبه ، بل كلّ يوم يتجدد منه أمور لم تكن بالحُسبان ، ((وليت شعري)) ، أي : ليت شعوري حاضراً ، ومعناه ليتني علمت، و((السناد)) : ما يُستند إليه ، و((العماد)) : ما يُعتمد عليه ، و((العروة)) : الحلقة التي يستمسك بها ، والعبارات الثلاث تعود إلى معنى واحد ، أي : ما هي حجّتهم التي يدفعون بها عن أنفسهم اللوم ، وما هو المبرر الذي يعتذرون به ، وأمّا قولها : ((على أيّ ذرّية أقدموا واحتنكوا)) فهو من باب تجاهل العارف، فانّهم يعلمون يقيناً أنّها (صلوات اللّه عليها) ذرّية رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) ، فهي تتعجّب من جرأتهم على اللّه وعلى رسوله ، والاحتناك : الاستيلاء ، و((لبئس المولى ولبئس العشير)) المولى الناصر والمُعين والمُحبّ، والعشير : الصاحب المخالط والزوجة وكلّ من تُعاشره وتأنس به أي لا تنفعهم نصرة الناصر ، ولا يبعث على احترامهم شرف

المعاشر، ((ولبئس للظالمين بدلاً)) أي: بئس البدل من اختاروه على أمير المؤمنين إمام الحقّ (صلوات الله عليه) .

و((الذُنابى)) بالضمّ: ذنب الطائر ومنبت الذنب، أي انّهم تركوا الرأس واستعاضوا عنه بالذنب، والذنابى من الناس: السفلة والأتباع، والذنابى في الطائر أكثر استعمالاً ، وفي الفرس والبعير ونحوهما الذنب أكثر، وفي جناح الطائر أربع ذنابى بعد الخوافي ، وهي ما دون الريشات العشر من مقدّم الجناح التي تسمّى:قوادم ، وفي مخصص ابن سيدة: أبو حاتم: تسمّى الريشات العشر اللواتي في مقدّم الجناح: القداميّات، واحدتها: قدامى ، والقوادم واحدتها قادمة ، وما بعدها من الريش الخوافي واحدتها خافية ، وأنشد :

كأنّي بين خافيتي عقاب أصاب حمامة في يوم غين

أراد في يوم غيم ، إبن قتيبة : في الجناح عشرون ريشة: أربع قوادم ، وأربع مناكب، وأربع أباهر، وأربع كلي ، وأربع خواف ، إنتهى .

والعجز: مؤخّر الشيء ، والكاهل: مقدّم أعلى الظهر، وكاهل القوم عمدتهم في المهمّات، وعدّتهم للشدائد والملمّات، ورغماً ـ مثلّثة ـ مصدر رغم أنفه ؛ أي: لصق بالرغام بالفتح وهو التراب، وقد تقدّم، ورغم الأنف يستعمل في الذلّ والعجز عن الإنتصار والإنقياد على كره ، والمعاطس: جمع معطس بالكسر والفتح : زهز الأنف.

ولقولها (عليها السلام) : ((أما لعمري)) إلى آخر الخبر، في بعض النسخ: لعمر الله، وفي بعضها: لعمر إلـٰهك، وفي بعضها: لعمر إلـٰهكنّ ، والعمر بالفتح والضمّ بمعنى: العيش الطويل ، ولا يستعمل في القسم إلا العمر بالفتح ، ورفعه بالابتداء أي عمر الله قسمي أو يميني ، ومعنى عمر الله بقاؤه ودوامه ، وقال بعض المحققين: قول الشخص : (لعمري) مبتدأ محذوف

الخبر وجوباً ، والتقدير قسمي أو يميني ، وهو دائر بين فصحاء العرب، قال تعالى : ﴿لعمرك إنّهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ (الحجر/ الآية٧٢) ، لا يُقال: إنّ الحلف بغير اللّه منهيّ عنه ، لأنّا نقول : ليس المراد به القسم الحقيقي بجعل غيره تعالى مثله في التعظيم ، بل المراد صورته لترويج المقصود، أو الكلام ، على حذف مضاف أي فبواهب عمري وعمرك ، وهو إسم لمدّة الحياة .

ولقحت كعلمت، أي : حملت، والفاعل : فعلتهم أو فعالهم أو الفتنة أو الأزمنة ، والنظرة بفتح النون وكسر الظاء : التأخير ، وإسم يقوم مقام الإنظار، ونظرة إمّا مرفوع بالخبريّة والمبتدأ محذوف كما في قوله تعالى :﴿فنظرة إلى ميسرة﴾ (البقرة/ الآية٢٨٠) ، أي فالواجب نظرة ونحو ذلك، وإمّا منصوب بالمصدريّة ، أي إنتظروا أو أنظروا نظرة قليلة ، والأخير أظهر ، وريثما تنتج ؛ أي قدر ما تنتج ، يُقال : نتجت الناقة على ما لم يسمّ فاعله : تنتج نتاجاً ، وقد نتجها أهلها نتجاً ، وأنتجت الفرس إذا حان نتاجها .

((ثم احتلبوا ملء القعب دماً عبيطاً)) ، وفي معاني الأخبار : ثم احتلبوا طلاع القعب، والمعنى واحد ، فانّ احتلاب طلاع القعب هو أن يمتلئ من اللبن حتى يطلع عنه ويسيل ، والقعب: قدح من خشب يروي الرجل أو قدح ضخم ، والعبيط : الطري.

و((الذعاف)) : السمّ ، وقد يُقال : الزعاق بالزاي المعجمة والقاف، أو انّ الزعاق هو الماء المرّ الغليظ الذي لا يطاق شربه ، و((المبيد)) : المهلك، وفي المعاني : ذعافاً ممقراً بضمّ الميم الأولى وكسر القاف، وهو الشديد المرورة ، ((وطيبوا عن أنفسكم نفساً)) : أي ارضوا بما يصيبكم من المكروه عقيب فتنتكم هذه ، ونفساً هٰهنا نصبت على التمييز ، وطأمنته : أي سكنته فاطمأنّ ، والجأش مهموزاً : النفس والقلب، أي اجعلوا قلوبكم مطمئنّةً لنزول الفتنة ، والسيف الصارم : القاطع ، والهرج : الفتنة والإختلاط ، والشامل : العام ،

والإستبداد بالشيء : التفرّد به ، والضمير في (يدع) راجع إلى الاستداد ، والفيء : الغنيمة والخراج وما حصل للمسلمين من أموال الكفّار ، من غير حرب ، والزهيد : القليل ، والحصيد : المحصود ، وهو كناية عن قتلهم واستئصالهم ، وأنّى بكم ، أي : وأنّى تُلحق الهداية بكم ، وعميت عليكم بالتخفيف ، أي : خفيت عليكم والتبست ، وبالتشديد على صيغة المجهول أي لبّست ، وقرئ في الآية بهما .

والضمائر فيها قيل : هي راجعة إلى الرحمة المعبّر عن النبوّة بها ، وقيل : إلى البيّنة وهي المعجزة ، أو اليقين والبصيرة في أمر الله ، وفي المقام يحتمل رجوعها إلى رحمة الله الشاملة للامامة والاهتداء إلى الصراط المستقيم بطاعة إمام العدل ، أو إلى الامامة الحقّة وطاعة من اختاره الله وفرض طاعته ، أو إلى البصيرة في الدين ونحوها ، وإليكم عنّي : أي كفّوا وامسكوا ، وقولها : بعد تعذيركم ، أي : تقصيركم ، والمعذر : المظهر للعذر اعتلالاً من غير حقيقة.

عودة إلى حديث وفاة فاطمة (عليها السلام) ووصيتها

وفي أمالي الطوسي (ص ١٥٥) : باسناده عن محمد بن عمّار بن ياسر عن أبيه عمّار (رضي الله عنه) قال :

لمّا مرضت فاطمة (عليها السلام) مرضتها التي توفّيت فيها وثقلت ، جاءها العبّاس بن عبد المطّلب (رضي الله عنه) عائداً ، فقيل له : إنّها ثقيلة ، وليس يدخل عليها أحد ، فانصرف إلى داره ، فأرسل إلى عليّ (عليه السلام) فقال لرسوله : قل له : يا بن أخ عمّك يقرئك السلام ويقول لك : قد فجأني من الغمّ بشكاة حبيبة رسول الله وقرّة عينه وعيني فاطمة ما هدّني ، وإنّي لأظنّها أولنا لحوقاً برسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، والله يختار لها ويحبوها ويزلفها لديه ، فان كان من أمرها ما لا بدّ منه فأجمع ـ أنا لك الغداة ـ المهاجرين والأنصار حتى يُصيبوا الأجر في حضورها والصلاة عليها ، وفي ذلك جمال للدين ، فقال (عليه السلام) لرسوله ـ وأنا حاضر عنده ـ : أبلغ عمّي

السلام وقل : لا عدمت إشفاقك وتحننك ، وقد عرفت مشورتك ، ولرأيك فضله ، إنّ فاطمة بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لم تزل مظلومة ، من حقّها ممنوعة ، وعن ميراثها مدفوعة ، لم تحفظ فيها وصيّة رسول الله ولا رعي فيها حقّه ولا حقّ الله (عزّ وجل) ، وكفى بالله حاكماً ومن الظالمين منتقماً ، وإنّي أسألك يا عمّ أن تسمح لي بترك ما أشرت به ، فانّها وصّتني بستر أمرها ٠

قال : فلمّا أتى العبّاس رسوله بما قاله عليّ (عليه السلام) قال : يغفر الله لابن أخي فانّه لمغفور له ، إنّ رأيَ ابن أخي لا يُطعن فيه ، إنّه لم يُولد مولود لعبد المطّلب أعظم بركة من عليّ إلا النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ، إنّ عليّاً لم يزل أسبقهم إلى كلّ مكرمة ، وأعلمهم بكلّ قضيّة ، وأشجعهم في الكريهة ، وأشدّهم جهاداً للأعداء في نصرة الحنيفيّة ، وأول من آمن بالله ورسوله (صلّى الله عليه وآله) ٠

وفيه (ص ١٠٧) :

عن عليّ بن الحسين عن أبيه الحسين (صلوات الله عليهما) قال :

((لمّا مرضت فاطمة بنت محمد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وصّت عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) : أن يكتم أمرها ، ويخفي خبرها ، ولا يُؤذن أحداً بمرضها ، ففعل ذلك ، وكان يُمرّضها بنفسه ، وتعينه على ذلك أسماء بنت عُمَيْس (رحمها الله) على استمرار بذلك كما وصّت به فلمّا حضرتها الوفاة وصّت أمير المؤمنين (عليه السلام) أن يتولّى أمرها ، ويدفنها ليلاً ويعفي قبرها ، فتولّى أمير المؤمنين ذلك ، ودفنها ، وعفى موضع قبرها ، فلمّا نفض يده من تراب القبر هاج به الحزن ، وأرسل دموعه على خدّيه وحوّل وجهه إلى قبر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال : السلام عليك يا رسول الله عنّي وعن ابنتك وحبيبتك وقرّة عينك وزائرتك والثابتة في الثرى ببقعتك ، المختار الله لها سرعة

اللحاق بك، قلّ يا رسول اللّه عن صفيّتك صبري، وضعف عن سيّدة النساء تجلّدي، إلا أنّ في التأسّي لي بسنّتك، والحزن الذي حصل بي لفراقك لموضع تعزّ، ولقد وسّدتك في ملحودة قبرك بعد أن فاضت نفسك على صدري، وغمّضتك بيدي، وتولّيت أمرك بنفسي، نعم، وفي كتاب اللّه نعم القبول، وإنّا للّه وإنّا إليه راجعون، قد استرجعت الوديعة، وأخذت الرهينة، واختلست الزهراء، فما أقبح الخضراء والغبراء يا رسول اللّه.

أمّا حزني فسرمد، وأمّا ليلي فمسهّد، ولا يبرح الحزن من قلبي أو يختار اللّه لي دارك التي أنت فيها مقيم، كمد منيخ، وهمّ مهيّج، سرعان ما فرق بيننا، وإلى اللّه أشكو، وستُنبّئك ابنتك بتظاهر أُمّتك عليّ وعلى هضمها حقّها، فاستخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثّه سبيلاً، وستقول، ويحكم اللّه بيننا وهو خير الحاكمين.

سلام عليك يا رسول اللّه سلام مودّعٍ لا قالٍ ولا سئم، فان أنصرف فلا عن ملالة، وإن أقم فلا عن سوء ظنّ بما وعد اللّه الصابرين، الصبر أيمن وأجمل، ولولا غلبة المستولين علينا لجعلت المقام عند قبرك لزاماً، والتثبّت عنده معكوفاً، ولأعولت إعوال الثكلى على جليل الرزيّة، فبعين اللّه تُدفن بنتك سرّاً، ويُهضم حقّها قهراً، ويمنع إرثها جهراً، ولم يطل العهد، ولم يخلق منك الذكر، فالى اللّه يا رسول اللّه المشتكى، وفيك أجمل العزاء، فصلوات اللّه عليها وعليك ورحمة اللّه وبركاته)).

قوله (عليه السلام): ((ألا انّ لي في التأسّي بسنّتك..))؛ أي بسنّة فرقتك، والمعنى: انّ المصيبة بفراقك كانت أعظم، فكما صبرت على تلك مع

كونها أشدّ فلأن أصبر على أولى ، والتأسّي : الاقتداء بالصبر في هذه المصيبة كالصبر في تلك ، وفاضت نفسه : خرجت روحه ، وفي كتاب الله أنعم القبول ؛ أي فيه ما يصير سبباً لقبول المصائب أنعم القبول ، واستعار (عليه السلام) لفظ الوديعة والرهينة لتلك النفس الكريمة لأنّ الأرواح كالوديعة والرهن في الأبدان ، أو لأنّ النساء كالودائع والرهائن عند الأزواج ، ويمكن قراءة : واسترجعت، وما بعدها من القرائن على بناء المعلوم والمجهول ٠

والخلس والخلسة والاختلاس : إختطاف الشيء بسرعة وعلى غفلة ، والسهد والسهاد والسهود : قلّة النوم ، والكمد بالفتح والتحريك : الحزن الشديد ، أو هو مرض القلب ، والهضم : الظلم ، والغليل : حرارة الجوف ، واعتلجت الأمواج بمعنى إلتطمت ، والمعكوف : المحبوس ، ومنه : والهدي معكوفاً ؛ أي محبوساً ، والإعوال : رفع الصوت بالبكاء والصياح ٠

وفي الكافي (ج ١/ص ٤٥٩) : باسناده عن المفضّل قال :

قلتُ لأبي عبد الله (عليه السلام) : من غسّل فاطمة ؟ قال :

((ذاك أمير المؤمنين ـ وكأنّي استعظمت ذلك من قوله ـ فقال : كأنّك ضقت بما أخبرتك به ؟ قال : فقلت : قد كان ذلك جعلت فداك ،قال: فقال : لا تضيقنّ فانّها صدّيقه ، ولم يكن يغسّلها إلا صدّيق ، أما علمت أنّ مريم لم يغسّلها إلا عيسى)) ٠

وفيه (ص ٤٦٠) : عن الامام الباقر (عليه السلام) قال :

((قال النبيّ (صلّى الله عليه وآله) لفاطمة : يا فاطمة قومي فأخرجي تلك الصحيفة ، فقامت فأخرجت صحيفة فيها ثريد وعراق يفور ، فأكل النبيّ (صلّى الله عليه وآله) وعليّ وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) ثلاثة عشر يوماً ، ثم إنّ أمّ أيمن رأت الحسين معه شيء فقالت له : من

أين لك هذا؟ قال: إنّا لنأكله منذ أيّام، فأتت أُمّ أيمن فاطمة (عليها السلام) فقالت: يا فاطمة إذا كان عند أُمّ أيمن شيء فانّما هو لفاطمة وولدها، وإذا كان عند فاطمة شيء فليس لأُمّ أيمن منه شيء؟ فأخرجت لها منه فأكلت منه أُمّ أيمن ونفذت الصحفة. فقال لها النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله): أما لولا أنّك أطعمتها لأكلت منها أنت وذُرّيتك إلى أن تقوم الساعة، ثم قال أبو جعفر: والصحفة عندنا يخرج بها قائمنا (عليه السلام) في زمانه)).

واختلف الناس في موضع قبرها، فقال قوم: إنّها مدفونة في البقيع، وقال قوم: إنّها دُفنت في بيتها، وقال آخرون: إنّها دُفنت في الروضة بين قبر رسول اللّه (ص) ومنبره، والأصح الأقرب أنّها مدفونة في الروضة، أو في بيتها، فمن استعمل الاحتياط إذا أراد زيارتها وزارها في المواضع الثلاثة كان أولى وأصوب، واللّه سُبحانه أعلم.

الدُّعاءُ ولنعُد إلى الدعاء، قول الداعي:

((وصلّ على سبطي الرحمة، وإمامي الهُدى، الحسن والحسين سيّدي شباب أهل الجنّة)).

الشَرح السبط: ولد الابن والابنة، قال في لسان العرب: قال أبو العبّاس: سألتُ إبن الأعرابي: ما معنى السبط في كلام العرب؟ قال: السبط والسبطان والأسباط خاصّة الأولاد، والمصاص منهم، وقيل: السبط واحد الأسباط وهو ولد الوالد، إبن سيده: ولد الابن والابنة.

بَعضُ ماجاءَ في الحسَنينِ (عليهما السَّلام)

وفي الحديث: الحسن والحسينُ سبطا رسول اللّه، ومعناه، أي طائفتان وقطعتان منه.

وقيل: الأسباط خاصّة الأولاد، وقيل: أولاد الأولاد، وقيل: أولاد

البنات، وفي الحديث أيضاً : ((الحسين سبط من الأسباط)) أي أُمّة من الأُمم في الخير، فهو واقع على الأُمّة والأُمّة واقعة عليه، إنتهى .

وفي مجمع البحرين : الأسباط في وِلْد يعقوب كالقبائل في وِلْد إسماعيل، وهم إثني عشر ولد اليعقوب، وإنّما سُمّي هؤلاء بالأسباط وهؤلاء بالقبائل ليفصل بين ولد إسماعيل وولد إسحاق، وقد بعث منهم عدّة رُسل، كيوسف وسليمان وداود وموسى وعيسى، إنتهى .

وفي تاج العروس : قال قطرب : واحد الأسباط سبط، يُقال : هذا سبط، وهذه سبط، وهؤلاء سبط جمع وهي الفرقة .

وفي الحديث : ((حسين منّي وأنا من حسين)) ، ((أحبّ اللّه من أحبّ حُسيناً)) ، ((حسين سبط من الأسباط)) ، أخرجه الترمذي وابن ماجة والبغوي، إنتهى .

وفي ترجمة الحسن من تاريخ ابن عساكر (ص ٨٣) : باسناده عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) :
((الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة)) .

وفيه (ص ٨٥) : قال :
جاء الحسن والحسين يسعيان إلى رسول اللّه (ص) فأخذ أحدهما فضمّه إلى إبطه وأخذ الآخر فضمّه إلى إبطه الآخر وقال :
((هذان ريحانتاي من الدنيا، من أحبّني فليُحبّهما، ثم قال : الولد مبخلة مجبنة مجهلة)) .

وفيه (ص ٩٣) : عن جابر قال :
دخلت على النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وهو حامل الحسن

والحسين على ظهره وهو يمشي بهما ، فقلت: نِعْمَ الجمل جملكما ، قال رسول الله(صلّى الله عليه وآله وسلّم) : ((ونِعْمَ الراكبان هما)) .

وفي مسند ابن حنبل(ج٤ / ص١٧٢) : باسناده عن يعلي العامري أنّه خرج مع رسول الله(ص) إلى طعام دعوا له ، قال : فاشتمل رسول الله(صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، (قال عفّان قال وهيب) ، فاستقبل رسول الله (ص) إمام القوم وحسين مع غلمان يلعب فأراد رسول الله(ص) أن يأخذه قال : فطفق الصبي هٰهنا مرّة وههنا مرّة ، فجعل رسول الله(ص) يضاحكه حتى أخذه ، قال : فوضع إحدى يديه تحت قفاه والأُخرى تحت ذقنه ، فوضع فاه على فيه فقبّله ، وقال :

((حسين منّي وأنا من حسين ، أحبّ الله من أحبّ حسيناً ، حسين سبط من الأسباط)) .

وفي ترجمة الحسين من تأريخ إبن عساكر(ص٩٧) : باسناده عن أُسامة بن زيد قال :

طرقت باب رسول الله(صلّى الله عليه(وآله) وسلّم) ذات ليلة لبعض الحاجة ، فخرج إليّ وهو مشتمل على شيء لا أدري ما هو؟ فلمّا فرغت من حاجتي قلت: ما هذا الذي أنت مشتمل عليه ؟ فكشف فاذا حسن وحسين على وركيه ، فقال :

((هذان إبناي وإبنا إبنتي ، اللهم إنّك تعلم أنّي أُحبّهما فأحِبّهما ، اللهم إنّك تعلم أنّي أُحبّهما فأحبّهما ، اللهم إنّك تعلم أنّي أُحبّهما فأحبّهما)) .

وعن سلمان قال : قال النبيّ(صلّى الله عليه وآله وسلّم) للحسن والحسين :

((من أحبّهما أحببته ، ومن أحببته أحبّه الله ، ومن أحبّه الله أدخله جنّات النعيم ، ومن أبغضهما أو بغى عليهما أبغضته ، ومن أبغضته أبغضه الله ، ومن أبغضه الله أدخله جهنّم وله عذاب مقيم)) .

وفي مناقب ابن المغازلي (ص ٦٣) : باسناده عن ابن عبّاس قال : سُئل النبيّ (ص) عن الكلمات التي تلقّى آدم من ربّه فتاب عليه ؟ قال : سأله بحق محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت عليّ ، فتاب عليه .

وفي مسند ابن حنبل : عن شدّاد بن الهاد قال :

خرج علينا رسول الله (صلّى الله عليه (وآله) وسلّم) في إحدى صلاتي العشيّ أو الظهر أو العصر وهو حامل الحسن أو الحسين ، فتقدّم النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فوضعه ، ثم كبّر للصلاة فصلّى ، فسجد بين ظهرانيّ صلاته سجدة أطالها ، فقال : إنّي رفعت رأسي فاذا الصبي على ظهر رسول اللّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وهو ساجد ، فرجعت في سجودي ، فلمّا قضى رسول الله (ص) الصلاة قال الناس : يا رسول الله إنّك سجدّت بين ظهرانيّ صلاتك هذه سجدة قد أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر ، أو أنه يُوحى إليك ؟ فقال : كلّ ذلك لم يكن ، ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته (ج ٣/ص ٤٩٣) .

وقد ذكر ابن عساكر حديث :

((الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة)) باثنين وعشرين طريقاً عن عليّ وابن عبّاس وعمر بن الخطّاب وابن عمر وابن مسعود ومالك بن الحويرث وحذيفة وأبي سعيد الخدري وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وغيرهم .

وكذا روى حديث نزول آية التطهير فيهم (عليهم السلام) بواحد

وثلاثين طريقاً .

وفي فرائد السمطين (ج ٢/ص٣٨) : باسناده عن زيد بن أرقم قال : قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) لعليّ وفاطمة والحسن والحسين : ((أنا سِلْم لمن سالمتم، وحرب لمن حاربتم)) .

وفيه (ص ٩١) : باسناده إلى إسحاق بن سليمان الهاشمي قال : سمعتُ أبي يوماً يُحدّث، انّهم كانوا عند الرشيد فجرى ذكر عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، فقال الرشيد : يتوهّم العوام أنّي أبغض عليّاً وولده، واللّه ما ذلك كما يظنّون، وانّ اللّه يعلم شدّة حبّي لعليّ والحسن والحسين (رضوان اللّه عليهم)، واللّه لقد حدّثني أمير المؤمنين المهدي عن أمير المؤمنين المنصور، أنّه حدّثه عن أبيه عن جدّه عن عبد اللّه بن عبّاس أنّه قال : كنّا ذات يوم مع رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) إذ أقبلت فاطمة (عليها السلام) تبكي، فقال لها رسول اللّه (ص) : فداك أبوك مايبكيك؟ قالت : إنّ الحسن والحسين خرجا فما أدري أين باتا هما؟ فقال لها : لا تبكين يا بنيّة، فانّ الذي خلقهما ألطف بهما منّي ومنك، ثم رفع النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يديه فقال : اللهم إن كانا أخذا برّاً أو بحراً فاحفظهما وسلّمهما، فهبط جبرئيل (عليه السلام) فقال : يا محمد لا تغتم ولا تهتم، وهما فاضلان في الدنيا والآخرة وأبوهما خير منهما، هما في حظيرة بني النجّار نائمين، وقد وكّل اللّه بهما ملكاً يحفظهما .

فقام رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وأصحابه حتى أتوا الحظيرة فاذا الحسن معانق الحسين، وإذا الملك الموكّل بهما أحد جناحيه تحتهما والآخر فوقهما قد أظلّهما، فانكبّ النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) عليهما يقبّلهما حتى انتبها، فجعل الحسن على عاتقه اليمنى والحسين على عاتقه

اليسرى وجبرئيل معه حتى خرجا من الحظيرة ، والنبيّ (صلّى الله عليه وآله) يقول : ((لأُشرّفنّكما كما شرّفكما الله تعالى)) ، فتلقّاه أبو بكر الصديق فقال : يا رسول الله ناولني أحد الصبيين حتى أحمله عنك ، فقال النبيّ (ص) : ((نِعْم المطيّ مطيّهما ونِعْم الراكبان هما)) .

فسار حتى أتى المسجد فأمر بلالاً فنادى في الناس فاجتمعوا في المسجد ، فقام رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وهما على عاتقه ، فقال : ((يا معشر المسلمين ألا أدلّكم على خير الناس جدّاً وجدّة ؟ قالوا: بلى يا رسول الله ، قال : الحسن والحسين؛جدّهما رسول الله سيّد المرسلين ، وجدّتهما خديجة سيّدة نساء العالمين ، ألا أدلّكم على خير الناس أبا وأمّا؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : الحسن والحسين؛أبوهما عليّ بن أبي طالب وأُمّهما فاطمة بنت خديجة سيّدة نساء العالمين ، ألا أدلّكم على خير الناس عمّا وعمّة ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : الحسن والحسين؛عمّهما جعفر بن أبي طالب وعمّتهما أُمّ هاني بنت أبي طالب، أيها الناس ألا أُخبركم بخير الناس خالاً وخالة ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : الحسن والحسين؛ خالهما إبراهيم بن رسول الله وخالتهما زينب بنت رسول الله)) ، ثم قال : ((اللهم إنّك تعلم أنّ الحسن والحسين في الجنّة ، وأبوهما في الجنّة ، وأُمّهما في الجنّة ، وعمّهما في الجنّة وعمّتهما في الجنّة ، وخالهما في الجنّة ، وخالتهما في الجنّة ، ومن أحبّهما في الجنّة ، ومن أبغضهما في النار))

وفي ترجمة الحسين من تأريخ إبن عساكر (ص١٠٣) : باسناده عن أبي هريرة قال :

كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يُصلّي فاذا سجد ركب الحسن والحسين على ظهره ، فاذا رفع رأسه أخذهما بيده أخذاً رفيقاً فوضع أحدهما على فخذه والآخر في حجره ، فقلتُ: يا رسول الله أذهب بهما إلى

أمّهما؟ قال: لا ، قال: فبرقت برقة فقال: ألحقا بأُمّكما ، قال: فلم يزالا في ضوء تلك البرقة حتى لحقا بأُمّهما.

وفي (ص ١٢٠) : عن جابر بن عبد الله قال:

قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لعليّ:

((سلام عليك أبا الريحانتين أُوصيك بريحانتيّ من الدنيا قبل أن ينهدّ رُكناك، والله (عزّ وجل) خليفتي عليك)).

قال: فلمّا مات النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال عليّ: هذا أحد الرُكنين الذي قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، فلمّا ماتت فاطمة قال: هذا الركن الثاني الذي قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

نُبذة من حياة الإمام الحسن المجتبى عليه السّلام

والحسن (عليه السلام) هو السبط الأول، وهو الإمام الثاني من الأئمة الاثني عشر، وهو القائم بالأمر بعد أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام).

كُنيته: أبو محمد ، ويُلقّب بالمُجتبى ، والتقيّ ، والزكيّ ، والطيّب ، والسيّد ، والسبط ، والوليّ.

ولد (صلوات الله عليه) بالمدينة ، ليله النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة ، وجاءت به أُمّه فاطمة إلى النبيّ (صلّى الله عليه وآله) يوم السابع من مولده في خرقة من حرير الجنّة نزل بها جبرئيل (عليه السلام) إلى رسول الله (ص) ، وأذّن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في أُذنه ، وسمّاه حسناً ، وقد عقّ عنه كبشاً.

وفي مسند إبن حنبل (ج ١/ص ١٥٩) : عن عليّ (عليه السلام) قال:

((لمّا وُلد الحسن سمّاه حمزة ، فلمّا ولد الحسين سمّاه بعمّه جعفر ، قال: فدعاني رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقال: إنّي أُمرت أن أُغيّر اسم هذين ، فقلت: الله ورسوله أعلم ، فسمّاهما : حسناً وحُسيناً)).

وفي الكافي (ج ٦ / ص ٣٢) : عن الإمام الصادق (عليه السلام) :
((عقّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عن الحسن بيده ، وقال : بسم الله عقيقة عن الحسن ، اللهم عظمها بعظمه ، ولحمها بلحمه ، ودمها بدمه ، وشعرها بشعره ، اللهم اجعلها وقاء لمحمد وآله)) .

وقال (عليه السلام) :
((عقّت فاطمة عن ابنيها وحلقت رؤسهما في اليوم السابع وتصدّقت بوزن الشعر ورقاً)) .

وعاش (صلوات الله عليه) سبعاً وأربعين ، ويُقال : تسعاً وأربعين سنة وأشهراً ، كان مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وفاطمة ثماني سنين ، وسبعاً وثلاثين سنة مع أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وكانت مدّة خلافته عشر سنين ، ووقعت المهادنة بينه وبين معاوية بعد مضيّ ستّة أشهر وثلاثة أيّام من خلافته ، وإنّما صالحه عليه (عليه السلام) خوفاً على نفسه وحقناً لدماء المؤمنين من شيعة أبيه (عليهما السلام) .

ففي الخرائج : عن الحارث الهمداني قال :
لمّا مات عليّ (عليه السلام) جاء الناس إلى الحسن (عليه السلام) وقالوا أنت خليفة أبيك ووصيّه ، ونحن السامعون المُطيعون لك ، فمرنا بأمرك ، فقال (عليه السلام) : كَذِبْتم ، والله ما وفيتم لمن كان خيراً منّي ، فكيف تفون لي؟ وكيف أطمئنّ إليكم ، ولا أثق بكم ؟ إنْ كنتم صادقين فموعد ما بيني وبينكم مُعسكر المدائن ، فوافوا إليّ هناك .
فركب وركب معه من أراد الخروج ، وتخلّف عنه كثير ، فما وفوا بما قالوه وبما وعدوه ، وغرّوه كما غرّوا أمير المؤمنين (عليه السلام) من قبله ، فقام خطيباً وقال : ((غررتموني كما غررتم من كان قبلي ، مع أيّ إمام تُقاتلون بعدي ؟ مع

الكافر الظالم الذي لم يُؤمن بالله ولا برسوله قطّ ؟ ولا أظهر الايمان هو ولا بنو أُميّة إلا فرقاً من السيف ؟ ولو لم يبق لبني أُميّة إلا عجوز درداء لبغت دين الله عوجاً ، وهكذا قال رسول الله (ص))) ٠

ثم وجّه قائداً في أربعة آلاف، وكان من كندة ، وأمره أن يُعسكر بالأنبار ولا يُحدث شيئاً حتى يأتيه أمره ، فلمّا توجّه إلى الأنبار ونزل بها وعلم معاوية بذلك ، بعث إليه رُسلاً وكتب إليه معهم : إنّك إن أقبلت اليّ أُولّك بعض كور الشام والجزيرة غير منفّس عليك ، وأرسل إليه بخمسمائة ألف درهم ، فقبض الكندي عدوّ الله المال ، وقلب على الحسن ، وصار إلى معاوية في مائتي رجل من خاصّته وأهل بيته ، فبلغ ذلك الحسن (عليه السلام) فقام خطيباً وقال :

((هذا الكندي توجّه إلى معاوية وغدر بي وبكم ، وقد أخبرتكم مرّة بعد مرّة أنّكم لا وفاء لكم ، أنتم عبيد الدنيا ، وأنا مُوجّه رجلاً مكانه ، وإنّي أعلم أنّه سيفعل بي وبكم ما فعل صاحبه ، ولا يُراقب الله فيّ ولا فيكم)) ، فبعث إليه رجلاً من مراد في أربعة آلاف ، وتقدّم إليه بمشهد من الناس وتوكّد عليه وأخبره أنّه سيغدر كما غدر الكندي ، فحلف له بالأيمان التي لا تقوم لها الجبال أنّه لا يفعل ، فقال الحسن (عليه السلام) : ((إنّه سيغدر)) ٠

فلمّا توجّه إلى الأنبار أرسل إليه معاوية رسلاً ، وكتب إليه بمثل ما كتب إلى صاحبه ومنّاه أيّ ولاية أحبّ من كور الشام والجزيرة ، فقلب على الحسن وأخذ طريقه إلى معاوية ، ولم يحفظ ما أخذ عليه من العهود ، وبلغ الحسن ما فعل المرادي ، فقام خطيباً فقال :

((قد أخبرتكم مرّة بعد أُخرى أنّكم لا تفون لله بعهود ، وهذا صاحبكم المرادي غدر بي وبكم وصار إلى معاوية)) ٠

ثم كتب معاوية إلى الحسن : يا بن عمّ لا تقطع الرحم التي بيني

وبينك ، فانّ الناس قد غدروا بك وبأبيك من قبلك .

فقالوا : إن خانك الرجلان وغدروا بك فانّا مناصحون لك ، فقال لهم الحسن : لأعودنّ هذه المرّة فيما بيني وبينكم وإنّي لأعلم أنّكم فيما بيني وبينكم ، إنّ معسكري بالنخيلة فوافوني هناك ، والله لا تفون لي بعهدي ، ولتنقضنّ الميثاق بيني وبينكم ، ثم انّ الحسن أخذ طريق النخيلة ، فعسكر عشرة أيّام ، فلم يحضره إلا أربعة آلاف ، فانصرف إلى الكوفة فصعد المنبر وقال :

((يا عجبا من قوم لا حياء لهم ولا دين ، ولو سلّمت إلى معاوية الأمر فأيم الله لا ترون فرجاً أبداً مع بني أُميّة ، والله ليسومونكم سُوء العذاب حتى تتمنّوا الفرج ، ولو وجدت أعواناً ما سلّمت له الأمر ، لأنّه محرّم على بني أُميّة ، فأفّ وترحاً يا عبيد الدنيا)) .

ثم انّ أكثر أهل الكوفة كتبوا إلى معاوية :

إنّا معك ، وإن شئت أخذنا الحسن وبعثناه إليك ، ثم أغاروا على فسطاطه ، وضربوه بحربة ، وأُخذ مجروحاً ، ثم كتب جواباً لمعاوية ((إنّما هذا الأمر لي والخلافة لي ولأهل بيتي ، وانّها لمحرّمة عليك وعلى أهل بيتك ، سمعته من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، والله لو وجدت صابرين عارفين بحقّي غير منكرين ما سلّمت لك ولا أعطيتك ما تُريد)) ، وانصرف إلى الكوفة .

وفي تذكرة الخواص (ص١٩٨) : قال السدّي :

لم يُصالح الحسن معاوية رغبة في الدنيا ، وإنّما صالحه لمّا رأى أهل العراق يُريدون الغدر به ، وفعلوا معه ما فعلوا ، خاف منهم أن يُسلموه إلى معاوية ، والدليل عليه أنّه خطب بالنخيلة قبل الصلح فقال : ((أيّها الناس انّ هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إنّما هو حقّ أتركه لإرادة لإصلاح الأُمّة وحقنا لدمائها ، وإن أدري لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين .

ثم سار معاوية فدخل الكوفة ، فأشار عليه عمرو بن العاص أن يأمر الحسن أن يخطب ليظهر عيّه ، فقال له : قم فاخطب ، وقام وخطب ، فقال :

((أيّها الناس إنّ الله هداكم بأولنا ، وحقن دماءكم بآخرنا ، ونحن أهل بيت أذهب الله عنّا الرجس وطهّرنا تطهيرا ، وانّ لهذا الأمر مدّة والدنيا دول ، وقد قال الله تعالى لنبيّه :﴿ وإن أدري لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين ﴾)) ، فالتفت معاوية إلى عمرو وقال : هذا رأيك ، ثم قال للحسن : حسبك يا أبا محمد .

وفي رواية ، أنّه قال :

((نحن حزب الله المفلحون ، وعترة رسوله المطهّرون ، وأهل بيته الطيّبون الطاهرون ، وأحد الثقلين اللذين خلّفهما رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فيكم ، فطاعتنا مقرونة بطاعة الله ، ﴿ فان تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله وإلى الرسول ﴾ ، وانّ معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عزولاً ولا نصفة ، فان وافقتم رددناه عليه وخاصمناه إلى الله تعالى بظبى السيوف ، وإن أبيتم قبلناه)) ، فناداه الناس من كلّ جانب : البقيّة البقيّة .

ما جرى في وفاة الإمام الحسن عليه السلام

ومضى (صلوات الله عليه) إلى الرفيق الأعلى لليلتين بقيتا من صفر سنة خمسين من الهجرة مسموماً ، سمّته جعدة بنت الأشعث بأمر معاوية بن أبي سفيان .

في الاحتجاج للطبرسي عن الأعمش عن سالم بن الجعد قال :

حدّثني رجل منّا قال : أتيت الحسن بن عليّ (عليهما السلام) فقلت :

يا بن رسول الله أذللت رقابنا ، وجعلتنا معشر الشيعة عبيداً ما بقي معك رجل ؟ قال : وممّ ذاك ؟ قال : قلت : بتسليمك الأمر لهذا الطاغية ، قال : والله ما سلّمت الأمر إليه إلا أنّي لم أجد أنصاراً ، ولو وجدت أنصاراً

لقاتلته ليلي ونهاري حتى يحكم الله بيني وبينه ، ولكنّي عرفت أهل الكوفة وبلوتهم ، ولا يصلح لي منهم من كان فاسداً ، إنّهم لا وفاء لهم ولا ذمّة في قول ولا فعل ، إنّهم لمختلفون ، ويقولون لنا : إنّ قلوبهم معنا ، وإنّ سيوفهم لمشهورة علينا ، قال : وهو يكلّمني إذ تنخّع الدم ، فدعا بطست فحمل من بين يديه مليء من الدم ، فقلت له : ما هذا يا بن رسول الله ، إنّي أراك وجعاً؟ قال : أجل ، دسّ إليّ هذا الطاغية من سقاني سمّاً ، فقد وقع على كبدي فهو يخرج قطعاً كما ترى ، فقلت: أفلا تتداوى ؟ قال : قد سقاني مرّتين وهذه الثالثة لا أجد لها دواء ، ولقد رقى إليّ : إنّه قد كتب إلى ملك الروم يسأله أن يوجّه إليه من السمّ القتّال شربة ، فكتب إليك ملك الروم : إنّه لا يصلح لنا في ديننا أن نُعين على قتال من لا يُقاتلنا ، فكتب إليه : إنّ هذا ابن الرجل الذي خرج بأرض تهامة ، وقد خرج يطلب مُلْك أبيه ، وأنا أُريد أن أدسّ إليه من يسقيه ذلك ، فأريح البلاد والعباد منه ، ووجّه إليه بهدايا وألطاف ، فوجّه إليه ملك الروم بهذه الشربة التي دسّ فيها فسقيتها ، واشترط عليه في ذلك شروطاً ٠

وروي أنّ معاوية دفع السمّ إلى امرأة الحسن بن عليّ (عليه السلام) ـ جعدة بن الأشعث ـ فقال لها : أسقيه ، فاذا مات هو زوّجتك إبني يزيد ، فلمّا سقته السمّ ومات (عليه السلام) جاءت الملعونة إلى معاوية الملعون فقالت: زوّجني يزيد ، فقال : إذهبي فانّ امرأة لم تصلح للحسن بن عليّ لا تصلح لابني يزيد ٠

وفي إرشاد المفيد (ص ١٩٢) : باسناده قال :

حدّثنا جرير عن مغيرة قال :

أرسل معاوية إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس : إنّي مزوّجك إبني

يزيد على أن تسمّي الحسن، وبعث إليها مائة ألف درهم، ففعلت وسمّت الحسن(عليه السلام)، فسوّغها المال ولم يزوّجها من يزيد، فخلف عليها رجل من ولد طلحة فأولدها، وكان إذا وقع بينهم وبين بطون قريش كلام عيّروهم وقالوا: يا بني مسمّة الأزواج.

وفي أنساب الأشراف للبلاذري(ص ٦٩):

قال النجاشي الحارثي الشاعر يرثي الحسن(عليه السلام):

يا جعد بكيه ولا تسأمي
بكاء حقّ ليس بالباطل
على ابن بنت الطاهر المصطفى
وابن ابن عمّ المصطفى الفاضل
كان إذا شبّت له ناره
يوقدها بالشرف القابل
كيما يراها بائس مرمّل
أو ذو اغتراب ليس بالآهل
لن تغلقي باباً على مثله
في الناس من حاف ولا ناعل
نعم فتى الهيجاء يوم الوغى
والسيّد القائل والفاعل

وفي قاموس الرجال:

كان الأشعث قاتل أمير المؤمنين(عليه السلام)، وابنته جعدة قاتلة الحسن(عليه السلام)، وابنه محمد قاتل الحسين(عليه السلام).

وفي الكافي(ج ١/ص٣٠٢): عن الإمام الباقر(عليه السلام):

((لمّا احتضر الحسن بن عليّ (عليهما السلام) قال للحسين : يا أخي إنّي أُوصيك بوصيّة فاحفظها ، فإذا أنا متّ فهيّئني ثم وجّهني إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لأُحدث به عهداً ، ثم اصرفني إلى أُمّي فاطمة (عليها السلام) ، ثم ردني فادفنّي بالبقيع ، واعلم أنّه سيُصيبني من الحميراء ما يعلم الناس من صنيعها وعداوتها للّه ولرسوله (صلّى الله عليه وآله) وعداوتها لنا أهل البيت)) .

فلمّا قُبض الحسن (عليه السلام) ووضع على سريره ، فانطلقوا به إلى مصلّى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الذي كان يُصلّي فيه على الجنائز ، فصلّى على الحسن (عليه السلام) . فلمّا أن صلّى عليه حُمل فأُدخل المسجد ، فلمّا أُوقف على قبر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بلغ عائشة الخبر وقيل لها : إنّهم قد أقبلوا بالحسن ليُدفن مع رسول الله ، فخرجت مبادرة على بغل بسرج ـ فكانت أول إمرأة ركبت في الاسلام سرجاً ـ فوقفت وقالت : نحّوا ولدكم عن بيتي ، فانّه لا يُدفن فيه شيء ولا يُهتك على رسول الله حجابه ، فقال لها الحسين بن عليّ (صلوات الله عليهما) : قديماً هتكتِ أنتِ وأبوكِ حجاب رسول الله وأدخلتِ بيته من لا يُحبّ رسول الله قربه ، وانّ الله سائلكِ عن ذلك يا عائشة ، إنّ أخي أمرني أن أُقرّبه من أبيه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ليُحدث به عهداً ، واعلمي أنّ أخي أعلم الناس بالله ورسوله أعلم بتأويل كتابه من أن يُهتك على رسول الله ستره ، لأنّ الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ يا أيّها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبيّ إلا أن يُؤذن لكم ﴾ (الأحزاب/ الآية ٥٣) وقد أدخلتِ أنتِ بيت رسول الله (ص) الرجال بغير إذنه ، وقد قال الله (عزّ وجل) : ﴿ يا أيّها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيّ ﴾ (الحجرات/ الآية ٣) .

ولعمري لقد ضربتِ أنتِ لأبيكِ وفاروقه عند إذن رسول الله (صلّى

الله عليه وآله) المعاول ، وقال الله(عزّ وجل) : ﴿إنّ الذين يغضّون أصواتهم عند رسول الله أُولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى﴾ (الحجرات/ الآية ٣) .

ولعمري لقد أدخل أبوك وفاروقه على رسول الله بقربهما منه الأذى وما رعيا من حقّه ما أمرهما الله به على لسان رسول الله(صلّى الله عليه وآله) إنّ الله حرّم من المؤمنين أمواتاً ما حرّم منهم أحياء ، وتالله يا عائشة لو كان هذا الذي كرهتيه من دفن الحسن عند أبيه رسول الله(صلوات الله عليهما) جائزاً فيما بيننا وبين الله لعلمت أنّه سيُدفن وإن رغم معطسك .

قال : ثم تكلّم محمد بن الحنفيّة وقال :

يا عائشة يوماً على بغل ، ويوماً على جمل ، فما تملكين نفسك ولا تملكين الأرض عداوة لبني هاشم ؟ قال : فأقبلت عليه فقالت : يا بن الحنفيّة هؤلاء الفواطم يتكلّمون فما كلامك ؟ فقال لها الحسين(عليه السلام) : وأنىٰ تبعدين محمداً من الفواطم ، فوالله لقد ولدته ثلاث فواطم : فاطمة بنت عمران بن عائذ بن عمرو بن مخزوم ، وفاطمة بنت أسد بن هاشم ، وفاطمة بنت زائدة بن الأصم بن راحة بن حجر بن عبد معيص بن عامرة ، قال : فقالت عائشة للحسين(عليه السلام) : نحّوا إبنكم واذهبوا به فانّكم قوم خصمون .

قال : فمضى الحسين(عليه السلام) إلى قبر أُمّه ثم أخرجه فدفنه بالبقيع .

نُبذة من سيرته ومحاوراته

وفي مناقب إبن شهراشوب (ج ٤/ ص ٢١) :

إنّ معاوية فخر يوماً فقال : أنا ابن بطحاء مكّة ، أنا ابن أغزرها جوداً ، وأكرمها جدوداً ، أنا ابن من ساد قريشاً فضلاً ناشئاً وكهلاً ، فقال الحسن بن عليّ : تفخر يا معاوية ؟ أنا ابن عروق الثرى ، أنا ابن مأوى التُقى ، أنا ابن

من جاء بالهدى ، أنا ابن من ساد أهل الدنيا بالفضل السابق ، والحسب الفايق ، أنا ابن من طاعته طاعة اللّه ، ومعصيته معصية اللّه ، فهل لك أب كأبي تباهيني به ؟ وقديم كقديمي تساميني ؟ تقول : نعم أو لا ؟ قال معاوية : بل أقول : لا ، وهي لك تصديق ، فقال الحسن (عليه السلام) :

((الحقّ أبلج ما يحيل سبيله

والحق يعرفه ذوو الألباب))

وقال معاوية للحسن بن عليّ :

أنا خير منك يا حسن ، قال : وكيف ذاك يا بن هند ؟ قال : لأنّ الناس قد أجمعوا عليّ ولم يجمعوا عليك ، قال : هيهات هيهات، لشرّ ما علوت يا بن آكلة الأكباد ، المجمعون عليك رجلان : بين مُطيع ومُكره ،فالطايع لك عاص للّه ، والمكره معذور بكتاب اللّه ، وحاشى للّه أن أقول : أنا خير منك ، فلا خير فيك ، ولكنّ اللّه برّأني من الرذائل كما برّأك من الفضائل .

وفي تذكرة الخواص (ص ٢٠٠) :

قال أهل السير : لمّا سلّم الحسن الأمر إلى معاوية أقام يتجهّز إلى المدينة ، فاجتمع إلى معاوية رهط من شيعته منهم عمرو بن العاص ، والوليد بن عقبة ، وهو أخو عثمان لأُمّه ، وكان عليّ (عليه السلام) قد جلده في الخمر، وعتبة ، وقالوا : نُريد أن تُحضر الحسن على سبيل الزيارة ، لنخجله قبل مسيره إلى المدينة ، فنهاهم معاوية وقال : إنّه ألسن بني هاشم ، فألحّوا عليه ، فأرسل إلى الحسن فاستزاره ، فلمّا حضر شرعوا فتناولوا عليّاً (عليه السلام) ، والحسن ساكت، فلمّا فرغوا حمد الحسن اللّه وأثنى عليه ، وصلّى على رسوله محمد (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ثم قال : إنّ الذي أشرتم إليه قد صلّى القبلتين ، وبايع البيعتين ، وأنتم بالجميع مُشركون ، وبما أنزل اللّه على نبيّه كافرون ، وأنّه حرّم على نفسه الشهوات، وامتنع من اللذات، حتى أنزل اللّه

فيه : ﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تحرّموا طيّبات ما أحلّ الله لكم﴾ (المائدة/ الآية ٨٧) ، وأنت يا معاوية ممن قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في حقّه : ((اللهم لا تشبعه)) ، أو : ((لا أشبع الله بطنك)) .

وبات أمير المؤمنين يحرس رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من المشركين وفداه بنفسه ليلة الهجرة ، حتى قال الله فيه : ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾ (البقرة/ الآية ٢٠٧) ، ووصفه الله بالإيمان فقال : ﴿إنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾ (المائدة/ الآية ٥٥) ، والمراد به أمير المؤمنين ، وقال له رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : أنت منّي بمنزلة هارون من موسى ، وأنت أخي في الدنيا والآخرة .

وأنت يا معاوية نظر النبيّ إليك يوم الأحزاب ، فرآى أباك على جمل يحرّض الناس على قتاله ، وأخوك يقود الجمل ، وأنت تسوقه ، فقال : ((لعن الله القائد والراكب والسائق)) ، وما قابله أبوك في موطن إلا ولعنه وكنت معه ، ولاّك عمر فخنته ، ثم ولاّك عثمان فتربّصت عليه ، وأنت الذي كنت تنهى أباك عن الإسلام حتى قلت مخاطباً له :

يا صخر لا تسلمن طوعاً فتفضحنا
بعد الذين ببدر أصبحوا مزّقا
لا تركننّ إلى أمر تقلّدنا
والراقصات بنعمان به الحرقا

وكنت يوم بدر ، وأحد ، والخندق ، والمشاهد كلّها تقاتل رسول الله (ص) ، وقد علمت المسلمين الذي ولدّت عليه .

ثم التفت إلى عمرو بن العاص وقال :

أمّا أنت يا بن النابغة ، فادّعاك خمسة من قريش غلب عليك الأمهم ، وهو العاص ، وولدت على فراش مشترك ، وفيك نزل : ﴿إنّ شانئك هو الأبتر﴾ ،

وكنت عدوّ الله، وعدوّ رسوله، وعدوّ المسلمين، وكنت أضرّ عليهم من كلّ مشرك وأنت القائل:

ولا أنثني عن بني هاشم
بما استطعت في الغيب والمحضر
وعن عائب اللاّت لا أنثني
ولولا رضى اللاّت لم نمطر

وأمّا أنت يا وليد، فلا ألومك على بغض أمير المؤمنين، فانّه قتل أباك صبراً، وجلدك في الخمر لمّا صلّيت بالمسلمين الفجر سكراناً، وقلت: أزيدكم؟ وفيك يقول الحطيئة:

شهد الحطيئة حين يلقى ربّه
إنّ الوليد أحقّ بالعذر
نادى وقد تمّت صلاتهم
أأزيدكم سكراً وما يدري
ليزيدهم أُخرى ولو قبلوا
لأتت صلاتهم على العشر
فأتوا أبا وهب ولو قبلوا
لقرنت بين الشفع والوتر
حبسوا عنانك إذ جريت ولو
تركوا عنانك لم تزل تجري

وسمّاك الله في كتابه فاسقاً، وسمّي أمير المؤمنين مؤمناً في قوله: ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾ (السجدة/ الآية ١٨)، وفيك يقول حسّان بن ثابت وفي أمير المؤمنين:

أنزل اللّه ذو الجلال علينـا

في عليّ وفي الوليد قرآنـا

ليس من كان مؤمناً عمرك اللّه

كمن كان فاسقاً خوّانـا

سوف يدعى الوليد بعد قليل

وعليّ إلى الجزاء عيانـا

فعليّ يُجزى هناك جنانـاً

ووليد يُجزى هناك هوانـا

وأمّا أنت يا عتبة، فلا ألومك في أمير المؤمنين، فانّه قتل أباك يوم بدر واشترك في دم عمّك شيبة، وهلاّ أنكرت على من غلب على فراشك، ووجدته نائماً مع عرسك، حتى قال فيك نصر بن حجّاج:

نبّئت عتبة هيّأته عرسه

لصداقة الهذلي من لحيان

ألفاه معها في الفراش فلم يكن

فحلاً وأمسك خشية النسوان

لا تعتبنّ يا عتب نفسك حبّها

إنّ النساء حبائل الشيطان

ثم نفض الحسن ثوبه وقام، فقال معاوية:

أمرتكم أمراً فلم تسمعوا لـه

وقلت لكم لا تبعثنّ إلى الحسن

فجاء وربّ الراقصات عشيّة

بركبانها يهوين من سرّة اليمن

أخاف عليكم منه طول لسانه

وبعد مداه حين اجراره الرسن

فلمّا أبيتم كنت فيه كبعضكم

وكان خطابي فيه غبناً من الغبن

ثم قال سبط بن الجوزي عقيب هذا الحديث:

قال الأصمعي وهشام بن محمد بن السائب الكلبي في كتابه المسمّى بالمثالب:

معنى قول الحسن لمعاوية: قد علمت الفراش الذي ولدّت عليه؛ إنّ معاوية كان يُقال أنّه من أربعة من قريش: عمارة بن الوليد المخزومي، ومسافر بن أبي عمرو، وأبي سفيان، والعبّاس بن عبد المطّلب، وهؤلاء كانوا نُدماء أبي سفيان، وكان كلّ منهم يُتّهم بهند.

فأمّا عمارة بن الوليد: كان من أجمل رجالات قريش، وهو الذي وشى به عمرو بن العاص إلى النجاشي فدعا الساحر فنفث في إحليله فهام مع الوحش، وكانت إمرأة النجاشي عشقته.

وأمّا مسافر بن أبي عمرو، فقال الكلبي: عامّة الناس على أنّ معاوية منه، لأنّه كان أشدّ الناس حُبّاً لهند، فلمّا حملت هند بمعاوية خاف مسافر أن يظهر أنّه منه، فهرب إلى مَلِك الحيرة، وهو عمرو بن هند، فأقام عنده، ثم انّ أبا سفيان قدم الحيرة، فلقيه مسافر وهو مريض من عشقه لهند، وقد سقى بطنه، فسأله عن أهل مكّة فأخبره.

وقيل: إنّ أبا سفيان تزوّج هنداً بعد انفصال مسافر عن مكّة، فقال له أبو سفيان: إنّي تزوّجت هنداً بعدك، فازداد مرضه وجعل يذوب، فوصف له الكى، فأحضروا له المكاوى والحجّام، فبينما الحجّام يكويه إذ حبق الحجّام فقال مسافر: قد يحبق العير والمكواة في النار، فصارت مثلاً، ثم مات مسافر من عشقه لهند.

وذكر هشام بن محمد الكلبي أيضاً في كتاب المثالب:

وقال : كانت هند من المغتلمات، وكانت تميل إلى السودان من الرجال ، فكانت إذا ولدت ولداً أسود قتلته ٠

قال : وجرى بين يزيد بن معاوية وبين إسحاق بن طابة بن عبيد كلام بين يدي معاوية وهو خليفة ، فقال يزيد لإسحاق : إن خيراً لك أن يدخل بنو حرب كلّهم الجنّة ، أشار يزيد إلى أنّ أُمّ إسحاق كانت تتهم ببعض بني حرب، فقال له إسحاق : إن خيراً لك أن يدخل بنو العبّاس كلّهم الجنّة ، فلم يفهم يزيد قوله وفهمه معاوية ، فلمّا قام إسحاق قال معاوية ليزيد : كيف تشاتم الرجال قبل أن تعلم ما يُقال فيك ؟ قال : قصدّت شين إسحاق ، قال : وهو كذلك أيضاً ، قال : وكيف ؟ قال : أَمَا علمت أنّ بعض قريش في الجاهليّة يزعمون أنّي للعبّاس ؟ فسقط في يدي يزيد ٠

قال الشعبي : وقد أشار رسول اللّه (ص) إلى هند يوم فتح مكّة بشيء من هذا ، فانّها لمّا جاءت تبايعه وكان قد أهدر دمها ، فقالت: على ما أُبايعك؟ فقال : على أن لا تزنين ، فقالت: وهل تزني الحرّة؟ فعرفها رسول اللّه (ص) فنظر إلى عمر ، فتبسّم ٠

وأمّا قول الحسن لعمرو بن العاص : ولدّت على فراش مشترك ، فذكر الكلبي أيضاً في المثالب:قال :

كانت النابغة أُمّ عمرو بن العاص من البغايا أصحاب الرايات بمكّة ، فوقع عليها العاص بن وائل في عدّة من قريش ، منهم : أبو لهب، وأُميّة بن خلف، وهشام بن المغيرة ، وأبو سفيان بن حرب في طهر واحد ٠

قال ابن الكلبي : وكان الزناة الذين اشتهروا جماعة : منهم هؤلاء المذكورون ، وأُميّة بن عبد شمس ، وعبد الرحمٰن بن الحكم بن أبي العاص أخو

مروان بن الحكم ، وعتبة بن أبي سفيان أخو معاوية ، وعقبة بن أبي معيط ، فلمّا حملت النابغة بعمرو تكلّموا فيه ، فلمّا وضعته إختصم فيه الخمسة المذكورون ، كلّ واحد يزعم أنّه ولده ، وألبّ عليه العاص بن وائل وأبو سفيان بن حرب ، كلّ واحد يقول : واللّه إنّه منّي ، فحكما النابغة فاختارت العاص فقالت : هو منه ، فقيل لها : ما حملك على هذا وأبو سفيان أشرف منه؟ فقالت : هو كما قلتم ، إلا أنّه رجل شحيح ، والعاص جواد ينفق على بناتي ، وأبو سفيان لا ينفق عليهنّ ، وكان لها بنات.

وأمّا قول الحسن للوليد بن عقبة : وجلدك في الخمر ، فذكر أرباب السير قاطبة : إنّ عثمان بن عفّان ولّى الوليد بن عقبة الكوفة سنة ست وعشرين وكان الوليد مدمناً على شرب الخمر ، وكان يجلس على الشراب وعنده نُدماؤه ومغنّوه طول الليل إلى الفجر ، فاذا أذّنه المؤذّن بصلاة الفجر خرج سكراناً فصلّى بهم ، فخرج يوماً في غلالة لا يدري أين هو فتقدّم إلى المحراب فصلّى بهم الفجر أربعاً ، وقال : أزيدكم؟ فقال له عبد اللّه بن مسعود : مازلنا منك في زيادة منذ اليوم ، ولمّا سجد قال في سجوده : إشرب واسقني ، فناداه ابن غيلان الثقفي : سقاك اللّه المهل ومن بعثك أميراً علينا ، ثم حصبه وحصبه أهل المسجد ، فدخل الوليد القصر وهو يترنّح ، فنام في سريره ، فهجم عليه جماعة منهم أبو جندب بن زهير الأسدي ، وابن عوف الأزدي وغيرهما وهو سكران لا يعي فأيقظوه فلم ينتبه ، ثم قاء عليهم الخمر ، فنزعوا خاتمه من يده وخرجوا من فورهم إلى المدينة ، فدخلوا على عثمان فشهدوا على الوليد أنّه شرب الخمر ، فقال : وما يُدريكم أنّه شرب خمراً؟ قالوا : شرب الخمر الذي كنّا نشربه في الجاهليّة ، فزبرهما ونال منهما ، فخرجا من عنده فدخلا على عليّ (عليه السلام) وأخبراه بالقصّة ، فدخل على عثمان فقال له : دفعت الشهود وأبطلت الحدود؟ قال له : فما ترى ؟ فقال : تبعث إلى الفاسق

فتحضره فان قامت عليه البيّنة حددته، فأرسل إلى الوليد فأحضره، فشهدوا عليه ولم يكن له حجّة، فرمى عثمان السوط إلى عليّ وقال له: حده، فقال عليّ لولده الحسن: قم فحده، فامتنع الحسن وقال: يتولّى حارها من تولّى قارها، والقرّ: البرد، ومعناه: يتولاّه والي الأمر، فقال لعبد اللّه بن جعفر: قم فحده، فامتنع، فلمّا رآهم لا يفعلون توقّياً لعثمان أخذ السوط ودنا من الوليد، فسبّه الوليد، فقال له عقيل بن أبي طالب: يا فاسق ما تعلم من أنت؟ ألست علجاً من أهل صفوريّة ــ قرية بين عكّا واللجون من اعمال الأردن ــ كان أبوك يهودياً منها؟ فجعل الوليد يحيد عن عليّ فأخذه فجلد به الأرض، فقال له عثمان: ليس لك ذلك، فقال: بلى وشرّ من ذلك إذ فسق ثم يمتنع أن يُؤخذ منه حقّ اللّه تعالى، ثم جلده.

وذكر هشام بن محمد الكلبي عن محمد بن إسحاق قال:

بعث مروان بن الحكم ــ وكان والياً على المدينة ــ رسولاً إلى الحسن بن عليّ (عليهما السلام) فقال له: يقول لك مروان: أبوك الذي فرّق الجماعة، وقتل أمير المؤمنين عثمان، وأباد العلماء والزهّاد، يعني الخوارج، وأنت تفخر بغيرك، فان قيل لك: من أبوك؟ تقول: خالي الفرس، فجاء الرسول إلى الحسن فقال له: يا أبا محمد إنّي أتيتك برسالة ممن يُخاف سطوته ويُحذر سيفه، فان كرهت لم أبلغك إيّاها ووقيتك بنفسي، فقال الحسن: لا، بل تُؤدّيها، ونستعين عليه باللّه، فأدّاها، فقال له: تقول لمروان: إن كنت صادقاً فاللّه يجزيك بصدقك، وإن كنت كاذباً فاللّه أشدّ نقمة، فخرج الرسول من عنده فلقيه الحسين فقال: من أين أقبلت؟ فقال: من عند أخيك الحسن، فقال: وما كنت تصنع؟ قال: أتيت برسالة من عند مروان، فقال: وما هي؟ فامتنع الرسول من أدائها، فقال: لتخبرني أو لأقتلنّك، فسمع الحسن فخرج وقال لأخيه: خلّ عن الرجل، فقال: لا واللّه حتى أسمعها، فأعادها الرسول

عليه ، فقال : قل له : يقول لك الحسين بن عليّ بن فاطمة : يا بن الزرقاء الداعية إلى نفسها بسوق ذي المجاز ، صاحبة الراية بسوق عكاظ ، ويا بن طريد رسول الله ولعينه ، اعرف من أنت، ومن أُمّك ، ومن أبوك ، فجاء الرسول إلى مروان فأعاد عليه ما قالا ، فقال له : إرجع إلى الحسن وقل له : أشهد أنّك ابن رسول الله ، وقل للحسين : أشهد أنّك ابن عليّ بن أبي طالب ، فقال للرسول : قل له : كلاهما لي ورغما ·

قال الأصمعي :

أمّا قول الحسين : يا بن الداعية إلى نفسها ، فذكر إبن إسحاق : إنّ أُمّ مروان إسمها : أُميّة ، وكانت من البغايا في الجاهليّة ، وكان لها راية مثل راية البيطار تعرف بها ، وكانت تسمّى أُمّ حبتل الزرقاء ، وكان مروان لا يعرف له أب، وإنّما نُسب إلى الحكم كما نُسب عمرو إلى العاص ·

وأمّا قوله : يا بن طريد رسول الله ، يُشير إلى الحكم بن أبي العاص بن أُميّة بن عبد شمس ، أسلم الحكم يوم الفتح وسكن المدينة ، وكان ينقل أخبار رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إلى الكفّار من الأعراب وغيرهم ويتجسس عليه ·

قال الشعبي : وما أسلم إلا لهذا ولم يحسن إسلامه ، ورآه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يوماً وهو يمشي ويتخلّج في مشيته ـ يحاكي رسول الله ـ فقال له : كن كذلك ، فما زال يمشي كأنّه يقع على وجهه ، ونفاه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إلى الطائف ولعنه ، فلمّا توفّي رسول الله (ص) كلّم عثمان أبا بكر أن يردّه ـ لأنّه كان عمّ عثمان ـ فقال أبو بكر : هيهات ، شيءٌ فعله رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، والله لا أُخالفه أبداً ، فلمّا مات أبو بكر وولي عمر كلّمه فيه ، فقال : يا عثمان أما تستحي من رسول الله (ص) ومن

أبي بكر، تردّ عدوّ الله وعدوّ رسوله إلى المدينة، والله لا كان هذا أبداً، فلمّا مات عمر وولي عثمان ردّه في اليوم الذي ولي فيه وقرّبه وأدناه، وأعطاه مالاً عظيماً ورفع منزلته، فقام المسلمون على عثمان وأنكروا عليه، وقالوا: رددت عدوّ الله ورسوله، وخالفت الله ورسوله؟ فقال: إنّ رسول الله وعدني بردّه، فامتنع جماعة من الصحابة عن الصلاة خلف عثمان لذلك، ثم توفّي الحكم في خلافته، فصلّى عليه، ومشى خلفه، فشقّ ذلك على المسلمين وقالوا: ما كفاك ما فعلت حتى تصلّي على كافر ملعون لعنه رسول الله ونفاه؟ فخلعوه وقتلوه، وأعطى مروان إبنه خمس غنائم إفريقيّة خمسمائة ألف دينار.

ولمّا بلغ عائشة أرسلت إلى عثمان: أمّا كفاك أنّك رددت المنافق حتى تعطيه أموال المسلمين وتُصلّي عليه وتشيّعه؟ بهذا السبب قالت: اُقتلوا نعثلاً قتله الله فقد كفر.

ولمّا بلغ مروان إنكارها جاء إليها يُعاتبها، فقالت: أخرج يا بن الزرقاء، إنّي أشهد على رسول الله (ص) أنه لعن أباك وأنت في صلبه.

وفي كتاب المحاسن والمساوي تأليف إبراهيم بن محمد البيهقي قال:

أتى الحسن بن عليّ معاوية بن أبي سفيان وقد سبقه إبن عبّاس، فأمر معاوية فأنزل، فبينا معاوية مع عمرو بن العاص، ومروان بن الحكم، وزياد يتحاورون في قديمهم وحديثهم ومجدهم، فقال معاوية: أكثرتم الفخر، فلو حضركم الحسن بن عليّ وعبد الله بن عبّاس لقصّرا من أعنتكم، فقال زياد: وكيف ذلك يا أمير المؤمنين، ما يقومان لمروان بن الحكم في غرب منطقه، ولا لنافي بواذخنا، فابعث إليهما في غد حتى تسمع كلامنا، فقال معاوية لعمرو: ما تقول؟ قال: هكذا فابعث إليهما في غد، فبعث إليهما معاوية إبنه يزيد، فأتياه ودخلا عليه، وبدأ معاوية فقال: إنّي أجلكما وأرفع قدركما عن المسامرة بالليل، ولاسيّما أنت يا أبا محمد، فانّك إبن رسول الله (صلّى

الله عليه وآله وسلّم) ، وسيّد شباب أهل الجنّة، فشكرا له ذلك، فلمّا استويا في مجلسهما وعلم عمرو أنّ الحدة ستقع به، قال: والله لا بدّ أن أقول فان قهرت فسبيل ذلك، وإن قهرت أكون قد ابتدأت فقال: يا حسن إنّا قد تفاوضنا فقلنا: إنّ رجال بني أُميّة أصبر عند اللقاء، وأمضى في الوغى، وأوفى عهداً، وأكرم خيماً، وأمنع لما وراء ظهورهم من بني عبد المطّلب، ثم تكلّم مروان فقال: وكيف لا نكون كذلك؟ وقد قارعناكم فغلبناكم، وحاربناكم فملكناكم، فان شئنا عفونا، وإن شئنا بطشنا، ثم تكلّم زياد فقال: ما ينبغي لهم أن ينكروا الفضل لأهله، ويجحدوا الخير في سلطانه، نحن أهل الحملة في الحروب، ولنا الفضل على سائر الناس قديماً وحديثاً، فتكلّم الحسن (عليه السلام) فقال:

((ليس من العجز أن يصمت الرجل عند إيراد الحجّة، ولكن من الإفك أن ينطق الرجل بالخنا، ويصوّر الباطل بصورة الحق، يا عمرو إفتخاراً بالكذب، وجرأة على الإفك؟ ما زلت أعرف مثالبك الخبيثة، أبديها مرّة وأمسك عنها أُخرى، فتأبى إلا انهماكا في الضلالة، أتذكر مصابيح الدجى، وأعلام الهدى، وفرسان الطراد، وحتوف الأقران، وأبناء الطعان، وربيع الضيفان، ومعدن النبوّة، ومهبط العلم، وزعمتم أنكم أحمى لما وراء ظهوركم وقد تبيّن ذلك يوم بدر، حين نكصت الأبطال، وتساورت الأقران، واقتحمت الليوث، واعتركت المنيّة، وقامت رحاها على قطبها، وافترت عن نابها، وطار شرار الحرب، فقتلنا رجالكم، ومنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) على ذراريكم، فكنتم لعمري في هذا اليوم غير مانعين لما وراء ظهوركم من بني عبد المطّلب.

وأمّا أنت يا مروان، فما أنت والإكثار في قريش، وأنت طليق، وأبوك طريد، يتقلّب من خزاية إلى سوأة، ولقد جيء بك إلى أمير المؤمنين (عليه

السلام) ، فلمّا رأيت الليث قد دميت براثنه ، واشتبكت أنيابه كنت كما قال :

ليث إذا سمع الليوث زئيره

بصبصن ثم قذفن بالأبعار

ــ ويروى: رمين بالأبعار ــ فلمّا منّ عليك بالعفو، وأرخى خناقك بعد ما ضاق عليك وغصصت بريقك، لم تقعد منّا مقعد الشكر، ولكن تساوينا وتجارينا ، ونحن ممن لا يدركنا عار، ولا يلحقنا خزاية.

ثم التفت إلى زياد فقال : وما أنت يا زياد وقريشاً ، لا أعرف لك فيها أديماً صحيحاً ، ولا فرعاً نابتاً ، ولا قديماً ثابتاً ، ولا منبتاً كريماً ، بل كانت أُمّك بغياً ، تداولها رجال قريش وفجّار العرب، فلمّا ولدت لم تعرف لك العرب والداً ، فادّعاك هذا ــ يعني معاوية ــ بعد ممات أبيه ، ما لك افتخار، تكفيك سميّة، ويكفينا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وأبي عليّ بن أبي طالب سيّد المؤمنين الذي لم يرتدّ على عقبيه ، وعمّي حمزة سيّد الشهداء ، وجعفر الطيّار، وأنا وأخي سيّدا شباب أهل الجنّة، ثم التفت إلى ابن عبّاس فقال : يابن العم إنّما هي بغات الطير إنقضّ عليها أجدل ، فأراد ابن عبّاس أن يتكلّم، فأقسم عليه معاوية أن يكفّ فكف، ثم خرجا.

فقال معاوية : أجاد عمرو الكلام لولا أنّ حجّته دحضت، وتكلّم مروان لولا أنّه نكص ، ثم التفت إلى زياد وقال : ما دعاك إلى محاورته؟ ما كنت إلا كالحجل في كفّ البازي ، فقال عمرو : ألا رميت من ورائنا ؟ قال معاوية : إذن كنت شريككم في الجهل ، أفاخر رجلاً رسول اللّه جدّه وهو سيّد من مضى ومن بقي وأُمّه فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين؟ ثم قال لعمروا : واللّه لئن سمع به أهل الشام لهي السوأة السوآء ، فقال عمرو : لقد أبقى عليك، ولكنّه طحن مروان وزياداً طحن الرحى بثفالها ، ووطئهما وطء البازل القراد بمنسمه فقال زياد : قد واللّه فعل ، ولكنّ معاوية يأبى إلا الإغراء بيننا وبينهم ،لا جرم

واللّه لا شهدّت مجلساً يكونان فيه إلا كنت معهما على من فاخرهما .

فخلا إبن عبّاس بالحسن فقبّل بين عينيه وقال :

أفديك يا بن عمّ ، واللّه ما زال بحرك يزخر وأنت تصول حتى شفيتني من أولا د البغايا .

ثم انّ الحسن (عليه السلام) غاب أيّاماً ، ثم رجع حتى دخل على معاوية وعنده عبد اللّه بن الزبير ، فقال معاوية : يا أبا محمد إنّي أظنّك تعباً نصباً ، فائت المنزل فأرح نفسك فيه ، فقام الحسن ، فلمّا خرج قال معاوية لعبد اللّه بن الزبير : لو إفتخرت على الحسن ؟ فانّك إبن حواريّ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وابن عمّته ، ولأبيك في الاسلام نصيب وافر ، فقال إبن الزبير : أنا له ، فرجع وهو يطلب ليلته الحجج ، فلمّا أصبح دخل على معاوية وجاء الحسن ، فحيّاه معاوية وسأله عن مبيته فقال : خير مبيت وأكرم مستفاض ، فلمّا استوى في مجلسه قال إبن الزبير : لولا أنّك خوار في الحرب غير مقدام ما سلّمت الأمر لمعاوية ، وكنت لا تحتاج إلى إختراق السهوب ، وقطع المفاوز ، تطلب معروفه وتقوم ببابه ، وكنت حريّاً أن لا تفعل ذلك وأنت إبن عليّ في بأسه ونجدته ، فما أدري ما الذي حملك على ذلك ؟ أضعف رأي أم وهن نحيزه ؟ فما أظنّ لك مخرجاً من هاتين الخلّتين ، أما واللّه لو استجمع لي ما استجمع لك لعلمت أنّي إبن الزبير ، وأنّي لا أنكص عن الأبطال ، وكيف لا أكون كذلك ؟ وجدّتي صفيّة بنت عبد المطّلب ، وأبي الزبير حواريّ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ، وأشدّ الناس بأساً ، وأكرمهم حسباً في الجاهليّة ، وأطوعهم لرسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) .

فالتفت إليه الحسن وقال :

((أما واللّه لولا أنّ بني أُميّة تنسبي إلى العجز عن المقال لكففت

عنك تهاوناً بك، ولكن سأُبيّن لك ذلك لتعلم أنّي لست بالعي، ولا الكليل اللسان، إيّاي تُعيّر وعليّ تفتخر، ولم يكن لجدّك بيت في الجاهلية ولا مكرمة، فزوجته عمّتي صفيّة بنت عبد المطّلب، فبذخ على جميع العرب بها وشرف بمكانها، فكيف تفاخر من هو من القلادة واسطها، ومن الأشراف سادتها، نحن أكرم أهل الأرض زنداً، لنا الشرف الثاقب، والحسب الغالب، ثم تزعم أنّي سلّمت الأمر لمعاوية، فكيف يكون ذلك ويحك كذلك؟ وأنا ابن أشجع العرب، وقد ولدتني فاطمة سيّدة نساء العالمين، وخير الإماء، لم أفعل ذلك ويحك جبناً ولا ضعفاً، ولكنّه بايعني مثلك وهو يطلبني بترة، ويداجيني المودّة، ولم أثق بنصرته لأنّكم أهل بيت غدر، وكيف لا يكون كما أقول؟ وقد بايع أبوك أمير المؤمنين ثم نكث بيعته، ونكص على عقبيه، واختدع حشية من حشايا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ليضلّ بها الناس، فلمّا دلف نحو الأعنّة، ورآى بريق الأسنّة، قتل مضيعه لا ناصر له، وأُتي بك أسيراً، قد وطئتك الكماة بأظلافها، والخيل بسنابكها، واعتلاك الأشتر، فغصصت بريقك، وأقعيت على عقبيك كالكلب إذا احتوشته الليوث، فنحن ويحك نور البلاد وأملاكها، وبنا تفخر الأُمّة، وإلينا تلقى مقاليد الأزمّة، أتصول وأنت تخدع النساء، ثم تفتخر على بني الأنبياء، لم تزل الأقاويل منّا مقبولة، وعليك وعلى أبيك مردودة، دخل الناس في دين جدّي طائعين وكارهين، ثم بايعوا أمير المؤمنين (عليه السلام)، فسار إلى أبيك وطلحة حين نكثا البيعة وخدعا عرس رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، فقُتل أبوك وطلحة، وأُتي بك أسيراً، فبصصت بذنبك، وناشدته الرحم أن لا يقتلك، فعفا عنك، فأنت عتاقة أبي وأنا سيّد وسيّد أبيك، فذق وبال أمرك)).

فقال ابن الزبير:

أعذر يا أبا محمد، فانّما حملني على محاورتك هذا، وأحبّ الإغراء

بيننا ، فهلاّ إذ جهلت أمسكت عنّي؟ فانّكم أهل بيت سجيّتكم الحلم والعفو، فقال الحسن :

((يا معاوية أُنظر، هل أكيع عن محاورة أحد ، ويحك أتدري من أيّ شجرة أنا ، وإلى من أنتمي ، إنته قبل أن أسمك بميسم تتحدّث به الركبان، في الآفاق والبلدان)).

فقال إبن الزبير: هو لذلك أهل ، فقال معاوية : أما أنّه قد شفى بلابل صدري منك، ورمى مقتلك فصرت كالحجل في كفّ البازي يتلاعب بك كيف أراد ، فلا أراك تفخر على أحد بعدها.

نُبْذَةٌ مِنْ سِيرَةِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ ع وَفَضَائِلِه

وأمّا الامام الثالث: وهو الإمام أبو عبد الله، سيّدنا الحسين بن عليّ بن أبي طالب، وابن سيّدة نساء العالمين، الزهراء البتول ، فاطمة إبنة أفضل الأنبياء وأجلّ المرسلين ، وهو أحد إبني رسول الله(صلّى الله عليه وآله) وثاني سبطيه ، وتالي ريحانتيه، قرّة عين الرسول ، وثمرة مهجة الزهراء البتول ، وهو وأخوه سيّدا شباب أهل الجنّة، يُلقّب بالطيّب، والوفيّ، والزكيّ، والسيّد والمُبارك، والسبط، وشهيد كربلاء ، وكنيته : أبو عبد الله، لا غير.

قال إبن عساكر في ترجمة الحسين(ص ٢٣) :

علقت فاطمة بالحسين لخمس ليال خلون من ذي القعدة سنة ثلاث من الهجرة، فكان بين ذلك وبين ولادة الحسن خمسون ليلة ، وولد الحسين في ليال خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة.

وفي أمالي الصدوق باسناده(ص ٧٣) :

عن إبن سنان عن الامام الصادق(عليه السلام) قال :

((أقبل جيران أُمّ أيمن إلى رسول الله(صلّى الله عليه وآله) فقالوا : يا رسول الله إنّ أمّ أيمن لم تنم البارحة من البكاء ، لم تزل تبكي حتى

أصبحت، قال : فبعث رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إلى أُمّ أيمن، فجاءته، فقال لها : يا أُمّ أيمن لا أبكى الله عينيك، إنّ جيرانك أتوني وأخبروني أنّك لم تزالي الليل تبكين أجمع، فلا أبكى الله عينك، ما الذي أبكاك؟ قالت: يا رسول الله رأيت رؤيا عظيمة شديدة، فلم أزل أبكي الليل أجمع، فقال لها رسول الله (ص) : قصّيها ؛ فانّ الله ورسوله أعلم، فقالت: تعظم عليّ أن أتكلّم بها، فقال لها : إنّ الرؤيا ليست على ما ترى، فقصّيها على رسول الله، قالت: رأيت في ليلتي هذه كأنّ بعض أعضائك ملقى في بيتي، فقال لها رسول اللّه (صلّى الله عليه وآله) : نامت عينكِ يا أمّ أيمن ؛ تلد فاطمة الحسين فتربّينه وتلينه، فيكون بعض أعضائي في بيتك، فلمّا ولدت فاطمة الحسين (ع) فكان يوم السابع أمر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : فحلق رأسه، وتصدّق بوزن شعره فضّة، وعقّ عنه، ثم هيّأته أُمّ أيمن ولفّته في بُرد رسول الله (ص)، ثم أقبلت به إلى رسول الله، فقال (صلّى الله عليه وآله) : مرحباً بالحامل والمحمول، يا أُمّ أيمن هذا تأويل رؤياك)).

قلت: وقد ورد مثل هذا عن أُمّ الفضل بنت الحارث الهلاليّة زوجه العبّاس بن عبد المطّلب.

ففي ترجمة الحسين من تأريخ ابن عساكر (ص ١٨٣) :
عن أمّ الفضل بنت الحارث أنّها دخلت على رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقالت: يا رسول الله رأيت حلماً منكراً الليلة، قال : وما هو؟ قالت: إنّه شديد، قال : وما هو؟ قالت: رأيت كأنّ قطعة من جسدك قُطعت ووضعت في حجري، قالت: فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله

وسلّم) : رأيت خيراً ، تلد فاطمة ــ إن شاء اللّه ــ غلاماً فيكـون في حجـرك ، قالت: فولدت فاطمة الحسين فكان في حجري كما قال رسول اللّه (صلّى اللّـه عليه وآله وسلّم) فوضعته في حجره ثم حانت منّي إلتفاتة ، فاذا عينـا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) تُهـريقان الدموع ، قالت: قلت: يا رسول اللّـه بأبي أنت وأُمّـي ما لك ؟ قال : أتاني جبرئيل (عليه السلام) وأخبرني أنّ أُمّتي ستقتل إبني هذا ، فقلت: هذا؟ قال : نعم ، وأتاني بتربة من تربته حمراء .

وفي كامل الزيارات (ص ٥٦) : باسناده عن الإمام الصادق (عليـه السـلام) :

((إنّ جبرئيل (عليه السلام) نزل على محمد (صلّى اللّه عليه وآلـه) فقال : يا محمد إنّ اللّه يقرأ عليك السلام ويُبشّرك بمولود يولد مـن فاطمة (عليها السلام) تقتله أُمّتك من بعدك ، فقال : يا جبرئيل وعلى ربّي السلام ، لا حاجة لي في مولود تقتله أُمّـتي من بعدي ، قـال : فعرج جبرئيل (عليه السلام) إلى السماء ثم هبط ، فقال له مثل ذلـك ، فقال : يا جبرئيل ، وعلى ربّي السلام ، لا حاجة في مولود تقتله أُمّـتي من بعدي ، فعرج جبرئيل إلى السماء ثم هبط ، فقال له : يا محمد إنّ ربّك يقرؤك السلام ويُبشّرك أنّه جاعل في ذرّيته الإمامة والولاية والوصية فقال : قد رضيت)) .

ثم أرسل إلى فاطمة (عليها السلام) : إنّ اللّه يُبشّرني بمولود يُولد منك تقتله أُمّـتي من بعدي ، فأرسلت إليه : أن لا حاجة لي في مولود يُولد مـنّي تقتله أُمّـتك من بعدك ، فأرسل إليها : إنّ اللّه جاعل في ذرّيته الإمامـة والولاية والوصيّة ، فأرسلت إليه : إنّي قد رضيت .

فحملته كُرهاً ووضعته كُرهاً ، وحمله وفصاله ثلاثون شهراً ، حتى إذا بلغ

أشُدَّه وبلغ أربعين سنة قال: ﴿ربّي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذرّيتي﴾، فلو أنّه قال: أصلح لي ذرّيتي لكانت ذرّيته كلّهم أئمة.

ولم يرضع الحسين من فاطمة ولا من أُنثى، لكنّه كان يُؤتى به النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله) فيضع إبهامه في فيه، فيمصّ منها ما يكفيه اليوم واليومين والثلاثة، فنبت لحم الحسين (عليه السلام) من لحم رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) ودمه من دمه، ولم يُولد مولود لستّة أشهر إلا عيسى بن مريم والحسين بن عليّ (صلوات اللّه عليهم).

قلت: وفي بعض الروايات: إلا الحسين ويحيى (عليهما السلام).

وفي الكامل أيضاً (ص ٥٩): عن الإمام الصادق (عليه السلام):

((إنّ جبرئيل أتى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) ـ والحسين (عليه السلام) يلعب بين يديه ـ فأخبره أنّ أُمّته ستقتله، فجزع رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله)، فقال: ألا أُريك التربة التي يُقتل فيها؟ قال: فخسف ما بين مجلس رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) إلى المكان الذي قُتل فيه الحسين (عليه السلام) حتى إلتقتا القطعتان، فأخذ منها، ودحيت في أسرع من طرفة عين، فخرج وهو يقول: طوبى لكِ من تربة، وطوبى لمن يُقتل حولكِ)).

قال: وكذلك صنع صاحب سليمان، تكلّم باسم اللّه الأعظم فخسف ما بين سرير سليمان وبين العرش من سهولة الأرض وحزونتها حتى إلتقت القطعتان، فاجتر العرش، قال سليمان: يخيّل إليّ أنّه خرج من تحت سريري، قال: ودُحيت في أسرع من طرفة العين.

وفي الكامل أيضاً (ص ٦٢) : عن الإمام الصادق (عليه السلام) في قول الله (عزّ وجل : ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدنّ في الأرض مرّتين ﴾ قال :

((قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وطعن الحسن (عليه السلام) ، ﴿ ولتعلنّ علوّاً كبيرا ﴾ : قتل الحسين (عليه السلام) ، ﴿ فاذا جاء وعد أُولاهما ﴾ ؛ قال : إذا جاء نصر الحسين (عليه السلام) ، ﴿ بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأسٍ شديدٍ فجاسوا خلال الديار ﴾ : قوماً يبعثهم الله قبل قيام القائم (عليه السلام) ؛ لا يدعون وتراً لآل محمد إلا أخذوه ﴿ وكان وعداً مفعولا ﴾ (الإسراء/ الآيتان ٤ و ٥))) .

وسأله رجل عن قوله تعالى : ﴿ ومن قُتل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سُلطاناً فلا يُسرف في القتل إنّه كان منصورا ﴾ (الإسراء/ الآية ٣٣) ؟ قال :

((ذلك قائم آل محمد يخرج فيقتل بدم الحسن (عليه السلام) ، فلو قتل أهل الأرض لم يكن مسرفاً، قوله : ﴿ فلا يُسرف في القتل ﴾ : لم يكن ليصنع شيئاً يكون سرفاً)) .

ثم قال أبو عبد الله (عليه السلام) :

((يقتل والله ذراري قتلة الحسين (عليه السلام) بفعال آبائها)) .

وفيه (ص ٦٨) : عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال :

((كان الحسين بن عليّ (عليهما السلام) ذات يوم في حجر النبيّ (صلّى الله عليه وآله) يلاعبه ويضاحكه ، فقالت عائشة : يا رسول الله ما أشدّ إعجابك بهذا الصبيّ ؟ فقال لها : ويلكِ وكيف لا أحبّه ولا أعجب به؟ وهو ثمرة فؤادي ، وقرّة عيني ، أما إنّ أُمّتي ستقتله ، فمن زاره بعد وفاته كتب الله له حجّة من حججي ، قالت: يا رسول الله

حجّة من حججك؟ قال : نعم ، وحجّتين من حججي ، قالت: يا رسول الله حجّتين من حججك ؟ قال : نعم، وأربعة ، قال : فلم تزل تزاده ويزيد ويضعف حتى بلغ تسعين حجّة من حجج رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بأعمارها)) ٠

وفي أمالي الصدوق (مجلس ٢٧) : باسناده عن جبلّة المكّية قالت: سمعتُ ميثم التمّار يقول : والله لتقتلنّ هذه الأُمّة إبن نبيّها في المحرّم لعشر مضين منه ، وليتخذنّ أعداء الله ذلك اليوم يوم بركة ، وانّ ذلك لكائن قد سبق في علم الله تعالى ذكره ، أعلم ذلك بعهد عهده إليّ مولاي أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ، ولقد أخبرني أنّه يبكي عليه كلّ شيء حتى الوحوش في الفلوات والحيتان في البحار والطير في جوّ السماء ، وتبكي عليه الشمس والقمر والنجوم والسماء والأرض ، ومؤمنوا الإنس والجنّ ، وجميع ملائكة السماوات، ورضوان ومالك وحملة العرش ، وتمطر السماء دماً ورماداً ٠

ثم قال : وجبت لعنة الله على قتلة الحسين كما وجبت على المشركين الذين يجعلون مع الله إلٰهاً آخر ، وكما وجبت على اليهود والنصارى والمجوس

قالت جبلّة : فقلت له : يا ميثم وكيف يتّخذ الناس ذلك اليوم الذي يُقتل فيه الحسين بن عليّ (عليهما السلام) يوم بركة؟ فبكى ميثم ، ثم قال : سيزعمون بحديث يضعونه : إنّه اليوم الذي تاب الله فيه على آدم (عليه السلام) ، وإنّما تاب الله على آدم في الحجّة ٠

ويزعمون أنّه اليوم الذي قبل الله فيه توبة داود ، وإنّما قبل الله توبته في ذي الحجّة ٠

ويزعمون أنّه اليوم الذي أخرج الله فيه يُونس من بطن الحوت، وإنّما أخرجه الله من بطن الحوت في ذي القعدة ٠

ويزعمون أنّه اليوم الذي استوت فيه سفينة نوح على الجوديّ ، وإنّما استوت على الجوديّ يوم الثامن عشر من ذي الحجّة ·

ويزعمون أنّه اليوم الذي فلق اللّه فيه البحر لبني إسرائيل ، وإنّما كان ذلك في شهر ربيع الأول ·

ثم قال ميثم : يا جبلّة اعلمي أنّ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء يوم القيامة ، ولأصحابه أعلى سائر الشهداء درجة ، يا جبلّة إذا نظرت إلى الشمس حمراء كأنّها دم عبيط فاعلمي أنّ سيّدك الحسين قد قُتل ·

قالت جبلّة : فخرجت ذات يوم فرأيت الشمس على الحيطان كالملاحف المعصفرة ، فصحّت حينئذٍ وبكيت وقلت: واللّه قد قُتل سيّدنا الحسين بن عليّ (عليهما السلام) ·

وعن إبراهيم بن أبي محمود قال : قال الامام الرضا (عليه السلام) :

((إنّ المحرّم شهر كان أهل الجاهليّة يُحرّمون فيه القتال ، فاستحلّت فيه دماؤنا ، هتكت فيه حرمتنا ، وسبي فيه ذرارينا ونساؤنا ، وأضرمت النيران في مضاربنا ، وانتهب ما فيها من ثقلنا ، ولم ترع لرسول اللّه حرمة في أمرنا ، إنّ يوم الحسين أقرح جفوننا ، وأسبل دموعنا ، وأذلّ عزيزنا بأرض كرب وبلاء ، وأورثنا الكرب والبلاء إلى يوم الإنقضاء ، فعلى مثل الحسين فليبك الباكون ، فانّ البكاء يحطّ الذنوب العظام))

ثم قال (عليه السلام) :

((كان أبي (عليه السلام) إذا دخل شهر المحرّم لا يُرى ضاحكاً ، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى يمضي منه عشرة أيّام ، فاذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم مصيبته وحزنه وبكاءه ، ويقول : هو اليوم الذي قُتل فيه الحسين (عليه السلام))) ·

وعن الإمام الرضا (عليه السلام) :

((من ترك السعي في حوائجه يوم عاشوراء قضى الله له حوائج الدنيا والآخرة ، ومن كان يوم عاشوراء يوم مصيبته وحزنه وبكائه جعل الله (عزّ وجل) يوم القيامة يوم فرحه وسروره ، وقرّت بنا في الجنان عينه ، ومن سمّى يوم عاشوراء يوم بركة وادّخر فيه لمنزله شيئاً لم يُبارك له فيما إدّخر ، وحُشر يوم القيامة مع يزيد وعُبيد الله بن زياد وعمر بن سعد))

وفيه (مجلس ٨٧) : عن ابن عبّاس قال :

كنت مع أمير المؤمنين (عليه السلام) في خروجه إلى صفّين ، فلمّا نزل بنينوى ــ وهي شطّ الفرات ــ قال بأعلى صوته :

يا بن عبّاس أتعرف هذا الموضع ؟ قلت له : ما أعرفه يا أمير المؤمنين فقال (عليه السلام) : لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتى تبكي كبكائي ، قال: فبكى طويلاً ، حتى اخضلّت لحيته ، وسالت الدموع على صدره ، وبكينا معاً ، وهو يقول : أوّاه أوّاه ، مالي ولآل أبي سفيان ، مالي ولآل حرب حزب الشيطان وأولياء الكفر ، صبراً يا أبا عبد الله ، فقد لقي أبوك مثل الذي تلقى منهم ،ثم دعا بماء فتوضّأ وضوءه للصلاة ، فصلّى ما شاء الله أن يُصلّي ، ثم ذكر نحو كلامه الأول إلا أنّه نعس عند انقضاء كلامه وصلاته ساعة ، ثم انتبه ، فقال : يا بن عبّاس ، فقلت: ها أنا ذا؟ فقال : ألا أُحدّثك بما رأيت في منامي آنفاً عند رقدتي؟ فقلت: نامت عيناك ورأيت خيراً يا أمير المؤمنين ، قال : رأيت كأنّي برجال قد نزلوا من السماء ، معهم أعلام بيض ، قد تقلّدوا سيوفهم وهي بيض تلمع ، وقد خطّوا حول هذه الأرض خطّة ، ثم رأيت كأنّ هذه النخيل قد ضربت بأغصانها الأرض تضطرب بدم عبيط ، وكأنّي بالحسين سخلي وفرخي ومضغتي ومخّي قد غرق فيه ، يستغيث فلا يُغاث ، وكأنّ الرجال البيض قد نزلوا من السماء ينادونه ويقولون : صبراً آل الرسول ، فانّكم تُقتلون على أيدي

شرار الناس ، وهذه الجنّة يا أبا عبد الله إليك مشتاقة ، يعزونني ويقولون : يا أبا الحسن أبشر فقد أقرّ الله به عينك يوم القيامة ، يوم يقوم الناس لـــربّ العالمين ، ثم انتبهت، هكذا والذي نفس عليّ بيده لقد حدّثني الصـادق المصدّق أبو القاسم (صلّى الله عليه وآله) : أنّي سأراها في خروجي إلى أهـل البغي علينا ، وهذه أرض كرب وبلاء ؛ يُدفن فيها الحسين وسبعة عشر رجلاً من ولدي وولد فاطمة ، وأنّها لفي السماوات معروفة ، تذكر أرض كرب وبـلاء ، كما تذكر بقعة الحرمين وبقعة بيت المقدس .

ثم قال : يا بن عبّاس ، أطلب لي حولها بعر الظباء ، فوالله مـــا كَذبت ولا كُذّبت، وهي مصفرّة لونها لون الزعفران ، قال ابن عبّاس : فطلبتها فوجدتها مجتمعة ، فناديته : يا أمير المؤمنين قد أصبتها على الصفة التـــي وصفـتها لي ، فقال عليّ (عليه السلام) : صدق الله ورسوله ، ثم قام (عليـــه السلام) يهرول إليها ، فحملها وشمّها وقال : هي هي بعينها ، أتعلم يا بـن عبّاس ما هذه الأبعار؟ هذه قد شمّها عيسى بن مريم (عليه السلام) ، وذلـك أنّه مرّ بها ومعه الحواريّون ، فرأى هٰهنا الظباء مجتمعة ، وهي تبكي ، فجلـس عيسى (عليه السلام) وجلس الحواريّون معه ، فبكى ، وبكى الحواريّون وهـــم لا يدرون لِمَ جلس وَلِمَ بكى ؟ فقالوا : يا روح الله وكلمته ما يُبكيك ؟ قال : أتعلمون أيّ أرض هذه ؟ قالوا : لا ، قال : هذه أرض يُقتل فيها فرخ الرسول أحمـد، وفرخ الحرّة الطاهرة شبيهة أُمّـي ، ويُلحد فيها ، طينته أطيّب من المســك لأنّـها طينة الفرخ المُستشهد ، وهكذا تكون طينة الأنبياء وأولاد الأنبيـاء ، فهذه الظباء تكلّمني وتقول : إنّها ترعى في هذه الأرض شوقاً إلى تربة الفـرخ المبارك ، وزعمت: إنّها آمنة في هذه الأرض ، ثم ضرب بيده إلى هذه الأبعـار فشمّها وقال : هذه بعر الظباء على هذا الطيب لمكان حشيشها ، اللـــهم فأبقها أبداً حتى يشمّها أبوه فيكون له عزاء وسلوة ، قال : فبقيت إلى يـــوم

الناس هذا ، وقد اصفرّت لطول زمنها ، وهذه أرض كرب وبلاء ، ثم قال بأعلى صوته : يا ربّ عيسى بن مريم ؛ لا تُبارك في قتلته والمعين عليه والخاذل له ، ثم بكى بكاء طويلاً وبكينا معه ، حتى سقط لوجهه ، وغشي عليه طويلاً ، ثم أفاق فأخذ البعر فصره في ردائه ، وأمرني أن أصرها كذلك ، ثم قال : يا بن عبّاس إذا رأيتها تنفجر دماً عبيطاً ، ويسيل منها دم عبيط فاعلم أنّ أبا عبد اللّه قد قُتل بها ودُفن .

قال إبن عبّاس : فواللّه لقد كنت أحفظها أشدّ من حفظي لبعض ما إفترض اللّه عليّ ، وأنا لا أحلّها من طرف كمّي ، فبينما أنا نائم في البيت إذ إنتبهت فاذا هي تسيل دماً عبيطاً ، وكان كمّي قد امتلأ دماً عبيطاً ، فجلست وأنا باك ، وقلت: قد قُتل الحسين ، واللّه ما كذّبني عليّ قطّ في حديث حدّثني ، ولا أخبرني بشيء قطّ أنّه يكون إلا كان كذلك ، لأنّ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) كان يخبره بأشياء لا يخبر بها غيره ، ففزعت وخرجت وذلك عند الفجر ، فرأيت واللّه المدينة كأنّها ضباب لا يستبين منها أثر عين ، ثم طلعت الشمس فرأيت كأنّها منكسفة ، ورأيت كأنّ حيطان المدينة عليها دم عبيط ، فجلست وأنا باك ، فقلت: قد قُتل واللّه الحسين ، وسمعت صوتاً من ناحية البيت وهو يقول :

إصبروا آل الرسول قُتل الفرخ النحول
نزل الروح الأمين ببكاء وعويل

ثم بكى بأعلى صوته وبكيت ، فأثبت عندي تلك الساعة ــ وكان شهر المحرّم يوم عاشوراء لعشر مضين منه ــ فوجدته قتل يوم ورد علينا خبره وتأريخه كذلك ، فحدّثت هذا الحديث أُولئك الذين كانوا معه ، فقالوا : واللّه لقد سمعنا ما سمعت ونحن في المعركة ، ولا ندري ما هو ، فكنّا نرى أنّه الخضر (عليه السلام) .

وفي كامل الزيارات (ص ٧٤) : باسناده عن عروة بن الزبير قال :

سمعت أبا ذر، وهو يومئذٍ قد أخرجه عثمان إلى الربذة، فقال له الناس : يا أبا ذر أبشر فهذا قليل في الله تعالى، فقال : ما أيسر هذا ؟ ولكن كيف أنتم إذا قُتل الحسين بن عليّ (عليهما السلام) قتلاً ؟ ـ أوقال : ذُبح ذبحاً ـ والله لا يكون في الاسلام بعد قتل الحسين أعظم قتيلاً منه، وانّ الله سيسلّ سيفه على هذه الأُمّة لا يُغمد أبداً، ويبعث قائماً من ذرّيته فينتقم من الناس .

وفي أمالي الصدوق (مجلس ٢٨) : باسناده عن الأصبغ بن نباتة قال :

بينا أمير المؤمنين (عليه السلام) يخطب الناس وهو يقول : ((سلوني قبل أن تفقدوني ، فوالله لا تسألوني عن شيء مضى ولا عن شيء يكون إلا نبّأتكم به)) ، فقام إليه سعد بن أبي وقّاص فقال : يا أمير المؤمنين ، أخبرني كم في رأسي ولحيتي من شعرة ؟ فقال له : ((أما والله لقد سألتني عن مسألة حدّثني خليلي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أنّك ستسألني عنها ، وما في رأسك ولحيتك من شعرة إلا وفي أصلها شيطان جالس ، وانّ في بيتك لسخلاً يقتل الحسين ابني)) ، وعمر بن سعد يومئذٍ يدرج بين يديه .

وفي الكامل (ص ٨١) : باسناده عن زرارة قال :

قال أبو عبد الله (عليه السلام) :

((يا زرارة إنّ السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً بالدم ، وإنّ الأرض بكت أربعين صباحاً بالسواد ، وإنّ الشمس بكت أربعين صباحاً بالكسوف والحُمرة ، وإنّ الجبال تقطّعت وانتثرت ، وإنّ البحار تفجّرت ، وإنّ الملائكة بكت أربعين صباحاً على الحسين (عليه السلام)

وما اختضبت منّا إمرأة، ولا أدهنت، ولا إكتحلت، ولا رُجّلت حتى أتانا رأس عُبيد الله بن زياد، وما زلنا في عَبْرة بعده، وكان جدّي إذا رآه بكى حتى تملأ عيناه لحيته، وحتى يبكي لبكائه رحمة له كلّ من رآه، وإنّ الملائكة الذين عند قبره ليبكون، فيبكي لبكائهم كلّ من في الهواء والسماء من الملائكة، ولقد خرجت نفسه (عليه السلام) فزفرت جهنّم زفرة كادت الأرض تنشقّ لزفرتها، ولقد خرجت نفس عُبيد الله بن زياد ويزيد بن معاوية فشهقت النار شهقة لولا أنّ الله حبسها بخزانها لأحرقت من على ظهر الأرض من فورها، ولو يُؤذن لها ما بقي شيء إلا ابتلعته، ولكنّها مأمورة مصفودة، ولقد عتت على الخزّان غير مرّة، حتى جاء جبرئيل فضربها بجناحه فسكنت، وإنّها لتبكيه وتندبه، وإنّها لتتلظّى على قاتله، ولولا من على الأرض من حجج الله لنقضت الأرض وأكفئت بما عليها، وما تكثر الزلازل إلا عند إقتراب الساعة.

وما من عين أحبّ إلى الله ولا عبرة من عين بكت ودمعت عليه، وما من باك يبكيه، إلا وقد وصل فاطمة (عليها السلام) وأسعدها عليه، ووصل رسول الله (ص)، وأدّى حقّنا، وما من عبد يُحشر إلا وعيناه باكيه، إلا الباكين على جدّي الحسين (عليه السلام)، فانّه يُحشر وعينه قريرة، والبشارة تلقاه، والسرور بيّن على وجهه، والخلق في فزع، وهم آمنون، والخلق يُعرضون وهم حدّاث الحسين (عليه السلام) تحت العرش وفي ظلّ العرش، لا يخافون سوء يوم الحساب، يُقال لهم: أُدخلوا الجنّة، فيأبون ويختارون حديثه ومجلسه، وإنّ الحور لترسل إليهم: إنّا قد اشتقناكم مع الولدان المخلّدين فما يرفعون رؤسهم إليهم؛ لما يرون في مجلسهم من السرور والكرامة، وإنّ أعداءهم من

بين مسحوب بناصيته إلى النار، ومن قائل: ما لنا من شافعين، ولا صديق حميم، وإنّهم ليرون منزلهم، وما يقدرون أن يدنوا إليهم، ولا يصلون إليهم.

وإنّ الملائكة لتأتيهم بالرسالة من أزواجهم ومن خدّامهم على ما أُعطوا من الكرامة، فيقولون: نأتيكم إن شاء الله، فيرجعون إلى أزواجهم بمقالاتهم فيزدادون إليهم شوقاً، إذا هم خبّروهم بما هم فيه من الكرامة وقربهم من الحسين (عليه السلام)، فيقولون: الحمد للّه الذي كفانا الفزع الأكبر وأهوال القيامة، ونجّانا مما كنّا نخاف.

ويُؤتون بالمراكب، والرحال على النجائب، فيستوون عليها وهم في الثناء على الله والحمد للّه والصلاة على محمد وآله حتى ينتهوا إلى منزلهم)).

وقتل (صلوات الله عليه) يوم عاشوراء، وهو يوم السبت العاشر من المحرّم سنة واحد وستّين، وقيل: الجمعة قبل الزوال أو بعده على خلاف في الروايات، وقيل: الاثنين.

وفي البحار (ج ٤٤ /ص ١٩٩): نقلاً عن مقاتل الطالبيين: قال:

فأمّا ما تقوله العامّة من أنّه قُتل يوم الاثنين فباطل؛ وهو شيء قالوه بلا رواية، وكان أول المحرّم الذي قُتل فيه يوم الأربعاء، أخرجنا ذلك بالحساب الهندي من سائر الزيجات، وإذا كان ذلك كذلك فليس يجوز أن يكون اليوم العاشر من المحرّم يوم الاثنين، قال أبو الفرج: وهذا دليل صحيح واضح تنضاف إليه الرواية (انتهى).

وكان أهل الكوفة كاتبوه وضمّنوا له النصرة، وتواترت عليه كتبهم حتى ورد عليه في يوم واحد ستمائة كتاب، وبقي الحسين (عليه السلام) متريّثاً ينظر

في الأمر، حتى ورد عليه أكثر من إثني عشر ألف كتاب، فعزم على إجابتهم، وسيّر إليهم إبن عمّه مسلم بن عقيل مقدّمة له، فتلقّاه أهل الكوفة وبايعه منهم أكثر من عشرين ألفاً، أو ثلاثين ألفاً، ثم نكثوا بيعته وخذلوه وأسلموه حتى قُتل (رضوان اللّه عليه) شهيداً صابراً محتسباً، ثم قطعوا الطريق على الحسين (عليه السلام) بقيادة عمر بن سعد من قبل عبيد اللّه بن زياد (لعنهم اللّه)، وكان مع الحسين (عليه السلام) من أهل بيته ومن سائر الناس إثنان وسبعون رجلاً؛ منهم: إثنان وثلاثون فارساً، وأربعون راجلاً، قُتلوا كلّهم (صلوات اللّه وسلامه عليهم).

ثم حمل القوم (لعنهم اللّه) بأجمعهم على الحسين يُريدون قتله، وأمروا الرماة برميه، فرموه بالسهام حتى صار (عليه السلام) مثل القنفذ، وجرحوه في بدنه ثلاثمائة وبضعة وعشرين موضعاً، بالرماح والسيوف والنبل والحجارة، حتى آل الأمر إلى أن أحجم (عليه السلام) عنهم وضعف عن قتالهم، ثم طعنه سنان بن أنس النخعي (لعنه اللّه) برمحه فصرعه، وابتدر إليه خولي بن يزيد الأصبحي ليحتزّ رأسه فأرعد، فقال له شمر بن ذي الجوشن (لعنه اللّه: فتّ اللّه في عضدك مالك ترعد؟ ونزل إليه فذبحه كما يُذبح الكبش (صلوات اللّه عليه، ولعنّة اللّه على قاتله).

وعدّة من قُتل معه (صلوات اللّه عليه) من أهل بيته وعشيرته ثمانية عشر نفساً؛ فمن أولاد أمير المؤمنين (عليه السلام): العبّاس، وجعفر، وعبد اللّه، وعثمان، وعبيد اللّه.

ومن بني الحسن (عليه السلام): القاسم، وأبو بكر، وعبد اللّه.

ومن أولاد عبد اللّه بن جعفر (رضي اللّه عنه): محمد، وعون.

ومن أولاد عقيل بن أبي طالب: عبد اللّه، وجعفر، وعقيل، وعبد

الرحمان ، ومحمد بن أبي سعيد بن عقيل .

ومن أولاد الحسين (عليه السلام) : عليّ ، وعبد الله (صلوات الله عليهم أجمعين) .

هؤلاء ثمانية عشر نفساً من بني هاشم قُتلوا معه ، وهم كلّهم مدفونون مما يلي رجلي الحسين (عليه السلام) في مشهده ؛ حفر لهم حفرة ووضعوا جميعاً فيها وسُوّي عليهم التراب ، إلا العبّاس بن عليّ (رضوان الله عليه) ؛ فانّه دُفن في موضع مقتله على المسنّاة ، وقبره ظاهر ، وليس لقبور إخوته وأهله الذين سمّيناهم أثر ، وإنّما يزورهم الزائر من عند قبر الحسين (عليه السلام) ، ويومئ إلى الأرض التي نحو رجليه (عليه السلام) ، وعليّ بن الحسين (عليّ الأكبر) في جملتهم ، ويُقال : إنّه أقربهم إلى الحسين (صلّى الله عليه وعليهم أجمعين) .

وأمّا أصحاب الحسين الذين قُتلوا معه من سائر الناس : فانّهم دُفنوا حوله ، وليس يعرف لهم أجداث على الحقيقة ، غير أنّه لا شكّ أنّ الحائر مُحيط بهم (رضي الله عنهم وأرضاهم) .

وأمّا رأس الحسين (عليه السلام) : فقال بعض أصحابنا : إنّه رُدّ إلى بدنه بكربلاء وضُمّ إليه .

وقد وردت رواية بأنّ الصادق (عليه السلام) لمّا ورد الغري ــ ومعه ابنه إسماعيل وجماعة من أصحابه ــ نزل عن دابّته في موضع منها وصلّى ركعتين ثم قال لإسماعيل : قم وزر رأس أبي عبد الله (عليه السلام) ، فقال له بعض من كان : يا بن رسول الله أليس رأسه قد بعث إلى الشام ؟ قال : ((بلى ، إلا أنّ فلاناً من موالينا ــ وسمّى رجلاً ــ سرقه وجاء به إلى هذا الموضع ودفنه فيه)) .

وفي الكافي (ج٤/ص ٥٨٢) : باسناده عن معاوية بن وهب قال : إستأذنت على أبي عبد الله (عليه السلام) فقيل لي : أدخل ، فدخلت فوجدته في مصلاّه في بيته ، فجلست حتى قضى صلاته ، فسمعته وهو يُناجي ربّه ويقول :

((يا من خصّنا بالكرامة ، وخصّنا بالوصيّة ، ووعدنا الشفاعة ، وأعطانا علم ما مضى وما بقي ، وجعل أفئدة من الناس تهوي إلينا ، إغفر لي ولإخواني ، ولزوّار قبر أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) ، الذين أنفقوا أموالهم ، وأشخصوا أبدانهم رغبة في برّنا ، ورجاء لما عندك في صلتنا ، وسروراً أدخلوه على نبيّك (صلواتك عليه وآله) ، وإجابة منهم لأمرنا ، وغيظاً أدخلوه على عدوّنا ، أرادوا بذلك رضاك ، فكافهم عنّا بالرضوان ، واكلأهم بالليل والنهار ، واخلف على أهاليهم وأولادهم الذين خلّفوا بأحسن الخلف ، وأصحبهم واكفهم شرّ كلّ جبّار عنيد ، وكلّ ضعيف من خلقك وشديد ، وشرّ شياطين الإنس والجنّ ، وأعطهم أفضل ما أمّلوا منك في غُربتهم عن أوطانهم ، وما آثرونا به على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم ، اللهم إنّ أعداءنا عابوا عليهم خروجهم فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا ، وخلافاً على من خالفنا ، فارحم تلك الوجوه التي قد غيّرتها الشمس ، وارحم تلك الخدود التي تقلّبت على حفرة أبي عبد الله (عليه السلام) ، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمةً لنا ، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا ، وارحم الصرخة التي كانت لنا ، اللهم إنّي أستودعك تلك الأنفس وتلك الأبدان ، حتى نوافيهم على الحوض يوم العطش)) .

فما زال وهو ساجد يدعو بهذا الدعاء ، فلمّا انصرف قلت: جُعلت فداك ، لو أنّ هذا الذي سمعت منك كان لمن لا يعرف الله لظننت

أنّ النار لا تطعم منه شيئاً ، والله لقد تمنّيت أن كنت زرته ولم أحج ، فقال لي : ما أقربك منه ، فما الذي يمنعك من إتيانه؟ ثم قال : يا معاوية لِمَ تدع ذلك ؟ قلت: جُعلت فداك لم أدر أنّ الأمر يبلغ هذا كلّه ، قال : يا معاوية من يدعو لزوّاره في السماء أكثر ممن يدعو لهم في الأرض .

وفي عيون أخبار الرضا (ج ٢/ص ٤٧) قال :

قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) :

((إنّ قاتل الحسين بن عليّ (عليهما السلام) في تابوت من نار ، عليه نصف عذاب أهل الدنيا ، وقد شُدّت يداه ورجلاه بسلاسل من نار ، مُنكّس في النار ، حتى يقع في قعر جهنّم ، وله ريح يتعوّذ أهل النار إلى ربّهم من شدّة نتنه ، وهو فيها ذائق العذاب الأليم ، مع جميع من شايع على قتله ، كلّما نضجت جلودهم بدلّ الله (عزّ وجل) عليهم الجلود (غيرها) حتى يذوقوا العذاب الأليم ، لا يُفتّر عنهم ساعة ، ويُسقون من حميم جهنّم ، فالويل لهم من عذاب الله تعالى في النار))

وفيه : قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) :

((إنّ موسى بن عمران سأل ربّه (عزّ وجل) فقال : يا ربّ إنّ أخي هارون مات فاغفر له ، فأوحى الله تعالى إليه : يا موسى لو سألتني في الأولين والآخرين لأجبتك ، ما خلا قاتل الحسين بن عليّ بن أبي طالب (ع) ، فانّي أنتقم له من قاتله)) .

وفي البحار (ج ٤٥/ص ١٨٤) : عن الخرايج والجرايح (ص ١٥٩) مخطوط : سليمان بن مهران الأعمش قال :

بينا أنا في الطواف في الموسم إذ رأيت رجلاً يدعو وهو يقول : اللهم اغفر لي وأنا أعلم أنّك لا تغفر ، قال : فارتعدتّ لذلك ودنوت منه وقلت: يا

هذا أنت في حرم الله وحرم رسوله ، وهذه أيّام حرم في شهر عظيم ، فَلِمَ تيأس من المغفرة ؟ قال : يا هذا ذنبي عظيم ، قلت: أعظم من جبل تهامة ؟ قال : نعم ، قلت: يوازن الجبال الرواسي؟ قال : نعم ، فان شئت أخبرتك ؟ قلت: أخبرني ، قال : أخرج بنا من الحرم ، فخرجنا منه ، فقال لي : أنا أحد من كان في العسكر الميشوم عسكر عمر بن سعد ، حين قتل الحسين (عليه السلام) وكنت أحد الأربعين الذين حملوا الرأس إلى يزيد من الكوفة ، وكان الرأس معنا مركوزاً على رمح ، وكان معه الأجراس ، فوضعنا الطعام ، وجلسنا لنأكل ، فاذا بكفّ في حائط الدير تكتب:

أترجو أُمّـة قتلت حسيناً شفاعة جدّه يوم الحساب

قال : فجزعنا من ذلك جزعاً شديداً ، وأهوى بعضنا إلى الكف ليأخذها فغابت، ثم عاد أصحابي إلى الطعام ، فاذا الكفّ قد عادت تكتب:

فلا والله ليس لهم شفيع وهم يوم القيامة في العذاب

فقام أصحابنا إليها فغابت، ثم عادوا إلى الطعام فعادت تكتب:

وقد قتلوا الحسين بحكم جور وخالف حكمهم حكم الكتاب

فامتنعت وما هنّأني أكله ، ثم أشرف علينا راهب من الدير ، فرأى نوراً ساطعاً من فوق الرأس ، فأشرف، فرأى عسكراً ، فقال الراهب للحرّاس: من أين جئتم ؟ قالوا : من العراق ، حاربنا الحسين ، فقال الراهب: إبن فاطمة بنت نبيّكم وابن عمّ نبيّكم؟ قالوا : نعم ، قال : تبّاً لكم ، والله لو كان لعيسى بن مريم إبن لحملناه على أحداقنا ، ولكن لي إليكم حاجة ، قالوا : وما هي؟ قال : قولوا لرئيسكم : عندي عشرة آلاف درهم ؛ ورثتها من آبائي ، يأخذها منّي ويعطيني الرأس يكون عندي إلى وقت الرحيل ، فاذا رحل رددته إليه ، فأخبروا عمر بن سعد بذلك ، فقال : خذوا منه الدنانير وأعطوه إلى وقت الرحيل ، فجاؤا إلى الراهب فقالوا : هات المال حتى نُعطيك

الرأس ، فأدلى إليهم جرابين في كلّ جراب خمسة آلاف درهم ، فدعا عمر بالناقد والوزّان ، فانتقدها ووزنها ودفعها إلى جارية له ، وأمر أن يعطى الرأس ، فأخذ الراهب الرأس فغسله ونظّفه وحشّاه بمسك وكافور كان عنده ، ثم جعله في حريرة ووضعه في حجره ، ولم يزل ينوح ويبكي حتى نادوه وطلبوا منه الرأس ، فقال : يا رأس والله لا أملك إلا نفسي ، فاذا كان غداً فاشهد لي عند جدّك محمد أنّي : أشهد أن لا إلـه إلا الله ، وأنّ محمد عبده ورسوله ، أسلمت على يديك وأنا مولاك ، وقال لهم : إنّي أحتاج أن أُكلّم رئيسكم بكلمة وأعطيه الرأس ، فدنا عمر بن سعد فقال : سألتك بالله وبحقّ محمد أن لا تعود إلى ما كنت تفعله بهذا الرأس ، ولا تخرج بهذا الرأس من هذا الصندوق ، فقال له:أفعل ، فأعطاه الرأس ونزل من الدير يلحق ببعض الجبال يعبد الله .

ومضى عمر بن سعد ففعل بالرأس مثل ما كان يفعل في الأول ، فلمّا دنا من دمشق قال لأصحابه : إنزلوا ، وطلب من الجارية الجرابين ، فأُحضرت بين يديه ، فنظر إلى خاتمه ، ثم أمر أن تفتح ، فاذا الدنانير قد تحوّلت خزفاً، فنظروا في سكتها ، فاذا على جانبها مكتوب: ﴿ولا تحسبنّ الله غافلاً عمّا يعمل الظالمون﴾ ، وعلى الجانب الآخر مكتوب :﴿وسيعلم الذين ظلموا أيّ مُنقلب ينقلبون﴾ ، فقال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، خسرتُ الدنيا والآخرة ، ثم قال لغلمانه : اطرحوها في النهر فطُرحت، ورحل إلى دمشق من الغد ، وأدخل الرأس إلى يزيد ، وابتدر قاتل الحسين إلى يزيد فقال :

إملأ ركابي فضّة وذهبا　　　إنّي قتلت الملك المُحجّبا
قتلتُ خير الناس أُمّاً وأبا

فأمر يزيد بقتله ، وقال : إن علمت أنّ حُسيناً خير الناس أُمّاً وأباً فلم قتلته ؟ فجعل الرأس في طست وهو ينظر إلى أسنانه ويقول :

ليت أشياخي ببدر شهدوا　　جزع الخزرج من وقع الأسل
فأهلّوا واستهلّوا فرحاً　　ثم قالوا : يا يزيد لا تُشل
وجزيناهم ببدرٍ مثلها　　وبأُحد يوم أحد فاعتدل
لست من خندف إن لم أنتقم　　من بني أحمد ما كان فعل

فدخل عليه زيد بن أرقم ، ورأى الرأس في الطست ، وهو يضرب بالقضيب على أسنانه ، فقال : كفّ عن ثناياه ، فطالما رأيت النبيّ يُقبّلها ، فقال يزيد : لولا أنّك شيخ كبير خرفت لقتلتك.

ودخل عليه رأس اليهود ، فقال : ما هذا الرأس؟ فقال : رأس خارجي قال : ومن هو؟ قال : الحسين ، قال : إبن من ؟ قال : إبن عليّ ، قال : ومن أُمّه؟ قال : فاطمة ، قال : ومن فاطمة؟ قال : بنت محمد ، قال : نبيّكم؟ قال: نعم ، قال : لا جزاكم اللّه خيراً ، بالأمس كان نبيكم واليوم قتلتم إبن بنته ؟ ويحك إنّ بيني وبين داود النبي نيفاً وثلاثين أباً ، فاذا رأتني اليهود كفّرت إليّ ، ثم مال إلى الطست وقبّل الرأس ، وقال : أشهد أن لا إله إلا اللّه ، وأن جدّك رسول اللّه ، وخرج ، فأمر يزيد بقتله .

وأمر فأدخل الرأس القبّة التي بأزاء القبّة التي يشرب فيها ، ووكّلنا بالرأس ، وكلّ ذلك كان في قلبي ، فلم يحملني النوم في تلك القبّة ، فلمّا دخل الليل وكّلنا أيضاً بالرأس ، فلمّا مضى وهن من الليل ، سمعت دويّاً من السماء ، فاذا مناد ينادي : يا آدم إهبط ، فهبط آدم أبو البشر ، ومعه كثير من الملائكة ، ثم سمعت مناد ينادي : يا إبراهيم إهبط ، فهبط ومعه كثير من الملائكة ، ثم سمعت مناد ينادي : يا موسى إهبط ، فهبط ومعه كثير من الملائكة ، ثم سمعت مناد ينادي : يا عيسى إهبط ، فهبط ومعه كثير من الملائكة ، ثم سمعت دويّاً عظيماً ومناد ينادي يا محمد إهبط ، فهبط ومعه خلق كثير من الملائكة ، فأحدق الملائكة بالقبّة .

ثم إنّ النبيّ دخل القبّة وأخذ الرأس منها ــ وفي رواية : إنّ محمداً قعد تحت الرأس فانحنى الرمح ، ووقع الرأس في حجر رسول الله فأخذه ــ وجاء به إلى آدم فقال : يا أبي آدم ، ما ترى ما فعلت أُمّتي بولدي من بعدي ؟ فاقشعرّ لذلك جلدي ، ثم قام جبرئيل فقال : يا محمد أنا صاحب الزلازل ، فأمرني لأزلزل بهم الأرض وأصيح بهم صيحة واحدة يهلكون فيها ، فقال : لا ، فقال : يا محمد دعني وهؤلاء الأربعين الموكّلين بالرأس ، قال : فدونك ، فجعل ينفخ بواحدٍ واحدٍ ، فدنا منّي فقال : تسمع وترى ؟ فقال النبيّ : دعوه دعوه ، لا يغفر الله له ، فتركني وأخذوا الرأس ، وولّوا فافتقد الرأس من تلك الليلة فما عرف له خبر .

ولحق عمر بن سعد بالري فما لحق بسلطانه ، ومحق الله عمره ، فأهلك في الطريق ، فقال سليمان الأعمش : قلت للرجل : تنحّ عنّي لا تحرقني بنارك ، وولّيت ولا أدري بعد ذلك ما خبره .

أقول : لا يبعد أن يكون هذا الحديث مؤلّفاً من عدّة أحاديث ، فقد ذكر فيه قصّة الكتابة ، وخبر الراهب ، وخبر رأس اليهود ، وقصّة هبوط النبيّ والأنبياء ، وفي كلّ من هذه وردت عدّة أخبار ، وكذا لا يخلو الحديث من وهم فانّ ابن زياد بعث الرؤوس مع زجر بن قيس لا مع عمر بن سعد ، ولعلّ هذه الوقائع كانت متعددة ، والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة الحال .

والتكفير : خضوع الانسان لغيره بأن يضع يده على صدره ويتطامن له .

والوهن : نحو من نصف الليل .

وقوله : تسمع وترى ، كأنّه تهديد وتوبيخ ، أي أنظر عظيم ما جنيت واستعدّ للجزاء ، أو المعنى : كنت مع القوم تسمع الواعية وتنظر فعل القوم ،

ولم تأخذك حميّة الدين ، ولم تغضب للّه ولرسوله ٠

وفي الكامل :

عن عبد اللّه بن هلال قال : سمعت أبا عبد اللّه (عليه السلام) يقول: ((إنّ السماء بكت على الحسين بن عليّ ويحيى بن زكريّا ، ولم تبك على أحد غيرهما ، قلت: وما بكاؤها؟ قال : مكثت أربعين يوماً تطلع الشمس بحمرة وتغرب بحمرة ، قلت: فذاك بكاؤها؟ قال : نعم)) ٠

وعن عليّ بن مسهر القرشي قال :

حدّثتني جدّتي أنّها أدركت الحسين بن عليّ حين قُتل ، وقالت: فمكثنا سنة وتسعة أشهر ، والسماء مثل العلقة من الدم ما ترى الشمس ٠

وليكن هذا آخر الجزء الثاني ، ويتلوه إن شاء اللّه الجزء الثالث نذكر فيه بقيّة الحجج إلى آخر الدعاء ، ولا حول ولا قوّة إلا باللّه ٠

مُحتويات الكِتاب

((الجزء الثاني))

لابدّ من الوسائط	٣
من هم الوسائط الى الله سبحانه	٥
الصلاة على النبيّ (صلّى الله عليه وآله)	١١
سبب حجب الدعاء بدون الصلاة على النبي (ص)	١٣
شرف العبوديّة	١٤
الفرق بين الرسول والنبيّ والامام	١٧
نبذة من حياة النبيّ الأكرم (ص)	٢١
صفات النبيّ (صلّى الله عليه وآله)	٢٣
معجزات النبيّ (صلّى الله عليه وآله)	٣٠
بعض فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام)	٤٣
سبب تسميته بأمير المؤمنين	٤٦
معنى الوصيّة	٤٧
من فضائل عليّ ومناقبه	٥١
ولادة عليّ (عليه السلام)	٥٥
والدة عليّ (عليه السلام)	٥٩

((محتويات الكتاب))

أبو طالب (عليه السلام) وإيمانه ٦١
كفالة النبيّ (ص) لعليّ (ع) ٦٤
إسلام عليّ ومناقبه ٦٥
شيء من سيرة عليّ (عليه السلام) ومناقبه. ٧٠
إستشاده (عليه السلام) ٨٠
نبذة من حياة فاطمة (عليها السلام) وفضائلها ٨٨
وفاة فاطمة (عليها السلام) ١٠٠
خطبة فاطمة (ع) في نساء الأنصار وشرحها ١٠٤
عودة إلى حديث وفاة فاطمة (ع) ووصيّتها ١١٥
الصلاة على الحسنين (عليهما السلام) ١١٩
بعض ما جاء في الحسنين (عليهما السلام) ١١٩
نبذة من حياة الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) ١٢٥
ما جرى في وفاة الإمام الحسن (عليه السلام) ١٢٩
نبذة من سيرته (عليه السلام) ومحاوراته ١٣٣
نبذة من سيرة الإمام الحسين (عليه السلام) وفضائله ١٤٨

مُصطفى مرتضى

نظرة في
دعاء الافتتاح

الجزء الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله وسلّم على خير خلقه محمد وعلى أهل بيته الطيّبين الطاهرين.

وبعد:

فهذا هو الجزء الثالث من كتابنا: ((نظرة في دعاء الإفتتاح)) نذكر فيه بقيّة الحجج (عليهم السلام ؛ من الله السلام) إلى آخر الدعاء.

مصطفى مرتضى

الدُّعاءُ

يقول الداعي :

((صلِّ على أئمة المسلمين : عليّ بن الحسين ، ومحمد بن علـيّ ، وجعفر بن محمد ، وموسى بن جعفر ، وعليّ بن موسى ، ومحمد بن عليّ ، وعليّ بن محمد ، والحسن بن عليّ ، والخلف المهديّ ؛ حُججك على عبادك ، وأُمنائك في بلادك ، صلاة كثيرة دائمة)) .

الشَّرح

هؤلاء بقيّة الأوصياء ، وخيرة من في الأرض والسماء بعد أصحاب الكساء ، الصفوة المُصفّون من الأدناس ، والمُطهّرون من الأرجاس ، وهم الكلمة الباقية في عقب إبراهيم ، وهم حجّة الله على جميع العالمين ، وهم باب حِطّة المسلمين ، وسفينة النجاة للخلق أجمعين ، وهم آيات الله البيّنات ، وحُججه البالغة ، وبراهينه القاطعة . فالسعد والحظوة لمن والاهم ، والخُسر والشقاء لمن عاداهم :

فضائلهم جلّت ، مناقبهم علت
مدائحهم شهد ، منائحهم نـد
علوا في الورى جدّاً وأُمّاً ووالدا
وطابوا وطاب الأُمّ والأبّ والجد
بأسمائهم يستجلب البرّ والرضا
بذكرهم يستدفع الضرّ والجهد

ولقد قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) :

مقام الأئمة عليهم السلام

((الأئمة من ولد الحسين (ع) ؛ من أطاعهم فقد أطاع الله ، ومن عصاهم فقد عصى الله (عزّ وجل) ، هم العروة الوثقى ، وهم الوسيلة إلى الله (عزّ وجل))) (العيون / ج ٢ / ص ٥٨) .

وفيه (ص٦٨) : باسناده عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) عن جبرئيل عن الله تعالى ، قال :

((من عادى أوليائي فقد بارزني بالمحاربة ، ومن حارب أهل بيت نبيي فقد حلّ عليه عذابي ، ومن تولّى غيرهم فقد حلّ عليه غضبي ، ومن أعزّ غيرهم فقد آذاني ، ومن آذاني فله النار)) .

وفي الاحتجاج (ج ٢ / ص ٢٧٣) : سعد بن عبد الله القمّي قال : سألت القائم (عليه السلام) وهو في حجر أبيه ؛ فقلت : أخبرني يا مولاي عن العلّة التي تمنع القوم من اختيار الإمام لأنفسهم ؟ قال :

((مُصلح أو مُفسد ؟ فقلت : مُصلح ، قال : هل يجوز أن تقع خيرتهم على المُفسد بعد أن لا يعلم أحدهم ما يخطر ببال غيره من صلاح أو فساد ؟ قلت : بلى ، قال : فهي العلّة ، أيّدتها لك ببرهان يقبل ذلك عقلك ؟ قلت : نعم ، قال : أخبرني عن الرُسل الذين اصطفاهم الله ، وأنزل عليهم الكتب ،

وأيّدهم بالوحي والعصمة إذ هم أعلام الأُمم ، وأهدى أن لو ثبت الاختيار ومنهم موسى وعيسى (عليهما السلام) هل يجوز مع وفور عقلهما وكمال علمهما إذا همّا بالاختيار أن تقع خيرتهما على المنافق وهما يظنّان أنّه مؤمن ؟ قلت: لا ، قال : فهذا موسى كليم اللّه ـ مع وفور عقله ، وكمال علمه ، ونُزول الوحي عليه ـ إختار من أعيان قومه ، ووجوه عسكره لميقات ربّه سبعين رجلاً ممن لم يشكّ في إيمانهم ، وإخلاصهم ، فوقعت خيرته على المنافقين ؛ قال اللّه (عزّ وجل) : ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا ...﴾ (الأعراف / الآية ١٥٤) :

فلمّا وجدنا اختيار من قد إصطفاه اللّه للنبوّة واقعاً على الأفسد دون الأصلح ـ وهو يظنّ أنّه الأصلح دون الأفسد ـ علمنا : أن لا أختيار لمن لا يعلم ما تكِنّ الصدور وما تُخفي الضمائر ، وينصرف عنه السرائر ، وان لا خطر لاختيار المهاجرين والأنصار بعد وقوع خيرة الأنبياء على ذوي الفساد لما أرادوا أهل الصلاح)) .

وفي إكمال الدين (ص١٩٩) : باسناده عن خيثمة الجعفي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : سمعته يقول :

((نحن جنب اللّه ، ونحن صفوته ، ونحن خيرته ، ونحن مستودع مواريث الأنبياء ، ونحن أمناء اللّه (عزّ وجل) ، ونحن حجج اللّه ، ونحن أركان الإيمان ، ونحن دعائم الإسلام ، ونحن من رحمة اللّه على خلقه ، ونحن من بنا يفتح وبنا يختم ، ونحن أئمة الهُدى ، ونحن مصابيح الدُجى ، ونحن منار الهُدى ، ونحن السابقون السابقون ، ونحن الآخرون ، ونحن العلم المرفوع للخلق ، من تمسّك بنا لحق ، ومن تأخّر عنّا غرق ، ونحن قادة الغُرّ المحجّلين ، ونحن خيرة اللّه ، ونحن الطريق الواضح ، والصراط المستقيم إلى اللّه ، ونحن من نعمة اللّه

على خلقه ، ونحن المنهاج ، ونحن معدن النُبوّة ، ونحن موضع الرسالة ، ونحن الذين إلينا تختلف الملائكة ، ونحن السراج لمن استضاء به ، ونحن السبيل لمن اقتدى بنا ، ونحن الهُداة إلى الجنّة ، ونحن عرى الإسلام ، ونحن الجسور والقناطر ، من مضى عليها لم يسبق ، ومن تخلّف عنها محق ، ونحن السنام الأعظم ، ونحن الذين بنا يُنزل الله (عزّ وجل) الرحمة ، وبنا يسقون الغيث ، ونحن الذين يصرف عنكم العذاب ، فمن عرفنا ، وأبصرنا ، وعرف حقّنا ، وأخذ بأمرنا ، فهو منّا وإلينا)) ٠

وفي كنز الفوائد للكراجكي : باسناده عن الامام الصادق (عليه السلام) قال :

((خرج الحسين بن عليّ (صلوات الله عليهما) ذات يوم على أصحابه ، فقال بعد الحمد لله (جلّ وعز) والصلاة على محمد رسوله (صلّى الله عليه وآله) : "يا أيّها الناس إنّ الله ــ والله ــ ما خلق العباد إلا ليعرفوه ، فاذا عرفوه عبدوه ، فاذا عبدوه إستغنوا بعبادته عن عبادة من سواه))
فقال له رجل : بأبي أنت وأُمّي يا بن رسول الله ما معرفة الله؟ قال : ((معرفة أهل كلّ زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته)) (ص ١٥١) ٠

ثم قال الكراجكي (رضوان الله عليه) بعد ذلك :
إعلم أنّه لمّا كانت معرفة الله وطاعته لا ينفعان من لم يعرف الامام ، ومعرفة الامام وطاعته لا تقعان إلا بعد معرفة الله صحّ أن يُقال : إنّ معرفة الله هي معرفة الامام وطاعته ٠

ولمّا كانت أيضاً المعارف الدينيّة ــ العقليّة والسمعيّة ــ تحصل من

جهة الإمام، وكان الإمام آمراً بذلك وداعياً إليه صحّ القول: بأنّ معرفة الإمام وطاعته هي معرفة اللّه سبحانه، كما تقول في المعرفة بالرسول وطاعته: إنّها معرفة باللّه سبحانه، قال اللّه (عزّ وجل): ﴿ومن يُطع الرسول فقد أطاع اللّه﴾ (النساء/ الآية ٨٠)، وما تضمّنه قول الإمام الحسين (عليه السلام) من تقدّم المعرفة على العبادة غاية في البيان والتنبيه.

وجاء في الحديث من طريق العامّة:

عن عبد اللّه بن عمر بن الخطّاب: إنّ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) قال:

((من مات وليس في عنقه بيعة لإمام أو ليس في عنقه عهد لإمام مات ميتة جاهليّة)).

وروى كثير منهم أنّه (عليه السلام) قال:

((من مات وهو لا يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة)).

وهذان الخبران يُطابقان المعنىّ في قول اللّه تعالى: ﴿يوم ندعو كلّ أُناس بإمامهم فمن أُوتي كتابه بيمينه فأُولئك يقرأون كتابهم ولا يُظلمون فتيلا﴾ (النساء/ الآية ٤٩)

هل القرآن هو الإمام؟

فان قال الخصوم: إنّ الإمام هٰهنا هو الكتاب؟ قيل لهم: هذا انصراف عن ظاهر القرآن بغير حجّة توجب ذلك ولا برهان، لأنّ ظاهر التلاوة يُفيد أنّ الإمام في الحقيقة هو المقدّم في الفعل، والمطاع في الأمر والنهي، وليس يوصف بهذا الكتاب، إلا أن يكون على سبيل الاتّساع والمجاز، والمصير إلى الظاهر من حقيقة الكلام أولى إلا أن يدعو إلى الانصراف عنه الاضطرار، وأيضاً فانّ أحد الخبرين يتضمّن ذكر البيعة والعهد للإمام، ونحن نعلم أنّه لا بيعة

للكتاب في أعناق الناس ، ولا معنى لأن يكون له عهد في الرقاب، فعلم أنّ قولكم في الإمام : إنّه الكتاب،غير صواب.

فان قالوا : ما تنكرون أن يكون الإمام المذكور في الآية هو الرسول (عليه السلام) ؟ قيل لهم : إنّ الرسول قد فارق الأُمّة بالوفاة ، وفي أحد الخبرين : إنّه إمام الزمان ، وهذا يقتضي أنّه حيّ ناطق موجود في الزمان ،فامّا من مضى بالوفاة فليس يقال : إنّه إمام إلا على معنى وصفنا للكتاب بأنّه إمام ، ولولا أنّ الأمر كما ذكرناه لكان إبراهيم الخليل (عليه السلام) إمام زماننا ، لأنّا عاملون بشرعه ، متعبّدون بدينه ، وهذا فاسد إلا على الاستعارة والمجاز.

وظاهر قول النبيّ (صلّى الله عليه وآله) : ((من مات وهو لا يعرف إمام زمانه ، يدلّ على أنّ لكلّ زمان إماماً في الحقيقة ، يصحّ أن يتوجّه منه الأمر ويلزم له الإتّباع ، وهذا واضح لمن طلب الصواب، ومن ذلك ما أجمع عليه أهل الإسلام من قول النبيّ (صلّى الله عليه وآله) : ((إنّي مخلّف فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وأنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض)) ، فأخبر أنّه قد ترك في الناس من عترته من لا يُفارق الكتاب وجوده وحكمته ، وانّهم لا يزال وجودهم مقروناً بوجوده ، وفي هذا دليل على أنّ الزمان لا يخلو من إمام ، ومنه ما اشتهر بين الرواة من قوله : ((في كلّ خلف من أُمّتي عدل من أهل بيتي ؛ ينفى عن هذا الدين تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وإن إئتمنكم وفودكم إلى الله ، فانظروا من توفدون في دينكم)) .

وفيه (ص ٣٠٠) : قال الله (عزّ وجل) :* فلولا نفر من كلّ فرقة طائفة ليتفقّهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون* (التوبة/ الآية ١٢٢) ، فحثّ سبحانه وتعالى على طلب العلم ورغّب فيه ، وأوجب

على من به نهضة أن يلتمسه ويُسارع إليه، وهذا لازم في وقت رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) وبعده، ولا يصحّ أن يتخصص به زمان دون غيره، لأنّ التكليف قائم لازم، والشرع شامل دائم، وقد علمنا ومن خالفنا: إنّ النافرين للتفقّه في الدين أيّام النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله) كانوا إذا وردوا عليه أرشدهم إلى الحق بعينه، وهداهم إلى قول واحد من شرعه ودينه، فرجعوا إلى قومهم متّفقين، وعلى شيء واحد مجتمعين، لا يختلفون في تأويل آية، ولا في حكم فريضة، حلالهم واحد، وحرامهم واحد، وعلمهم واحد، ودينهم واحد، فتثبت بهم الحجّة، ويتّضح للمُسترشدين المحجّة، وينال الطالب بغيته، ويدرك المستفيد فائدته.

والناس بعد رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) مكلّفون من شرعه بما كلّفه من كان في وقته، فوجب في عدل اللّه وحكمته وفضله ورحمته، أن يزيح علل بريّته، ويقيم لهم في كلّ زمان عالماً أميناً حافظاً مأموناً، لا تختلف أقواله، ولا تتضادّ أفعاله، تثق النفوس بكماله ومعرفته، وتسكن إلى طهارته وعصمته، ليكون النفير إليه، والتعويل في الهداية عليه، ولولا ذلك لكان اللّه تعالى قد أمر بالنفير إلى المختلفين، وسؤال المتضادّين المتباينين، والتعويل على المترجّمين الظانّين، الذين يحار بينهم المستجير، ويضلّ المسترشد، ويشكّ الضعيف، وهذا عنت في التكليف، تعالى اللّه عن ذلك علوّاً كبيراً.

حديث الإمام الرضا (ع) في صفات الإمام

وفي إكمال الدين: باسناده عن عبد العزيز بن مسلم قال:

كنّا في أيّام عليّ بن موسى الرضا (عليه السلام) في مرو، فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة، فأداروا أمر الامامة وذكروا اختلاف الناس فيها، فدخلت على سيّدي (عليه السلام) فأعلمت خوضان الناس، فتبسّم (عليه السلام) ثم قال:

((يا عبد العزيز جهل القوم وخدعوا عن أديانهم، إنّ اللّه (عزّ وجل)

لم يقبض نبيّه (صلّى اللّه عليه وآله) حتى أكمل له الدين، وأنزل عليه القرآن فيه تفصيل كلّ شيء، بيّن فيه الحلال والحرام، والحدود والأحكام، وجميع ما يحتاج إليه الناس كمّلاً، فقال (عزّ وجل): ﴿ما فرّطنا في الكتاب من شيء﴾ (الأنعام/ الآية ٣٨)، وأنزل في حجّة الوداع ـ وهي آخر عمره (صلّى اللّه عليه وآله) ـ: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ (المائدة/ الآية ٥)، فأمر الإمامة من كمال الدين وتمام النعمة، ولم يمض (عليه السلام) حتى بيّن لأُمّته معالم دينهم وأوضح لهم سبيلهم، وتركهم على قصد الحق، وأقام لهم عليّاً (عليه السلام) علماً وإماماً، وما ترك شيئاً تحتاج إليه الأُمّة إلا بيّنه.

فمن زعم أنّ اللّه (عزّ وجل) لم يكمل دينه فقد ردّ كتاب اللّه العزيز، ومن ردّ كتاب اللّه (عزّ وجل) فهو كافر، هل يعرفون قدر الإمامة ومحلّها من الأُمّة؟ فيجوز فيها اختيارهم؟

إنّ الإمامة أجلّ قدراً، وأعظم شأناً، وأعلى مكاناً، وأوسع جانباً، وأبعد غوراً، من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، أو يُقيموا إماماً باختيارهم، إنّ الإمامة خصّ اللّه (عزّ وجل) بها إبراهيم الخليل (عليه السلام) بعد النبوّة والخُلّة، مرتبة ثالثة، وفضيلة شرّفه بها وأشاد بها ذكره، فقال (عزّ وجل): ﴿إنّي جاعلك للناس إماماً﴾ فقال للخليل مسروراً بها: ﴿ومن ذُرّيتي﴾ قال اللّه تبارك وتعالى: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ (البقرة/ الآية ١٢٤)، فأبطلت هذه الآية إمامة كلّ ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصفوة.

ثم أكرمه اللّه (عزّ وجل) بأن جعلها في ذرّيته وأهل الصفوة والطهارة، فقال (عزّ وجل): ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين، وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فِعْل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء

الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾ (الأنبياء/ الآية ٧٢).

فلم يزل في ذرّيته يرثها بعض عن بعض، قرناً فقرناً، حتى ورثها النبيّ (صلّى الله عليه وآله)، فقال الله (عزّ وجل): ﴿إنّ أولى الناس بابراهيم للّذين اتّبعوه وهذا النبيّ والذين آمنوا والله وليّ المؤمنين﴾ (آل عمران/ الآية ٦٨)، فكانت له خاصّة فقلّدها عليّاً (عليه السلام) بأمر الله (عزّ وجل) على رسم ما فرضها الله تعالى فصارت في ذرّيته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والايمان، لقول الله (عزّ وجل: ﴿وقال الذين أُوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون﴾ (الروم/ الآية ٥٦)، فهي في ولْد عليّ (عليه السلام) خاصّة إلى يوم القيامة، إذ لا نبيّ بعد محمد (صلّى الله عليه وآله)، فمن أين يختار هؤلاء الجهّال.

إنّ الامامة هي منزلة الأنبياء، وإرث الأوصياء.

إنّ الامامة خلافة الله تعالى، وخلافة الرسول (صلّى الله عليه وآله)، ومقام أمير المؤمنين، وميراث الحسن والحسين (عليهم السلام).

إنّ الامامة زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا، وعزّ المؤمنين

إنّ الامامة أسّ الاسلام السامي، وفرعه النامي، بالامام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، وتوفير الفيء والصدقات، وإمضاء الحدود والأحكام، ومنع الثغور والأطراف.

الامام يحلّ حلال الله، ويُحرّم حرام الله، ويُقيم حدود الله، ويَذبّ عن دين الله، ويدعو إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة والحجّة البالغة.

الامام كالشمس الطالعة للعالم وهي في الأُفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار.

الامام: البدر المنير، والسراج الزاهر، والنور الساطع، والنجم الهادي في غياهب الدُجى، والبلد القفار، ولجج البحار.

الإمام: الماء العذب على الظماء، والدالّ على الهُدى، والمُنجي من الردى.

الإمام: النار على اليفاع لمن اصطلى به، والدليل في الظلماء من فارقه فهالك.

الإمام: السحاب الماطر، والغيث الهاطل، والشمس المضيئة، والسماء الظليلة، والأرض البسيطة، والعين الغزيرة.

الإمام: الأمين الرفيق، والوالد الرؤف، والأخ الشفيق، ومفزع العباد في الرهبة والداهية.

الإمام: أمين اللّه (عزّ وجل) في خلقه، وحجّته على عباده، وخليفته في بلاده، والداعي إلى اللّه (عزّ وجل)، والذابّ عن حرم اللّه (جلّ جلاله).

الإمام: المُطهّر من الذنوب، المُبرّأ من العيوب، مخصوص بالعلم، موسوم بالحلم، نظام الدين، وعزّ المسلمين، وغيظ المنافقين، وبوار الكافرين.

الإمام: واحد دهره، لا يُدانيه أحد، ولا يُعادله عالم، ولا يُوجد منه بدل، ولا له مثل ولا نظير، مخصوص بالفضل كلّه؛ من غير طلب منه ولا اكتساب، بل اختصاص من المفضّل المنّان الوهّاب الجواد الكريم، فمن ذا الذي يبلغ منزلة الإمام أو يمكنه اختياره.؟!.

هيهات هيهات؛ ضلّت العقول، وتاهت الحلوم، وحارت الألباب، وحسرت العيون، وتصاغرت العظماء، وتحيّرت الحكماء، وقصرت الخطباء، وتقاصرت الحلماء، وجهلت الألبّاء، وكلّت الشعراء، وعجزت الأُدباء، وعييت البُلغاء؛ عن وصف شأن من شأنه، أو فضيله من فضائله، فأقرّت بالعجز والتقصير.

وكيف يُوصف أو يُنعت بكنهه، أو يُفهم شيء من أمره، أو يقوم أحد مقامه، أو يغنى غناءه؟ لا؛ كيف وأنّى؟ وهو بحيث النجم إذا بدا أن

تناله أيدي المتناولين ، ووصف الواصفين ·

فأين الاختيار من هذا؟ وأين العقول عن هذا؟ وأين يوجد مثل هذا؟ ظنّوا أنّ ذلك يوجد في غير آل الرسول (صلّى الله عليه وآله) ، كذّبتهم ــ والله ــ أنفسهم ، ومنّتهم الباطل ، فارتقوا مرتقىً صعباً دحضاً ، تزلّ عنه إلى الحضيض أقدامهم ، وراموا إقامة الإمام بعقول حائرة ناقصة ، وآراء مضلّة ، فلم يزدادوا من ذلك إلا بُعداً ، قاتلهم الله أنّىٰ يُؤفكون ·

لقد راموا صعباً ، وقالوا إفكاً ، وضلّوا ضلالاً بعيداً ، ووقعوا في الحيرة ، إذ تركوا الإمام عن بصيرة ؛ *وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل وكانوا مُستبصرين* (العنكبوت / الآية ٣٨) ·

رغبوا عن اختيار الله (جلّ جلاله) واختيار رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إلى اختيارهم ، والقرآن يناديهم : *وربّك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سُبحان الله وتعالى عمّا يُشركون* (القصص / الآية ٦٨) ، وقال (عزّ وجل) : *وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم* (الأحزاب / الآية ٣٦) ، وقال (عزّ وجل) : *ما لكم كيف تحكمون أم لكم كتاب فيه تدرسون إنّ لكم فيه لما تخيّرون أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إنّ لكم لما تحكمون سلهم أيّهم بذلك زعيم أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم إنْ كانوا صادقين* (القلم / الآيات ٣٦ـ ٤١) ، وقال (عزّ وجل : *أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها* (محمد / الآية ٢٤) ، وقال أيضاً : *أم طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون أم قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ، إنّ شرّ الدوابّ عند الله الصُمّ البُكم الذين لا يعقلون ، ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولّوا وهم مُعرضون* (الأنفال / الآيتان ٢٢و٢٣) ، *وقالوا سمعنا وعصينا* (البقرة / الآية ٩٣) ، بل هو فضل الله يُؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم ·

فكيف لهم باختيار الإمام ؟ والامام عالم لا يجهل ، داعي لا ينكل ، معدن الطهر والطهارة ، والسناء والزهادة ، والعلم والعبادة ، مخصوص بدعوة الرسول ، وهو نسل المطهّرة البتول ، لا مغموز فيه في نسب، ولا يدانيه ذو حسب، في البيت من قريش ، والذروة من هاشم ، والعترة من آل الرسول ، والرضيّ من الله (عزّ وجل) ، شرف الأشراف، والفرع من عبد مناف.

نامي العلم ، كامل الحلم ، مضطلع بالإمامة ، عالم بالسياسة ، مفروض الطاعة ، قائم بأمر الله ، ناصح لعباد الله ، حافظ لدين الله (عزّ وجل) .

إنّ الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) يُوفّقهم الله ويُؤتيهم من مخزون علمه وحلمه ما لا يُؤتيه غيرهم ، فيكون علمهم فوق علم أهل زمانهم من قوله تعالى : ﴿أفمن يهدي إلى الحق أحقّ أن يُتّبع أم من لا يهدّي إلا أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون﴾ (يونس/ الآية ٣٥) ، وقوله (عزّ وجل) : ﴿ومن يُؤت الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً وما يذكّر إلا أُولوا الألباب﴾ (البقرة/ الآية ٢٤٩)، وقوله (عزّ وجل) في طالوت: ﴿إنّ الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يُؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم﴾ (البقرة/ الآية ٢٤٧) ، وقال لنبيّه (صلّى الله عليه وآله) : ﴿وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾ (النساء/ الآية ١١٢) ، وقال (عزّ وجل) في الأئمة من أهل بيته وعترته وذرّيته (صلوات الله عليهم) : ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم مُلكاً عظيماً فمنهم من آمن به ومنهم من صدّ عنه وكفى بجهنّم سعيرا﴾ (النساء/ الآيتان ٥٤ و ٥٥) .

إنّ العبد إذا اختاره الله تعالى لأُمور عباده يشرح لذلك صدره ، وأودع قلبه ينابيع الحكمة ، وألهمه العلم إلهاماً ، فلم يعي بعده بجواب ، ولا

يحار فيه عن الصواب، فهو معصوم مؤيّد ، موفّق مسدد ، قد أمن الخطأ والزلل والعناد ، يخصّه الله تعالى بذلك لتكون حجّته البالغة على من شاهده من خلقه ، وذلك فضل الله يُؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

فهل يقدرون على مثل هذا فيختاروه ؟ أو يكون خيارهم بهذه الصفة فيقدّموه ؟ تعدّوا وثبت الله الحق ، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنّهم لا يعلمون ، وفي كتاب الله الهُدى والشفاء ، فنبذوه واتّبعوا أهواءهم ، فذمّهم الله ومقتهم وأتعسهم ، فقال (عزّ وجل) :﴿ومن أضلّ ممن اتّبع هواه بغير هُدىً من الله إنّ الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ (القصص/الآية ٥٠) ، وقال (عزّ وجل) :﴿فتعساً لهم وأضلّ أعمالهم﴾ (محمد/الآية ٨) ، وقال :﴿كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كلّ قلب متكبّر جبّار﴾ (غافر/الآية ٣٥) .

والأحاديث في ذلك أكثر من أن تُحصى ، وقد علمت من هذا الحديث وغيره أنّ الإمامة لطف، واللطف واجب ؛ وهو ما أفاد هيئة مقربة إلى الطاعة ومبعدة عن المعصية بدون تمكين أو إلجاء ، وهو واجب على الله من حيث أنّه جواد كريم ، وانّ مقتضى كرمه تعالى أن يُهيّئ لعباده وسائل الطاعة ويصرفهم عن طرق الفساد ، والله لطيف بعباده ، ومن ثمّ كانت بعثة الأنبياء وإقامة الأوصياء ، والاجتماع مظنّة النزاع ، ومتى كان للناس رئيس منبسط اليد ، قاهر عادل ، يردع المعاندين ، ويقمع المتغلّبين ، وينتصف للمظلوم من الظالم ، ويردّ إلى كلّ ذي حقّ حقّه ؛ إتّسقت الأمور ، وسكنت الفتن ، ودرّت المعائش ، وكان الناس مع وجوده إلى الصلاح أقرب ، ومن الفساد أبعد ، ومتى خلوا عن رئيس له هذه الصفات تكدّرت معائشهم ، وتغلّب القويّ على الضعيف ، وانهمكوا في المعاصي ، ووقع الهرج والمرج فيما بينهم ، وكانوا إلى الفساد

أقرب، ومن الصلاح أبعد ٠

والإمام أيضاً هو الذي يعرف الناس بعد النبيّ ما يجب عليهم فعله، وما ينبغي لهم تركه، إذ المعرفة واجبة وليس كلّ الناس يعلم أنّ هذه العبادات لا تقع على وجهها الحقيقيّ من دون معرفة، وكذلك لا يصحّ التقرّب إلى الله تعالى من جاهل به سبحانه ومعرفة أنبيائه وحججه (عليهم السلام)، وليس العالم العارف كالجاهل، فانّ العالم إنّما يعمل بعلمه، ويعمل الجاهل بهواه، والبون بينهما شاسع، قال الله تعالى: ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنّما يتذكّر أولوا الألباب﴾ (الزمر/ الآية ٩)، وقال (عزّ وجل): ﴿أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يُتّبع أم من لا يهدّي إلاّ أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون﴾ (يُونس/ الآية ٣٥) ٠

أُبيٌّ سَأَلَ عَنِ الأَئمّةِ

وفي إكمال الدين (ص ٢٥٩)، وفي فرائد السمطين (ص ١٥٥):

بالاسناد عن الحسين بن عليّ (عليهما السلام) قال:

((دخلت على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وعنده أُبيّ بن كعب، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): مرحباً بك يا أبا عبد الله؛ يا زين السماوات والأرض، فقال له أُبيّ: وكيف يكون يا رسول الله زين السماوات والأرض أحد غيرك؟ فقال له: والذي بعثني بالحقّ نبيّاً إنّ الحسين بن عليّ في السماء أكبر منه في الأرض، فانّه مكتوب عن يمين العرش: مصباح هاد وسفينة نجاة وإمام غير وهن، وعزّ وفخر وبحر علم وذخر، فلِمَ لا يكون كذلك؛ وإنّ الله (عزّ وجل) ركّب في صلبه نطفة طيّبة مباركة زكيّة خلقت من قبل أن يكون مخلوق في الأرحام أو يجري ماء في الأصلاب، أو يكون ليل أو نهار ٠

ولقد لقّن دعوات ما يدعو بهنّ مخلوق إلا حشره اللّه معه، وكـــان شفيعه في آخرته، وفرّج اللّه عنه كربه، وقضى بها دينه، ويسّر أمـره، وأوضح سبيله، وقوّاه على عدوّه، ولم يهتك ستره)).

فقال أُبيّ: وما هذه الدعوات يا رسول اللّه؟ قال:

((تقول إذا فرغت من صلواتك وأنت قاعد: "اللهم إنّي أسألك بملكك، ومعاقد عرشك، وسكّان سماواتك وأرضك، وأنبيائك ورُسلك أن تستجيب لي، فقد رهقني من أمري عُسر، فأسألك أن تُصلّي على محمـد وآل محمد وأن تجعل لي من أمري يُسراً". فانّ اللّه (عزّ وجل) يُسهّل أمرك ويشرح لك صدرك، ويُلقّنك شهادة أن لا إلـه إلا اللّه عند خـــروج نفسك)).

فقال له أُبيّ: يا رسول اللّه فما هذه النطفة التي في صلب حبيبـــي الحسين؟ قال:

((مثل هذه النطفة كمثل القمر، وهي نطفة تبيين وبيان، يكون مـــن اتّبعه رشيداً، ومن ضلّ عنه هويّاً)).

قال: فما إسمه؟ وما دعاؤه؟ قال:

((إسمه: عليّ، ودعاؤه: "يا دائم يا ديموم، يا حيّ يا قيّوم، يا كاشف الغمّ، ويا فارج الهمّ، ويا باعث الرُسل، ويا صادق الوعد ..." مـــن دعا بهذا الدعاء حشره اللّه (عزّ وجل) مع عليّ بن الحسين، وكـــان قائده إلى الجنّة)).

قال له أُبيّ: يا رسول اللّه فهل له من خلف أو وصيّ؟ قال: ((نعم، له مواريث السماوات والأرض))، قال: فما معنى مواريث السمـاوات والأرض يا رسول اللّه؟ قال: ((القضاء بالحق، والحكم بالديانـــة، وتأويل الأحكام، وبيان ما يكون))، قال: فما إسمه؟ قال: ((إســـمه

محمد ، وإنّ الملائكة لتستأنس به في السماوات، ويقول في دعائه : " اللهم إن كان لي عندك رضوان وودّ فاغفر لي ولمن اتّبعني من إخواني وشيعتي ، وطيّب ما في صلبي يا أرحم الراحمين "، فركّب الله (عزّ وجل) في صلبه نطفة مباركة زكيّة ، فأخبرني جبرئيل (عليه السلام) انّ الله (عزّ وجل) طيّب هذه النطفة وسمّاها عنده جعفراً ، وجعله هادياً مهديّاً ، وراضياً مرضيّاً ، يدعو ربّه فيقول في دعائه : " يا ديّان غير مُتوان ، يا أرحم الراحمين ، إجعل لشيعتي من النار وقاء ، ولهم عندك رضاء ، فاغفر ذنوبهم ، ويسّر أُمورهم ، واقض ديونهم ، واستر عوراتهم ، واغفر لهم الكبائر التي بينك وبينهم ، يا من لا يخاف الضيم ، ولا تأخذه سِنة ولا نوم ، إجعل لهم من كلّ همٍّ وغمٍّ فرجاً "، من دعا بهذا الدعاء حشره الله عنده أبيض الوجه مع جعفر بن محمد إلى الجنّة .

يا أُبيّ ، وإنّ الله تبارك وتعالى ركّب على هذه النطفة نطفة مباركة زكيّة طيّبة أنزل عليها الرحمة ، وسمّاها عنده : موسى ، وجعله إماماً قال له أُبيّ : يا رسول الله كلّهم يتواصفون ، ويتناسلون ويتوارثون ويصف بعضهم بعضاً؟ قال :

((وصفهم لي جبرئيل (عليه السلام) عن ربّ العالمين (جلّ جلاله)))

فقال : فهل لموسى من دعوة يدعو بها سوى دعاء آبائه؟ قال :

((نعم ، يقول في دعائه : " يا خالق الخلق ، ويا باسط الرزق ، ويا فالق الحبّ والنوى ، ويا بارئ النسم ، ومُحيي الموتى ومُميت الأحياء ، ويا دائم الثبات ، ومُخرج النبات ، إفعل بي ما أنت أهله " .

من دعا بهذا الدعاء قضى الله (عزّ وجل) حوائجه ، وحشره يوم القيامة مع موسى بن جعفر . وإنّ الله (عزّ وجل) ركّب في صلبه نطفة طيّبة

زكيّة مرضيّة ، وسمّاها عنده : عليّاً ، ويكون لله (عزّ وجل) في خلقه رضيّاً في علمه وحكمه ، وجعله حجّة لشيعته يحتجّون به يوم القيامة ، وله دعاء يدعو به : " اللهم أعطني الهُدى وثبّتني عليه ، واحشرني عليه ؛ آمناً أمن من لا خوف عليه ، ولا حزن ولا جزع ، إنّك أهل التقوى وأهل المغفرة " وإنّ الله تعالى ركّب في صلبه نطفة مباركة طيّبة زكيّة مرضيّة ، وسمّاها عنده محمد بن علي ، فهو شفيع شيعته ، ووارث علم جدّه ، له علامة بينه وحجّة ظاهرة ، إذا ولد يقول : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) . ويقول في دعائه :

"يا من لا شبيه له ولا مثال ، أنت الله لا إله إلا أنت ، ولا خلق إلا أنت ، تفنى المخلوقين وتبقى أنت ، حلمت عمّن عصاك ، وفي المغفرة رضاك "، من دعا بهذا الدعاء كان محمد بن عليّ شفيعه يوم القيامة ، وإنّ الله تعالى ركّب في صلبه نطفة زكيّة بارّة مباركة طيّبة طاهرة سمّاها عنده عليّ بن محمد ، وألبسه السكينة والوقار ، وأودعه العلوم وكلّ سرّ مكتوم ، من لقيه وفي صدره شيء أنبأه وحذّره من عدوّه ، ويقول في دعائه : " يا نور النور ، يا برهان يا مُنير ، يا مُبين يا ربّ ، إكفني شرّ الشرور ، وآفات الدهور ، وأسألك النجاة يوم يُنفخ في الصور " من دعا بهذا الدعاء كان عليّ بن محمد شفيعه وقائده إلى الجنّة .

وإنّ الله تبارك وتعالى ركّب في صلبه نطفة وسمّاها عنده : الحسن بن عليّ ، فجعله نوراً في بلاده ، وخليفة في أرضه ، وعزّاً لأُمّته ، وهادياً لشيعته ، وشفيعاً لهم عند ربّهم ، ونقمة على من خالفه ، وحجّة لمن والاه ، وبُرهانا لمن اتّخذه إماماً ، يقول في دعائه : " يا عزيز ؛ العزّ في عزّه ، يا عزيز أعزّني بعزّك ، وأيّدني بنصرك ، وأبعدني عن همزات الشياطين ، وادفع عنّي بدفعك ، وامنع عنّي بمنعك ، واجعلني من

خيار خلقك، يا واحد يا أحد ، يا فرد يا صمد ٠٠٠، من دعا بهـــذا الدعاء حشره الله (عزّ وجل) معه ، وله نجاة من النار ولو وجبت عليـه ، وإنّ الله (عزّ وجل) ركّب في صلب الحسن نطفة مباركة زكيّة طيّبة طاهرة مطهّرة ، ويرضى بها كلّ مؤمن ممن أخذ الله ميثاقه في الولاية ، ويكـفر بها كلّ جاحد ، فهو إمام تقيّ نقيّ ، سارّ مرضيّ ، هاد مهديّ ، أول العدل وآخره ، يُصدّق الله (عزّ وجل) ويُصدّقه الله في قوله ، يخرج من تهامة حتى (حين ظ) تظهر الدلائل والعلامات ، وله بالطالقان كنـوز لا ذهب ولا فضّة ، إلا خيول مطهّمة ، ورجال مسوّمة ، يجمع الله (عـزّ وجل) له من أقاصي البلاد على عدد أهل بدر : ثلاثمائة وثلاثة عشـر رجلاً ، معه صحيفة مختومة ، فيها عدد أصحابه ، بأسمائهم وأنسابـهم وبلدانهم وصنائعهم وحلاهم وكناهم ، كرّارون مُجدّون في طاعته)) ٠

فقال له أُبيّ : وما دلائله وعلاماته يا رسول الله ؟ قال :

((له علم ، إذا حان وقت خروجه إنتشر ذلك العلم من نفسه ، وأنطقه الله تبارك وتعالى ، فناجاه العلم : أُخرج يا وليّ الله فاقتل أعـداء الله ، وله رايتان وعلامتان ، وله سيف مُغمد ، فاذا حان وقت خروجـه إقتلع ذلك السيف من غمده وأنطـقه الله (عزّ وجل) فناداه السيف : أُخرج يا وليّ الله فلا يحلّ لك أن تقعد عن أعداء الله ، فيخرج ويقتل أعداء الله حيث ثقفهم ، ويُقيم حدود الله ، ويحكم بحكم الله ٠

يخرج جبرئيل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره ، وشُعيب بن صالح علـى مقدّمه ، فسوف تذكرون ما أقول لكم ، وأُفوّض أمري إلى الله (عزّ وجـل) ولو بعد حين ٠

يا أُبيّ طوبـى لمن لقيه ، وطوبى لمن أحبّه ، وطوبى لمن قال بـه ، يُنجيهم الله من الهلكة ، والاقرار به وبرسول الله (ص) وبجميع الأئمـة

يفتح لهم الجنّة ، مثلهم في الأرض كمثل المسك يسطع ريحه فلا يتغيّر أبداً ، ومثلهم في السماء كمثل القمر الذي لا يطفىء نوره أبداً)) ، قال أبيّ : يا رسول الله كيف بيان حال هؤلاء الأئمة عن الله (عزّ وجل) ؟ قال :

((إنّ الله تبارك وتعالى أنزل عليّ إثني عشر خاتماً ، وإثني عشر صحيفة ، إسم كلّ إمام على خاتمه ، وصفته في صحيفته)) .

وفي إكمال الدين (ص ٢٠٠) : باسناده عن أبي الطفيل عن أبي الطفيل عن أبي جعفر (عليه السلام) قال :

((قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لأمير المؤمنين (عليه السلام) : أُكتب ما أملي عليك ، قال : يا نبيّ الله وتخاف عليّ النسيان؟ فقال : لست أخاف عليك النسيان ، وقد دعوت الله لك أن يحفّظك ولا يُنسيك ، ولكن أكتب لشركائك ، قال : قلت: ومن شركائي يا نبيّ الله ؟ قال : الأئمة من وِلْدك بهم تسقي أُمّتى الغيث ، وبهم يُستجاب دعاؤهم ، وبهم يصرف الله عنهم السوء والبلاء ، وبهم تُنزل الرحمة ، وهذا أولهم وأومأ بيده إلى الحسن (عليه السلام) ، ثم أومى بيده إلى الحسين (عليه السلام) ، ثم قال (صلّى الله عليه وآله) : الأئمة من وِلْده)) .

وعن سيّد العابدين (عليه السلام) قال :

((نحن أئمة المسلمين ، وحجج الله على العالمين ، وسادة المؤمنين وقادة الغرّ المحجّلين ، وموالى المؤمنين ، ونحن أمان أهل الأرض ، كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء ، ونحن الذين بنا يمسك الله السماء أن تقع على الأرض إلا باذنه ، وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها ، وبنا

ينزل الغيث، وتنشر الرحمة ، وتخرج بركات الأرض ، ولولا ما في الأرض منّا لساخت بأهلها)) • ثم قال :

((ولم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجّة لله فيها ظاهر مشهور، أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجّة فيها، ولولا ذلك لم يعبد الله)) •

لماذا كان الأئمة من ولد الحسين (ع)

واعلم أنّ أهل البيت الذين نزلت فيهم آية التطهير هم : عليّ وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) ، فهم المطهّرون من الرجس ، والرجس هو الشكّ وكلّ ما يقبح ويستقذر من الصفات والأخلاق ، فهم الكاملون الخُلّص ، المُطهّرون عن كلّ ما يشين ، والمُنزهّون عن كلّ ما لا يليق ، والذين سمعوا النصّ بالإمامة والولاية عليهم من الله ورسوله هم : عليّ والحسن والحسين ، فهم ورثة العلم من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، ولمّا قُبض رسول الله (ص) كان عليّ أولى الناس بالناس لكثرة ما بلّغ فيه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وإقامته للناس وأخذه بيده ، فلمّا مضى عليّ (عليه السلام) لم يكن له أن يُشرك أحداً من وِلْده ــ لا محمداً ولا العبّاس ولا غيرهم ــ من الحسن والحسين (عليهما السلام) ، إذن لقال الحسنان : إنّ الله تبارك وتعالى أنزل فينا كما أنزل فيك ، وأمر بطاعتنا كما أمر بطاعتك ، وبلّغ فينا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كما بلّغ فيك ، وأذهب الله عنّا الرجس كما أذهبه عنك ، فلمّا مضى عليّ (عليه السلام) كان الحسن (عليه السلام) أولى بها لأنّه الأكبر ــ والإمامة للأكبر من الأولاد ما لم تكن به عاهة ــ ، فلمّا تُوفّي الحسن (عليه السلام) لم يكن له أن يجعلها في أحد من وِلْده مع أنّ الله تعالى يقول : ﴿وأُولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ ، ومعلوم أنّ الولد أقرب من الأخ ، ولكنّ الإمامة عقدت من رسول الله (ص) له ولأخيه ، وكذلك أبوهما فقد أوصى إليهما معاً ، فلم يكن ليفعل خلاف ذلك ، وإلا لساغ

للحسين (عليه السلام) أن يقول : أمر الله بطاعتي كما أمر بطاعتك وطاعة أبيك، وبلّغ فيّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كما بلّغ فيك وفي أبيك، وأذهب الله عنّي الرجس كما أذهبه عنك وعن أبيك، فلمّا صارت إلى الحسين لم يكن لأحد من أهل بيته أن يدّعي عليه كما كان يحقّ له أن يدّعي على أبيه وأخيه لو أرادا صرفها عنه، فكانت فيه وفي أبنائه واحد بعد واحد، وهو مصداق الآية الشريفة : ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ .

وفي أعلام الورى (ص ٣٦٩) : عن أبي حمزة قال :

سمعت عليّ بن الحسين (عليهما السلام) يقول :

((إنّ الله تعالى خلق محمداً واثني عشر وصيّاً من نور عظمته وأقامهم أشباحاً في ضياء نوره، يعبدونه ويسبّحونه ويقدّسونه، وهم الأئمة من بعد محمد (صلّى الله عليه وآله))) .

وفيه (ص ٣٧٠) : عن عليّ (عليه السلام) قال :

((قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : اثنا عشر من أهل بيتي، أعطاهم الله فهمي وعلمي وحكمتي، وخلقهم من طينتي، فويل للمتكبّرين عليهم بعدي، القاطعين فيهم صلتي، ما لهم، لا أنالهم الله شفاعتي))

نبذة من حياة الإمام السجّاد (ع)

ولنذكر بعضاً من سيرة هؤلاء العدول الأفاظل والحجج الأعاظم تبرّكاً وتيمّناً بهم (صلوات الله وسلامه عليهم)، فأولهم : الإمام الرابع ؛ زين العابدين وسيّد الساجدين (صلّى الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطيّبين الطاهرين إلى يوم الدين) .

قال في الكافي : ولد عليّ بن الحسين (ع) في سنة ثمان وثلاثين،

وقُبض في سنة خمس وتسعين ، وله سبع وخمسون سنة ، وأُمّه سلامة بنت يزدجرد بن شهريار بن شيرويه بن كسرى أبرويز ، وكان يزدجرد آخر ملوك الفرس .

وفي روضة الواعظين (ص ٢٠١) :

كان مولده (عليه السلام) يوم الجمعة ، ويقال : يوم الخميس لتسع خلون من شعبان سنة ثمان وثلاثين من الهجرة ، ويُقال : سنة ستّ وثلاثين من الهجرة ، فبقى مع جدّه أمير المؤمنين (عليه السلام) سنتين ، ومع عمّه إثني عشر سنة ، ومع أبيه الحسين (ع) ثلاثاً وعشرين سنة ، وتوفّي بالمدينة يوم السبت لاثني عشرة ليلة بقيت من المحرّم سنة خمس وتسعين من الهجرة ، وله يومئذٍ سبع وخمسون سنة ، وكانت إمامته أربعاً وثلاثين سنة .

وأُمّه : شاه زنان بنت يزدجرد بن شهريار بن كسرى ، ويُقال : إنّ إسمها كان : شهربان ويه ، ويقال : شاه زنان بنت شيرويه بن كسرى أبرويز ..

وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) ولّي حريث بن جابر الحنفي جانباً من المشرق ، فبعث إليه بنتي يزدجرد بن شهريار بن كسرى ، فنحل إبنه الحسين (عليه السلام) شاه زنان منهما فأولدها زين العابدين (عليه السلام) ، ونحل الأُخرى محمد بن أبي بكر فولدت له القاسم بن محمد بن أبي بكر ، فهما إبنا خالة (إنتهى) .

وقيل : إنّه وُلد في منتصف جمادى الآخرة ، وتُوفّي لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر المحرّم ، والله أعلم بحقائق الأُمور .

وفي بصائر الدرجات (ص ٣٣٥) : باسناده عن جابر ، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال :

((لمّا قدم بابنه يزدجرد على عمر وأدخلت المدينة ، أشرف لها عذارى المدينة ، وأشرق المسجد بضوء وجهها ، فلمّا دخلت المسجد ورأت عمر غطّت وجهها وقالت: آه بيروز باد أهرمز، قال : فغضب عمر وقال : تشتمني هذه ، وهمّ بها ، فقال له أمير المؤمنين : ليس لك ذلك ، أعرض عنها ، إنّها تختار رجلاً من المسلمين ثم احسبها بفيئه عليه ، فقال لها عمر: إختاري ، قال : فجاءت حتى وضعت يدها على رأس الحسين بن عليّ (عليهما السلام) ، فقال أمير المؤمنين : ما اسمك ؟ قالت: جهان شاه ، فقال : بل شهربان ويه ، ثم نظر إلى الحسين (عليه السلام) فقال : يا أبا عبد الله ليدنّ لك منها غلام خير أهل الأرض)) .

قال المجلسي (ره) : يزدجرد آخر ملوك الفرس ، وهو ابن شهريار بن أبرويز بن هرمز بن أنوشروان ، وكان إشراق المسجد بضوئها : كناية عن ابتهاج أهل المسجد برؤيتها وعجبهم ومن صورتها وصباحتها .

وفي الكافي (ج ١/ص ٤٦٢) : أف بيروج بادا هرمز، وأف : كلمة تضجّر، وبيروج : مُعرّب بيروز ، أي أسود يوم هرمز وأساء الدهر إليه وانقلب الزمان عليه ، حيث صارت أولاده أُسارى تحت حكم مثل هذا ، أو دعاء على جدّها هرمز ، يعني : لا لكان لهرمز يوم حتى تصير أولاده كذلك .

(وهمّ بها) أي : أراد إيذاءها ، أو أن يأخذها لنفسه ، قوله (عليه السلام) : ((بل شهربانويه)) : كأنّه غيّر إسمها للسنّة ، أو لأنّه من أسماء الله تعالى لما ورد في الخبر في النهي عن اللعب بالشطرنج أنّه يقول : مات شاهه ، وقتل شاهه ، والله شاهه ما مات وما قتل ، أو أنّه (عليه السلام) أخبر أنّه ليس إسمها جهان شاه ، بل إسمها : شهربانويه ، وإنّما غيّرته للمصلحة ،

أو المعنى : لم ينبغ لك هذا الاسم ، بل كان ينبغي تسميتك بشهربانويه ، (وليلدنّ) : كأنّه إشارة إلى أنّ أولاده (عليه السلام) يحصل من ولد هو خير أهل الأرض ، وفي بعض النسخ بالتاء كأنّه تمّ الكلام عند قوله : لك، وقوله : منها غلام ؛ جملة أُخرى .

ثم إنّ هذا الخبر يخالف الخبر السابق ، وذاك أقرب إلى الصواب ؛ إذ أسر أولاد يزدجرد الظاهر أنّه كان بعد قتله أو استئصاله ، وذلك كان في زمن عثمان ، وإن أمكن أن يكون بعد فتح القادسيّة أو نهاوند ؛ أخذ بعض أولاده هناك لكنّه بعيد ، وأيضاً لا ريب أنّ تولّد عليّ بن الحسين (عليهما السلام) كان في زمان خلافة أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ولم يُولد منها غيره ، كما نقل ، وكون الزواج في زمان عمر وعدم تولّد ولد منها إلا بعد أكثر من عشرين سنة بعيد ، ولا يبعد أن يكون عمر في هذه الرواية تصحيف عثمان والله يعلم .

ويروى أنّها ماتت في نفاسها به ، وإنّما اختارت الحسين (ع) لأنّها رأت فاطمة (عليها السلام) وأسلمت قبل أن يأخذها عسكر المسلمين ، ولها قصّة وهي أنّها قالت : رأيت في النوم قبل ورود عسكر المسلمين كأنّ محمداً رسول الله (صلّى الله عليه وآله) دخل دارنا وقعد مع الحسين (عليه السلام) ؛ وخطبني له وزوّجني منه ، فلمّا أصبحت كان ذلك يُؤثّر في قلبي وما كان لي خاطر غير هذا ، فلمّا كان في الليلة الثانية رأيت فاطمة بنت محمد (صلّى الله عليه وآله) قد أتتني وعرضت عليّ الإسلام فأسلمت، ثم قالت : إنّ الغلبة تكون للمسلمين ، وإنّكِ تصلين عن قريب إلى ابني الحسين سالمة لا يُصيبك بسوء أحد ، قالت وكان من الحال إنّي خرجت إلى المدينة ما مسّ يدي إنسان .

(إنتهى كلام المجلسي ـ أعلى الله مقامه ـ) .

وفي مناقب إبن شهرا شوب (ج ٤) :

ربيع الأبرار عن الزمخشري ، روى عن النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله) أنّه قال :

((للّه من عباده خيرتان : فخيرته من العرب قريش ، ومن العجم فارس)) .

وكان يقول عليّ بن الحسين : ((أنا ابن الخيرتين)) ، لأنّ جده رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) ، وأُمّه بنت يزدجرد الملك ، وقال أبوالأسود:

وإنّ غلاماً بين كسرى وهاشم
لأكرم من نيطت عليه التمائم

وفي البحار (ج ٤٦) : عن الخرائج :

روى أنّ يدي رجل وامرأة إلتصقتا على الحجر وهما في الطواف ، وجهد كلّ أحد على نزعهما فلم يقدر ، فقال الناس : أقطعوهما ، وبينما هم كذلك إذ دخل زين العابدين (عليه السلام) وقد ازدحم الناس ففرجوا له ، فتقدّم ووضع يده عليهما فانحلّتا وافترقتا .

وروي أنّ الحجّاج كتب إلى عبد الملك بن مروان :

إن أردت أن يثبت ملكك فاقتل عليّ بن الحسين ، فكتب عبد الملك إليه : أمّا بعد فجنّبني دماء بني عبد المطّلب وأحقنها ، فانّي رأيت آل أبي سفيان لمّا أولعوا فيها لم يلبثوا إلى أن أزال اللّه الملك عنهم ، وبعث بالكتاب سرّاً ، فكتب عليّ بن الحسين (عليه السلام) إلى عبد الملك في الساعة التي أنفذ فيها الكتاب إلى الحجّاج : وقفت على ما كتبت في دماء بن هاشم وقد شكر اللّه لك ذلك ، وثبّت لك ملكك ، وزاد في عمرك وبعث به مع غلام له بتأريخ الساعة التي أنفذ فيها كتابه إلى الحجّاج ، فلما قدم الغلام أوصل

الكتاب إليه ، فنظر عبد الملك في تأريخ الكتاب فوجده موافقاً لتأريخ كتابه ، فلم يشكّ في صدق زين العابدين ، ففرح بذلك ، وبعث إليه بوقر دنانير ، وسأله أن يبسط إليه بجميع حوائجه وحوائج أهل بيته ومواليه ، وكان في كتابه (عليه السلام) : ((إنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أتاني في النوم فعرفني ما كتبت به إليك وما شكر من ذلك)) .

وروي عن أبي خالد الكابلي قال :

دعاني محمد بن الحنفيّة بعد قتل الحسين (عليه السلام) ورجوع عليّ بن الحسين (عليهما السلام) إلى المدينة ــ وكنّا بمكّة ــ فقال : صر إلى عليّ بن الحسين (عليهما السلام) وقل له : إنّي أكبر ولْد أمير المؤمنين بعد أخويّ الحسن والحسين ، وأنا أحقّ بهذا الأمر منك ، فينبغي أن تُسلّمه إليّ ، وان شئت فاختر حكماً نتحاكم إليه ، فصرت إليه وأدّيت رسالته ، فقال: " ارجع إليه وقل له : يا عمّ إتّق الله ولا تدع ما ليس لك ، وإن أبيت فبيني وبينك الحجر الأسود ، فمن أجابه الحجر فهو الامام" فرجعت إليه بهذا الجواب ، فقال له : قد أجبتك ، قال أبو خالد : فدخلا جميعاً ، وأنا معهما حتى وافيا الحجر الأسود ، فقال عليّ بن الحسين (عليهما السلام) : " تقدّم يا عمّ فانّك أسنّ فسله الشهادة لك " فتقدّم محمد فصلّى ركعتين ودعا بدعوات ، ثم سأل الحجر الشهادة إن كانت الامامة له ، فلم يُجبه بشيء ، ثم قام عليّ بن الحسين (عليهما السلام) فصلّى ركعتين ثم قال : ((أيّها الحجر الذي جعله اللّه شاهداً لمن يُوافي بيته الحرام من وفود عباده ، إن كنت تعلم أنّي صاحب الأمر وأنّي الامام المفترض الطاعة على جميع عباد الله فاشهد لي ليعلم عمّي أنّه لا حقّ له في الامامة)) فأنطق الله الحجر بلسان عربيّ مُبين ، فقال : يا محمد بن عليّ ، سلّم الأمر إلى عليّ بن الحسين ، فانّه الامام المفترض الطاعة عليك وعلى جميع عباد الله دونك ودون الخلق أجمعين ، فقبّل محمد بن

الحنفيّة رجله وقال : الأمر لك ، وقيل : إنّ إبن الحنفيّة إنّما فعل ذلك إزاحة لشكوك الناس في ذلك ..

وفي رواية أُخرى : إنّ اللّه أنطق الحجر : يا محمد بن عليّ ، إنّ عليّ بن الحسين حجّة اللّه عليك وعلى جميع من في الأرض ومن في السماء ، مفترض الطاعة فاسمع له وأطع ، فقال محمد : سمعاً وطاعة يا حجّة اللّه في أرضه وسمائه .

وفي رجال الكشي : عن الباقر (عليه السلام) :

((كان أبو خالد الكابلي يخدم محمد بن الحنفيّة دهراً وما كان يشكّ في أنّه إمام حتى أتاه ذات يوم ، فقال له : جُعلت فداك إنّ لي حرمة ومودّة وانقطاعاً ، فأسألك بحُرمة رسول اللّه وأمير المؤمنين إلا أخبرتني : أنت الامام الذي فرض اللّه طاعته على خلقه ؟ فقال : " يا أبا خالد حلّفتني بالعظم ، الامام عليّ بن الحسين (عليهما السلام) عليّ وعليك وعلى كلّ مسلم " فأقبل أبو خالد لما أن سمع ما قاله محمد بن الحنفيّة ، فجاء إلى عليّ بن الحسين (عليهما السلام) فاستأذن عليه ، فأخبر أنّ أبا خالد بالباب ، فأذن له ، فلمّا دخل عليه دنا منه قال : " مرحباً يا كنكر ، ما كنت لنا بزائر ، ما بدا لك فينا " فخرّ أبو خالد ساجداً شاكراً للّه تعالى مما سمع من عليّ بن الحسين (عليهما السلام) ، فقال : الحمد للّه الذي لم يُمتني حتى عرفت إمامي ، فقال له عليّ (عليه السلام) : " وكيف عرفت إمامك يا أبا خالد " قال : إنّك دعوتني باسمي الذي سمّتني أُمّي التي ولدتني ، وقد كنت في عمياء من أمري ، ولقد خدمت محمد بن الحنفيّة دهراً من عمري ولا أشكّ إلا وأنّه إمام ، حتى إذا كان قريباً سألته بحرمة اللّه وبحرمة رسوله وبحرمة أمير المؤمنين فأرشدني إليك وقال : هو الامام عليّ وعليك وعلى جميع خلق اللّه كلّهم ، ثم أذنت لي فجئت فدنوت

منك سمّيتني باسمي الذي سمّتني أُمّي ، فعلمت أنّك الإمام الذي فرض الله طاعته على كلّ مسلم.

وفي علل الشرائع (ج ٢/ص ١٣٣) : عن أبان بن تغلب:

((لمّا هدم الحجّاج الكعبة فرّق الناس ترابها ، فلمّا صاروا إلى بنائها وأرادوا أن يبنوها ، خرجت عليهم حيّة فمنعت الناس البناء حتى انهزموا، فأتوا الحجّاج فأخبروه، فخاف أن يكون قد منع بناءها ، فصعد المنبر، ثم أنشد الناس فقال : أنشد الله عبداً عنده مما ابتلينا به علم لما أخبرنا به، فقام إليه شيخ فقال : إن يكن عند أحد علم فعند رجل رأيته جاء إلى الكعبة فأخذ مقدارها ومضى، فقال الحجّاج : من هو؟ فقال : عليّ بن الحسين (عليهما السلام) ، فقال : معدن ذلك، فبعث إلى عليّ بن الحسين (عليهما السلام) ، فأتاه، فأخبره بما كان من منع الله إيّاه البناء ، فقال له عليّ بن الحسين: "يا حجّاج عمدت إلى بناء إبراهيم وإسماعيل فألقيته في الطريق وانتهبته كأنّك ترى أنّه تُراث لك ؟ إصعد المنبر فأنشد الناس أن لا يبقى أحد منهم أخذ منه شيئاً إلا ردّه" قال : فردّوه، فلمّا رأى جميع التراب أتى عليّ بن الحسين فوضع الأساس ، وأمرهم أن يحفروا ، قال : فتغيّبت الحيّة عنهم ، وحفروا حتى انتهوا إلى مواضع القواعد ، فقال لهم عليّ بن الحسين: "تنحّوا" فتنحّوا ، فدنا منها فغطّاها بثوبه ثم بكى ، ثم غطّاها بالتراب بيد نفسه ، ثم دعا الفعلة فقال: "ضعوا بناءكم" فوضعوا البناء ، فلمّا ارتفعت حيطانه أمر بالتراب فألقي في جوفه ، فلذلك صار البيت مرتفعاً يصعد إليه بالدرج.

وفي البحار (ج ٤٦ /ص ٤٧) :

روي أنّ رجلاً مؤمناً من أكابر بلاد بلخ كان يحجّ البيت ويزور النبيّ في

أكثر الأعوام، وكان يأتي عليّ بن الحسين(عليهما السلام) ويزوره، ويحمل إليه الهدايا والتحف، ويأخذ مصالح دينه منه، ثم يرجع إلى بلاده. فقالت له زوجته: أراك تهدي تُحفاً كثيرة ولا أراه يجازيك عنها بشيء، فقال: إنّ الرجل الذي نهدي إليه هدايانا هو ملك الدنيا والآخرة، وجميع ما في أيدي الناس تحت ملكه، لأنّه خليفة الله في أرضه، وحجّته على عباده، وهو ابن رسول الله(صلّى الله عليه وآله) وإمامنا. فلمّا سمعت ذلك منه أمسكت عن ملامته، ثم إنّ الرجل تهيّأ إلى الحج مرّة أُخرى في السنة القابلة، وقصد دار عليّ بن الحسين(عليهما السلام) فاستأذن عليه، فأذن له فدخل فسلّم عليه وقبّل يديه، ووجد بين يديه طعاماً، فقرّبه إليه وأمره بالأكل معه، فأكل الرجل، ثم دعا بطست وإبريق فيه ماء، فقام الرجل وأخذ الإبريق وصب الماء على يدي الإمام(عليه السلام)، فقال(عليه السلام): "يا شيخ أنت ضيفنا فكيف تصبّ الماء على يديّ"، فقال: إنّي أُحبّ ذلك. فقال الإمام(عليه السلام): "لما أحببت ذلك فوالله لأُرينّك ما تُحبّ وترضى وتقرّ به عيناك" فصبّ الرجل على يديه الماء حتى امتلأ ثلث الطست، فقال الإمام للرجل: "ما هذا"، فقال: ماء، قال الإمام(عليه السلام): "بل هو ياقوت أحمر" فنظر الرجل فاذا هو ياقوت أحمر باذن الله تعالى، ثم قال(عليه السلام): "يا رجل صبّ الماء" فصبّ حتى امتلأ ثلثا الطست، فقال(عليه السلام): "ما هذا" قال: هذا ماء، قال: "بل هذا زمرّد أخضر" فنظر الرجل فاذا هو زمرّد أخضر، ثم قال(عليه السلام): "صبّ الماء" فصبّ على يديه حتى امتلأ الطست، فقال: "ما هذا" فقال: هذا ماء، قال(عليه السلام): "بل هذا درّ أبيض" فنظر الرجل فاذا هو درّ أبيض، فامتلأ الطست من ثلاثة ألوان: درّ وياقوت وزمرّد، فتعجّب الرجل وانكبّ على يديه(عليه السلام) يُقبّلهما، فقال(عليه السلام): "يا شيخ لم يكن عندنا شيء نُكافيك على هداياك إلينا،

فخذ هذه الجواهر عوضاً عن هديّتك إلينا ، واعتذر لنا عند زوجتك لأنها عتبت علينا» ، فأطرق الرجل رأسه وقال : يا سيّدي من أنبأك بكلام زوجتي؟ فلا شكّ أنّك من أهل بيت النبوّة ، ثم إنّ الرجل ودّع الإمام (عليه السلام) وأخذ الجواهر وسار بها إلى زوجته ، وحدّثها بالقصّة ، فسجدت لله شكراً ، وأقسمت على بعلها بالله العظيم أن يحملها معه إليه (عليه السلام) ، فلمّا تجهّز بعلها للحج في السنة القابلة أخذها معه ، فمرضت في الطريق وماتت قريباً من المدينة ، فأتى الرجل الإمام (عليه السلام) باكياً وأخبره بموتها فقام الإمام (عليه السلام) وصلّى ركعتين ودعا الله سبحانه بدعوات ، ثم التفت إلى الرجل ، وقال له : «ارجع إلى زوجتك فانّ الله (عزّ وجل) قد أحياها بقدرته وحكمته ، وهو يُحيي العظام وهي رميم» فقام الرجل مسرعاً ، فلمّا دخل خيمته وجد زوجته جالسة على حال صحّتها ، فقال لها : كيف أحياك الله؟ قالت : والله لقد جاءني ملك الموت وقبض روحي وهمّ أن يصعد بها ، فاذا أنا برجل صفته كذا وكذا ـ وجعلت تعدد أوصافه (عليه السلام) ـ وبعلها يقول : نعم صدقت ، هذه صفة سيّدي ومولاي عليّ بن الحسين (عليهما السلام) قالت : فلمّا رآه ملك الموت مُقبلاً إنكبّ على قدميه يقبّلهما ويقول : السلام عليك يا حجّة الله في أرضه ، السلام عليك يا زين العابدين ، فردّ عليه السلام ، وقال له : «يا ملك الموت أعد روح هذه المرأة جسدها ، فانّها كانت قاصدة إلينا ، وإنّي سألت ربّي أن يُبقيها ثلاثين سنة أُخرى ، ويُحييها حياة طيّبة لقدومها إلينا زائرة لنا» فقال الملك : سمعاً وطاعة لك يا وليّ الله ، ثم أعاد روحي إلى جسدي ، وأنا أنظر إلى ملك الموت قد قبّل يده (عليه السلام) وخرج عنّي ، فأخذ الرجل بيد زوجته وأدخلها عليه (عليه السلام) وهو ما بين أصحابه ، فانكبّت على ركبتيه تُقبّلهما وهي تقول : هذا والله سيّدي ومولاي ، وهذا هو الذي أحياني الله ببركة دعائه ، قال : فلم تزل المرأة مع

بعلها مجاورين عند الإمام (عليه السلام) بقيت أعمارهما إلى أن ماتا (رحمة الله عليهما) .

ومن ألقابه (عليه السلام) : زين العابدين ، وسيّد العابدين ، وزين الصالحين ، ووارث علم النبيين ، ووصيّ الوصيين ، وخازن وصايا المرسلين ، ، وإمام المؤمنين ، ومنار القانتين والخاشعين ، والمتهجّد ، والزاهد ، والعابد ، والعدل ، والبكّاء ، والسجّاد ، وذو الثفنات ، وإمام الأُمّة ، وأبو الأئمة .

في العلل باسناده قال :

كان الزهري إذا حدّث عليّ بن الحسين (عليهما السلام) قال :

حدّثني زين العابدين عليّ بن الحسين ، فقال له سفيان بن عُيينة : ولِمَ تقول له : زين العابدين ؟ قال : لأنّي سمعت سعيد بن المسيّب يُحدّث عن ابن عبّاس أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال :

((إذا كان يوم القيامة ينادي منادٍ : أين زين العابدين ؟ فكأنّي أنظر إلى ولدي عليّ بن الحسين (عليهما السلام) يخطو بين الصفوف)) (ج ١/ص٢١٩)

وفي كشف الغمّة (ج ٢/ص٢٩٨) :

عن عبد الله بن محمد القرشي قال :

كان عليّ بن الحسين (عليهما السلام) إذا توضّأ يصفرّ لونه فيقول له أهله : ما هذا الذي يغشاك ؟ فيقول : " أتدرون من أتأهّب للقيام بين يديه " .

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال :

((كان عليّ بن الحسين (عليهما السلام) يُصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة ، وكانت الريح تميله بمنزلة السُنبلة)) .

وعن ابن إسحاق قال : كان بالمدينة كذا وكذا أهل بيت ، يأتيهم

رزقهم وما يحتاجون إليه ، ولا يدرون من أين يأتيهم ، فلمّا مات عليّ بن الحسين (عليهما السلام) فقدوا ذلك.

وفي أمالي الصدوق (ص ٤٠٥) : باسناده عن الزهري قال :

كنت عند عليّ بن الحسين (عليهما السلام) ، فجاءه رجل من أصحابه فقال له عليّ بن الحسين : ما خبرك أيّها الرجل؟ فقال الرجل : خبّرني يابن رسول الله إنّي تصبّحت وعليّ أربعمائة دينار، دَيْن ، لا قضاء عندي لها ،ولي عيال ثقال ليس ما أعود عليهم به ، قال : فبكى عليّ بن الحسين (عليهما السلام) بكاءً شديداً ، فقلت له : ما يُبكيك يا بن رسول الله ؟ فقال: ((وهل يُعدّ البكاء إلا للمصائب والمِحَن الكبار)) ؟ قالوا: كذلك يا بن رسول الله قال:((فأيّ محنة ومصيبة أعظم على حرّ مؤمن من أن يرى بأخيه المؤمن خلّة فلا يمكن سدّها؟ أو يُشاهده على فاقة فلا يطيق دفعها)) قال : فتفرّقوا عن مجلسهم ذلك، فقال بعض المخالفين ـ وهو يطعن على عليّ بن الحسين ـ : عجباً لهؤلاء ، يدّعون مرّة أنّ السماء والأرض وكلّ شيء يُطيعهم ، وأنّ اللّه لا يردّهم عن شيء من طلباتهم ثم يعترفون أُخرى بالعجز عن إصلاح خواصّ إخوانهم ، فاتّصل ذلك بالرجل صاحب القصّة ، فجاء إلى عليّ بن الحسين (عليهما السلام) فقال له : يا بن رسول اللّه بلغني عن فلان كذا وكذا ، وكان ذلك أغلظ عليّ من محنتي ، فقال عليّ بن الحسين (عليهما السلام): ((فقد أذن اللّه في فرجك، يا فلانة ، إحملي سحوري وفطوري)) فحملت قرصتين ، فقال عليّ بن الحسين للرجل: ((خذهما ، فليس عندنا غيرهما ، فانّ اللّه يكشف عنك بهما ، وينيلك خيراً واسعاً منهما)) فأخذهما الرجل ، ودخل السوق لا يدري ما يصنع بهما ، يتفكّر في ثقل دينه ، وسوء حال عياله ، ويُوسوس إليه الشيطان : أين موقع هاتين من حاجتك ؟ فمرّ بسمّاك قد بارت عليه سمكته ، وقد أراحت، فقال له : سمكتك هذه بائرة عليك، وإحدى قرصتيّ

هاتين بائرة عليّ ، فهل لك أن تُعطيني سمكتك البائرة وتأخذ قرصتي هذه البائرة ؟ فقال : نعم ، فأعطاه السمكة وأخذ القرصة ، ثم مرّ برجل معه ملح قليل مزهود فيه ، فقال له : هل لك أن تُعطيني ملحك هذا المزهود فيه بقرصتي هذه المزهود فيها ؟ قال : نعم ، ففعل ، فجاء بالسمكة والملح ، فقال : أصلح هذه بهذا ، فلمّا شقّ السمكة وجد فيها لؤلؤتين فاخرتين ، فحمد الله عليهما فبينما هو في سروره ذلك إذ قرع بابه فخرج ينظر من بالباب ، فاذا صاحب السمكة وصاحب الملح قد جاءا يقول كلّ واحد منهما له : يا عبد الله جهدنا أن نأكل نحن أو أحد من عيالنا هذا القرص فلم تعمل في أسناننا ، وما نظنّك إلا وقد تناهيت في سوء الحال ، ومرنت على الشقاء ، قد رددنا إليك هذا الخبز وطيّبنا لك ما أخذته منّا ، فأخذ القرصتين منهما ، فلمّا استقرّ بعد انصرافهما عنه قرع بابه ، فاذا رسول عليّ بن الحسين (عليهما السلام) ، فدخل فقال : إنّه يقول لك : ((إنّ الله قد أتاك بالفرج ، فاردد إلينا طعامنا فانّه لا يأكله غيرنا)) ، وباع الرجل اللؤلؤتين بمال عظيم قضى منه دينه وحسنت بعد ذلك حاله .

فقال بعض المخالفين : ما أشدّ هذا التفاوت ؟ بينا عليّ بن الحسين لا يقدر أن يسدّ منه فاقة ، إذ أغناه هذا الغناء العظيم ، كيف يكون هذا ؟ وكيف يعجز عن سدّ الفاقة من يقدر على هذا الغناء العظيم ؟ .

فقال عليّ بن الحسين (عليهما السلام) :

((هكذا قالت قريش للنبيّ (صلّى الله عليه وآله) : كيف يمضي إلى بيت المقدس ويُشاهد ما فيه من آثار الأنبياء من مكّة ويرجع إليها في ليلة واحدة من لا يقدر أن يبلغ من مكّة إلى المدينة إلا في إثني عشر يوماً ؟ وذلك حين هاجر منها)) ثم قال عليّ بن الحسين (عليه السلام) :

((جهلوا والله أمر الله وأمر أوليائه معه ، إنّ المراتب الرفيعة لا تُنال

إلا بالتسليم لله (جلّ ثناؤه) وترك الاقتراح عليه والرضا بما يدبّرهم به، أولياء الله صبروا على المحن والمكاره صبراً لم يُساوهم فيه غيرهم، فجازاهم الله (عزّ وجل) عن ذلك بأن أوجب لهم نجح جميع طلباتهم، لكنّهم مع ذلك لا يريدون إلا ما يُريده لهم)).

وفي العلل (ص ٢٢٠):

رأى الزهري عليّ بن الحسين (عليهما السلام) - ليلة باردة مطيرة - وعلى ظهره دقيق وحطب، وهو يمشي، فقال له: يا بن رسول الله ما هذا؟ قال: ((أُريد سفراً أعدّ له زاداً أحمله إلى موضع حريز)) فقال الزهري: فهذا غلامي يحمله عنك، فأبى، فقال: أنا أحمله عنك، فانّي أرفعك عن حمله، فقال عليّ بن الحسين: ((لكنّي لا أرفع نفسي عمّا ينجيني في سفري ويحسن ورودي عمّا أرد عليه، أسألك بحقّ الله لمّا مضيت بحاجتك وتركتني)) فانصرف عنه، فلمّا كان بعد أيّام قال له: يا بن رسول الله لستُ أرى لذلك السفر الذي ذكرته أثراً، قال: ((بلى يا زهري، ليس ما ظننته، ولكنّه الموت، وله كنت أستعدّ، إنّما الإستعداد للموت تجنّب الحرام وبذل الندى والخير)).

وعن بعض أصحابنا قال: لمّا وضع عليّ بن الحسين (عليهما السلام) على السرير ليُغسّل، نظر إلى ظهره وعليه مثل ركب الابل مما كان يحمل على ظهره إلى منازل الفقراء والمساكين.

وعن أبان بن تغلب قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام):

إنّي رأيت عليّ بن الحسين (عليهما السلام) إذا قام في الصلاة غشي لونه لون آخر، فقال لي:

((والله إنّ عليّ بن الحسين كان يعرف الذي يقوم بين يديه)).

وعن الإمام الباقر (عليه السلام) :

((إنّ أبي عليّ بن الحسين (عليهما السلام) ما ذكر نعمة لله (عزّ وجل) إلا سجد ، ولا قرأ آية من كتاب الله (عزّ وجل) فيها سجود إلا سجد ، ولا دفع الله (عزّ وجل) عنه سوءاً يخشاه أو كيد كائد إلا سجد، ولا فرغ من صلاة مفروضة إلا سجد ، ولا وفّق لإصلاح بين إثنين إلا سجد ، وكان أثر السجود في جميع مواضع سجوده ، فسُمّي : السجّاد لذلك))

وعنه (عليه السلام) :

((كان لأبي في موضع سجوده آثار ناتئة ، وكان يقطعها في السنة مرّتين ؛ في كلّ مرّة خمس ثفنات، فسُمّي : ذا الثفنات لذلك)) .

وفي الإختصاص (ص ٢٩٧) : باسناده عن حمران بن أعين عن أبي محمد عليّ بن الحسين (عليه السلام) قال :

((كان قاعداً في جماعة من أصحابه إذ جاءته ظبية ، فبصبصت عنده وضربت بيديها ، فقال أبو محمد (عليه السلام) : ((أتدرون ما تقول هذه الظبية؟ قال : تزعم أنّ فلان بن فلان ــ رجلاً من قريش ــ إصطاد خشفاً لها في هذا اليوم ، وأنّها جاءت أن أسأله أن يضع الخشف بين يديها فترضعه)) ثم قال أبو محمد لأصحابه : ((قوموا بنا)) ، فقاموا بأجمعهم فأتوه ، فخرج إليهم فقال : يا أبا محمد فداك أبي وأُمّي ، ما جاء بك ؟ فقال : ((أسألُك بحقّي عليك إلا أخرجت إليّ الخشف الذي إصطدّته اليوم ، فأخرجها فوضعها بين يدي أُمّها ، فقال عليّ بن الحسين (عليهما السلام) : ((أسألك يا فلان لما وهبت لنا هذا الخشف)) قال : قد فعلت، فأرسل الخشف مع الظبية ، فمضت الظبية فبصبصت وحرّكت ذنبها ، فقال عليّ بن الحسين : تدرون ما قالت الظبية ؟ قالوا : لا ، قال قالت: ردّ الله عليكم كلّ غائب لكم ، وغفر

لحليّ بن الحسين كما ردّ عليّ ولدي)) .

وفضائله ومناقبه (عليه السلام) ومعالي أُموره تكبر عن الاحصاء ، فلنكتف بهذا المقدار.

نبذة من حياة الامام الباقر (ع)

ثم الامام الخامس : باقر العلم وجامعه ، محمد بن عليّ بن الحسين (عليهم السلام) ، أبوه : زين العابدين ، وأمّه : أُمّ عبد الله فاطمة بنت الامام الحسن (عليه السلام) ، وتدعى : أُمّ الحسن أيضا ، فهو هاشميّ من هاشميين ، علويّ من علويين .

وكنيته : أبو جعفر ، وألقابه : باقر العلم ، والشاكر ، والهادي ، وأشهرها: الباقر ، سُمّي بذلك لتبقّره في العلم ، وهو توسّعه فيه .

وفي العلل (ص ٢٢٣) : باسناده عن عمرو بن شمر قال :

سألت جابر بن يزيد الجعفي ، فقلت له : لِمَ سُمّي الباقر باقراً ؟ قال : لأنّه بقر العلم بقراً ، أي شقّه شقاً وأظهره إظهاراً ، ولقد حدّثني جابر بن عبد الله الأنصاري أنّه سمع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول :

((يا جابر إنّك ستبقى حتى تلقى ولدي محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب المعروف في التوراة بباقر ، فاذا لقيته فاقرأه منّي السلام)) فلقيه جابر بن عبد الله الأنصاري في بعض سكك المدينة ، فقال له : يا غلام من أنت ؟ قال : أنا محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب قال له جابر : يا بُنيّ أقبل ، فأقبل ، ثم قال له : أدبر ، فأدبر ، فقال : شمائل رسول الله وربّ الكعبة ، ثم قال : يا بُنيّ رسول الله يقرؤك السلام ، فقال : على رسول الله السلام ما دامت السماوات والأرض ، وعليك يا جابر بما بلّغت السلام ، فقال له جابر : يا باقر ، يا باقر ، يا باقر ، أنت الباقر حقاً ، أنت الذي تبقر العلم بقراً ، ثم كان جابر يأتيه فيجلس بين يديه فيعلّمه ، وربّما غلط

جابر فيما يُحدّث به عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فيردّ عليه ويُذكّره، فيقبل ذلك منه ويرجع إلى قوله، وكان يقول: يا باقر، يا باقر، يا باقر، أشهد أنك قد أُوتيت الحكم صبيّاً.

وُلد (صلوات الله عليه) بالمدينة يوم الثلاثاء، وقيل: يوم الجمعة، غرّة رجب، وقيل: الثالث من صفر، وقُبض في شهر ربيع الأول، وقيل: في ربيع الآخر، وقيل: في ذي الحجّة، سنة أربع عشرة ومائة، وله من العمر: سبع وخمسون سنة، ودُفن بالبقيع من مدينة الرسول (صلّى الله عليه وآله) إلى جانب أبيه زين العابدين (عليه السلام) وعمّ أبيه الحسن (عليه السلام).

فعاش مع جدّه الحسين (عليه السلام) أربع سنين، ومع أبيه تسعاً وثلاثين سنة، وكانت مدّة إمامته ثماني عشرة سنة.

في مناقب ابن شهراشوب (ج ٤/ص ١٨٠):
قال أبو جعفر (عليه السلام):
((﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله﴾ (النساء/الآية ٥٤)؛ قال: نحن الناس، ونحن المحسودون، وفينا نزلت، وقال: إنّ الله أعطى المؤمن البدن الصحيح، واللسان الفصيح، والقلب الصريح، وكلّف كلّ عضو منها طاعة لذاته ولنبيّه وخُلفائه، فمن البدن: الخدمة له ولهم، ومن اللسان: الشهادة به وبهم، ومن القلب: الطمأنينة بذكره وبذكرهم، فمن شهد باللسان، واطمأنّ بالجنان، وعمل بالأركان أنزله الله الجنان)).

وقيل لأبي جعفر (عليه السلام): محمد بن مسلم وجع، فأرسل إليه بشراب مع الغلام، فقال الغلام: أمرني أن لا أرجع حتى تشربه، فاذا شربته فأته، ففكّر محمد فيما قال وهو لا يقدر على النهوض، فلمّا شربه واستقرّ

الشراب في جوفه صار كأنّما نشط من عقال ، فأتى بابه فاستأذن عليه ، فصوّت له : صحّ الجسم فادخل ، فدخل وسلّم عليه وهو باك ، وقبّل يده ورأسه ، فقال : ما يُبكيك يا محمد ؟ قال : اغترابي ، وبُعد المشقّة ، وقلّة المقدرة على المقام عندك والنظر إليك ، فقال : أمّا قلّة المقدرة فكذلك جعل الله أولياءنا وأهل مودّتنا ، وجعل البلاء إليهم سريعاً ، وأمّا ما ذكرت من الاغتراب فلك بأبي عبد الله أُسوة ، ناءٍ عنّا بالفرات (صلّى الله عليه) ، وأمّا ما ذكرت من بُعد المشقّة فانّ المؤمن في هذه الدار غريب ، وفي هذا الخلق منكوس ، حتى يخرج من هذه الدار إلى رحمة الله ، وأمّا ما ذكرت من حُبّك قربنا والنظر إلينا ، وأنّك لا تقدر على ذلك ، فلك ما في قلبك ، وجزاؤك عليه .

ولمّا كانت السنة التي حجّ فيها أبو جعفر محمد بن عليّ ، ولقيه هشام بن عبد الملك ، أقبل الناس ينثالون عليه ، فقال عكرمة : من هذا ؟ ؛ عليه سيماء العلم ، لأُجرّبنّه ، فلمّا مثل بين يديه إرتعدت فرائصه وأسقط ما في يده ، فقال : يا بن رسول الله لقد جلست مجالس كثيرة بين يدي إبن عبّاس وغيره ، فما أدركني ما أدركني آنفاً ؟ فقال له أبو جعفر (عليه السلام) :

((ويلك يا عبيد أهل الشام ، إنّك بين يدي بيوت أذن اللّه أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه)) .

وفي إرشاد المفيد باسناده إلى عبد الرحمٰن بن عبد الله الزهري قال : حجّ هشام بن عبد الملك ، فدخل المسجد الحرام متّكئاً على يد سالم مولاه ، ومحمد بن عليّ بن الحسين (عليهم السلام) جالس في المسجد ، فقال له سالم : يا أمير المؤمنين هذا محمد بن عليّ بن الحسين ، قال هشام : المفتون به أهل العراق ؟ قال : نعم ، قال : إذهب إليه فقل له : يقول لك أمير المؤمنين : ما الذي يأكل الناس ويشربون إلى أن يفصل بينهم يوم القيامة ؟

فقال له أبو جعفر (عليه السلام) : ((يحشر الناس على مثل قرص النقي فيها أنهار متفجّرة ، يأكلون ويشربون حتى يفرغ من الحساب)) ، قال : فرأى هشام أنه قد ظفر به فقال : الله أكبر ، إذهب إليه فقل له : يقول لك : ما أشغلهم عن الأكل والشرب يومئذٍ ؟ فقال له أبو جعفر (عليه السلام) : هم في النار أشغل ، ولم يشغلوا إلى أن قالوا : أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ، فسكت هشام لا يرجع كلاماً .

وجاءت الأخبار أنّ نافع بن الأزرق جاء إلى محمد بن عليّ (عليهما السلام) ، فجلس بين يديه يسأله عن مسائل في الحلال والحرام ، فقال له أبو جعفر في عرض كلامه : قل لهذه المارقة : بما استحللتم فراق أمير المؤمنين (عليه السلام) وقد سفكتم دماءكم بين يديه في طاعته والقربة إلى الله بنصرته؟ فسيقولون لك : إنّه حكم في دين الله ، فقل لهم : قد حكم الله في شريعة نبيّه (صلّى الله عليه وآله) رجلين من خلقه فقال : ﴿فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يُريدا إصلاحاً يُوفّق الله بينهما﴾ (النساء/ الآية ٣٥) ، وحكم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) سعد بن معاذ في بني قُريضة ، فحكم فيهم بما أمضاه الله ، أوما علمتم أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) إنّما أمر الحكمين أن يحكما بالقرآن ولا يتعدّياه ، واشترط ردّ ما خالف القرآن من أحكام الرجال ، وقال حين قالوا له : حكمت على نفسك من حكم عليك قال : ما حكمت مخلوقاً ، وإنّما حكمت كتاب الله ، فأين تجد المارقة تضليل من أمر بالحكم بالقرآن ، واشترط ردّ ما خالفه لولا ارتكابهم في تدعّيهم البُهتان؟ فقال نافع بن الأزرق : هذا والله كلام ما قرّ بسمعي قطّ ، ولا خطر منّي ببال ، وهو الحق إن شاء الله .

وروى العلماء : إنّ عمرو بن عبيد وفد على محمد بن عليّ بن الحسين (عليهما السلام) ليمتحنه بالسؤال ، فقال له : جُعلت فداك ما معنى قوله

تعالى: ﴿أو لم ير الذين كفروا أنّ السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما﴾ (الأنبياء/الآية ٣٠)، ما هذا الرتق والفتق؟ فقال له أبو جعفر (عليه السلام): ((كانت السماء رتقاً لا تنزل القطر، وكانت الأرض رتقاً لا تُخرج النبات)) فانقطع عمرو ولم يجد اعتراضاً، ومضى ثم عاد إليه فقال له: أخبرني ــ جُعلت فداك ــ عن قوله (عزّ وجل): ﴿ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾ (طٰه/الآية ٨١)، ما غضب الله (عزّ وجل)؟ فقال أبو جعفر (عليه السلام): ((غضب الله عقابه يا عمرو، ومن ظنّ أنّ الله يُغيّره شيء فقد كفر)).

وفي بصائر الدرجات (ص ٣٤٢):

عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر (عليه السلام) قال:

كنت عنده يوماً، إذ وقع عليه زوج ورشان، فهدرا، فردّ عليهما أبو جعفر كلاهما ساعة ثم نهضا، فلمّا صارا على الحائط هدل الذكر على الأُنثى ساعة ثم نهضا، فقلت: جُعلت فداك ما حال الطير؟ فقال:

((يا بن مسلم كلّ شيء خلقه الله من طير أو بهيمة أو شيء فيه روح هو أسمع لنا وأطوع من ابن آدم، إنّ هذا الورشان ظنّ بأنثاه ظنّ السوء، فحلفت له: ما فعلت، فقالت له: ترضى بمحمد بن عليّ؟ فرضيا بي، وأخبرته أنّه ظالم لها فصدّقها)).

وفيه (ص ٤٠٤): عن جابر عن أبي جعفر (عليه السلام) قال:

سألته عن قول الله (عزّ وجل): ﴿وكذلك نُري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض﴾ (الأنعام/الآية ٧٥)؟ قال: فكنت مطرقاً إلى الأرض، فرفع يده إلى فوق، ثم قال لي: إرفع رأسك، فرفعت رأسي، فنظرت إلى السقف قد إنفجر حتى خلص بصري إلى نور ساطع حار بصري دونه، قال: ثم قال لي: رأى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض هكذا، ثم قال لي: أطرق، فأطرقت، ثم

قال لي : إرفع رأسك ، فرفعت رأسي فاذا السقف على حاله ، قال : ثم أخذ بيدي ، وقام ، وأخرجني من البيت الذي كنت فيه وأدخلني بيتاً آخر ، فخلع ثيابه التي كانت عليه ، ولبس ثياباً غيرها ، ثم قال لي : غضّ بصرك ، فغضضت بصري ، وقال لي : لا تفتح عينك ، فلبثت ساعة ، ثم قال لي : أتدري أين أنت؟ قلت: لا ـ جُعلت فداك ـ فقال لي : أنت في الظلمة التي سلكها ذو القرنين فقلت له : جُعلت فداك أتأذن لي أن أفتح عيني؟ فقال لي : إفتح فانّك لا ترى شيئاً ، ففتحت عيني فاذا أنا في ظلمة لا أبصر فيها موضع قدميّ ، ثم سار قليلاً ووقف، فقال لي : هل تدري أين أنت ؟ قلت: لا ، قال : أنت واقف على عين الحياة التي شرب منها الخضر (عليه السلام) ، وخرجنا من ذلك العالم إلى عالم آخر، فسلكنا فيه ، فرأينا كهيئة عالمنا في بنائه ومساكنه وأهله ، ثم خرجنا إلى عالم ثالث، كهيئة الأول والثاني ، حتى وردنا خمسة عوالم ، قال : ثم قال : هذه ملكوت الأرض ، ولم يرها إبراهيم ، وإنّما رأى ملكوت السماوات وهي إثنا عشر كهيئة عالمنا كهيئة ما رأيت، كلّما مضى منّا إمام سكن أحد هذه العوالم ، حتى يكون آخرهم القائم في عالمنا الذي نحن ساكنوه ، ثم قال: غضّ بصرك ، فغضضت بصري ، ثم أخذ بيدي فاذا نحن بالبيت الذي خرجنا منه ، فنزع تلك الثياب ولبس الثياب التي كانت عليه ، وعُدنا إلى مجلسنا ، فقلت: جُعلت فداك كم مضى من النهار؟ قال (عليه السلام) : ثلاث ساعات.

وفي مناقب إبن شهراشوب (ج٤ / ص ١٨٥) :

انّه ركب أبو جعفر إلى حائط ،فسأله سلمان بن خالد : هل يعلم **الامام ما في يومه؟ فقال : ((يا سليمان والذي بعث محمداً بالنُبوّة واصطفاه بالرسالة إنّه ليعلم ما في يومه وما في شهرة وما في سنته)) ، ثم قال بعد هُنيئة : ((الساعة يستقبلك رجلان قد سرقا سرقة قد أضمرا عليها)) ، فاستقبلنا الرجلان ، فقال أبو جعفر : ((سرقتما)) ؟ فحلفا له بالله أنّهما ما سرقا ، فقال :**

((واللّه لئن أنتما لم تخرجا إليّ ما سرقتما لأبعثنّ إلى الموضع الذي وضعتما فيه سرقتكما ، ولأبعثنّ إلى صاحبكما الذي سرقتما منه حتى يجيء يأخذكما ويرفعكما إلى والي المدينة)) ، ثم أمر غلمانه أن يستوثقوا منهما ، قال : ((فانطلق أنت يا سليمان إلى ذلك الجبل ، فاصعد أنت وهؤلاء الغلمان فانّ في قُلّة الجبل كهفاً ، فادخل أنت فيه بنفسك حتى تستخرج ما فيه وتدفعه إلى مولاي هذا ، فانّ فيه سرقة لرجل آخر ، وسوف يأتي)) ،فانطلقت واستخرجت عيبتين وأتيت بهما أبا جعفر ، فرجعنا إلى المدينة وقد أخذ جماعة بالسرقة ، فقال أبو جعفر : ((إنّ هؤلاء برآء وليسوا هم بسرّاقة وسرّاقة عندي)) ، ثم قال للرجل : ((ما ذهب لك)) ؟ قال : عيبة فيها كذا وكذا ـ فادّعى ما ليس له ـ ، فقال أبو جعفر : ((لِمَ تكذب)) ؟ قال : أنت أعلم بما ذهب منّي ، فأمر له بالعيبة ، ثم قال للوالي : ((وعندي عيبة أُخرى لرجل ، وهو يأتيك إلى أيّام ، وهو رجل من بربر ، فاذا أتاك فأرشده إليّ فانّ عيبته عندي ، وأمّا هذان السارقان فلست ببارح حتى تقطعهما)) ، قال أحدهما : واللّه يا أبا جعفر لقد قطعتني بحق ، ثم جاء البربري بعد ثلاثة أيّام إلى الوالي ، فأرسله إلى أبي جعفر ، فقال له أبو جعفر : ((ألا أُخبرك بما في عيبتك)) ؟ قال البربري ـ وكان نصرانياً ـ : إن أخبرتني علمت أنّك إمام فرض اللّه طاعتك ، فقال أبو جعفر : ((ألف دينار لك ، وألف دينار لغيرك ، ومن الثياب كذا وكذا)) ، قال : فما إسم الرجل الذي له ألف دينار؟ قال: ((محمد بن عبد الرحمٰن ، وهو بالباب ينتظرك)) ، فقال البربري : آمنت باللّه وحده لا شريك له ، وبمحمد (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ، وأشهد أنّكم أهل بيت الرحمة الذين أذهب اللّه عنكم الرجس وطهّركم تطهيراً .

وفي أمالي الطوسي (ج ٢/ص ٢٤) : باسناده عن محمد بن سليمان عن أبيه قال :

كان رجل من أهل الشام يختلف إلى أبي جعفر (عليه السلام) يقول له : يا محمد ألا ترى أنّي إنّما أغشى مجلسك حبّاً منّي لك ؟ ولا أقول : إنّ في الأرض أحداً أبغض إليّ منكم أهل البيت، وأعلم أنّ طاعة اللّه وطاعة رسوله وطاعة أمير المؤمنين في بغضكم، ولكن أراك رجلاً فصيحاً ، لك أدب وحسن لفظ ، وإنّما الاختلاف إليك لحسن أدبك، وكان أبو جعفر يقول له خيراً ،أو يقول : ((لن تخفى على اللّه خافية)) ، فلم يلبث الشامي إلا قليلاً حتى مرض واشتدّ وجعه، فلمّا ثقل دعا وليّه وقال له : إذا أنت مددت عليّ الثوب في النعش فأت محمداً إبن عليّ وأعلمه : إنّي أنا الذي أمرتك بذلك، قال : فلمّا أن كان في نصف الليل ظنّوا أنّه قد برد وسجّوه، فلمّا أن أصبح الناس خرج وليّه إلى المسجد ، فلمّا أن صلّى محمد بن عليّ (عليهما السلام) وتورّك ــ وكان إذا صلّى عقّب في مجلسه ــ قال له : يا أبا جعفر إنّ فلاناً الشامي قد هلك، وهو يسألك أن تُصلّي عليه، فقال أبو جعفر : ((كلاّ ، إنّ بلاد الشام بلاد برد ، وبلاد الحجاز بلاد حرّ، ولحمها شديد ، فانطلق ولا تعجلنّ على صاحبك حتى آتيكم)) ، ثم قام من مجلسه فأخذ وضوءاً ثم عاد فصلّى ركعتين، ثم مدّ يده تلقاء وجهه ماشاء اللّه، ثم خرّ ساجداً حتى طلعت الشمس، ثم نهض فانتهى إلى منزل الشامي فدخل عليه، فدعاه فأجابه، ثم أجلسه فسنّده، ودعا له بسويق فسقاه، فقال لأهله : ((إملأوا جوفه وبرّدوا صدره بالطعام والماء البارد)) ، ثم انصرف، فلم يلبث إلا قليلاً حتى عُوفي الشامي، وأتى أبا جعفر (عليه السلام) فقال : أخلني ، فأخلاه، فقال : أشهد أنّك حجّة اللّه على خلقه، وبابه الذي يُؤتى منه، فمن أتى من غيرك خاب وخسر وضلّ ضلالاً بعيداً .

فقال له أبو جعفر : ((وما بدا لك)) ؟ قال : أشهد أنّي عهدت بروحي وعاينت بعيني، فلم يتفاجأني إلا ومنادٍ ينادي ــ أسمعه بأُذني ــ ينادي وما

أنا بالنائم : ردّوا عليه روحه ، فقد سألنا محمد بن عليّ ذلك ، فقال له أبو جعفر : ((أما علمت أنّ اللّه يبغض العبد ويُحبّ عمله ، ويُحبّ العبد ويبغض عمله)) ، قال : فصار بعد ذلك من أصحاب أبي جعفر (عليه السلام) .

وفي دلائل الطبري (ص٩٧) :

عن عبد الرحمٰن بن كُثير عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال :

((نزل أبو جعفر بواد فضرب خباء ، ثم خرج يمشي حتى انتهى إلى نخلة يابسة ، فحمد اللّه تعالى ، وتكلّم بكلام لم أسمع مثله ، ثم قال : أيّها النخلة أطعمينا مما جعله اللّه (جلّ ذكره) فيك ، فتساقط رطب أحمر وأصفر ، فأكل وأكل معه أبو أُميّه الأنصاري ، فقال : يا أبا أُميّة هذه الآية فينا كالآية في مريم ، إذ هزّت إليها بالنخلة فتساقط عليها رطب جنيّ)) .

وعنه (عليه السلام) قال :

((كان أبو جعفر الباقر في طريق مكّة ، ومعه أبو أُميّة الأنصاري ــ وهو زميله في محمله ــ فنظر إلى زوج ورشان في جانب المحمل معه ، فرفع أبو أُميّة يده لينحّيه ، فقال له أبو جعفر : ((مهلاً ، فانّ هذا الطير جاء يستجير بنا أهل البيت ، لأنّ حيّة تُؤذيه وتأكل فراخه كلّ سنة ، وقد دعوت اللّه أن يدفعها عنه وقد فعل)) .

وعن محمد بن مسلم قال :

كنت مع أبي جعفر (عليه السلام) ، فبينا نحن نسير بين مكّة والمدينة ــ وأنا على حمار وهو على بغلة ــ إذ أقبل ذئب من رأس الجبل حتى انتهى إليه ، فحبس له البغلة فدنا منه حتى وضع يده على قربوس السرج ومدّ عنقه إليه ، فأدنى أبو جعفر أُذنه منه ، ثم قال له : ((إمض فقد فعلت)) ، فرجع مهرولاً ، فقلت: جعلت فداك ما هذا؟ فقد رأيت عجباً ، فقال (عليه

السلام) : ((هذا الذئب ذكر لي أنّ زوجته في هذا الجبل قد عسر عليها ولادها ، وسألني أن أدعو الله ليخلّصها ، ولا يُسلّط شيئاً من نسلها على شيعتنا ، فقلت له: قد فعلت)) . وهذا قليل من كثير من مناقبه(عليه السلام)

نُبْذَةٌ مِنْ حَيَاةِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ (ع)

ثم الإمام السادس : وهو الإمام جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب(عليهم السلام) ، وكنيته : أبو عبد الله ، ولقبه :الصادق.

ففي العلل (ص ٢٢٥) : باسناده عن أبي حمزة ثابت بن دينار الثمالي ، عن عليّ بن الحسين عن أبيه عن جدّه(عليهم السلام) قال :

((قال رسول الله(صلّى الله عليه وآله) : ״إذا وُلد إبني جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب فسمّوه الصادق ״، فانه سيكون في ولده سميّ له يدّعي الامامة بغير حقّها ، ويُسمّى كذّاباً״)) .

وعن سليمان بن داود المنقري قال :

كان حفص بن غياث إذا حدّثنا عن جعفر بن محمد قال :

حدّثني خير الجعافر جعفر بن محمد (عليه السلام) .

وعنه قال : كان إبن غراب إذا حدّثنا عن جعفر بن محمد يقول :

حدّثني الصادق عن الله جعفر بن محمد (عليه السلام) .

وقال أبو أحمد محمد بن زياد الأزدي :

سمعت مالك بن أنس فقيه المدينة يقول :

كنت أدخل إلى الصادق جعفر بن محمد (عليهما السلام) فيقدّم لي مخدّة ويعرف لي قدراً ، ويقول : ((يا مالك إنّي أُحبّك)) ، فكنت أُسرّ بذلك ،

وأحمد اللّه(عزّ وجل) عليه ، قال : وكان(عليه السلام) لا يخلو من إحدى ثلاث خصال : إمّا صائماً ، وإمّا قائماً ، وإمّا ذاكراً ، وكان من عظماء العباد وأكابر الزُهّاد الذين يخشون اللّه(عزّ وجل) ، وكان كثير الحديث، طيّب المجالسة ، كثير الفوائد ، فاذا قال : ((قال رسول اللّه(صلّى اللّه عليه وآله) إخضرّ مرّة واصفرّ أُخرى حتى ينكره من يعرفه ، ولقد حججت معه سنة ، فلمّا استوت به راحلته عند الاحرام كان كلّما همّ بالتلبية إنقطع الصوت في حلقه ، وكاد أن يخرّ عن راحلته ، فقلت: قل يا بن رسول اللّه ، ولا بدّ لك من أن تقول ، فقال : ((يا بن أبي عامر كيف أجسر أن أقول : لبّيك اللهم لبّيك ، وأخشى أن يقول(عزّ وجل) لي : لا لبّيك ولا سعديك)) .

ولد (صلوات اللّه عليه) يوم الجمعة ، وقيل : الاثنين سابع عشر ربيع الأول سنة ثمانين من الهجرة .

وفي أعلام الورى (ص ٢٢٦) :

ولد بالمدينة لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين من الهجرة ، ومضى في النصف من رجب، ويُقال : في شوال سنة ثمان وأربعين ومائة ، وله خمس وستّون سنة .

وأُمّه : أُمّ فروة ، قيل : إسمها فاطمة وكنيتها أُمّ فروة ، وهي بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر ، وأُمّها أسماء بنت عبد الرحمٰن بن أبي بكر ، وكان(عليه السلام) يقول : ((ولدني أبو بكر مرّتين)) .

أقام(عليه السلام) مع جدّه عليّ بن الحسين إثني عشرة سنة ، ومع أبيه الباقر إحدى وثلاثين سنة ، وكانت مدّة إمامته أربعاً وثلاثين سنة ، وقد نقل عنه الناس ــ على اختلاف مذاهبهم ودياناتهم ــ من العلوم ما سارت به

الركبان ، وانتشر ذكره في البلدان ، وقد جمع أسماء الرواة عنه فكانوا أربعة آلاف رجل .

وفي معاني الأخبار (ص ٦٥) :
سُمّي الصادق صادقاً ليتميّز من المدّعي للامامة بغير حقّها ، وهو جعفر بن عليّ إمام الفطحيّة الثانية .

وفي البحار (ج٤٧ /ص٩) : عن الخرائج :
روي عن أبي خالد أنّه قال :
قلت لعليّ بن الحسين (عليهما السلام) : من الإمام بعدك ؟ قال : ((محمد إبني يبقر العلم بقراً ، ومن بعد محمد جعفر، إسمه عند أهل السماء : الصادق)) ، قلت: كيف صار إسمه الصادق ؟ وكلّكم الصادقون؟ فقال : ((حدّثني أبي عن أبيه أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال : إذا ولد إبني جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب فسمّوه : الصادق ، فانّ الخامس من ولده الذي إسمه جعفر يدّعي الإمامة إجتراء على الله ، وكذباً عليه ، فهو عند الله جعفر الكذّاب، المفتري على الله)) ، ثم بكى عليّ بن الحسين (عليهما السلام) فقال : ((كأنّي بجعفر الكذّاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر وليّ الله ، والمغيّب في حفظ الله)) ، فكان كما ذكر .

ومن ألقابه أيضاً : الفاضل ، والطاهر ، والقائم ، والكافل ، والمنجي ، وإليه تُنسب الشيعة فيقال : الجعفريّة .

وفي الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي :
حدّث عبد الله بن الفضل بن الربيع قال :

حجّ المنصور في سنة سبع وأربعين ومائة ، ولمّا قدم المدينة قال للربيع : إبعث إلى جعفر بن محمد من يأتينا به سعياً (متعباًج ل) ، قتلني الله إن لم أقتله ، فتغافل عنه الربيع وناساه ، فأعاد عليه في اليوم الثاني وأغلظ له في القول ، فأرسل إليه الربيع ، فلمّا حضر قال له الربيع : يا أبا عبد الله أذكر الله تعالى ، فانّه قد أرسل إليك من لا دافع له إلا الله ، وإنّي أتخوّف عليك ، فقال جعفر : لا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم ، ثم إنّ الربيع دخل به على المنصور ، فلمّا رآه المنصور أغلظ له بالقول ، فقال : يا عدوّ الله إتّخذك أهل العراق إماماً يجبون إليك زكاة أموالهم؟ تلحد في سلطاني ، وتتبع إلى الغوائل؟ قتلني الله إن لم أقتلك ، فقال جعفر : ((يا أمير المؤمنين ؛ إنّ سليمان أُعطي فشكر ، وإنّ أيّوب ابتُلي فصبر ، وإنّ يوسف ظلم فغفر ، فهؤلاء أنبياء الله ، وإليهم يرجع نسبك ، ولك فيهم أُسوة حسنة)) ، فقال المنصور : أجل ، لقد صدقت يا أبا عبد الله ، إرتفع إلى هٰهنا عندي ثم قال : يا أبا عبد الله إنّ فلان الفلاني أخبرني عنك بما قلت لك ، فقال : أحضره يا أمير المؤمنين ليوافقني على ذلك ، فأُحضر الرجل الذي سعى به إلى المنصور ، فقال له المنصور : أحقاً ما حكيت لي عن جعفر؟ فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال جعفر : فاستحلفه على ذلك ، فبدر الرجل وقال : والله العظيم الذي لا إلٰه إلا هو عالم الغيب والشهادة الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يُولد ولم يكن له كفواً أحد ، وأخذ يعدد في صفات الله ، فقال جعفر : ((يا أمير المؤمنين يحلف بما إستحلفه به ويترك يمينه هذا)) ؟ ، فقال المنصور : حلّفه بما تختار ، فقال جعفر (عليه السلام) : ((قل : برئت من حول الله وقوّته والتجأت إلى حولي لقد فعل كذا وكذا)) ، فامتنع الرجل ، فنظر إليه المنصور منكراً ، فحلف بها ، فما كان بأسرع من أن ضرب برجله الأرض وقضى ميّتاً مكانه في المجلس ، فقال المنصور : جرّوا برجله وأخرجوه

لعنة الله، ثم قال: لا عليك يا أبا عبد الله، أنت بريء الساحة، السليم الناحية، المأمون الغائلة، عليّ بالطيب والغالية، فأتوا بالغالية فجعل يغلّف بها لحيته إلى أن تركها تقطر، وقال: في حفظ الله وكلاءته، وألحقه الربيع بجوائز حسنة وكسوة سنيّة، قال الربيع: فلحقته بذلك ثم قلت له: يا أبا عبد الله إنّي رأيت قبلك ما لم تره أنت، ورأيت بعد ذلك ما رأيت، ورأيتك تحرّك شفتيك، وكلّما حرّكتهما سكن الغضب، بأيّ شيء كنت تحرّكهما؟ جُعلت فداك، قال: ((بدعاء جدّي الحسين (عليه السلام))، قلت: وما هو يا سيّدي؟ قال: ((قلت: اللهم يا عدّتي عند شدّتي، يا غوثي عند كربتي، أحرسني بعينك التي لا تنام، وأكفني بركنك الذي لا يُرام، وأرحمني بقدرتك عليّ، فلا أهلك وأنت رجائي، اللهم إنّك أكبر وأجلّ وأقدر مما أخاف وأحذر، اللهم بك أدرأ في نحره، وأستعيذ بك من شرّه، إنّك على كلّ شيء قدير، قال الربيع: فما نزلت بي شدّة قطّ ودعوت به إلا فرّج الله عنّي، قال الربيع: وقلت لأبي عبد الله: لِمَ مَنعت الساعي بك إلى المنصور من أن يحلف يمينه، وأحلفته أنت تلك اليمين، فما كان إلا أخذ لوقته، ما معناك فيه؟ قال: ((لأنّ في يمينه التي أراد أن يحلف بها توحيداً لله وتمجيده وتنزيهه، فقلت: يحلم عليه ويُؤخّر عنه العقوبة، وأحببت تعجيلها، فاستحلفته بما سمعت فأخذه الله لوقته)).

وروي أنّ داود بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس قتل المعلّى بن خنيس ـ مولى كان لجعفر الصادق (عليه السلام) ـ فأخذ ماله، فبلغ ذلك جعفراً، فدخل إلى داره ولم يزل ليله كلّه قائماً إلى الصباح، ولمّا كان وقت السحر سمع منه وهو يقول في مناجاته: يا ذا القوّة القويّة، ويا ذا المحال الشديد، ويا ذا العزّة التي كلّ خلقك لها ذليل، إكفنا هذا الطاغية وانتقم لنا منه، فما كان إلا أن ارتفعت الأصوات بالصراخ والعويل، وقيل: مات

داود بن عليّ فجأة.

ولمّا بلغ جعفر الصادق (عليه السلام) قول الحكم بن عبّاس الكلبي:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة
ولم نر مهدياً على الجذع يُصلب

فرفع جعفر يديه إلى السماء وهما يرتعشان فقال: ((اللهم سلّط على الحكم بن العبّاس الكلبي كلباً من كلابك))، فبعثه بنو أُميّة إلى الكوفة فافترسه الأسد في الطريق، واتّصل ذلك بالصادق فخرّ ساجداً وقال: ((الحمد لله الذي أنجزنا ما وعدنا)).

وفي بصائر الدرجات (ص ٤٩٢): عن عليّ بن ميسر قال:

لمّا قدم أبو عبد الله (عليه السلام) على أبي جعفر أقام أبو جعفر مولى له على رأسه وقال له: إذا دخل عليّ فاضرب عنقه، فلمّا دخل أبو عبد الله (عليه السلام) نظر إلى أبي جعفر وأسرّ شيئاً بينه وبين نفسه لا يدرى ما هو؟ ثم أظهر: ((يا من يكفي خلقه كلّهم، ولا يكفيه أحد، إكفني شرّ عبد الله بن عليّ، فصار أبو جعفر لا يبصر مولاه ولا يبصره، قال: فقال أبو جعفر: يا جعفر بن محمد، لقد أتعبتك في هذا الحرّ، فانصرف، فخرج أبو عبد الله من عنده، فقال أبو جعفر لمولاه: ما منعك أن تفعل ما أمرتك به؟ قال: لا والله ما أبصرته، ولقد جاء شيء حال بيني وبينه، قال أبو جعفر: والله لئن حدّثت بهذا الحديث لأقتلنّك.

وفي أمالي الطوسي (ص ١١٣): سدير الصيرفي قال:

رأيت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فيما يرى النائم، وبين يديه طبق مغطّى بمنديل، فدنوت منه وسلّمت عليه، فردّ السلام وكشف المنديل عن الطبق، فاذا فيه رطب، فجعل يأكل منه، فدنوت منه فقلت: يا رسول الله

ناولني رطبة ، فناولني واحدة ، فأكلتها ، ثم قلت: يا رسول الله ناولني أُخرى ، فناولنيها ، فأكلتها ، وجعلت كلّما أكلت واحدة سألته أُخرى ، حتى أعطاني ثماني رطبات، فأكلتها ، ثم طلبت منه أُخرى فقال لي : ((حسبك)) .

قال : فانتبهت من منامي ، فلمّا كان من الغد دخلت على جعفر بن محمد الصادق(عليهما السلام) ، وبين يديه طبق مغطّى بمنديل ، كأنّه الذي رأيته في المنام بين يدي رسول الله(صلّى الله عليه وآله) ، فسلّمت عليه ، فردّ عليّ السلام ، ثم كشف عن الطبق فاذا فيه رطب، فجعل يأكل منه فعجبت لذلك ، وقلت: جُعلت فداك، ناولني رطبة ، فناولني فأكلتها ، ثم طلبت أُخرى ، فناولني فأكلتها ، وطلبت أُخرى ، حتى أكلت ثماني رطبات، ثم طلبت منه أُخرى فقال لي : لو زادك جدّي رسول الله(صلّى الله عليه وآله) لزدتك ، فأخبرته الخبر ، فتبسّم تبسّم عارف بما كان .

وفي دلائل الطبري(ص١٢٨) : عن أبي خالد الكابلي قال :

دخلت على أبي عبد الله فقال لي : ((يا أبا خالد خذ رقعتي فأت غيضة ـ قد سمّاها ـ فانشرها ، فأيّ سبع جاء معك فجئني به)) ، قال : فقلت: أعفني من ذلك جُعلت فداك، قال : فقال لي : ((إذهب يا أبا خالد)) ، قال : فقلت في نفسي : يا أبا خالد لو أمرك جبّار عنيد ثم خالفته إذن كيف كان يكون حالك ؟ قال : ففعلت ذلك حتى صرت إلى الغيضة ونشرت الرقعة جاء معي واحد منها ، فلمّا صار بين يدي أبي عبد الله ، نظرت إليه واقفاً ما يتحرّك من شعرة شعرة ، فأومأ بكلام لم أفهمه ، قال : فلبثت عنده وأنا متعجّب من سكون السبع بين يديه ، قال : فقال لي : ((يا أبا خالد مالك تفكّر)) ؟ قال : قلت: أفكّر في إعظام السبع ، قال : ثم مضى السبع فما لبثت إلا وقتاً حتى طلع السبع ومعه كيس في فيه ، قال : قلت: جُعلت فداك إنّ هذا الشيء عجيب ؟ قال:((يا أبا خالد هذا كيس وجّه به إليّ

فلان بن فلان مع المفضّل بن عمر)) ، واحتجبت إلى ما فيه وكان الطريق مخوفاً ، فبعث بهذا السبع فجاء به ، فقلت في نفسي : والله لا أبرح حتى يقدم المفضّل بن عمر وأعلم ذلك ، قال : فضحك أبو عبد الله ، ثم قال لي : ((نعم يا أبا خالد ، لا تبرح حتى يأتي المفضّل)) ، قال : فتداخلني من ذلك حيرة ، ثم قال : قلت: أقلني جُعلت فداك ، وأقمت أيّاماً ، ثم قدم المفضّل ، وبعث إليّ أبو عبد الله ، فقال المفضّل : جعلني الله فداك ، إنّ فلاناً بعث معي كيساً فيه مال ، فلمّا صرت في موضع كذا وكذا جاء سبع وحال بيننا وبين رحالنا ، فلمّا مضى السبع طلبت الكيس في الرحل فلم أجده ، قال أبو عبد الله : ((يا مفضّل ، أتعرف الكيس ؟)) قال : نعم ، جعلني الله فداك ، فقال أبو عبد الله : ((يا جارية هاتي الكيس)) ، فأتت به الجارية ، فلمّا نظر إليه المفضّل قال : نعم ، هذا هو الكيس ، ثم قال : ((يامفضّل تعرف السبع؟)) قال : جعلني الله فداك كان في قلبي في ذلك الوقت رعب ، فقال (عليه السلام) : ((أُدن منّي)) ، فدنا منه ، ثم وضع يده عليه ، ثم قال لأبي خالد: ((إمض برقعتي إلى الغيضة فائتنا بالسبع)) ، فلمّا صرت إلى الغيضة ففعلت مثل الفعل الأول ، فجاء السبع فلمّا صار بين يدي أبي عبد الله ، نظرت إلى إعظامه إيّاه ، فاستغفرت في نفسي ، ثم قال : ((يا مفضّل هذا هو)) ، قال : نعم جعلني الله فداك ، فقال : ((يا مفضّل أبشر فأنت معنا)) .

وعن يونس بن ظبيان ، ومفضّل بن عمر ، وأبي سلمة السرّاج ، والحسين بن ثوير بن أبي فاختة ، قالوا : كنّا عند أبي عبد الله فقال :

((إنّ عندنا خزائن الأرض ومفاتيحها ، ولو شئت أن أقول باحدى رجلي : أخرجي ما فيك من اللجين والعقيان)) ، قال : فقال باحدى رجليه فخطّها في الأرض خطّاً فانفجرت الأرض ، ثم قال بيده ، فأخرج سبيكة ذهب قدر شبر ، فناولها ، ثم قال : ((أُنظروا في الأرض)) ، فاذا سبائك بعضها

على بعض ، تتلألأ ، فقال بعضنا : جُعلت فداك أعطيتم ما أعطيتم وشيعتكم محتاجون ؟ فقال : ((إنّ الله (عزّ وجل) سيجمع لنا ولشيعتنا الدنيا والآخرة ، ويُدخلهم جنّات النعيم ، ويُدخل عدوّنا الجحيم)) .

وفي الكافي (ج ١/ ص ٤٤١) : عن المفضّل قال :
قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : كيف كنتم حيث كنتم في الأظلّة ؟
فقال :
((يا مفضّل كنّا عند ربّنا ليس عنده أحد غيرنا ، في ظلّة خضراء ، نُسبّحه ونُقدّسه ، ونُهلله ونُمجّده ، وما من ملك مُقرّب ولا ذي روح غيرنا حتى بدا له في خلق الأشياء ، فخلق ما شاء كيف شاء من الملائكة وغيرهم ، ثم أنهى علم ذلك إلينا)) .

وفيه (ص ٢٣٣) : قال (عليه السلام) :
((وإنّ عندي لسيف رسول الله (ص) ، وإنّ عندي لراية رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ودرعه ومغفره ، وإنّ عندي لراية رسول الله (صلّى الله عليه وآله) المغلبة ، وإنّ عندي ألواح موسى وعصاه ، وإنّ عندي لخاتم سليمان بن داود ، وإنّ عندي الطست الذي كان موسى يُقرّب به القربان ، وإنّ عندي الإسم الذي كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إذا وضعه بين المسلمين والمشركين لم يصل إلى المسلمين نشابة ، وإنّ عندي لمثل الذي جاءت به الملائكة .
ومثل السلاح فينا كمثل التابوت في بني إسرائيل ، في أيّ أهل بيت وجد التابوت على أبوابهم أُورثوا النبوّة ، ومن صار إليه السلاح منّا أُوتي الإمامة ، ولقد لبس أبي درع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فخطت على الأرض خطيطاً ، ولبستها أنا فكانت وكانت ، وقائمنا إذا

من إذا لبسها ملأها إن شاء الله)) .

وفيه (ص ٢٣٩) : عن أبي بصير قال :

دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) فقلت له :

جُعلت فداك إنّي أسألك عن مسألة؟ هٰهنا أحد يسمع كلامي ؟ قال : فرفع أبو عبد الله (عليه السلام) ستراً بينه وبين بيت آخر فاطّلع فيه ثم قال : ((يا أبا محمد سل عمّا بدا لك)) ، قال : قلت: جُعلت فداك إن شيعتك يتحدّثون : إنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) علّم علياً (عليه السلام) باباً من العلم يُفتح له منه ألف باب ؟ قال : فقال : ((يا أبا محمد علّم رسول الله علياً (عليه السلام) ألف باب يُفتح من كلّ باب ألف باب)) ، قال : قلت: هذا والله العلم ، قال : فنكت في الأرض ساعة ثم قال : ((إنّه لعلم وما هو بذاك)) .

ثم قال : ((يا أبا محمد ، وإنّ عندنا الجامعة)) ، قال : قلت: جعلت فداك وما الجامعة؟ قال : ((صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وإملائه من فلق فيه وخطّ عليّ (عليه السلام) بيمينه ، فيها كلّ حلال وحرام ، وكلّ شيء يحتاج الناس إليه حتى الأرش في الخدش)) ، وضرب بيده إليّ فقال : ((تأذن لي يا أبا محمد)) ؟ قال : قلت: إنّما أنا لك ، فاصنع ما شئت، قال : فغمزني بيده وقال : ((حتى أرش هذا)) ـ كأنه مغضب ـ قال قلت: هذا والله العلم ، قال : ((إنّه لعلم وليس بذاك)) .

ثم سكت ساعة ، ثم قال : ((وإنّ عندنا الجفر ، وما يُدريهم ما الجفر))؟ قال : قلت: وما الجفر؟ قال : ((وعاء من أدم فيه علم النبيين والوصيين ، وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل)) ، قال : قلت: إنّ هذا هو العلم ، قال : ((إنّه لعلم وليس بذاك)) .

ثم سكت ساعة ، ثم قال : ((وإنّ عندنا لمصحف فاطمة (عليها السلام) وما يُدريهم ما مصحف فاطمة (عليها السلام))) ؟ قال : قلت: وما مصحف فاطمة

(عليها السلام) ؟ قال : ((مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرّات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد)) ، قال : قلت: هذا والله العلم، قال : ((إنّه لعلم وليس بذاك)) ٠

ثم سكت ساعة ثم قال : ((إنّ عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة)) ، قال : قلت: جُعلت فداك هذا والله العلم؟ قال : ((إنّه لعلم وليس بذاك)) ، قال : قلت: جُعلت فداك فأيّ شيء العلم؟ قال : ((ما يحدث بالليل والنهار، الأمر بعد الأمر، والشيئ بعد الشيء إلى يوم القيامة)) ٠

وفي اختيار الرجال للكشي (ص ٢٦٤) : عن داود الرقي قال :

دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) فقلت له : جُعلت فداك كم عدّة الطهارة؟ فقال : ((ما أوجبه الله فواحدة ، وأضاف إليها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) واحدة لضعف الناس ، ومن توضّأ ثلاثة لا صلاة له)) ، أنا معه حتى جاء داود بن زربي وأخذ زاوية من البيت، فسأله عمّا سألته في عدّة الطهارة ؟ فقال له : ((ثلاثاً ، ثلاثاً ، من نقص عنه فلا صلاة له)) ، قال : فارتعدت فرائصي ، وكاد أن يدخلني الشيطان ، فأبصر أبو عبد الله إليّ وقد تغيّر لوني ، فقال : ((أمسك يا داود ، هذا هو الكفر أو ضرب الأعناق)) ، قال : فخرجنا من عنده ، وكان ابن زربي إلى جوار بستان أبي جعفر المنصور، وكان قد أُلقي إلى أبي جعفر أمر داود بن زربي ، وأنّه رافضي يختلف إلى جعفر بن محمد ، فقال أبو جعفر المنصور : إنّي مطّلع على طهارته ، فان هو توضّأ وضوء جعفر بن محمد ـ فانّي لأعرف طهارته ـ حققت عليه القول وقتلته فاطّلع وداود يتهيّأ للصلاة من حيث لا يراه ، فأسبغ داود الوضوء ثلاثاً ، كما أمره أبو عبد الله (عليه السلام) ، فما تمّ وضوؤه حتى بعث إليه أبو جعفر المنصور فدعاه ، فقال داود : فلمّا أن دخلت عليه رحّب بي وقال : يا داود

قيل فيك شيء باطل وما أنت كذلك، قال: قد إطّلعت على طهارتك، وليس طهارتك طهارة الرافضة، فاجعلني في حلّ، فأمر له بمائة ألف درهم، قال: فقال داود الرقي: إلتقيت أنا وداود بن زربي عند أبي عبد الله(عليه السلام)، فقال له داود بن زربي: جعلني الله فداك حقنت دمائنا في دار الدنيا، ونرجو أن ندخل بيمنك وبركتك الجنّة، فقال أبو عبد الله(عليه السلام): ((فعل الله ذلك بك وباخوانك من جميع المؤمنين))، فقال أبو عبد الله(عليه السلام) لداود بن زربي: ((حدّث داود الرقي بما مرّ عليكم حتى تسكن روعته))، قال: فحدّثه بالأمر كلّه، قال: فقال أبو عبد الله(عليه السلام): ((لهذا أفتيته، لأنّه كان أشرف على القتل من يد هذا العدوّ)) ثم قال: ((يا داود بن زربي توضّأ مثنّى مثنّى ولا تزد عليه، فانّك إن زدت عليه فلا صلاة لك)).

ولقد أثر عنه(صلوات الله وسلامه عليه) من مختلف العلوم والفنون والحكم والأخلاق والمناقب ما ملأ الطوامير والدساتر، فلا تكاد تجد كتاباً يخلو من شيء من كلامه، ولا يمكن إحصاء كلّ ما ورد عنه(عليه السلام).

ومما نُسب إليه(عليه السلام):

في الأصل كنّا نجوماً يُستضاء بنا
وللبريّة نحن اليوم برهان
نحن البحور التي فيها لغائصكم
درّ ثمين وياقوت ومرجان
مساكن القدس والفردوس نملكها
ونحن للقدس والفردوس خزّان
من حاد عنّا فبرهوت مساكنه
ومن أتانا فجنّات وولدان

وعن زيد بن عليّ :

((في كلّ زمان رجل منّا ـ أهل البيت ـ يحتجّ اللّه به على خلقه، وحجّة زماننا ابن أخي جعفر، لا يضلّ من تبعه، ولا يهتدي من خالفه)) .

وقيل : إنّ عبد اللّه بن المبارك إستقبله فقال :

أنت يا جعفر فوق الـ ـمدح والمدح عناء

إنّما الأشراف أرض ولهم أنت سماء

جاز حدّ المدح من قد ولدته الأنبياء

نُبْذَةٌ مِن حَياةِ الأمامِ الكاظِم ع

ثم الإمام السابع :

وهو الإمام موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام) .

وأُمّه : حميدة البربريّة أخت صالح البربري، وكانت تُكنّى : أُمّ ولد، وسمّاها الإمام الصادق (عليه السلام) : ((المصفّاة)) .

في الكافي (ج ١/ص ٤٧٦) :

إنّ إبن عكاشة الأسدي قال للامام الباقر (عليه السلام) : لأيّ شيء لا تزوّج أبا عبد اللّه؟ فقد أدرك التزويج، قال : وبين يديه صرّة مختومة، فقال : ((أما أنّه سيجيء نخّاس من أهل بربر، فينزل دار ميمون، فنشتري له بهذه الصرّة جارية)) قال : فأتى لذلك ما أتى، فدخلنا يوماً على أبي جعفر (عليه السلام)، فقال : ((ألا أخبركم عن النخّاس الذي ذكرته لكم؟ ؛ قد قدم، فاذهبوا فاشتروا منه بهذه الصرّة جارية)) ، قال : فأتينا النخّاس، فقال : قد بعت ما كان عندي إلا جاريتين مريضتين ؛ إحداهما أمثل من الأُخرى، قلنا : فأخرجهما حتى ننظر إليهما ، فأخرجهما ، فقلنا : بكم تبيعنا هذه المتماثلة؟ قال : بسبعين ديناراً ، قلنا : أحسن؟ قال : لا أنقص من سبعين ديناراً ، قلنا له :

نشتريها منك بهذه الصرّة ما بلغت، ولا ندري ما فيها ، وكان عنده رجل أبيض الرأس واللحية قال : فكّوا وزنوا ، فقال النخّاس : لا تفكّوا؟ فانّها إن نقصت حبّة من سبعين ديناراً لم أُبايعكم ، فقال الشيخ : أُدنوا ، فدنونا وفككنا الخاتم ، ووزنّا الدنانير ، فاذا هي سبعون ديناراً لا تزيد ولا تنقص ، فأخذنا الجارية فأدخلناها على أبي جعفر (عليه السلام) ، وجعفر قائم عنده فأخبرنا أبا جعفر بما كان ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال لها : ما اسمك ؟ قالت : حميدة ، قال : ((حميدة في الدنيا ، محمودة في الآخرة ، خبّريني عنك أبِكْر أنت أم ثيّب ؟)) قالت : بِكْر ، قال : وكيف ؟ ولا يقع في أيدي النخّاسين شيء إلا أفسدوه؟ فقالت : قد كان يجيئني فيقعد منّي مقعد الرجل من المرأة فيُسلّط الله عليه رجلاً أبيض الرأس واللحية فلا يزال يلطمه حتى يقوم عنّي ، ففعل بي مراراً ، وفعل به الشيخ مراراً ، فقال : ((يا جعفر خُذها إليك)) ، فولدت خير أهل الأرض موسى بن جعفر (عليهما السلام) ·

وعن المعلّى بن خُنيس : إنّ أبا عبد الله قال :

((حميدة مصفّاة من الأدناس ، كسبيكة الذهب ، ما زالت الأملاك تحرسها حتى أُدّيت إليّ ؛ كرامة من الله لي ، والحجّة من بعدي)) ·

وكنيته : أبو الحسن ، ويُقال له : أبو الحسن الأول ، وأبو الحسن الماضي ، ويُكنّى أيضاً بأبي إبراهيم ، وأبي علي ·

ومن ألقابه : الكاظم ، لأنّه كان يكظم غيظه على من يعلم أنّه سيقف عليه ويجحد الإمام بعده طمعاً في ماله.

ومن ألقابه أيضاً : العالم ، والعبد الصالح ؛ لكثرة عباداته واجتهاده ، وقيامه بالليل ، وكثرة بكائه من خشية الله تعالى ·

ولد (صلوات الله عليه) بالأبواء ـ موضع بين مكّة والمدينة ـ يوم

الثلاثاء ، وقيل : الأحد ، لسبع ليال خلون من صفر سنة ثمان وعشرين ومائة ، وقيل : سنة تسع وعشرين ومائة ، وقبض (صلّى اللّه عليه) لخمس أو لستّ بقين من رجب ، يوم الجمعة ·

وفي رواية الكليني والمفيد : لستّ خلون من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة ، مسموماً ومظلوماً في حبس السنديّ بن شاهك ، سقاه السمّ بأمر الرشيد ، ودُفن (عليه السلام) في الجانب الغربيّ في المقبرة المعروفة بمقابر قريش ·

وعاش خمساً وخمسين سنة ، منها مع أبيه الإمام الصادق (عليه السلام) عشرين سنة ، وكان محبوساً في أيّام إمامته ــ من جهة الرشيد ــ عشر سنين وشهراً وأيّاماً ، وكان استشهاده (عليه السلام) بعد مضيّ خمس عشرة سنة من ملك هارون ·

وفي إرشاد المفيد (ص) : عن يعقوب السرّاج قال :

دخلت على أبي عبد اللّه (عليه السلام) وهو واقف على رأس أبي الحسن موسى (عليه السلام) وهو في المهد ، فجعل يسارّه طويلاً ، فجلست حتى فرغ فقمت إليه ، فقال لي : ((أدن إلى مولاك فسلّم عليه)) ، فدنوت فسلّمت عليه ، فردّ عليّ بلسان فصيح ، ثم قال لي : ((إذهب فغيّر إسم إبنتك التي سمّيتها أمس ، فانّه إسم يبغضه اللّه)) ، وكانت ولدت لي بنت فسمّيتها بالحميراء ، فقال أبو عبد اللّه (عليه السلام) : ((إنته إلى أمره تُرشد)) ·

وعن هشام بن سالم قال :

كنّا بالمدينة ــ بعد وفاة أبي عبد اللّه (عليه السلام) ــ أنا ومحمد بن النعمان صاحب الطاق ، والناس مجتمعون على عبد اللّه بن جعفر أنه صاحب الأمر بعد أبيه ، فدخلنا عليه والناس عنده ، فسألناه عن الزكاة في كم تجب ؟ فقال : في مائتي درهم خمسة دراهم ، فقلنا له : ففي مائة؟ قال :

درهمان ونصف، قلنا : واللّه ما تقول المرجئة هذا؟ فقال : واللّه ما أدري ما تقول المرجئة؟ قال : فخرجنا ضلّالاً ، لا ندري أين نتوجّه ـ أنا وأبو جعفر الأحول ـ فقعدنا في بعض أزقّة المدينة باكيين، لا ندري إلى أين نتوجّه وإلى من نقصد ، نقول : إلى المرجئة، إلى القدريّة، إلى المعتزلة، إلى الزيديّة، فنحن كذلك إذ رأيت رجلاً شيخاً لا أعرفه، يُومئ إليّ بيده، فخفت أن يكون عيناً من عيون أبي جعفر المنصور، وذلك أنّه كان له بالمدينة جواسيس على من يجتمع بعد جعفر إليه الناس فيؤخذ فيضرب عنقه، فخفت أن يكون ذلك منهم، فقلت للأحول : تنحّ فانّي خائف على نفسي وعليك، وإنّما يُريد ني ليس يُريدك، فتنحّ عنّي لا تهلك فتعين على نفسك، فتنحّى عنّي بعيداً، وتبعت الشيخ ـ وذلك إنّي ظننت أنّي لا أقدر على التخلّص منه ـ فما زلت أتبعه وقد عزمت على الموت، حتى ورد بي باب أبي الحسن موسى (عليه السلام) ، ثم خلّاني ومضى ، فاذا خادم بالباب، فقال لي : أدخل رحمك اللّه، فدخلت، فاذا أبو الحسن موسى (عليه السلام) ، فقال لي إبتداء منه :((إليّ، إليّ، لا إلى المرجئة، ولا إلى القدريّة، ولا إلى المعتزلة ، ولا إلى الزيديّة))، قلت: جُعلت فداك مضى أبوك؟ قال :((نعم)) ، قلت: مضى موتاً؟ قال : ((نعم)) ، قلت: فمن لنا بعده؟ قال :((إن شاء اللّه أن يهديك هُداك))، قلت: جُعلت فداك إنّ عبد اللّه أخاك يزعم أنّه الامام بعد أبيه؟ فقال : ((عبد اللّه لا يُريد أن يُعبد اللّه)) ، قلت: جُعلت فداك فمن لنا بعده؟ فقال : ((إن شاء اللّه أن يهديك هداك)) ، قلت: جُعلت فداك فأنت هو؟ قال:((لا أقول ذلك)) ، قال : فقلت في نفسي : لم أصب طريق المسألة، ثم قلت له : جُعلت فداك عليك إمام؟ قال : ((لا)) ، قال : فدخلني شيء لا يعلمه إلا اللّه ـ إعظاماً له وهيبة ـ ثم قلت له : جُعلت فداك أسأل كما كنت أسأل أباك؟ قال : ((سل تُخبر، لا تذع ، فان أذعت فهو الذبح)) قال:

فسألته فاذا هو بحر لا ينزف، قلت: جُعلت فداك شيعة أبيك ضلال فألقي إليهم هذا الأمر وأدعوهم إليك وقد أخذت عليّ الكتمان؟ قال: ((من آنست منه رُشداً فألق إليه وخذ عليه الكتمان، فان أذاع فهو الذبح)) ـ وأشار بيده إلى حلقه ـ، قال: فخرجت من عنده فلقيت أبا جعفر الأحول، فقال لي: ما وراءك؟ قلت: الهدى، وحدّثته بالقصّة، قال: ثم لقينا زرارة وأبا بصير فدخلا عليه وسمعا كلامه، وسألاه وقطعا عليه، ثم لقينا الناس أفواجاً، فكلّ من دخل عليه قطع عليه إلا طائفة عمّار الساباطي، وبقي عبد اللّه لا يدخل عليه من الناس إلا القليل.

وفي روضة الواعظين (ص ٢١٣) : قال أبو بصير:

قلت لأبي الحسن موسى (عليه السلام) : جُعلت فداك بِمَ يُعرف الامام؟ قال: ((بخصال، أمّا أولهنّ: فانّه شيء قد تقدّم فيه من أبيه وأشار به إليه ليكون حجّة، وليسأل فيجيب، وإذا سكت عنه إبتدأ، ويخبر بما في غد، ويكلّم الناس بكلّ كلام))، ثم قال: ((يا أبا محمد أعطيك علامة قبل أن تقوم))، فلم ألبث أن دخل عليه رجل من خراسان، فكلّمه الخراساني بالعربيّة فأجابه أبو الحسن بالفارسيّة، قال له الخراساني: واللّه ما منعني أن أكلّمك بالفارسيّة إلا أنّي ظننت أنّك لا تحسن الفارسيّة، فقال له: ((سبحان اللّه إذا كنت لا أحسن أن أجيبك فما فضلي عليك فيما يستحقّ الامامة))؟، ثم قال: ((يا أبا محمد إنّ الامام لا يخفى عليه كلام أحد من الناس، ولا منطق الطير، ولا كلام شيء فيه روح)).

وفي مناقب ابن شهراشوب (ج ٤/ ص ٢٨٧) :

بيان بن نافع التفليسي قال:

خلّفت والدي مع الحرم في الموسم وقصدت موسى بن جعفر (عليهما

السلام) ، فلمّا أن قربت منه وهممت بالسلام عليه ، فأقبل عليّ بوجهه وقال : ((برحجّتك يا بن نافع ، آجرك الله في أبيك ، فانّه قد قبضه إليه في هذه الساعة ، فارجع فخذ في جهازه)) فبقيت متحيّراً عند قوله ، وقد كنت خلّفته وما به علّة ، فقال : ((يا بن نافع أفلا تؤمن)) ؟ ، فرجعت فاذا بالجواري يلطمن خدودهنّ ، فقلت : ما وراكنّ ؟ قلن : أبوك فارق الدنيا ، قال إبن نافع : فجئت إليه أسأله عمّا أخفاه ورائي ، فقال لي : ((أبداً ما أخفاه وراك)) ثم قال لي : ((يا بن نافع إن كان في أُمنيّتك كذا وكذا أن تسأل عنه ، فأنا جنب الله وكلمته الباقية وحجّته البالغة)) .

وفيه(ص٢٨٨) : قال محمد بن الفضل :

إختلفت الرواية بين أصحابنا في مسح الرجلين في الوضوء؟، هو من الأصابع إلى الكعبين أم من الكعبين إلى الأصابع ؟ وكتب عليّ بن يقطين إلى أبي الحسن(عليه السلام) يسأله عن ذلك ، فكتب إليه : ((فهمت ما ذكرت من الاختلاف في الوضوء ، والذي آمرك به في ذلك : أن تتمضمض ثلاثاً ، وتستنشق ثلاثاً ، وتخلل لحيتك ، وتمسح رأسك كلّه به ، وتمسح ظاهر أُذنيك وباطنهما ، وتغسل رجليك إلى الكعبين ثلاثاً ، ولا تخالف ذلك إلى غيره)) ، فلمّا وصل الكتاب إلى عليّ تعجّب مما رسم له فيه ، ثم قال : مولاي أعلم بما قال وأنا ممتثل أمره ، فكان يعمل في وضوئه على هذه ، وسعي بعليّ إلى الرشيد بالرفض ، فقال : قد كثر القول عندي في رفضه ، فأمتحنه من حيث لا يحلم بالوقوف على وضوئه ، فلمّا كان وقت الصلاة وقف الرشيد وراء حائط الحجرة ، بحيث يرى عليّ بن يقطين ولا يراه هو ، فدعا بالماء وتوضّأ على ما أمره الإمام ، فلم يملك الرشيد نفسه حتى أشرف عليه بحيث يراه ، ثم ناداه : كذّاب يا عليّ بن يقطين من زعم أنّك من الرافضة ، وصلحت حاله عنده .

وفيه(ص ٣٠٥) :

لمّا حبسه هارون جنّ عليه الليل جدد طهوره ، إستقبل بوجهه القبلة ، وصلّى أربع ركعات ثم دعا ، فقال :

((يا سيّدي نجّني من حبس هارون ، وخلّصني من يده ، يا مخلّص الشجر من بين رمل وطين ، ويا مخلّص النار من بين الحديد والحجر ، ويا مخلّص اللبن من بين فرث ودم ، ويا مخلّص الولد من بين مشيمة ورحم ، ويا مخلّص الروح من بين الأحشاء والأمعاء ، خلّصني من هارون الرشيد)) .

قال : فرأى هارون رجلاً أسود بيده سيف قد سلّه واقفاً على رأس هارون ، وهو يقول : يا هارون أطلق عن موسى بن جعفر وإلا ضربت علاوتك بسيفي هذا ، فخاف من هيبته ثم دعا بحاجبه ، فجاء الحاجب ، فقال له : إذهب إلى السجن وأطلق عن موسى بن جعفر .

وفيه(ص ٣١٦) :

حضر باب الرشيد رجل يُقال له : نفيع الأنصاري ، وحضر موسى بن جعفر على حمار له ، فتلقّاه الحاجب بالإكرام وعجّل له الأذن ، فسأل نفيع عبد العزيز بن عمر : من هذا الشيخ ؟ قال : شيخ آل أبي طالب ، شيخ آل محمد ، هذا موسى بن جعفر ، قال : ما رأيت أعجز من هؤلاء القوم ، يفعلون هذا برجل يقدر أن يزيلهم عن السرير ، أما إن خرج لأسوأنّه ، فقال له عبد العزيز : لا تفعل ، فانّ هؤلاء أهل بيت قلّ ما تعرّض لهم أحد إلا وسمّوه في الجواب سمة يبقى عليه عارها مدى الدهر ، قال : وخرج موسى ، وأخذ نفيع بلجام حماره ، وقال : من أنت يا هذا ؟ قال ((يا هذا ، إن كنت تُريد النسب ، أنا ابن محمد حبيب الله ، إبن إسماعيل ذبيح الله ، إبن ابراهيم خليل الله ، وإن كنت تُريد البلد ، فهو الذي فرض الله على المسلمين إن

كنت منهم الحجّ إليه ، وإن كنت تُريد المفاخرة ، فوالله ما رضوا مشركوا قومي مسلمي قومك أكفّاء لهم حتى قالوا : يا محمد أخرج إلينا أكفّائنا من قريش ، وإن كنت تُريد الصيت والاسم ، فنحن الذين أمر الله بالصلاة علينا في الصلوات المفروضة ، تقول : اللهم صلّ على محمد وآل محمد ، فنحن آل محمد ، خلّ عن الحمار)) ، فخلّى عنه ويده ترتعد وانصرف مخزياً ، فقال له عبد العزيز : ألم أقل لك .

وكان الناس يُسمّونه : زين المجتهدين ، وحليف القرآن ، وكان أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، وكان يحدر إذا قرأ ، ويبكي السامعون لقرائته ، وكان يُسمّى : مُكلّم الأسد ، وسبب ذلك ما رواه المفيد في الارشاد (ص ٢٩٥) إنّ عليّ بن أبي حمزة البطائني قال : صحبت موسى (عليه السلام) إلى ضيعة له ، خارجة عن المدينة ، فصحبته أنا ، وكان راكباً بغلة ، وأنا على حمار لي ، فلمّا صرنا في بعض الطريق اعترضنا أسد ، فأحجمت خوفاً ، وأقدم أبو الحسن غير مُكترث به ، فرأيت الأسد يتذلل لأبي الحسن (عليه السلام) ويهمهم ، فوقف له أبو الحسن كالمُصغي إلى همهمته ، ووضع الأسد يده على كفل بغلته ، وقد همّتني نفسي من ذلك وخفت خوفاً عظيماً ، ثم تنحّى الأسد إلى جانب الطريق ، وحوّل أبو الحسن عليه وجهه إلى القبلة وجعل يدعو ويحرّك شفتيه بما لا أفهمه ، ثم أومى بيده إلى الأسد أن أمض ، فهمهم الأسد همهمة طويلة وأبو الحسن (عليه السلام) يقول : ((آمين ، آمين)) ، وانصرف الأسد حتى غاب عن بين أعيننا ، ومضى أبو الحسن (عليه السلام) لوجهه ، وأتبعته ، فلمّا بعدنا عن الموضع لحقته فقلت له : جعلت فداك ما شأن هذا الأسد ؟ ولقد خفته والله عليك ، وعجبت من شأنه معك ، فقال لي أبو الحسن (عليه السلام) : ((إنّه خرج إليّ يشكو عُسر الولادة على لبوته ، وسألني أن أدعو الله أن يُفرّج عنها ففعلت ذلك له ، وأُلقي في روعي أنّها تلد ذكراً ، فخبّرته بذلك ، فقال لي :

إمض في حفظ الله فلا سلّط الله عليك ولا على ذرّيتك ولا على أحد من شيعتك شيئاً من السباع ، فقلت: آمين)) ٠

وكراماته (عليه السلام) تحار منها العقول ، وتقضي بأنّ له عند الله قدم صدق لا يزول ٠

نبذة من حياة الإمام الرضا (ع)

ثم الإمام الثامن :

وهو الإمام عليّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام) ٠

سمّيّ عليّ أمير المؤمنين وعليّ زين العابدين ، أُعطي فهم الأول ، وحلمه ونصره ، وورده ، ودينه ، وأُعطي محبّة الثاني ، وورعه ، وصبره على ما يكره ، صاحب الألسن واللغات ، ذو الأعلام الباقيات ، والحجج الباهرات ، مرضيّ الصديق والعدوّ ، مُحيي سُنّة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، غريب خراسان من يده كيد عيسى ، ومشهده مثل عصا موسى ٠

كنيته : أبو الحسن ، ويُقال له : أبو الحسن الثاني ٠

ولقبه : الرضا ، وإنّما سُمّي الرضا لأنّه كان رضىً لله في سمائه ، ورضىً لرسوله والأئمة بعده (صلوات الله عليهم أجمعين) في أرضه ، وقيل : لأنّه رضي به المخالف والمؤالف ، وقيل : لأنّه رضي به المأمون ٠

ومن ألقابه : سراج الله ، ونور الهدى ، وقرّة عين المؤمنين ، ومكيدة الملحدين ، وكفو الملك ، وكافي الخلق ، وربّ السرير ، ورئاب التدبير ، والفاضل والصابر ، والوفيّ ، والصدّيق ٠

وقد روى في العلل (ب ١٧٢) :

عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي قال :

قلت لأبي جعفر محمد بن عليّ الثاني (عليهما السلام) : إنّ قوماً من مخالفيكم يزعمون : إنّ أباك (صلوات الله عليه) إنّما سمّاه المأمون الرضا، لما رضيه لولاية عهده؟ فقال :

((كذبوا والله وفجروا، بل الله تعالى سمّاه الرضا، لأنّه كان (عليه السلام) رضىً لله تعالى ذكره في سمائه، ورضىً لرسوله والأئمه (عليهم السلام)، في أرضه))، قال : فقلت له : ألم يكن كلّ واحد من آبائك الماضين (عليهم السلام) رضىً لله (عزّ وجل) ولرسوله والأئمة من بعده؟ فقال ((بلى))، فقلت له : فلِمَ سُمّي أبوك من بينهم الرضا؟ قال ((لأنّه رضي به المخالفون من أعدائه كما رضي الموافقون من أوليائه، ولم يكن ذلك لأحد من أبائه (عليهم السلام)، فلذلك سُمّي من بينهم : الرضا)).

وأُمّه : أمّ ولد ، تُسمّى : تكتم ، عليه استقرّ إسمها حين ملكها أبو الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام).

ففي العيون (ص ١٤) : قال عليّ بن ميثم :

إشتريت حميدة المصفّاة ـ وهي أُمّ أبي الحسن موسى بن جعفر ـ وكانت من أشراف العجم جارية مولدة، وإسمها : تُكتم، وكانت من أفضل النساء في عقلها ودينها وإعظامها لمولاتها حميدة المصفّاة، حتى أنّها ما جلست بين يديها منذ ملكتها إجلالاً لها، فقالت لإبنها موسى (عليه السلام) : يا بُنيّ إنّ تكتم جارية ما رأيت جارية قطّ أفضل منها، ولست أشكّ أن الله تعالى سيظهر نسلها إن كان لها نسل، وقد وهبتها لك فاستوص خيراً بها فلمّا ولدت له الرضا (عليه السلام) سمّاها : الطاهرة، قال : وكان الرضا (عليه السلام) يرتضع كثيراً وكان تامّ الخلق، فقالت: أعينوني بمرضع، فقيل لها : أنقص الدر، فقالت: والله ما أكذب، ما نقص الدر، ولكنّ عليّ ورد من صلاتي

وتسبيحي وقد نقص منذ ولدت.

والدليل على أنّ إسمها تكتم قول الشاعر بمدحه (عليه السلام):

ألا إنّ خير الناس نفساً ووالدا
ورهطاً وأجداداً عليّ المعظم
أتتنا به للعلم والحلم ثامناً
إماماً يُؤدّي حجّة الله تكتم

وقد روى قوم أنّ أُمّ الرضا (عليه السلام) تُسمّى: سكن النوبيّة، وسُمّيت: أروى، وسُمّيت: نجمة، وسُمّيت: سمانة، وتُكنّى: أُمّ البنين.

وعن عليّ بن ميثم عن أبيه قال:

لمّا اشترت حميدة أُمّ موسى أُمّ الرضا نجمة، ذكرت حميدة: أنها رأت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في المنام يقول لها: ((يا حميدة هبي نجمة لإبنك موسى، فانّه سيُولد له منها خير أهل الأرض))، فوهبتها له، فلمّا ولدت له الرضا سمّاها: ((الطاهرة))، وكانت لها أسماء، منها: نجمة، وأروى، وسكن، وسمانة، وتكتم، وهو آخر أساميها.

قال عليّ بن ميثم: سمعت أبي يقول: سمعت أُمّي تقول: كانت نجمة بكراً لمّا اشترتها حميدة.

وعن هشام بن أحمد قال: قال أبو الحسن الأول (عليه السلام):

((هل علمت أحداً من أهل المغرب قدم))؟ قلت: لا، قال: ((بلى قد قدم رجل أحمر، فانطلق بنا إليه))، فركب وركبنا معه، حتى انتهينا إلى الرجل، فاذا رجل من أهل المغرب معه رقيق، فقال له: ((أعرض علينا)) فعرض علينا تسع جوار، كلّ ذلك يقول له أبو الحسن: ((لا حاجة لي فيها))

ثم قال له : ((أعرض علينا)) ، قال : ما عندي شيء ، فقال له : ((بلى ، أعرض علينا)) ، قال : لا والله ما عندي إلا جارية مريضة ، فقال له : ((ما عليك أن تُعرضها)) ؟ فأبى عليه ، ثم انصرف (عليه السلام) ، ثم أرسلني من الغد إليه ، فقال لي : ((قل له كم غايتك فيها؟ فذا قال : كذا وكذا ، فقل : قد أخذتها)) فأتيته ، فقال : ما أُريد أن أنقصها من كذا وكذا ، فقلت: قد أخذتها وهو لك ، فقال : هي لك ، ولكن من الرجل الذي كان معك بالأمس؟ فقلت: رجل من بني هاشم ، فقال : من أيّ بني هاشم؟ فقلت: من نقبائهم ، قال : أُريد أكثر منه ، فقلت: ما عندي أكثر من هذا ، فقال : أخبرك عن هذه الوصيفة ، إنّي اشتريتها من أقصى بلاد المغرب،فلقيتني إمرأة من أهل الكتاب فقالت: ما هذه الوصيفة معك؟ فقلت: إشتريتها لنفسي ، فقالت: ما ينبغي أن تكون هذه الوصيفة عند مثلك ؟ إنّ هذه الجارية ينبغي أن تكون عند خير أهل الأرض ، فلا تلبث عنده إلا قليلاً حتى تلد منه غلاماً يدين له شرق الأرض وغربها ، قال : فأتيته بها ، فلم تلبث عنده إلا قليلاً حتى ولدت له علياً (عليه السلام) .

وقيل : إنّ إسمها : خيزران المريسيّة ، وقيل : شهدة ، والله أعلم .

وقال المفيد في إرشاده :

كان مولده (عليه السلام) بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائة ، وقبض (عليه السلام) بطوس من أرض خراسان في صفر سنة ثلاث ومائتين ، وله يومئذٍ ثلاث وخمسون سنة .

وفي العيون (ص١٨) :

ولد (عليه السلام) بالمدينة يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين ومائة من الهجرة بعد وفاة أبي عبد الله (عليه

السلام) بخمس سنين ، وتوفّي بطوس في قرية يُقال لها : سناباد من رستاق نوقان ، ودُفن في دار حميد بن قحطبة الطائي ، في القبّة التي فيها هارون الرشيد إلى جانبه مما يلي القبلة ، وذلك في شهر رمضان لتسع بقين منه يوم الجمعة ، سنة ثلاث ومائتين ، وقد تمّ عمره تسعاً وأربعين سنة وستّة أشهر ، منها : مع أبيه موسى بن جعفر (عليهما السلام) تسعاً وعشرين سنة وشهرين ، وبعد أبيه ــ أيّام إمامته ــ : عشرين سنة وأربعة أشهر ، وقام بالأمر وله تسع وعشرون سنة وشهران ، وكان في أيّام إمامته (عليه السلام) بقيّة ملك الرشيد ، ثم ملك محمد المعروف بالأمين ــ وهو ابن زبيدة ــ ثلاث سنين وخمسة وعشرين يوماً ، ثم خلع الأمين وأجلس عمّه إبراهيم بن شكلة أربعة عشر يوماً ، ثم أخرج محمد بن زبيدة من الحبس ، وبويع له ثانية ، وجلس في الملك سنة وستّة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً ، ثم ملك عبد الله المأمون عشرين سنة وثلاثة وعشرين يوماً ، فأخذ البيعة في ملكه لعليّ بن موسى الرضا (عليه السلام) بعهد المسلمين من غير رضاه ، وذلك بعد أن هدده بالقتل ، وألحّ عليه مرّة بعد أُخرى في كلّها يأبى عليه ، حتى أشرف من تأبيه على الهلاك ، فقال (عليه السلام) : .

((اللهم إنّك قد نهيتني عن الإلقاء بيدي إلى التهلكة ، وقد أكرهت واضطررت ، كما أشرفت من قبل عبد الله المأمون على القتل متى لم أقبل ولاية عهده ، وقد أكرهت واضطررت ، كما اضطرّ يوسف ودانيال (عليهما السلام) ، إذ قبل كلّ واحد منهما الولاية من طاغية زمانه ، اللهم لا عهد إلا عهدك ، ولا ولاية لي إلا من قبلك ، فوفّقني لإقامة دينك ، وإحياء سُنّة نبيّك محمد (صلّى الله عليه وآله) ، فانّك أنت المولى وأنت النصير ، وأنت نِعْم المولى ونعم النصير)) .

ثم قبل (عليه السلام) ولاية العهد من المأمون وهو باك حزين ، على

أن لا يُولّي أحداً ولا يعزل أحداً ، وأن لا يُغيّر رسماً ولا سُنّة ، وأن يكون في الأمر مشيراً من بعيد ، فأخذ المأمون له البيعة على الناس الخاص منهم والعام ، فكان متى ظهر للمأمون من الرضا (عليه السلام) فضل وعلم وحسن تدبير حسده على ذلك ، وحقد عليه حتى ضاق صدره منه ، فغدر به وقتله بالسمّ ، ومضى إلى رضوان الله تعالى وكرامته .

وفي الفصول المهمّة لابن الصبّاغ (ص ٢٤٤) :

لمّا جعله المأمون وليّ عهده وجعله خليفة من بعده ، كان في حاشيته أُناس قد كرهوا ذلك ، وخافوا خروج الخلافة عن بني العبّاس وعودها على بني فاطمة ، فحصل عندهم من عليّ بن موسى الرضا (عليه السلام) نفور ، وكانت عادة الرضا إذا جاء إلى دار المأمون ــ ليدخل عليه ــ بادر من في الدهليز من الحجّاب وأهل النوبة من الخدم والحشم بالقيام له والسلام عليه ، ويرفعون له الستر حتى يدخل ، فلمّا حصلت لهم هذه النفرة تفاوضوا في أمر هذه القضيّة ، ودخل منها في قلوبهم شيء ، قالوا : فيما بينهم : إذا جاء ليدخل على الخليفة بعد هذا اليوم نعرض عنه ، ولا نرفع له الستر ، واتّفقوا على ذلك ، فبينما هم جلوس إذ جاء الرضا (عليه السلام) على جاري عادته ، فلم يملكوا أنفسهم أن قاموا وسلّموا عليه ورفعوا له الستر ، فلمّا دخل أقبل بعضهم على بعض يتلاومون على كونهم ما فعلوا ما اتّفقوا عليه ، وقالوا : الكرّة الثانية إذا جاء لا نرفعه له ، فلمّا كان اليوم الثاني وجاء الرضا (عليه السلام) على عادته ، قاموا وسلّموا عليه ولم يرفعوا له الستر ، فجاءت ريح شديدة ، فدخلت في الستر فرفعته أكثر مما كانوا يرفعونه له ، فدخل ، ثم سكنت ، ثم عند خروجه جاءت الريح أيضاً من الجانب الآخر فرفعته له وخرج ، فأقبل بعضهم على بعض وقالوا : إنّ لهذا الرجل عند الله منزلة ، وله منه عناية ، أنظروا إلى الريح كيف جاءت ، ورفعت له الستر عند دخوله وعند خروجه ، من الجهتين

ارجعوا إلى ما كنتم عليه من خدمته ، فهو خير لكم .

وعن مسافر قال :

كنت مع أبي الحسن الرضا بمنى ، فمرّ يحيى بن خالد البرمكي وهو مغطّي وجهه بمنديل من الغبار ، فقال الرضا (عليه السلام) : ((مساكين هؤلاء لا يدرون ما يحلّ بهم في هذه السنة)) ، ــ فكان من أمرهم ما كان ــ ، قال : ((وأعجب من هذا ، أنا وهارون كهاتين)) وضم إصبعيه : السبّابة والوسطى ، قال مسافر : فوالله ما عرفت حديثه في هارون إلا بعد موت الرضا ودفنه إلى جانبه .

وعن أبي حبيب قال :

رأيت النبيّ (صلّى الله عليه وآله) في المنام ، وكأنّه قد وافى المسجد الذي ينزله الحجّاج من بلدنا في كلّ سنة ، وكأنّي مضيت إليه وسلّمت عليه ووقفت بين يديه ، فوجدت عنده طبقاً من خوص المدينة ، فيه تمر صيحاني ، وكأنّه قبض من ذلك التمر فناولنيها ، فعددتها فوجدتها ثمانية عشرة تمرة ، فتأوّلت أنّي أعيش بعدد كلّ تمرة سنة ، فلمّا كان بعد عشرين يوماً ــ وأنا في أرض لي تعمر للزراعة ــ إذ جاءني من أخبرني بقدوم أبي الحسن الرضا (عليه السلام) من المدينة ونزوله ذلك المسجد ، ورأيت الناس يسعون إلى السلام عليه ، من كلّ جانب ، فمضيت نحوه ، فاذا هو جالس في الموضع الذي رأيت النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فيه ، وتحته حصير مثل الحصير الذي رأيتها تحته (صلّى الله عليه وآله) ، وبين يديه طبق من خوص وفيه تمر صيحاني ، فسلّمت عليه فردّ عليّ السلام ، فاستدناني وناولني قبضة من ذلك التمر ، فعددتها فاذا هي بعدد ما ناولني رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، في النوم ثماني عشرة تمرة ، فقلت : زدني ، فقال : ((لو زادك رسول الله

لـــرد ناك)) .

ونظر إلى رجل فقال له: يا عبد الله أوص بما تُريد ، واستعدّ لما لا بدّ منه ، فمات الرجل بعد ذلك بثلاثة أيّام.

وفي أعلام الورى (ص ٣١٤) : عن إبراهيم بن العبّاس قال:

ما رأيت الرضا (عليه السلام) سأل عن شيء قطّ، ولا رأيته يشتم أحداً من مواليه ومماليكه، وما رأيته سُئل عن شيء إلا علمه، ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان إلى وقته وعصره، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كلّ شيء فيجيب عنه، وكان كلامه وجوابه وتمثّله إنتزاعات من القرآن، وكان يختمه في كلّ ثلاث، ويقول: لو أردت ختمه في أقلّ من ثلاث لختمت، ولكنّي ما مررت بآية قطّ إلا فكّرت فيها، وفي أيّ شيء أنزلت، وفي أيّ وقت، فلذلك صرت أختمه في كلّ ثلاث.

وفي رواية أُخرى عن إبراهيم بن العبّاس قال:

ما رأيت ولا سمعت بأحد أفضل من أبي الحسن الرضا، وشاهدت منه ما لم أشاهد من أحد، وما رأيته جفا أحداً بكلامه، ولا رأيته قطع على أحد كلامه حتى يفرغ منه، وما ردّ أحداً عن حاجة يقدر عليها، ولا مدّ رجليه بين يدي جليس له قطّ، وما رأيته يشتم أحداً من مواليه ومماليكه، وما رأيته تفل ولا رأيته يقهقه في ضحكه، بل كان ضحكه التبسّم، وكان إذا خلا ونصبت مائدته أجلس على مائدته مواليه ومماليكه حتى البوّاب والسائس، وكان قليل النوم بالليل كثير السهر، يحيى أكثر لياليه من أولها إلى الصبح، وكان كثير الصوم، ولا يفوته صيام ثلاثة أيام في الشهر، ويقول: ذلك صوم الدهر، وكان كثير المعروف والصدقة في السرّ، وأكثر ذلك يكون منه في الليالي المظلمة،

فمن زعم أنّه رأى مثله في فضله فلا تصدّقوه .

وعن محمد بن أبي عبّاد قال :
كان جلوس الرضا (عليه السلام) على حصير في الصيف، وعلى مسح في الشتاء، ولبسه الغليظ من الثياب، حتى إذا برز للناس تزيّن لهم .

وعن أبي الصلت عبد السلام بن صالح الهروي قال :
ما رأيت أعلم من عليّ بن موسى الرضا (عليه السلام) ، ولا رآه عالم إلا شهد له بمثل شهادته ، ولقد جمع المأمون له في مجالس ذوات عدد علماء الأديان ، وفقهاء الشريعة ، والمتكلّمين ، فغلبهم عن آخرهم ، حتى ما بقي أحد منهم إلا أقرّ له بالفضل وأقرّ على نفسه بالقصور ،ولقد سمعت عليّ بن موسى الرضا (عليه السلام) يقول : ((كنت أجلس في الروضة ، والعلماء بالمدينة متوافرون ،فاذا أعيى الواحد منهم عن مسألة أشاروا إليّ بأجمعهم ، وبعثوا إلى بالمسائل فأجبت عنها)) .

قال أبو الصلت: ولقد حدّثني محمد بن إسحاق بن موسى بن جعفر عن أبيه ،أنّ موسى بن جعفر (عليهما السلام) كان يقول لبنيه :
((هذا أخوكم عليّ ، عالم آل محمد ، فسلوه عن أديانكم ، واحفظوا ما يقول لكم ، فانّي سمعت أبي جعفر بن محمد غير مرّة يقول لي :إنّ عالم آل محمد لفي صلبك ، وليتني أدركته ، فانّه سمي أمير المؤمنين علي (عليه السلام))) .

وفي دلائل الطبري(ص ١٨٦) : قال عمارة بن زيد :
رأيت عليّ بن موسى الرضا فكلّمته في رجل أن يصله بشيء ، فأعطاني مخلاّة تبن ، فاستحييت أن أُراجعه ، فلمّا وصلت باب الرجل فتحتها ، فاذا

كلّها دنانير، فاستغنى الرجل وعقبه، فلمّا كان من غد أتيته فقلت: يا بن رسول الله إنّ ذلك تحوّل دنانير؟ فقال: ((لهذا دفعناه إليك)).

سعد بن سلام قال:

أتيت عليّ بن موسى الرضا ـ وقد جاش الناس فيه ـ وقالوا: لا يصلح للامامة، فانّ أباه لم يوص إليه، فقعد منّا عشرة رجال فكلّموه، فسمعت الجماد الذي من تحته يقول: ((هو إمامي وإمام كلّ شيء))، وإنّه دخل المسجد الذي في المدينة يعني مدينة أبي جعفر، فرأيت الحيطان والخشب تُكلّمه وتُسلّم عليه.

وفي العيون (ج ٢/ ص ٢٣٩): أحمد بن عليّ الأنصاري قال:

سألت أبا الصلت الهروي فقلت له: كيف طابت نفس المأمون بقتل الرضا (عليه السلام)، مع إكرامه ومحبّته له، وما جعل له من ولاية العهد بعده؟ فقال: إنّ المأمون إنّما كان يُكرمه ويُحبّه لمعرفته بفضله، وجعل له ولاية العهد من بعده ليرى الناس أنّه راغب في الدنيا فيسقط محلّه من نفوسهم، فلمّا لم يظهر منه في ذلك للناس إلا ما ازداد به فضلاً عندهم، ومحلاً في نفوسهم، جلب عليه المتكلّمين من البلدان طمعاً في أن يقطعه واحد منهم فيسقط محلّه عند العلماء، ويشتهر نقصه عند العامّة، فكان لا يُكلّمه خصم من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والبراهمة والملحدين والدهريّة، ولا خصم من فرق المسلمين المخالفين إلا قطعه وألزمه الحجّة، وكان الناس يقولون: والله إنّه أولى بالخلافة من المأمون، وكان أصحاب الأخبار يرفعون ذلك إليه فيغتاظ من ذلك، ويشتدّ حسده له، وكان الرضا (عليه السلام) لا يحابي المأمون من حقّ، وكان يجيبه بما يكره في أكثر أحواله، فيغظه ذلك، ويحقده عليه ولا يظهره له، فلمّا أعيته الحيلة في أمره اغتاله، فقتله بالسمّ.

وفضائله(عليه السلام) وكراماته أكبر من أن يحتويها كتاب، أو يُحصيها علماء الحساب، وفيما ذكرناه كفاية للبيب، وفي الاشارات ما يُغني عن الكلم.

نُبذة مِنْ حَيَاة الأَمَامْ الجَوَادْ (ع)

ثم الإمام التاسع ، الذي هو لجميع الفضائل جامع :

وهو محمد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب(عليهم السلام).

وكنيته : أبو جعفر ، وربّما يُقال له : أبو جعفر الثاني ، وأبو علي أيضاً ،

ولقبه : الزكيّ ، والمرتضى ، والقانع، والرضيّ ، والمختار ، والمتوكّل ، والمنتجب، والتقيّ ، والجواد .

وسمّي التقي لأنّه اتّقى اللّه(عزّ وجل) . فوقاه اللّه شرّ المأمون لمّا دخل عليه بالليل وهو سكران ، فضربه بسيفه حتى ظنّ أنّه قد قتله . فوقاه اللّه شرّه .

وذلك ما رواه السيّد إبن طاووس في كتابه : مهج الدعوات (ص ٣٥) :

بالاسناد عن إبنته حكيمة قالت:

أتيت زوجته أُمّ عيسى بنت المأمون فعزّيتها ، فوجدتها شديدة الحزن ، والجزع عليه ، تقتل نفسها بالبكاء والعويل ، فخفت عليها أن تتصدّع مرارتها ، فبينما نحن في حديثه وكرمه ، ووصف خلقه ، وما أعطاه اللّه من الشرف والإخلاص ، وما منحه من العزّ والكرامة ، إذ قالت أُمّ عيسى : ألا أُخبرك عنه بشيء عجيب ؟ وأمر جليل فوق الوصف والمقدار؟ قلت: وما ذاك ؟ قالت: كنت أغار عليه كثيراً ، وأراقبه أبداً ، وربّما يسمعني الكلام فأشكو ذلك إلى أبي فيقول : يا بنيّة إحتمليه ، فانّه بضعة من رسول اللّه(صلّى اللّه عليه وآله)،فبينما أنا جالسة ذات يوم ، إذ دخلت عليّ جارية فسلّمت، فقلت: من أنت؟ فقالت: أنا جارية من ولد عمّار بن ياسر، وأنا زوجة أبي جعفر محمد بن عليّ الرضا (عليه السلام) زوجك ، فدخلني من الغيرة ما لا أقدر على احتمال ذلك،وهممت

أن أخرج وأسيح في البلاد ، وكاد الشيطان أن يحملني على الإساءة إليها ، فكظمت غيظي ، وأحسنت وفدها وكسوتها ، فلمّا خرجت من عندي المرأة نهضت، ودخلت على أبي وأخبرته الخبر، وكان سكراناً لا يعقل ، فقال : يا غلام عليّ بالسيف، فأتى به ، فركب، وقال : واللّه لأقتلنّه ، فلمّا رأيت ذلك قلت: إنّا للّه وإنّا إليه راجعون ، ما صنعت بنفسي وبزوجي؟ وجعلت ألطم حرّ وجهي ، فدخل عليه والدي ، وما زال يضربه بالسيف حتى قطّعه ، ثم خرج من عنده ، وخرجت هاربة من خلفه ، فلم أرقد ليلتي ، فلمّا ارتفع النهار أتيت أبي فقلت: أتدري ما صنعت البارحة؟ قال : وما صنعت ؟ قلت: قتلت ابن الرضا (عليه السلام) ، فبرق عينه ، وغشي عليه ، ثم أفاق بعد حين ، وقال : ويلك ما تقولين؟ قلت: نعم ، واللّه يا أبت دخلت عليه ، ولم تزل تضربه بالسيف حتى قتلته ، فاضطرب إضطراباً شديداً وقال : عليّ بياسر الخادم ، فجاء ياسر ، فنظر إليه المأمون وقال : ويلك ، ما تقول ابنتي هذه؟ قال :صدقت يا أمير المؤمنين ، فضرب بيده على صدره وخدّه وقال : إنّا للّه وإنّا إليه راجعون ، هلكنا باللّه ، وعطبنا ، وافتضحنا إلى آخر الأبد ، ويلك يا ياسر أنظر ما الخبر والقصّة عنه ، وعجّل عليّ بالخبر فانّ نفسي تكاد أن تخرج الساعة ، فخرج ياسر وأنا ألطم حرّ وجهي ، فما كان بأسرع من أن رجع ياسر فقال : البُشرى يا أمير المؤمنين ، قال : لك البُشرى فما عندك؟ قال ياسر : دخلت عليه ، فاذا عليه قميص ودواج ، وهو يستاك ، فسلّمت عليه وقلت: يا ابن رسول اللّه أحبّ أن تهب لي قميصك هذا أُصلّي فيه وأتبرّك به ، وإنّما أردت أن أنظر إليه وإلى جسده ، هل به أثر السيف، فواللّه كأنّه العاج الذي فيه صفرة ، ما به أثر ، فبكى المأمون طويلاً وقال : ما بقي مع هذا شيء ، إنّ هذا لعبرة للأولين والآخرين ، وقال : يا ياسر أمّا ركوبي إليه وأخذي السيف ودخولي عليه فانّي ذاكر له ، وخروجي عنه فلا أذكر شيئاً غيره ، ولا أذكر أيضاً

إنصرافي إلى مجلسي ، فكيف كان أمري وذهابي إليه ، لعنة الله على هذه الابنة لعناً وبيلاً ، تقدّم إليها وقل لها : يقول لك أبوك : والله لئن جئتني بعد هذا اليوم ، وشكوت منه ، أو خرجت بغير إذنه لأنتقمنّ له منك ، ثم سر إلى ابن الرضا ، وأبلغه منّي السلام ، واحمل إليه عشرين ألف دينار ، وقدّم إليه الشهري الذي ركبته البارحة ، ثم مُر بعد ذلك الهاشميين أن يدخلوا عليه بالسلام ويُسلّموا عليه.

قال ياسر : فأمرت لهم بذلك ، ودخلت أنا أيضا معهم وسلّمت عليه ، وأبلغت التسليم ، ووضعت المال بين يديه ، وعرضت الشهري عليه ، فنظر إليه ساعة ، ثم تبسّم فقال : ((يا ياسر هكذا كان العهد بينه وبين أبي وبيني وبينه؟ حتى يهجم عليّ بالسيف؟ أما علم أنّ لي ناصراً وحاجزاً يحجز بيني وبينه؟)) ، فقلت: يا سيّدي ، يا بن رسول الله ، دع عنك هذا العتاب واصفح ، فوالله وحقّ جدّك رسول الله ما كان يعقل من أمره شيئاً ، وما علم أين هو من أرض الله ، وقد نذر لله نذراً صادقاً ، وحلف أن لا يسكر بعد ذلك أبداً ، فانّ ذلك من حبائل الشيطان ، فاذا أنت يا بن رسول الله أتيته فلا تذكر له شيئاً ولا تعاتبه على ما كان منه ، فقال (عليه‌السلام) : ((هكذا كان عزمي ورأيي والله)) ، ثم دعا بثيابه ، ولبس ونهض ، وقام معه الناس أجمعون ، حتى دخل على المأمون ، فلمّا رآه قام إليه وضمّه إلى صدره ، ورحّب به ، ولم يأذن لأحد في الدخول عليه ، ولم يزل يحدّثه ويُسامره ، الحديث.

قلت: لم أجد معنى الدواج فيما عندي من كتب اللغة ، ولعلّه شيء يلفّ على الرأس.

وكان الناس يقولون فيه : أُعجوبة أهل البيت، ونادرة الدهر ، وبديع الزمان ، وعيسى الثاني ، والعالم الربّاني ، وطاهر المعاني ،وذو المعجزات،

والمؤيّد بالكرامات، توارث الشرف كابراً عن كابر، إستسقى عروقه من منبع النبوّة، ورضعت شجرته ثدي الرسالة، وتهدّلت أغصانه ثمر الإمامة.

في الكافي (ج ١/ص ٤٩٢):

ولد في شهر رمضان من سنة خمس وتسعين ومائة، وقُبض (عليه السلام) سنة عشرين ومائتين في آخر ذي القعدة، وهو إبن خمس وعشرين سنة وشهرين وثمانية عشر يوماً، ودُفن ببغداد في مقابر قريش عند قبر جدّه موسى (عليه السلام)، وقد كان المعتصم أشخصه إلى بغداد في أول هذه السنة التي تُوفّي فيها.

وأُمّه: أمّ ولد، يُقال لها: سبيكة، نوبيّة، وقيل أيضاً: إنّ اسمها: خيزران، وروي أنّها كانت من أهل بيت مارية القبطية أمّ إبراهيم بن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، إنتهى.

وفي بعض الروايات:

وُلد لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان، وقيل: لتسع عشرة ليلة منه، وقيل: وُلد ليلة الجمعة للنصف منه، وقيل: لعشر خلون من رجب، وقيل: للنصف منه.

وقيل أيضاً: إنّه قبض يوم السبت لستّ خلون من ذي الحجّة، وكذا إختلف في إسم أُمّه، فقيل: إسمها درّة، وكانت مريسيّة ثم سمّاها الرضا (عليه السلام): خيزران، ويُقال: ريحانة، وتكنّي: أُمّ الحسن.

وقال إبن شهراشوب (ج ٤/ص ٣٧٩):

مدّة ولايته سبع عشرة سنة، ويُقال: أقام مع أبيه سبع سنين وأربعة أشهر ويومين، وبعده ثمانية عشر سنة إلا عشرين يوماً، فكان في سنيّ إمامته

بقيّة ملك المأمون ، ثم ملك المعتصم ، والواثق ، وفي ملك الواثق إستشهد (عليه السلام) .

وفي (ص ٣٨٧) :

كان (عليه السلام) شديد الأدمة ، فشكّ فيه المرتابون وهو بمكّة ، فعرضوه على القافة ، فلمّا نظروا إليه خرّوا لوجوههم سجّداً ، ثم قاموا فقالوا : يا ويحكم ، أمثل هذا الكوكب الدرّي ، والنور الزاهر تعرضون على مثلنا ؟ وهذا والله الحسب الزكيّ ، والنسب المهذّب الطاهر ، ولدته النجوم الزواهر ، والأرحام الطواهر ، والله ما هو إلا من ذرّية النبيّ وأمير المؤمنين ، وهو في ذلك الوقت إبن خمس وعشرين شهراً ، فنطق بلسان أرهف من السيف ، وأفصح من الفصاحة ، يقول : ((الحمد لله الذي خلقنا من نوره ، واصطفانا من بريّته ، وجعلنا أُمناء على وحيه وخلقه ، معاشر الناس ؛ أنا محمد بن عليّ الرضا ، إبن موسى الكاظم ، إبن جعفر الصادق ، إبن محمد الباقر ، إبن عليّ سيّد العابدين ، إبن الحسين الشهيد ، إبن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ، وابن فاطمة الزهراء ، بنت محمد المصطفى (عليهم السلام أجمعين) ، أفي مثلي يُشك؟ وعلى الله تبارك وتعالى وعلى جدّي يُفترى ؟ وأعرض على القافة ؟ إنّي والله لأعلم ما في سرائرهم وخواطرهم ، وإنّي والله لأعلم الناس أجمعين بما هم إليه صائرون ، أقول حقّاً ، وأظهر صدقاً ، علماً قد نبّأه الله تبارك وتعالى قبل الخلق أجمعين ، وقبل بناء السماوات والأرضين ، وأيم الله لولا تظاهر الباطل علينا ، وغواية ذرّية الكفر ، وتوثّب أهل الشرك والشكّ والشقاق علينا ، لقلت قولاً يعجب منه الأولون والآخرون)) ثم وضع يده على فيه ، ثم قال : ((يا محمد أصمت كما صمت آباؤك ، واصبر كما صبر أُولوا العزم من الرُسل ، ولا تستعجل لهم ، كأنّهم يوم يرون ما يُوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار ، بلاغ ، فهل يُهلك إلا القوم الفاسقون)) .

ثم أتى إلى رجل بجانبه، فقبض على يده فما زال يمشي يتخطى رقاب الناس وهم يفرجون له، قال: فرأيت مشيخة أجلّائهم ينظرون إليه ويقولون: الله أعلم حيث يجعل رسالته، فسألتهم عنهم، فقيل: هؤلاء قوم من بني هاشم، من أولاد عبد المطّلب، فبلغ الرضا (عليه السلام) ما صنع إبنه، فقال: ((الحمد لله))، ثم ذكر ما قذفت به مارية القبطيّة، ثم قال: ((الحمد لله الذي جعل في إبني محمد أُسوة برسول الله وابنه إبراهيم)).

قال عسكر مولى أبي جعفر (عليه السلام):

دخلت عليه فقلت في نفسي: يا سبحان الله، ما أشدّ سُمرة مولاي؟ وأضوى جسده؟ قال: فوالله ما أتممت الكلام في نفسي حتى تطاول وعرض جسمه وامتلأ به الأيوان إلى سقفه، ومع جوانب حيطانه، ثم رأيت لونه وقد أظلم حتى صار كالليل المظلم، ثم ابيضّ حتى صار كأبيض ما يكون من الثلج، ثم احمرّ حتى صار كالعلق المحمرّ، ثم اخضرّ حتى صار كأخضر ما يكون من الأغصان الورقة الخضرة، ثم تناقص جسمه حتى صار في صورته الأُولى وعاد لونه الأول وسقطّت لوجهي مما رأيت، فصاح بي: ((يا عسكر، تشكّون فننبّئكم، وتضعفون فنقويكم، والله لا وصل إلى حقيقة معرفتنا إلا من منّ الله عليه وارتضاه لنا وليّاً.

وفيه (ص ٣٨٤):

كتب عبد العظيم الحسني إلى أبي جعفر (عليه السلام)، يسأله عن الغائط ونتنه؟ فقال (عليه السلام):

((إنّ الله خلق آدم فكان جسده طيناً، وبقي أربعين سنة تمرّ به الملائكة تقول: لأمر ما خلقت؟، فكان إبليس يدخل في فيه ويخرج من دبره، فلذلك صار ما في جوف إبن آدم منتناً خبيثاً غير طيّب، ويُقال: إذا بال الإنسان أو تغوّط يرد د النظر إليهما، لأنّ آدم (عليه السلام) لمّا هبط من

الجنّة لم يكن له عهد بهما ، فلمّا تناول الشجرة المنهيّة أخذه ذلك ، فجعل ينظر إلى شيء يخرج منه ، فبقي ذلك في أولاده ، لأنّه تغذّى في الجنّة ، وبال وتغوّط في الدنيا)) .

وفيه (ص٣٨٨) : بنان بن نافع قال :

سألت عليّ بن موسى الرضا (عليه السلام) فقلت : جُعلت فداك من صاحب الأمر بعدك ؟ فقال لي :

((يا بن نافع ، يدخل عليك من هذا الباب من ورث ما ورثته قبلي ، وهو حجّة الله تعالى من بعدي)) فبينا أنا كذلك إذ دخل علينا محمد بن عليّ (عليه السلام) فلمّا بصر بي قال لي : ((يا بن نافع ألا أُحدّثك بحديث ؟ إنّا معاشر الأئمة إذا حملته أمّه يسمع الصوت من بطن أُمّه أربعين يوماً ، فاذا أتى له في بطن أُمّه أربعة أشهر رفع الله تعالى له أعلام الأرض ، فقرب له ما بعد عنه ، لا يعزب عنه حلول قطرة غيث نافعة أو ضارّة ، وإنّ قولك لأبي الحسن : من حجّة الدهر والزمان من بعده ؟ فالذى حدّثك أبو الحسن ما سألت عنه هو الحجّة عليك)) ، فقلت : أنا أول العابدين ، ثم دخل علينا أبو الحسن فقال لي : ((يا بن نافع سلّم وأذعن له بالطاعة ، فروحه روحي وروحي روح رسول الله)) .

واجتاز المأمون بابن الرضا (عليه السلام) وهو بين صبيان ، فهربوا سواه فقال : عليّ به ، فقال له : ما لك ما هربت في جملة الصبيان ؟ قال ((ما لي ذنب فأفر ، ولا الطريق ضيّق فأوسعه عليك ، تمرّ من حيث شئت)) فقال : من تكون ؟ قال : ((أنا محمد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب)) ، فقال : ما تعرف من العلوم ؟ قال ((سلني عن أخبار السماوات)) ، فودّعه ومضى ، وعلى يديه باز أشهب يطلب به الصيد ،

فلمّا بعد عنه نهض عن يده الباز، فنظر يمينه وشماله فلم ير صيداً، والباز يثبّ عن يده، فأرسله وطار يطلب الأُفق، حتى غاب عن ناظره ساعة، ثم عاد إليه وقد صاد حيّة، فوضع الحيّة في بيت الطعم وقال لأصحابه: قد دنا حتف ذلك الصبي في هذا اليوم على يدي، ثم عاد وابن الرضا في جملة الصبيان، فقال: ما عندك من أخبار السماوات؟ فقال: ((نعم يا أمير المؤمنين، حدّثني أبي عن آبائه عن النبيّ عن جبرئيل عن ربّ العالمين أنّه قال: بين السماء والهواء بحر عجاج يتلاطم به الأمواج، فيه حيّات خضر البطون رقط الظهور، ويصيدها الملوك بالبزاة الشهب، يمتحن بها العلماء)) فقال: صدقت وصدق آباؤك وصدق جدّك وصدق ربّك، فأركبه ثم زوّجه أُمّ الفضل.

وفي كتاب معرفة تركيب الجسد عن الحسين بن أحمد التميمي:

روي عن أبي جعفر الثاني أنّه استدعى فاصداً في أيّام المأمون، فقال له: أفصدني في العرق الزاهر، فقال له: ما أعرف هذا العرق يا سيّدي، ولا سمعته، فأراه إيّاه، فلمّا فصده خرج منه ماء أصفر، فجرى حتى امتلأ الطست، ثم قال له: ((أمسكه))، فأمر بتفريغ الطست، ثم قال: ((خلّ عنه))، فخرج دون ذلك، فقال: ((شده الآن))، فلمّا شدّه أمر له بمائة دينار، فأخذها وجاء إلى بختناس فحكى له ذلك فقال: والله ما سمعت بهذا العرق مذ نظرت في الطبّ، ولكن هٰهنا فلان الأسقف، قد مضت عليه السنون، فامض بنا إليه، فإمّا كان عنده علمه وإلا لم نقدر على من يعلمه، فمضيا إليه، ودخلا عليه وقصّ القصص، فأطرق مليّاً ثم قال: يوشك أن يكون هذا الرجل نبيّاً أو من ذرّية نبيّ.

وفي الفصول المهمّة (ص ٢٧٠):

حكي أنّه لمّا توجّه أبو جعفر منصرفاً من بغداد إلى المدينة الشريفة،

خرج معه الناس يشيّعونه للوداع ، فصار إلى أن وصل إلى باب الكوفة عند دار المسيّب، فنزل هناك مع غروب الشمس ، ودخل إلى مسجد قديم مؤسس بذلك الموضع ليصلّي فيه المغرب، وكان في صحن المسجد شجرة نبق لم تحمل قطّ ، فدعا بكوز فيه ماء ، فتوضّأ في أصل الشجرة وقام يُصلّي ، فصلّى معه الناس المغرب، فقرأ في الأُولى : الحمد وإذا جاء نصر الله ، وقرأ في الثانية : الحمد وقل هو الله أحد ، ثم بعد فراغه جلس هُنيئة يذكر الله تعالى وقام فتنفّل بأربع ركعات وسجد بعدهنّ سجدتي الشكر ، ثم قام فودّع الناس وانصرف ، فأصبحت النبقة وقد حملت من ليلتها حملاً حسناً ، فرآها الناس وقد تعجّبوا من ذلك غاية العجب، ثم ما كان هو أغرب من ذلك، إنّ نبقة هذه الشجرة لم يكن لها عجم فزاد تعجّبهم من ذلك أكثر وأكثر، وهذا من بعض كراماته الجليلة ، ومناقبه الجميلة .

وفي دلائل الطبري(ص ٢٠٤) : روى محمد المحمودي عن أبيه قال : كنت واقفاً على رأس الرضا بطوس ، فقال له بعض أصحابه : إن حدث حادث فالى من ؟ قال : ((إلى ابني أبي جعفر)) ، قال : أستصغر سِنّه ، فقال له أبو الحسن : ((إنّ الله بعث عيسى بن مريم قائماً بشريعة في دون السنّ التي يقوم بها أبو جعفر على شريعته)) .

فلمّا مضى الرضا (ع) ، وذلك في سنة إثنتين ومائتين ، وسنّ أبي جعفر ستّ سنين وشُهور ، واختلف الناس في جميع الأمصار ، إجتمع الريّان بن الصلت، وصفوان بن يحيى ، ومحمد بن حكيم ، وعبد الرحمان بن الحجّاج في بركة زلزل يبكون ويتوجّعون من المصيبة ، فقال لهم يونس : دعو البكاء ، من لهذا الأمر يفتي المسائل إلى أن يكبر هذا الصبي ـ يعني أبا جعفر ـ وكان له ستّ سنين وشهور ، ثم قال : أنا ومن مثلي ، فقام إليه الريّان بن الصلت

فوضع يده في حلقه، ولم يزل يلطم وجهه ويضرب رأسه، ثم قال له: يا بن الفاعلة، إن كان أمر من الله (جلّ وعلا) فابن يومين مثل ابن مائة سنة كان يأتي بمثل ما يأتي به السادة أو بعضه، وهذا مما ينبغي أن ينظر فيه؟ وأقبلت العصابة على يونس تعذله.

وقرب الحج، واجتمع من فقهاء بغداد والأمصار وعلمائهم ثمانون رجلاً، وخرجوا إلى المدينة، وأتوا دار أبي عبد الله ودخلوها، وبسط لهم بساط أحمر، وخرج إليهم عبد الله بن موسى فجلس في صدر المجلس، وقام منادٍ فنادى: هذا ابن رسول الله، فمن أراد السؤال فليسأل، فقام إليه رجل من القوم فقال له: ما تقول في رجل قال لامرأته: أنت طالق عدد نجوم السماء؟ قال: طلّقت ثلاثاً دون الجوزاء، فورد على الشيعة ما زاد غمّهم وحزنهم، ثم قام إليه رجل آخر فقال: ما تقول في رجل أتى بهيمة؟ قال: تُقطع يده ويُجلد مائة جلدة ويُنفى، فضجّ الناس بالبكاء، وكان قد اجتمع فقهاء الأمصار، فهم في ذلك، إذ فتح باب من صدر المجلس وخرج موفّق، ثم خرج أبو جعفر وعليه قميصان وأزار وعمامة بذؤابتين، إحداهما: من قدّام، والأُخرى: من خلف ونعل بقبالين، فجلس، وأمسك الناس كلّهم، ثم قام إليه صاحب المسألة الأُولى فقال: يا بن رسول الله ما تقول فيمن قال لامرأته: أنت طالق عدد نجوم السماء؟ فقال له: ((يا هذا إقرأ كتاب الله، قال الله تبارك وتعالى: *الطلاق مرّتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان* في الثالثة)) ، قال: فانّ عمّك أفتاني بكيت وكيت، فقال: ((يا عم إتّق الله ولا تفت وفي الأُمّة من هو أعلم منك)) ، فقام إليه صاحب المسألة الثانية فقال: يا بن رسول الله ما تقول في رجل أتى بهيمة؟؛ يُعزّر، ويُحمى ظهر البهيمة، وتُخرج من البلد لا يبقى على الرجل عارها، فقال: إنّ عمّك أفتاني بكيت وكيت، فالتفت، وقال بأعلى صوته: ((لا إلـٰه إلا الله، يا عبد الله إنّه عظيم عند الله

أن تقف غداً بين يدي الله فيقول لك : لِمَ أفتيت عبادي بما لا تعلم وفي الأُمّة من هو أعلم منك)) ، فقال عبد الله بن موسى : رأيت أخي الرضا وقد أجاب في هذه المسألة بهذا الجواب، فقال أبو جعفر : ((إنّما سُئل الرضا عن نبّاش نبش إمرأة ففجر بها وأخذ ثيابها ، فأمر بقطعه للسرقة ، وجلده للزنا ، ونفيه للمُثلة بالميّت)) ، ففرح القوم .

ومكث أبو جعفر مستخفياً بالإمامة ، فلمّا صار له ستّ عشرة سنة وجّه المأمون من حمله وأنزله بالقرب من داره وعزم على تزويج إبنته ، واجتمعت بنو العبّاس وسألوه أن لا يفعل ذلك، فقال لهم : والله لهو بالله ورسوله وسُنّته وأحكامه من جميعكم ، والحديث مشهور فلا حاجة إلى ذكره .

وفي الكافي (ج ١/ص ٤٩٤) : عن محمد بن الريّان قال :

إحتال المأمون على أبي جعفر بكلّ حيلة ، فلم يمكنه فيه شيء ، فلمّا اعتلّ وأراد أن يبني عليه إبنته دفع إليّ مائتي وصيفة من أجمل ما يكون ، إلى كلّ واحدة منهنّ جاماً فيه جوهر يستقبلن أبا جعفر (عليه السلام) إذا قعد في موضع الاختتان ، فلم يلتفت إليهنّ ، وكان رجل يُقال له مخارق ؛ صاحب صوت وعود وضرب، طويل اللحية ، فدعاه المأمون ، فقال : يا أمير المؤمنين إن كان في شيء من أُمور الدنيا فأنا أكفيك أمره ، فقعد بين يدي أبي جعفر (عليه السلام) ، فشهق مخارق شهقة إجتمع عليه أهل الدار ، وجعل يضرب بعوده ويُغنّي ، فلمّا فعل ساعة وإذا أبو جعفر لا يلتفت إليه ، لا يميناً ولا شمالاً ، ثم رفع إليه رأسه وقال : ((إتق الله يا ذا العثنون)) ، قال : فسقط المضراب من يده والعود ، فلم ينتفع بيديه إلى أن مات ، قال : فسأله المأمون عن حاله؟ قال : لمّا صاح بي أبو جعفر فزعت فزعة لا أفيق منها أبداً .

والعثنون : بالثاء المثلّثة بعد العين المهملة ثم النونين : اللحية ،أو

ما فضل منها بعد العارضين، أو طولها.

عليّ بن إبراهيم عن أبيه قال:

إستأذن على أبي جعفر (عليه السلام) قوم من أهل النواحي من الشيعة، فأذن لهم، فدخلوا وسألوه في مجلس واحد عن ثلاثين ألف مسألة، فأجاب (عليه السلام) وله عشر سنين.

قال المجلسي (رحمه الله):

يشكل هذا بأنّه لو كان السؤال والجواب عن كلّ مسألة بيتاً واحداً، أعني خمسين حرفاً، لكان أكثر من ثلاث ختمات للقرآن، فكيف يمكن ذلك في مجلس واحد، ولو قيل: جوابه (عليه السلام) كان في الأكثر ب: (لا) أو: (نعم) أو بالاعجاز في أسرع زمان، ففي السؤال لا يمكن ذلك، ويمكن الجواب بوجوه:

(الأول): إنّ الكلام محمول على المبالغة في كثرة الأسئلة والأجوبة، فانّ عدّ مثل ذلك مستبعد جدّاً.

(الثاني): يمكن أن يكون في خواطر القوم أسئلة كثيرة متّفقة، فلمّا أجاب (عليه السلام) عن واحد فقد أجاب عن الجميع.

(الثالث): أن يكون إشارة إلى كثرة ما يستنبط من كلماته الموجزة المشتملة على الأحكام القريبة، وهذا وجه قريب.

(الرابع): أن يكون المراد بوحدة المجلس الوحدة النوعيّة، أو مكان واحد كمنى وإن كان في أيّام متعددة.

(الخامس): أن يكون مبنيّاً على بسط الزمان الذي تقول به الصوفيّة، لكنّه ظاهراً من قبيل الخرافات.

(السادس): أن يكون إعجازه أثر في سرعة كلام القوم أيضاً، أو كان يُجيبهم بما يعلم من ضمائرهم قبل سؤالهم.

(السابع) : ما قيل : إنّ المراد السؤال بعرض المكتوبات والطومارات فوقع الجواب بخرق العادة ·

أقول : ولا يبعد أن تتفق الأسئلة مع اختلاف اللغات، فيسمع الجواب كلّ بلسانه ولغته، كما ورد في حديث الصيحة، وانّه يسمع الصوت كلّ قوم بلغتهم ·

وفي مناقب ابن شهراشوب (ص ٣٩١) :

روي أنّ إمرأته أُمّ الفضل بنت المأمون سمّته في فرجه بمنديل، فلمّا أحسّ بذلك قال لها : ((أبلاك الله بداءٍ لا دواء له)) ، فوقعت الآكلة في فرجها ، وكانت تنتصب للطبيب فينظرون إليها ، ويسرون بالدواء عليها فلا ينفع ذلك حتى ماتت من علّتها ·

نُبذَة مِنْ حيَاة الأمَام الهَادِي (ع)

ثم الإمام العاشر، والنور الزاهر، والبدر الباهر :

وهو عليّ بن محمد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام) ·

قال في أعلام الورى (ص ٣٣٩) :

ولد (عليه السلام) بصربا من المدينة في النصف من ذي الحجّة سنة إثنتيّ عشرة ومائتين ، وفي رواية إبن عيّاش : يوم الثلاثاء الخامس من رجب وقُبض بسُرّ من رأى في رجب سنة أربع وخمسين ومائتين ، وله يومئذٍ إحدى وأربعون سنة وأشهر ، وكان المتوكّل قد أشخصه مع يحيى بن هرثمة بن أعين من المدينة إلى سُرّ من رأى ، فأقام بها حتى مضى لسبيله ، وكانت مدّة إمامته : ثلاثاً وثلاثين سنة ·

وفي دلائل الطبري (ص ٢١٦) :

قال أبو محمد الحسن بن عليّ الثاني (عليه السلام) :

((ولد أبي ــ عليّ بن محمد ــ بالمدينة يوم الإثنين لثلاث خلون من رجب سنة أربع عشرة ومائتين من الهجرة ، وكان مقامه مع أبيه ستّ سنين وخمسة أشهر ، وعاش بعد أبيه ثلاثاً وثلاثين سنة وتسعة أشهر ، وكانت سنو إمامته بقيّة ملك الواثق ، ثم ملك المتوكّل ، ثم المستعين أحمد ، ثم المعتز ، وفي آخر ملكه إستُشهد وليّ الله ، وقد كمل عمره أربعين سنة ، وذلك في يوم الإثنين من رجب سنة مائتين وخمسين من الهجرة مسموماً ، وقيل : سنة أربع وخمسين ومائتين ، وقيل : لخمس من رجب سنة أربع وخمسين ، ودُفن بسُرّ من رأى في داره .

وروى محمد بن الفرج بن إبراهيم بن عبد الله بن جعفر قال :

دعاني أبو جعفر محمد بن علي ، فأعلمني أنّ قافلة قد قدمت وفيها نخّاس معه جوار ، ودفع إليّ سبعين ديناراً ، وأمرني بابتياع جارية وصفها لي ، فمضيت، وعلمت بما أمرني ، فكانت الجارية أُمّ أبي الحسن .

وروي : إنّ إسمها : سمانة ، وكانت مولدة ..

وفي إثبات الوصيّة : إنّ إسمها : جمانة .

وروى محمد بن الفرج وعليّ بن مهزيار ، أنّ السيّد (عليه السلام) قال :

((أُمّي عارفة بحقّي وهي من أهل الجنّة ، لا يقربها شيطان مارد ، ولا ينالها جبّار عنيد ، وهي مكلوءة بعين الله التي لا تنام ، ولا تتخلّف عن أُمّهات الصالحين والصدّيقين)) .

وكان يُلقّب بالنقي ؛ لنقائه وحسن باطنه ، ومن ألقابه : العالم ، والفقيه والأمين ، والدليل ، والنجيب ، والعسكري ، والطيّب ، والمرتضى ، والهادي ،،

والرشيد ، والشهيد ، ويُقال له : الفقيه العسكري ، وأبو الحسن الثالث.

وفي كشف الغمّة للأربلي (ج ٣/ص ١٨١) : عن يحيى بن هرثمة قال :

دعاني المتوكّل وقال : إختر ثلاثمائة ممن تريده ، وأخرجوا إلى الكوفة فخلّفوا أثقالكم فيها ، وأخرجوا على طريق البادية إلى المدينة ، فأحضروا عليّ بن محمد بن الرضا إلى عندي معظّماً مكرّماً مبجّلاً ، قال : ففعلت ، وخرجنا ، وكان في أصحابي قائد من الشراة (طائفة من الخوارج) ، وكان لي كاتب متشيّع ، فكان الشاري يناظر الكاتب ، وكنت أستريح لمناظرتهما أقطع الطريق ، فلمّا صرنا وسط الطريق قال الشاري للكاتب : أليس من قول صاحبكم عليّ بن أبي طالب : ليس من الأرض بقعة إلا وهي قبر أو ستكون قبراً ؟ فانظر إلى هذه البريّة العظيمة ، أين من يموت فيها حتى يملأها الله قبوراً كما تزعمون ؟ قال : فقلت للكاتب : أهذا من قولكم ؟ قال : نعم ، فقلت : أين من يموت في هذه البريّة حتى تمتلىء قبوراً ؟ وتضاحكنا ساعة إذ انخذل الكاتب في أيدينا ، وسرنا حتى وصلنا المدينة .

فقصدت دار أبي الحسن ، فدخلت إليه ، وقرأ كتاب المتوكّل ، وقال : ((أنزلوا ، فليس من جهتي خلاف)) ، فلمّا صرت إليه من الغد ، إذا بين يديه خيّاط ، وهو يقطع من ثياب غلاظ خفاتين له ولغلمانه ــ وكنّا في تمّوز أشدّ ما يكون من الحرّ ــ ، وقال للخيّاط : ((أجمع عليها جماعة من الخيّاطين ، واعمل من الفراغ منها يومك هذا ، وبكّر بها إليّ في هذا الوقت)) ، ونظر إليّ وقال : ((يا يحيى أقضوا وطركم من المدينة في هذا اليوم ، واعمل على الرحيل غدا في هذا الوقت)) ، فخرجت من عنده وأنا أتعجّب منه ومن الخفّاتين ، وأقول في نفسي : نحن في تمّوز ، وحرّ الحجاز ، وبيننا وبين العراق عشرة أيّام ، فما يصنع بهذه الثياب ؟ وقلت في نفسي : هذا رجل لم يُسافر ، وهو يقدّر أنّ كلّ سفر يحتاج إلى هذه الثياب ، وأتعجّب من الروافض كيف يقولون

بامامه هذا مع فهمه هذا؟ .

فعدّت إليه في الغد ذلك الوقت، فاذا الثياب قد أُحضرت، وقال لغلمانه: ((أُدخلوا ، وخُذوا لنا معكم لبابيد وبرانس)) ، ثم قال: ((أرحل يا يحيى)) ، فقلت في نفسي: وهذا أعجب من الأول ، يخاف أن يلحقنا الشتاء في الطريق حتى أخذ معه اللبابيد والبرانس؟ .

فخرجت وأنا أستصغر فهمه، فسرنا حتى إذا وصلنا إلى موضع المناظرة في القبور، إرتفعت سحابة، واسودّت، وأرعدت، وأبرقت، حتى إذا صارت على رؤوسنا أرسلت على رؤوسنا برداً مثل الصخور، وقد شدّ على نفسه (عليه السلام) وعلى غلمانه الخفّاتين، ولبسوا اللبابيد والبرانس، وقال لغلمانه: ((إدفعوا إلى يحيى لبّادة وإلى الكاتب برنساً)) ، وتجمّعنا والبرد يأخذنا ، حتى قُتل من أصحابي ثمانين رجلاً ، وزالت وعاد الحرّ كما كان ، فقال لي: ((يا يحيى أنزل من بقي من أصحابك فادفن من مات منهم ، فهكذا يملأ اللّه هذه البريّة قبوراً)) .

قال: فرميت بنفسي عن دابّتي وعدوت إليه فقبّلت رجله وركابه ، وقلت: أنا أشهد أن لا إلـه إلا اللّه ، وأنّ محمداً (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) عبده ورسوله ، وأنّكم خلفاء اللّه في أرضه ، فقد كنت كافراً ، وقد أسلمت الآن على يديك يا مولاي ، قال يحيى: وتشيّعت ولزمت خدمته إلى أن مضى (عليه السلام) .

ولمّا ورد سُرّ من رأى أنزله المتوكّل في خان يُعرف بخان الصعاليك .

ففي الكافي (ج ١/ص ٤٩٨) : باسناده عن صالح بن سعيد قال:

دخلت على أبي الحسن (عليه السلام) فقلت له: جُعلت فداك في كلّ الأُمور أرادوا إطفاء نورك والتقصير بك، حتى أنزلوك في هذا الخان الأشنع ، خان الصعاليك ؟ فقال: ((هـٰهنا أنت يا بن سعيد)) ؟ ثم أومأ بيده

وقال: ((أُنظر)) ، فنظرت، فاذا أنا بروضات آنقات، وروضات باسرات ؛ فيهنّ خيرات عطرات، وولدان كأنهنّ اللؤلؤ المكنون ، وأطيار، وظباء ، وأنهار تفور ، فحار بصري وحسرت عيني ، قال : ((حيث كنّا فهذا لنا عتيد ، لسنا في خان الصعاليك)) ٠

وعن خيران الأسباطي قال :

قدمت على أبي الحسن (عليه السلام) المدينة ، فقال لي : ((ما خبر الواثق عندك؟)) قلت: جعلت فداك خلّفته في عافية ؛ أنا من أقرب الناس عهداً به ، عهدي به منذ عشرة أيّام ، قال : فقال لي : ((إنّ أهل المدينة يقولون : إنّه مات، فلمّا أن قال لي الناس علمت أنّه هو)) ، ثم قال لي : ((ما فعل جعفر؟)) (يعني المتوكّل) ، قلت: تركته أسوأ الناس حالاً في السجن ، قال : فقال : ((أما أنّه صاحب الأمر ، ما فعل إبن الزيّات ؟)) ، قلت: جُعلت فداك ، الناس معه ، والأمر أمره ، قال : فقال : ((أما أنّه شؤوم عليه)) ، قال : ثم سكت وقال لي : ((لا بدّ أن تجري مقادير الله ، وأحكامه ، يا خيران مات الواثق ، وقد قعد المتوكّل جعفر ، وقُتل إبن الزيّات)) ، فقلت: متى؟ جُعلت فداك ؟ قال : ((بعد خروجك بستّة أيّام)) ٠

وفي كشف الغمّة (ص١٨٢) :

إنّ هبة الله بن أبي منصور الموصلي قال :

كان بديار ربيعة كاتب لها ؛ نصراني يُسمّى : يوسف بن يعقوب، وكان بينه وبين والدي صداقة ، قال : فوافانا فنزل عند والدي ، فقال له والدي : فيم قدمت في هذا الوقت ؟ قال : دُعيت إلى حضرة المتوكّل ، ولا أدري ما يُراد منّي ، إلا أنّي إشتريت نفسي من الله بمائة دينار ، وقد حملتها لعليّ بن محمد الرضا (عليه السلام) معي ، فقال له والدي : قد وفّقت في هذا ، وخرج

إلى حضرة المتوكّل ، وجاءنا بعد أيّام قلائل فرحاً مسروراً مستبشراً ، فقال له والدي : حدّثني حديثك ،قال : صرت إلى سُرّ من رأى ـ وما دخلتها قطّ ـ فنزلت في دار ، وقلت: يجب أن أوصل هذه المائة دينار إلى ابن الرضا قبل مصيري إلى دار المتوكّل ، وقبل أن يعرف أحد قدومي ، وعرفت أنّ المتوكّل منعه من الركوب، وأنّه ملازم لداره ، فقلت: كيف أصنع؟ رجل نصراني يسأل عن دار ابن الرضا؟ لا آمن أن ينذر بي فيكون ذلك زيادة فيما أحاذره ،قال : ففكّرت ساعة في ذلك ، فوقع في قلبي أن أركب حماري وأخرج في البلد، فلا أمنعه حيث يذهب، لعلّي أقف على معرفة داره من غير أن أسأل أحداً،، فجعلت الدنانير في كاغذ ، وجعلتها في كُمّي وركبت، وكان الحمار يتخرّق الشوارع والأسواق يمرّ من حيث يشاء ، إلى أن صرت إلى باب دار، فوقف الحمار فجهدت أن يزول فلم يزل ، فقلت للغلام : سل : لمن هذه الدار؟ فسأل ؟ فقيل : دار ابن الرضا ، فقلت: الله أكبر ، دلالة والله مقنعة ، قال: فاذا خادم أسود قد خرج فقال : أنت يوسف بن يعقوب ؟ قلت: نعم ، قال: فانزل ، فأقعدني في الدهليز ، ودخل ، فقلت: هذه دلالة أُخرى ؛ من أين عرف إسمي وإسم أبي وليس في البلد من يعرفني ولا دخلته قطّ ؟ فخرج الخادم فقال : المائة دينار التي في كمّك في الكاغذ ، هاتها ، فناولته إيّاها وقلت: هذه ثالثة، وجاء فقال : أدخل ، فدخلت وهو وحده، فقال : ((يا يوسف ما آن لك)) ؟ فقلت: يا مولاي قد بان لي من البرهان ما فيه كفاية لمن اكتفى ، فقال : ((هيهات، إنّك لا تُسلم ، ولكن سيسلم إبنك، وهو من شيعتنا ، يا يوسف إنّ أقواماً يزعمون أ نّ ولايتنا لا تنفع أمثالك، كذبوا والله إنّها لتنفع ، إمض فيما وافيت له فانّك سترى ما تحب)) ، فمضيت إلى باب المتوكّل فنلت كلّما أردت وانصرفت.

قال هبة الله : فلقيت إبنه بعد هذا وهو مسلم حسن التشيّع،

فأخبرني أنّ أباه مات على النصرانيّة ، وأنّه أسلم بعد موت أبيه ، وكان يقول : أنا مؤمن ببشارة مولاي (عليه السلام) ·

قال أبو هاشم الجعفري :

ظهر برجل من أهل سُرّ من رأى برص ، فتنغّص عيشه ، فأشار عليه أبو عمرو الفهري بالتعرّض لأبي الحسن (عليه السلام) ، وأن يسأله الدعاء ، فجلس له يوماً ، فرآه فقام إليه ، فقال : ((تنحّ عافاك اللّه)) ، وأشار إليه بيده : ((تنحّ عافاك اللّه)) ثلاث مرّات ، فانخذل ولم يجسر أن يدنو منه ، فانصرف ولقي الفهري ، فعرّفه ما قال له ، قال : قد دعا لك قبل أن تسأله ، فاذهب فانّك ستُعافى ، فذهب ، وأصبح وقد بُرئ ·

وعن زرارة حاجب المتوكّل قال :

وقع مشبّذ هندي يلعب بالحقّة لم ير مثله ، وكان المتوكّل لعّاباً ، فأراد أن يُخجل عليّاً (عليه السلام) ، فقال المتوكّل : إن أخجلته فلك ألف دينار ، قال : فتقدّم أن يخبز رقاق خفاف ، تجعل على المائدة وأنا إلى جنبه ، ففعل وحضر عليّ (عليه السلام) للطعام ، وجعل له مسورة عليها صورة أسد ، وجلس اللاعب إلى جنب المسورة ، فمدّ عليّ (عليه السلام) يده إلى رقاقة فطيّرها اللاعب ، كذا ثلاث مرّات ، فتضاحكوا ، فضرب عليّ (عليه السلام) يده على تلك الصورة وقال : ((خذه)) ، فوثبت الصورة من المسورة وابتلعت الرجل وعادت إلى المسورة ، فتحيّروا ، ونهض عليّ بن محمد ، فقال له المتوكّل : سألتك باللّه إلا جلست ورددته ، فقال : ((لا واللّه لا يُرى بعدها ، أتسلّط أعداء اللّه على أوليائه؟)) ولم ير الرجل بعدها ·

وروى ابن أرومه قال :

خرجت إلى سرّ من رأى أيّام المتوكّل ، فدخلت إلى سعيد الحاجب ،

وكان المتوكّل دفع إليه أبا الحسن (عليه السلام) ليقتله ، فقال لي : تحب أن تنظر إلى إلٰهك ؟ فقلت : سبحان الله ، إلٰهي لا تدركه الأبصار ؟ فقال : الذي تزعمون أنّه إمامكم ؟ قلت : ما أكره ذلك ، قال : قد أمرت بقتله ، وأنا فاعله غداً ، فاذا خرج صاحب البريد فأدخل عليه ، فخرج ودخلت ، وهو جالس ، وهناك قبر محفور ، فسلّمت عليه وبكيت بكاء شديداً ، فقال : ((ما يُبكيك)) ؟ قلت : ما أرى ، قال : ((لا تبك ، إنّه لا يتمّ لهم ذلك ، وإنّه لا يلبث أكثر من يومين حتى يسفك الله دمه ودم صاحبه)) ، فوالله ما مضى غير يومين حتى قُتل .

وعرض المتوكّل عسكره وأمر كلّ فارس أن يملأ مخلاة فرسه طيناً ويطرحوه في موضع واحد ، فصار كالجبل ـ واسمه : تلّ المخالي ـ ، وصعد هو وأبو الحسن (عليه السلام) ، وقال : إنّما طلبتك لتشاهد خيولي ـ وكانوا قد لبسوا التجافيف ، وحملوا السلاح ، وقد عرضوا بأحسن زينة ، وأتمّ عدّة ، وأعظم هيئة ، وكان غرضه كسر قلب من يخرج عليه ، وكان يخاف من أبي الحسن أن يأمر أحداً من أهل بيته بالخروج عليه ـ ، فقال له أبو الحسن : ((فهل أعرض عليك عسكري)) ؟ قال : نعم ، فدعا الله سبحانه ، فاذا بين السماء والأرض من المشرق إلى المغرب ملائكة مدجّجون ، فغشي على المتوكّل ، فلمّا أفاق قال له أبو الحسن : ((نحن لا ننافسكم في الدنيا ، فانّا مشغولون بالآخرة ، فلا عليك شيء مما تظنّ)) .

قال في المصباح المنير :

التجفاف : تفعال بالكسر ، شيء تلبسه الفرس عند الحرب كأنه درع ، قيل : سمّي بذلك لما فيه من الصلابة واليبوسة ، وقال ابن الجواليقي : التجفاف مُعرّب ، ومعناه : ثوب البدن ، والجمع تجافيف .

والمدجج : لابس السلاح لأنّه يتغطّى به ، من : دججت السماء ؛

إذا تغيّـــمت.

أقول : ولعلّه (عليه السلام) سُمّي العسكري لهذا السبب.

وفي عيون المعجزات (ص ١٣١) :

كان أبو الحسن عليّ بن محمد (عليهما السلام) حاجّاً ، ولمّا كان فـي إنصرافه إلى المدينة وجد رجلاً خراسانيّاً واقفاً على حمار له ، يبقى ويقول :على ماذا أحمل رحلي؟ فاجتاز (عليه السلام) فقيل له : هذا الخراساني مـن يتولاّكم أهل البيت، فدنا (عليه السلام) من الحمار الميّت فقال : ((لم تكن بقرة بني إسرائيل بأكرم على الله تعالى منّي وقد ضربوا ببعضها الميّت فعاش)) ثم وكزه برجله اليمنى ، وقال : ((قم باذن الله)) ، فتحرّك الحمار ثم قام ، فوضع الخراساني رحله عليه وأتى به إلى المدينة ، وكلّما مرّ (عليه السلام) بقوم أشاروا بأصابعهم وقالوا : هذا الذي أحيا حمار الخراساني.

وروي أنّ رجلاً من أهل المدائن كتب إليه يسأله عمّا بقي من ملـك المتوكّل؟ فكتب : ((بسم الله الرحمٰن الرحيم ، ﴿قال تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتّم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون * ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدّمتم لهنّ إلا قليلاً مما تُحصنون * ثم يأتي بعد ذلك عـام فيه يُغاث الناس وفيه يعصرون ﴾)) ، فقُتل في أول خامس عشر.

وروي أنّه لمّا كان في يوم الفطر في السنة التي قتل فيها المتوكّل ، أمـر المتوكّل بني هاشم بالترجّل والمشي بين يديه ، وإنّما أراد بذلك أن يترجّـل أبو الحسن (عليه السلام) ، فترجّل بنو هاشم ، وترجّل أبو الحسن (علـيه السلام) ، واتّكى على رجل من مواليه ، فأقبل عليه الهاشميّون وقالوا : يـا سيّدنا ما في العالم أحد يستجاب دعاؤه ويكفينا الله به تعزز هذا؟ فقال لهم أبو الحسن (عليه السلام) : ((في هذا العالم من قلامة ظفره أكرم على الله مـن

ناقة ثمود ، لمّا عقرت الناقة صاح الفصيل إلى الله تعالى ، فقال الله سبحانه : ﴿ تمتّعوا في داركم ثلاثة أيّام ذلك وعد غير مكذوب ﴾) فقُتل في اليوم الثالث ٠

وروي أنّ المتوكّل قُتل في الرابع من شوّال سنة سبع وأربعين ومائتين ، في سنة سبع وعشرين من إمامة أبي الحسن (عليه السلام) ، وبُويع لابنه محمد بن جعفر المنتصر ، وملَكَ سبعة أشهر ، وبُويع لأحمد المستعين بن المعتصم وكانت مدّته أربع سنين ، ثم خُلع وبُويع للمعتز بن المتوكّل ، وروي أنّ إسمه : الزبير ، في سنة إثنين وخمسين ومائتين ، وذلك في إثنين وثلاثين من إمامة أبي الحسن (عليه السلام) ، واعتلّ أبو الحسن علّته التي تُوفّي فيها في سنة أربع وخمسين ومائتين ، وأحضر إبنه أبا محمد الحسن (عليه السلام) ، وأعطاه النور والحكمة ومواريث الأنبياء والسلاح ، ونصّ عليه وأوصى إليه بمشهد ثقات من أصحابه ، ومضى (عليه السلام) وله أربعون سنة ، ودُفن في داره بسرّ من رأى.

وبالاجمال : فانّ معاليه فوق المجرّة علاء ، ومناقبه أكثر من النجوم تلألؤ أو سناء ، ومآثره لا يُحيط بها البيان ، ولا يُدركها العيان ، ولن تُحصى بحسبان ، صلّى الله عليه ماكر الجديدان ، واختلف الملوان ٠

نُبْذَةٌ مِنْ حَيَاةِ الإِمَامِ العَسْكَرِيّ ع

ثم الإمام الحادي عشر ، ووالد الخلف المنتظر ٠

وهو الحسن بن عليّ بن محمد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه وولده أجمعين إلى يوم الدين) ٠

كنيته : أبو محمد ، وألقابه : الصامت ، والخالص ، والسراج ، والهادي ، والرفيق والزكيّ والعسكري ، والشافي ، والمرضيّ ، وكان هو وأبوه وجدّه يعرف كلّ منهم في زمانه بابن الرضا ٠

وأُمّـه : أُمّ ولد ، يُقال لها : سوسن ، وقيل : حريبة ، وقيل : حديث ، وقيل : سليل ، وهو الأصح .

وقيل : إنّ المحلّة التي كان يسكنها الإمامان : عليّ بن محمد وولده الحسن بسرّ من رأى كانت تُسمّى عسكراً ، فلذلك سُمّي كلّ واحد منهما : العسكري .

ميلاده يوم الجمعة لثمان خلون من شهر ربيع الآخر بالمدينة ، وقيل : ولد بسُرّ من رأى سنة إثنتين وثلاثين ومائتين ، وكان مقامه مع أبيه ثلاثاً وعشرين سنة ، وبعد أبيه مدّة إمامته ستّ سنين ، وكان في سنيّ إمامته بقيّة ملك المعتز شهراً ، ثم ملك المهتدي والمعتمد ، وبعد مضيّ خمس سنين من ملك المعتمد قبض ، ويُقال : إستشهد ، ودفن مع أبيه بسرّ من رأى وقد كمل عمره تسعة وعشرين سنة ، وقيل : ثمان وعشرين سنة .

مرض في أول شهر ربيع الأول سنة ستّين ومائتين ، وتوفّي يوم الجمعة لثمان خلون منه ، وقد أخفى مولد إبنه لشدّة طلب سلطان الوقت له ، فلم يره إلا الخواص من شيعته .

وذهب كثير من أصحابنا إلى أنّه (عليه السلام) قُبض مسموماً ، وكذلك أبوه وجدّه وجميع الأئمة (صلوات الله وسلامه عليهم) خرجوا جميعاً من الدنيا على الشهادة ، واستدلّوا على ذلك بما روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) من قوله : ((والله ما منّا إلا مقتول شهيد)) ، والله أعلم بحقيقة ذلك .

وذكر الطوسي في الغيبة بالإسناد عن أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري قال : كنت عند أبي الحسن (عليه السلام) عند وفاة إبنه أبي جعفر (السيّد محمد) ــ وقد كان أشار إليه ودلّ عليه ــ فأنّي لأُفكّر في نفسي وأقول : هذه قضيّة أبي إبراهيم وقضيّة إسماعيل ، فأقبل عليّ أبو الحسن (عليه السلام)

وقال: ((نعم يا أبا هاشم، بدا لله في أبي جعفر، وصيّر مكانه أبا محمد، كما بدا لله في إسماعيل بعد ما دلّ عليه أبو عبد الله (عليه السلام) ونصبه، وهو كما حدّثت به نفسك وإن كره المبطلون، أبو محمد إبني الخلف من بعدي، عنده ما تحتاجون إليه، ومعه آلة الإمامة والحمد لله)) (ص ١٢٠ و١٢١).

وعن شاهوية بن عبد الله الجلّاب قال:

كنت رويت عن أبي الحسن (عليه السلام) روايات في أبي جعفر إبنه،، تدلّ عليه، فلمّا مضى أبو جعفر قلقت لذلك، وبقيت متحيّراً لا أتقدّم ولا أتأخّر وخفت أن أكتب إليه في ذلك فلا أدري ما يكون، فكتبت إليه أسأله الدعاء، وأن يُفرّج الله عنّا في أسباب من قبل السلطان كنّا نغتمّ في غلماننا، فرجع الجواب بالدعاء، وردّ الغلمان علينا، وكتب في آخر الكتاب: ((أردّت أن تسأل عن الخلف بعد مضيّ أبي جعفر، وقلقت لذلك، فلا تغتمّ، فانّ الله لا يُضلّ قوماً بعد إذ هداهم حتى يُبيّن لهم ما يتّقون، صاحبكم بعدي أبو محمد إبني، وعنده ما تحتاجون إليه، يُقدّم الله ما يشاء، ويُؤخّر ما يشاء، *ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها*، قد كتبت ما فيه بيان، وقناع لكلّ ذي عقل يقظان)).

قال محمد بن الحسن الطوسي (رحمه الله):

ما تضمّن الخبر المتقدّم من قوله: ((بدا لله في محمد كما بدا له في إسماعيل)) معناه: ظهر من الله وأمره في أخيه الحسن ما أزال الريب والشكّ في إمامته، فانّ جماعة من الشيعة كانوا يظنّون أنّ الأمر في محمد من حيث كان الأكبر، كما كان يظنّ جماعة أنّ الأمر في إسماعيل بن جعفر دون موسى (عليه السلام)، فلمّا مات محمد ظهر من أمر الله فيه، وأنّه لم ينصبه إماماً، كما ظهر في إسماعيل مثل ذلك، لا أنّه كان نصّ عليه ثم بدا له في النص

على غيره ، فانّ ذلك لا يجوز على اللّه تعالى العالم بالعواقب·

وفي عيون المعجزات (ص ١٣٥) : عن أبي هاشم قال :

شكوت إلى أبي محمد (عليه السلام) ضيق الحبس وكلب القيد ، فكتب إليّ : ((أنت تُصلّي اليوم في منزلك صلاة الظهر)) ، فصلّيت في منزلي كما قال (عليه السلام) ، فأُطلقت في وقتي·

وعنه قال : كنت عند أبي محمد (عليه السلام) ــ وكنت في ضيقة ــ فأردت أن أطلب منه شيئاً فاستحييت، فلمّا صرت في منزلي وجّه إليّ بمائة دينار ، وكتب إليّ : ((وإذا كانت لك حاجة فلا تستح ولا تحتشم ، واطلبها فانّك تجد إن شاء اللّه تعالى)) ·

وعن جعفر بن محمد القلانسي قال :

كتب محمد أخي إلى أبي محمد (عليه السلام) ــ وامرأته حامل ــ يسأله الدعاء بخلاصها ، وأن يرزقه اللّه ذكراً ، وسأله أن يُسمّيه ، فكتب إليه : ((ونعم الإسم : محمد وعبد الرحمان ، فولدت له إثنين توأمين)) ، فسمّى أحدهما : محمداً والآخر : عبد الرحمان ·

وعن إسحاق بن محمد النخعي قال :

حدّثني محمد بن درياب الرقاشي قال : كتبت إلى أبي محمد (عليه السلام) : أسأله عن المشكاة؟ وأن يدعو لإمرأتي فانّها حامل ، وأن يرزقني اللّه منها ولداً ذكراً ، فوقع (عليه السلام) : ((المشكاة قلب محمد (صلّى اللّه عليه وآله)) ، وكتب تحته : ((أعظم اللّه أجرك وأخلف اللّه عليك)) فولدت ولداً ميّتاً ، وحملت بعد فولدت غلاماً ·

وفي غيبة الشيخ (ص ١٢٢) : عمر بن محمد بن ريّان الصيمري قال :

دخلت على أبي أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وبين يديه رقعة أبي محمد (عليه السلام) فيها : ((إنّي نازلت الله في هذا الطاغي)) ، ـ يعني : المستعين ـ ، ((وهو آخذه بعد ثلاث)) ، فلمّا كان اليوم الثالث خلع ، وكان من أمره ما كان إلى أن قتل .

وعن أبي هاشم الجعفري قال :

كنت محبوساً مع أبي محمد (عليه السلام) في حبس المهتدي بن الواثق ، فقال لي: ((يا هاشم إنّ هذا الطاغي أراد أن يعبث بالله في هذه الليلة ، وقد بتر الله عمره وجعله للقائم من بعده ، ولم يكن لي ولد ، وسأُرزق ولداً)) .

قال أبو هاشم : فلمّا أصبحنا شغب الأتراك على المهتدي فقتلوه وولي المعتمد مكانه وسلّمنا الله تعالى .

وأخبر أبو الهيثم بن سيّابة أنّه كتب إليه ـ لمّا أمر المعتز بدفعه إلى سعيد الحاجب وأن يحدث فيه ما يحدث به الناس بقصر ابن هبيرة ـ : جعلني الله فداك ، بلغنا خبر قد أقلقنا وأبلغ منّا ؟ فكتب (عليه السلام) : ((بعد ثالث يأتيكم الفرج)) ، فخلع المعتز اليوم الثالث .

وفي كشف الغمّة (ج ٣/ ص ٢٠١) :

حدّث أحمد بن الحرث القزويني قال : كنت مع أبي بسرّ من رأى ، وكان أبي يتعاطى البيطرة في مربط أبي محمد (عليه السلام) ، قال : وكان عند المستعين بغل لم ير مثله حسناً وكبراً ، وكان يمنع ظهره واللجام ، وكان قد جمع عليه الرواض فلم تكن لهم حيلة في ركوبه ، فقال له بعض نُدمائه : يا أمير المؤمنين ألا تبعث إلى الحسن بن عليّ بن الرضا حتى يجيء ، فامّا أن يركبه وإمّا أن يقتله ، قال : فبعث إلى أبي محمد ومضى أبي معه ، فلمّا دخل أبو

محمد الدار كنت مع أبي ، فنظر أبو محمد إلى البغل واقفاً في صحن الدار، فعدا إليه فوضع يده على كفله ، قال : فنظرت إلى البغل قد رعرق حتى سال العرق منه ، ثم صار إلى المستعين فسلّم عليه ، فرحّب به وقرّبه ، وقال :يا أبا محمد ألجم هذا البغل؟ فقال أبو محمد لأبي : ((ألجمه يا غلام)) ، فقال له المستعين : إلجمه أنت، فوضع أبو محمد طيلسانة ثم قام فألجمه ، ثم رجع إلى مجلسه وجلس ، قال له : يا أبا محمد أسرجه ، فقال لأبي : ((يا غلام أسرجه)) ، فقال المستعين : أسرجه أنت، فقام ثانية فأسرجه ورجع إلى مجلسه فقال له : ترى أن تركبه؟ فقال أبو محمد : ((نعم)) ، فركبه من غير أن يمتنع عليه ، ثم ركضه الدار ، ثم حمله على الهملجة ، فمشى أحسن مشي يكون ، ثم رجع فنزل ، فقال له المستعين : كيف رأيته؟ قال : ((ما رأيت مثله حسناً وفراهة)) ، فقال له المستعين : فانّ أمير المؤمنين قد حملك عليه ، فقال أبو محمد لأبي : ((يا غلام خذه)) ، فأخذه أبي فقاده ٠

وعن محمد بن إسماعيل العلوي قال :

حبس أبو محمد عند عليّ بن أوتامش ، وكان شديد العداوة لآل محمد (عليهم السلام) ، غليظاً على آل أبي طالب، وقيل له : افعل به وافعل ، فما أقام إلا يوماً واحداً حتى وضع خدّه له ، وكان لا يرفع بصره إليه إجلالاً وإعظاماً وخرج من عنده وهو أحسن بصيرة وأحسنهم قولاً فيه ٠

وعن أبي حمزة نصير الخادم قال :

سمعت غير مرّة يكلّم غلمانه بلغاتهم ، وفيهم : روم وترك وصقالبة ، فتعجّبت من ذلك ، وقلت: هذا ولد بالمدينة ، ولم يظهر لأحد حتى مضى أبو الحسن (عليه السلام) ، ولا رآه أحد ، فكيف هذا؟ أُحدّث نفسي بذلك ، فأقبل عليّ وقال : ((إنّ الله (جلّ اسمه) بيّن حجّته من سائر خلقه ، وأعطاه

معرفة كلّ شيء، وهو يعرف اللغات والأسباب والحوادث، ولولا ذلك لم يكن بين الحجّة والمحجوج فرق)).

وفي إختيار الرجال (ص ٤٤١): عن الفضل بن الحارث قال:

كنت بسرّ من رأى وقت خروج سيّدي أبا الحسن (عليه السلام)، فرأينا أبا محمد (عليه السلام) ماشياً قد شقّ ثوبه، فجعلت أتعجّب من جلالته وما هو له أهل، ومن شدّة اللون والأدمة، وأشفق عليه من التعب، فلمّا كان الليل رأيته (عليه السلام) في منامي فقال: ((اللون الذي تعجّبت منه إختيار من الله لخلقه، يختبر به كيف يشاء؛ إنّها لعبرة لأُولي الأبصار، لا يقع على المختبر ذمّ، ولسنا كالناس نتعب كما يتعبون، نسأل الله الثبات والتفكّر في خلق الله، فانّ فيه متبعاً، واعلم أنّ كلامنا في النوم مثل كلامنا في اليقظة)).

وفيه (ص ٤٤٨): محمد بن الحسن بن شمون قال:

كتبت إلى أبي محمد (عليه السلام) أشكو إليه الفقر، ثم قلت في نفسي: أليس قال أبو عبد الله (عليه السلام): ((الفقر معنا خير من الغنى مع عدوّنا، والقتل معنا خير من الحياة مع عدوّنا))، فرجع الجواب: ((إنّ الله يمحص أولياءنا إذا تكاثفت ذنوبهم بالفقر، وقد يعفو عن كثير، وهو كما حدّثت نفسك: الفقر معنا خير من الغنى مع عدوّنا، ونحن كهف من إلتجأ إلينا، ونور لمن إستضاء بنا، وعصمة لمن اعتصم بنا، ومن أحبّنا كان معنا في السنام الأعلى ومن إنحرف عنّا فالى النار)).

قال: قال أبو عبد الله: ((تشهدون على عدوّكم بالنار، ولا تشهدون لوليّكم بالجنّة؟ ما يمنعكم من ذلك إلا الضعف)).

وقال محمد بن الحسن بن شمون:

لقيت من عيني شدّة، فكتبت إلى أبي محمد (عليه السلام): أسأله

أن يدعو لي ، فلمّا نفذ الكتاب قلت في نفسي : ليتني كنت سألته أن يصف لي كحلاً أكحلها به؟ فوقع بخطّه يدعو لي بسلامتها ، إذ كانت إحداهما ذاهبة، وكتب بعده: ((وأردت أن أصف لك كحلاً، عليك بصبر مع الأثمد وكافور أو توتيا ، فانّه يجلو البصر ما فيها من الغشاوة وييبس الرطوبة)) ،قال : فاستعملت ما أمرني فصحت والحمد للّه.

وفي أعلام الورى(ص ٣٥٦) : عن أبي هاشم قال :

دخلت على أبي محمد وأنا أُريد أن أسأله فصّاً أصوغ به خاتماً أتبرّك به ، فجلست ونسيت ما جئت له ، فلمّا ودّعته ونهضت رمى إليّ بخاتم فقال: ((أردت فصّاً فأعطيناك خاتماً وربحت الفصّ والكراء ، هنّأك اللّه يا أبا هاشم)) فتعجّبت من ذلك فقلت: يا سيّدي إنّك وليّ اللّه وإمامي الذي أدين اللّه بفضله وطاعته ، فقال : ((غفر اللّه لك يا أبا هاشم)) .

وفي الفصول المهمّة(ص ٢٨٦) : حدّث أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري قال :

كنت في الحبس الذي بالجوشق أنا والحسن بن محمد العقيقي ومحمد بن إبراهيم العمري ـ خمسة ستّة من الشيعة ـ إذ دخل علينا أبو محمد الحسن بن عليّ العسكري(عليهما السلام) وأخوه جعفر ، فحففنا بأبي محمد ، وكان المتولّي لحبسه صالح بن وصيف الحاجب، وكان معنا رجل جمحي ، فالتفت إلينا أبو محمد وقال : ((لولا أنّ هذا الرجل فيكم لأخبرتكم متى يفرج عنكم ، وترى هذا الرجل فيكم قد كتب فيكم قصّة إلى الخليفة يخبره فيها تقولون فيه ، وهي مدسوسة معه في ثيابه ، يُريد أن يُوسّع الحيلة في إيصالها إلى الخليفة من حيث لا تعلمون ، فاخذروا شرّه)) قال أبو هاشم : فما تمالكنا أن تحاملنا على جميعاً على الرجل ، ففتّشناه ، فوجدنا القصّة مدسوسة معه

بين ثيابه ، وهو يذكرنا فيها بكلّ سوء ، فأخذناها منه وحذّرناه ، وكان الحسن يصوم في السجن ، فاذا أفطر أكلنا معه من طعامه ، وكان يحمله إليه غلامه في جونة مختومة ، قال أبو هاشم : فكنت أصوم معه ، فلمّا كان ذات يوم ضعفت عن الصوم ، فأمرت غلامي فجاءني بكعك ، فذهبت إلى مكان خال في الحبس فأكلت وشربت، ثم عدت إلى مجلسي مع الجماعة ولم يشعر بي أحد ، فلمّا رآني تبسّم وقال : ((أفطرت ؟ فخجلت)) ، فقال : ((لا عليك يا أبا هاشم ، إذا رأيت أنّك قد ضعفت وأردت القوّة فكل اللحم ، فانّ الكعك لا قوّة فيه)) ، وقال : ((عزمت عليك تفطر ثلاثاً ، فانّ البنية إذا أنهكها الصوم لا تتقوّى إلا بعد ثلاث)) ، قال أبو هاشم : ثم لم تطل مدّة الحسن في الحبس إلى أن قحط الناس بسرّ من رأى قحطاً شديداً ، فأمر الخليفة المعتمد على الله بن المتوكّل بخروج الناس إلى الاستسقاء ، فخرجوا ثلاثة أيّام يستسقون فلم يسقوا ، فخرج الجاثليق في اليوم الرابع إلى الصحراء ، وخرج معه النصارى والرُهبان ، وكان فيهم راهب كلّما مدّ يده إلى السماء ورفعها هطلت بالمطر ، ثم خرجوا في اليوم الثاني ، وفعلوا كفعلهم أول يوم ، فهطلت السماء بالمطر وسُقوا سقياً شديداً حتى استعفوا ، فعجب الناس ، وصبا بعضهم إلى دين النصرانيّة ، فشقّ ذلك على الخليفة ، فأرسل إلى صالح بن وصيف : أن أخرج أبا محمد الحسن بن عليّ من السجن وأتني به ، فلمّا حضر أبو محمد الحسن عند الخليفة قال له : أدرك أمّة محمد فيما لحق بعضهم في هذه النازلة ، فقال أبو محمد : دعهم يخرجون غداً اليوم الثالث ، قال : قد إستعفى الناس من المطر واستكفوا ، فما الفائدة من خروجهم ؟ قال : ((لأُزيل الشكّ عن الناس وما وقعوا فيه من هذه الورطة التي أفسدوا فيها عقولاً ضعيفة فأمر الخليفة الجاثليق والرُهبان أن يخرجوا أيضاً في اليوم الثالث على جاري عادتهم ، وأن يخرجوا الناس ، فخرج النصارى ، وخرج لهم أبو محمد الحسن

ومعه خلق كثير، فوقف النصارى على جاري عادتهم يستسقون إلا ذلك الراهب، مدّ يده رافعاً لهما إلى السماء، ورفعت النصارى والرهبان أيديهم على جاري عادتهم فغيّمت السماء في الوقت ونزل المطر، فأمر أبو محمد بالقبض على يد الراهب وأخذ ما فيها، فاذا بين أصابعها عظم آدميّ، فأخذه أبو محمد ولفّه في خرقه وقال: ((إستسق))، فانكشف السحاب، وانقشع الغيم وطلعت الشمس، فعجب الناس من ذلك، وقال الخليفة: ما هذا يا أبا محمد؟ فقال: ((عظم نبيّ من أنبياء الله(عزّ وجل)، ظفر به هؤلاء من بعض قبور الأنبياء، وما كشف عن عظم نبيّ تحت السماء إلا هطلت بالمطر))، واستحسنوا ذلك فامتحنوه، فوجدوه كما قال، فرجع الى داره وقد أزال عن الناس هذه الشبهة، وسرّ الخليفة والمسلمون بذلك، وكلّم الخليفة في إخراج أصحابه الذين كانوا معه في السجن، فأخرجهم وأطلقهم له.

وفي كشف الغمّة(ج ٣/ص ٢١٦) : حدّث أبو القاسم كاتب راشد قال:

خرج رجل من العلويين من سرّ من رأى في أيّام أبي محمد الى الجبل يطلب الفضل، فتلقّاه رجل بحلوان فقال: من أين أقبلت؟ قال: من سرّ من رأى، قال: هل تعرف درب كذا وموضع كذا؟ قال: نعم، فقال: عندك من أخبار الحسن بن عليّ شيء؟ قال: لا، قال: فما أقدمك الجبل؟ قال: طلب الفضل، قال: فلك عندي خمسون ديناراً فاقبضها وانصرف معي إلى سرّ من رأى حتى توصلني الى الحسن بن عليّ، فقال: نعم، فأعطاه خمسين ديناراً، وعاد العلوي معه، فوصلا إلى سرّ من رأى فاستأذنا على أبي محمد، فأذن لهما، فدخلا وأبو محمد قاعد في صحن الدار، فلمّا نظر الى الجبلي قال له: ((أنت فلان بن فلان))؟ قال: نعم، قال: ((أوصى إليك أبوك، وأوصى لنا بوصيّة، فجئت تودّيها، ومعك أربعة آلاف دينار هاتها)) فقال

الرجل : نعم ، فدفع المبلغ إليه ، ثم نظر إلى العلوي فقال : ((خرجت إلى الجبل تطلب الفضل ، فأعطاك هذا الرجل خمسين ديناراً ، فرجعت معه ، ونحن نعطيك خمسين ديناراً)) فأعطاه .

قال قطب الدين الراوندي في كتابه :

روى أحمد بن محمد عن جعفر بن الشريف الجرجاني قال :

حججت سنة فدخلت على أبي محمد بسرّ من رأى ، وقد كان أصحابنا حملوا معي شيئاً من المال ، فأردت أن أسأله إلى من أدفعه ؟ فقال قبل أن قلت ذلك : ((إدفع ما معك إلى المبارك خادمي)) ، ففعلت ، وقلت : شيعتك بجرجان يقرأون عليك السلام ، قال : ((أولست منصرفاً بعد فراغك من الحج؟)) قلت : بلى ، قال : ((فانّك تصير إلى جرجان من يومك هذا إلى مائة وتسعين يوماً ، وتدخلها يوم الجمعة لثلاث ليال مضين من شهر ربيع الآخر في أول النهار ، فأعلمهم أنّي أُوافيهم في ذلك اليوم آخر النهار ، فامض راشداً ، فانّ الله سيسلّمك ويسلّم ما معك ، فتقدم على أهلك وولدك ، ويُولد لولدك الشريف إبن ، فسمّه الصلت ، وسيبلغ ويكون من أوليائنا)) ، فقلت : يا بن رسول الله ؛ إنّ إبراهيم بن إسماعيل الجرجاني وهو من شيعتك كثير المعروف إلى أوليائك ، يخرج إليهم في السنة من ماله أكثر من مائة ألف درهم ، وهو أحد المبتلين في نعم الله بجرجان ، فقال : ((شكر الله لأبي إسحاق إبراهيم بن إسماعيل صنيعه إلى شيعتنا ، وغفر له ذنوبه ، ورزقه ذكراً سويّاً قائلاً بالحق ، فقل له : يقول لك الحسن بن عليّ : سمّ ابنك أحمد)) ، فانصرفت من عنده وسلّمني الله وحججت ، حتى وافيت جرجان في يوم الجمعة أول النهار لثلاث ليال مضين من شهر ربيع الآخر على ما ذكر (عليه السلام) ، وجاءني أصحابي يهنّوني ، فأعلمتهم أنّ الامام وعدني أن يوافيكم في آخر هذا اليوم ، فتأهّبوا لما تحتاجون إليه ، وأعدّوا مسائلكم وحوائجكم كلّها ، فلمّا صلّوا الظهر والعصر

إجتمعوا كلّهم في داري، فما شعرنا إلا وقد وافي أبو محمد (عليه السلام)، فدخل ونحن مجتمعون، فسلّم هو أولاً علينا، فاستقبلناه وقبّلنا يده، ثم قال: ((إنّي قد كنت وعدت جعفر بن الشريف أن أوافيكم آخر هذا اليوم، فصلّيت الظهر والعصر بسرّ من رأى وصرت إليكم لأجدد بكم عهداً، وها أنا قد جئتكم الآن، فأجمعوا مسائلكم وحوائجكم كلّها)) فأول من إنتدب لمسألته النضر بن جابر، فقال: يا بن رسول الله إنّ إبني جابراً أُصيب ببصره، فادع الله أن يردّ عينيه، قال: ((فهاته)) ، فجاء به، فمسح يده على عينيه فعاد بصره، ثم تقدّم رجل فرجل يسألونه حوائجهن فأجابهم إلى كلّ ما سألوه، حتى قضى حوائج الجميع ودعا لهم بخير وانصرف من يومه ذلك.

وفضائله ومناقبه (صلوات الله عليه) أجلّ من أن يحصيها البيان، أو يدرك عشر عشيرها إنسان، وإنّ من جدّه النبيّ، وأبوه الوصيّ، وأمّه الزهراء البتول، وآباؤه الأئمة الراشدون المعصومون، والخلف المنتظر له خلف، لجدير أن يطول السماء علاً وشرفاً، والأملاك سلفاً وذاتاً وخلفاً.

شرف تتابع كابرا عن كابر
كالربح أُنبوباً على أُنبوب

هذي المفاخر لاقعبان من لبن
شيباً بماء ثم عادا بعد أبوالا

نبذة من حياة الإمام المهدي (ع)

ثم الإمام الثاني عشر:

وهو قرّة عيون المؤمنين، وغيظ الملحدين، مولانا ومقتدانا صاحب الزمان، الإمام المنتظر، والخلف الحجّة، محمد بن الحسن الخالص، ابن عليّ المتوكّل، ابن محمد القانع، ابن عليّ الرضا، ابن موسى الكاظم، ابن جعفر الصادق، ابن محمد الباقر، ابن عليّ سيّد العابدين، ابن الحسين

الشهيد ، إبن عليّ بن أبي طالب إمام المتّقين ، وأمير المؤمنين (صلوات اللّه عليهم أجمعين) .

عجّل اللّه فرجه ، وسهّل مخرجه ، وقرب ظهوره ، وأعزّ به الدين ، وجبر به قلوب المؤمنين ، وكبت به الملحدين والظالمين ، ويحقّ للداعي أن يقول :

((اللهم وصلّ على وليّ أمرك القائم المؤمّل ، والعدل المنتظر ، إحفظه بملائكتك المقرّبين ، وأيّده بروح القدس يا ربّ العالمين)) .

وإنّما سمّي القائم قائماً لأنّه يقوم بأمر اللّه بعد إندراس الشريعة و موت السنّة ، فيُحيي ما أماته المُبطلون ، ويُقيم الخلق على سُنن الحق ، أو قوام العالم إنّما هو ببركة وجوده (عليه السلام) ، فانّ الأرض إذا خلت ساعة من إمام لساخت ، ولماجت كما تموج السفينة في عرض البحر إذا إشتدّت عليها الريح .

والقائم أيضاً : هو الرقيب ، فالإمام يراقب الناس فاذا زادوا شيئاً في الدين ردّهم ، وإذا نقصوا شيئاً أكمله لهم ، والأمل بالتحريك : الرجاء ، وهو ضدّ اليأس ، وقد ثبت عند جميع الأمم إنّه لا بدّ من مصلح يلي أمر العالم يحكم بالحق والعدل ويوحّد الأديان ، والعدل : الذي لا يميل مع الهوى ، ولا يجور عن الحق ، وكذلك إمامنا (صلّى اللّه عليه وعلى آبائه) .

إسمه إسم رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) ، وكنيته كنيته ، وربّما كنّي بأبي جعفر ، ويُقال له : كنيّ جميع الأئمة (عليهم السلام) ، ويُكنّي بأبي صالح أيضاً .

وألقابه كثيرة ؛ فهو : الحجّة المنتظر ، وهو الهادي المهتدي ، والرضيّ والزكيّ ، والتقيّ ، والمختفي ، والقائم المهديّ ، والغائب المستور ، وصاحب المرئي والمسمع ، والخلف المترقّب ، والمظفّر المنصور ، ويُقال له : الحمد ،

والحامد ، والحميد ، والمحمود ، وربّما عبّر عنه بالغريم ، والعالم ، والرجل ، وصاحب الدار ، ويقال لمحلّ حبسته : الدار المقدّسة ، وهو الأمل والمأمول ، وصاحب الأمر ، ووليّ الأمر ، وهو وتد الأرض ، آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب كما آتى يحيى صبيّاً ، وجعله إماماً في الطفوليّة ، كما جعل عيسى بن مريم نبيّاً ٠

مات أبوه الحسن وله ستّ سنين وسبعة أشهر ، وقيل : خمس سنين ، وكان مولده في النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين ، وأُمّه أُمّ ولد يُقال لها : نرجس ، وقيل : صقيل ، وقيل : سوسن ، وهي بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم ، وكان إسمها عند أبيها : مليكة ٠

وفي إكمال الدين (ص ٤٠٦) :

الحسين بن محمد بن عامر بن معلّى بن محمد البصري قال :

خرج عن أبي محمد (عليه السلام) حين قتل الزبيري : ((هذا جزاء من إفترى على الله تعالى في أوليائه ، يزعم أنه يقتلني وليس لي عقب ؟ فكيف رأى قدرة الله تبارك وتعالى)) ، وولد له ولد سمّاه : ((م ح م د)) سنة ست وخمسين ومائتين ٠

ولادته عليه السلام

وفي رواية عليّ بن محمد :

ولد الصاحب للنصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين ٠

والزبيري : كان لقب بعض الأشقياء من ولد الزبير ، كان في زمانه (عليه السلام) فهدده ، وقتله الله على يد الخليفة أو غيره ٠

وعن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن موسى بن جعفر (عليهما السلام) عن السياري قال : حدّثتني نسيم قالت : سقط صاحب الزمان من بطن أُمّه جاثياً على ركبتيه ، رافعاً سبّابتيه إلى السماء ، ثم عطس فقال : الحمد لله

ربّ العالمين وصلّى اللّه على محمد وآله) ، زعمت الظلمة أنّ حجّة اللّه داحضة، لو أذن لنا في الكلام لزال الشكّ.

قال إبراهيم بن محمد بن عبد اللّه:

وحدّثني نسيم خادم أبي محمد ، قالت: قال لي صاحب الزمان وقد دخلت عليه بعد مولده بليلة فعطست عنده فقال لي: ((رحمك اللّه)) ففرحت بذلك، فقال لي (عليه السلام) : ((ألا أُبشّرك في العطاس)) ؟ قلت: بلى يا مولاي، قال: ((هو أمان من الموت ثلاثة أيّام)) .

وحدّث أبو علي الخيراني عن جارية له كان أهداها لأبي محمد (عليه السلام) ، فلمّا أغار جعفر الكذّاب على الدار جاءته فارّة من جعفر، فتزوّج بها، قال أبو علي: فحدّثتني: أنّها حضرت ولادة السيّد (عليه السلام) وانّ إسم أُمّ السيّد: خمط، وإنّ أبا محمد (عليه السلام) حدّثها بما يجري على عياله، فسألته أن يدعو اللّه لها أن يجعل ميتتها قبله، فماتت في حياة أبي محمد (عليه السلام) ، وعلى قبرها لوح مكتوب عليه: ((هذا قبر أُمّ محمد)) .

قال أبو علي: وسمعت هذه الجارية تذكر أنّه لمّا ولد السيّد (عليه السلام) رأت نوراً ساطعاً قد ظهر منه وبلغ أفق السماء ، ورأيت طيوراً بيضاء تهبط من السماء وتمسح أجنحتها على رأسه ووجهه وسائر جسده ثم تطير، فأخبرنا أبا محمد (عليه السلام) فضحك، ثم قال: ((تلك الملائكة نزلت للتبرّك بهذا المولود ، وهي أنصاره إذا خرج .

وعن أبي الخادم قال:

وُلِد لأبي محمد (عليه السلام) مولود فسمّاه محمداً ، فعرضه على أصحابه يوم الثالث، وقال: ((هذا صاحبكم من بعدي، وخليفتي عليكم، وهو القائم

الذي تمتدّ إليه الأعناق بالإنتظار ، فاذا إمتلأت الأرض جوراً وظلماً خـــرج فملأها قسطاً وعدلاً)) ٠

وعن غياث بن أسيد قال :

شهدّت محمد بن عثمان العمري(قدّس الله روحه) يقول :

لمّا وُلد المهدي(عليه السلام) سطع نور من فوق رأسه إلى عنـــــان السماء ، وسقط لوجهه ساجداً لربّه تعالى ذكره ، ثم رفع رأسه وهو يقـــول : ((شهد الله أن لا إلـه إلا هو والملائكة ٠٠)) إلى آخر الآية . قال : وكـــان مولده يوم الجمعة ٠

وعنه(رضوان الله عليه) :

وُلد السيّد (عليه السلام) مختوناً ، وسمعت حكيمة تقول : لـم أر بأُمّــه دماً في نفاسها ، وهكذا سبيل أُمّهات الأئمة(عليهم السلام) ٠

وفي غيبة الطوسي(ص ١٢٤) :

عن سليمان بن بشر النخّاس ــ وهو من ولْد أبي أيّوب الأنصـــاري أحد موالي أبي الحسن وأبي محمد وجارهما بسرّ من رأى ــ :

أتاني كافور الخادم فقال : مولاي أبو الحسن يدعوك إليه ، فأتيـــته فجلست بين يديه فقال لي : ((يا بشر إنّك من ولْد الأنصار ، وهذه الموالاة لم تزل فيكم يرثها خلف عن سلف، وأنتم ثقاتنا أهل البيت، وإنّي مُزكّيـــك ومُشرّفك بفضيلة تسبق بها الشيعة في الموالاة بها ، بسرّ أطّلعك عليه ،وأنفذك في ابتياع أُمه)) فكتب كتاباً لطيفاً بخطّ رومي ولغة روميّة ، وطبع عليه خاتمـه ، وأخرج شقيقة صفراء فيها مائتان وعشرون ديناراً ، فقال :((خذها وتوجّه بـــها إلى بغداد ، واحضر معبر الفرات ضحوة يوم كذا ، فاذا وصلت إلى جانبـــك زواريق السبايا وترى الجواري فيها ، ستجد طوائف المبتاعين من وكلاء قـــوّاد

بني العبّاس ، وشرذمة من فتيان العرب، فاذا رأيت ذلك فأشرف من البُعد على المسمّى عمر بن يزيد النخّاس عامّة نهارك، إلى أن تبرز للمبتاعين جارية صفتها كذا وكذا ، لابسة حريرين صفيقين ، تمتنع من العرض ولمس المعترّض والانقياد لمن يحاول لمسها ، وتسمع صرخة روميّة من وراء ستر رقيق، فاعلم أنّها تقول : وا هتك ستراه ، فيقول بعض المبتاعين : عليّ ثلاثمائة دينار، فقد زادني العفاف فيها رغبة ، فتقول له بالعربيّة : ولو برزت في زيّ سليمان بن داود ، وعلى شبه ملكه ، ما بدت لي فيك رغبة ، فأشفق على مالك ، فيقول النخّاس : فما الحيلة ولا بدّ من بيعكِ ، فتقول الجارية : وما العجلة ؟ ولا بدّ من اختيار مبتاع يسكن قلبي إليه وإلى وفائه وأمانته ، فعند ذلك قم إلى عمر بن يزيد النخّاس وقل له : إنّ معك كتاباً لبعض الأشراف، كتبه بخطّ رومي ولغة روميّة ، ووصف فيه كرمه ووفاءه ونبله وسخاءه ، فناولها لتتأمّل منه أخلاق صاحبه ، فان مالت إليه ورضيته فأنا وكيله في ابتياعها منك)) قال بشر بن سليمان : فامتثلت جميع ما حدّه لي مولاي أبو الحسن (عليه السلام) في أمر الجارية ، فلمّا نظرت في الكتاب بكت بكاءً شديداً ، وقالت لعمر بن يزيد : بعني من صاحب هذا الكتاب، وحلفت بالمحرجة والمغلّظة أنّه متى امتنع عن بيعها منه قتلت نفسها ، فما زلت أُشاحّه في ثمنها حتى استقرّ الأمر على ما كان أصحبنيه مولاي (عليه السلام) من الدنانير ، فاستوفاه منّي ، وتسلّمت الجارية ضاحكة مستبشرة ، وانصرفت بها إلى الحجرة التي كنت آوي إليها ببغداد ، فما أخذها القرار حتى أخرجت كتاب مولانا (عليه السلام) من جيبها وهي تلثمه ، وتطبّقه على جفنها ، وتضعه على خدّها وتمسحه على بدنها ، فقلت ـ تعجّباً منها ـ : تلثمين كتاباً لا تعرفين صاحبه ؟ فقالت : أيّها العاجز الضعيف المعرفة بمحلّ أولاد الأنبياء ، أعرني سمعك وفرّغ لي قلبك ، أنا مليكة بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم ، وأُمّي من وِلْد الحواريين

تُنسب إلى وصيّ المسيح شمعون، أُنبئك بالعجب:

إنّ جدّي قيصر أراد أن يُزوّجني من ابن أخيه، وأنا من بنات ثلاث عشرة، فجمع في قصره من نسل الحواريين من القسّيسين والرهبان ثلاثمائة رجل، ومن ذوي الأخطار منهم سبعمائة رجل، وجمع من أُمراء الأجناد وقوّاد العسكر ونُقباء الجيوش وملوك العشائر أربعة آلاف، وأبرز من بهيّ عرشه عرشاً مصنوعاً من أصناف الجوهر إلى صحن القصر، ورفعه فوق أربعين مرقاة، فلمّا صعد إبن أخيه، وأحدقت الصلب، وقامت الأساقفة عكّفاً ونشرت أسفار الإنجيل، تسافلت الصلب من الأعلى فلصقت بالأرض، وتقوّضت أعمدة العرش فانهارت إلى القرار، وخرّ الصاعد من العرش مغشيّاً عليه، فتغيّرت ألوان الأساقفة وارتعدت فرائصهم، فقال كبيرهم لجدّي: أيّها الملك أعفنا من ملاقاة هذه النحوس الدالّة على زوال دولة هذا الدين المسيحي والمذهب الملكاني، فتطيّر جدّي من ذلك تطيّراً شديداً، وقال للأساقفة: أقيموا هذه الأعمدة وارفعوا الصلبان، وأحضروا أخا هذا المدبّر العاثر المنكوس جدّه، لأزوّجه هذه الصبيّة فيدفع نحوسه عنكم بسعوده، فلمّا فعلوا ذلك حدث على الثاني مثل ما حدث على الأول، وتفرّق الناس، وقام جدّي قيصر مغتمّاً، فدخل منزل النساء وأُرخيت الستور، وأريت تلك الليلة كأنّ المسيح وشمعون وعدّة من الحواريين قد اجتمعوا في قصر جدّي، ونصبوا فيه منبراً من نور يباري السماء علوّاً وارتفاعاً في الموضع الذي كان نصب جدّي فيه عرشه، ودخل عليهم محمد (صلّى اللّه عليه وآله)، وختنه ووصيّه، وعدّة من أبنائه (عليهم السلام) فتقدّم المسيح إليه فاعتنقه، فيقول له محمد (صلّى اللّه عليه وآله: ((يا روح اللّه إنّي جئتك خاطباً من وصيّك شمعون فتاته ملكية لابني هذا)) ـ وأومى بيده إلى أبي محمد (عليه السلام) إبن صاحب هذا الكتاب ـ فنظر المسيح إلى شمعون وقال له: قد أتاك الشرف، فصِل رحمك برحم آل

محمد (عليهم السلام) ، قال: قد فعلت، فصعد ذلك المنبر فخطب محمد (صلّى الله عليه وآله) ، وزوّجني من ابنه ، وشهد المسيح (عليه السلام) وشهد أبناء محمد (عليهم السلام) والحواريّون ، فلمّا إستيقظت أشفقت أن أقصّ هذه الرؤيا على أبي وجدّي مخافة القتل ، فكنت أسرّها ولا أبديها لهم ، وضرب صدري بمحبّة أبي محمد (عليه السلام) حتى إمتنعت من الطعام والشراب، فضعفت نفسي ودقّ شخصي .

ومرضت مرضاً شديداً ، فما بقي في مدائن الروم طبيب إلا أحضره جدّي وسأله عن دوائي ، فلمّا برح به اليأس قال: يا قرّة عيني ، وهل يخطر ببالك شهوة فأزودكها في هذه الدنيا؟ فقلت: يا جدّي أرى أبواب الفرج عليّ مغلقة ، فلو كشفت العذاب عمّن في سجنك من أُسارى المسلمين؟ وفككت عنهم الأغلال؟ وتصدّقت عليهم ومنّيتهم الخلاص؟ رجوت أن يهب لي المسيح وأُمّه عافية ، فلمّا فعل ذلك تجلّدت في إظهار الصحّة من بدني قليلاً ، وتناولت يسيراً من الطعام ، فسرّ بذلك جدّي وأقبل على إكرام الأُسارى وإعزازهم ، فأريت بعد أربع عشرة ليلة كأنّ سيّدة نساء العالمين فاطمة(عليها السلام) قد زارتني ، ومعها مريم إبنة عمران وألف من وصائف الجنان ، فتقول لي مريم : هذه سيّدة نساء العالمين أُمّ زوجك أبي جعفر(عليه السلام) ،فأتعلّق بها وأبكي وأشكو إليها إمتناع أبي محمد (عليه السلام) من زيارتي ، فقالت سيّدة النساء(عليها السلام) : ((إنّ إبني أبا محمد لا يزورك وأنت مشركة بالله على مذهب النصارى ، وهذه أُختي مريم بنت عمران تبرأ إلى الله تعالى من دينك ، فان ملت إلى رضاء الله ورضاء المسيح ومريم(عليهما السلام) وزيارة أبي محمد إيّاك فقولي : أشهد أن لا إلـه إلا الله ، وأنّ أبي محمد رسول الله)) ، فلمّا تكلّمت بهذه الكلمة ضمّتني إلى صدرها سيّدة نساء العالمين ، وطيّبت نفسي وقالت: ((الآن توقّعي زيارة أبي محمد فانّي منفذته إليك)) ،

فانتبهت وأنا أقول وأتوقّع لقاء أبي محمد (عليه السلام) ، فلمّا كان في الليلة القابلة رأيت أبا محمد (عليه السلام) ، وكأنّي أقول له : جفوتني يا حبيبي ، بعد أن أتلفت نفسي معالجة حبّك ؟ فقال : ((ما كان تأخّري عنك إلا لشركك فقد أسلمت، وأنا زائرك في كلّ ليلة إلى أن يجمع اللّه تعالى شملنا في العيان)) فما قطع عنّي زيارته بعد ذلك إلى هذه الغاية.

قال بشر: فقلت لها : وكيف وقعت في الأسارى ؟ فقالت: أخبرني أبو محمد ليلة من الليالي ((إنّ جدّك سيسيّر جيشاً إلى قتال المسلمين يوم كذا وكذا ، ثم يتبعهم ، فعليك باللحاق بهم متنكّرة في زيّ الخدم مع عدّة من الوصائف من طريق كذا)) ففعلت ذلك، فوقعت علينا طلائع المسلمين حتى كان من أمري ما رأيت وشاهدّت، وما شعر بأنّي إبنة ملك الروم إلى هذه الغاية أحد سواك، وذلك باطّلاعي إيّاك عليه ، ولقد سألني الشيخ الذي وقعت عليه في سهم الغنيمة عن إسمي فأنكرته ، وقلت: نرجس ، فقال : إسم الجواري.

قلت: العجب ؟ إنّك روميّة ولسانك عربي؟ قالت: نعم ، من ولوع جدّي وحمله إيّاي على تعلّم الآداب أوعز إلى إمرأة ترجمانة لي في الإختلاف إليّ ، وكانت تقصدني صباحاً ومساء وتفيدني العربية حتى استمرّ لساني عليها واستقام.

قال بشر : فلمّا إنكفأت بها إلى سرّ من رأى دخلت على مولاي أبي الحسن (عليه السلام) ، فقال : ((كيف أراك اللّه عزّ الإسلام وذلّ النصرانيّة وشرف محمد وأهل بيته (عليهم السلام) ؟)) قالت: كيف أصف لك يا بن رسول اللّه ما أنت أعلم به منّي ، قال : ((فانّي أحببت أن أكرمك، فما أحبّ إليك عشرة آلاف دينار أم بشرى لك بشرف الأبد)) ؟ قالت: بشرى بولي؟ قال لها : ((أبشري بولد يملك الدنيا شرقاً وغرباً ، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً

كما مُلئت ظلماً وجوراً)) ، قالت: ممن ؟ قال: ((ممن خطبك رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليلة كذا في شهر كذا من سنة كذا بالروميّة)) ، قالت: من المسيح ووصيّه؟ قال: ((ممن زوّجك المسيح (عليه السلام) ووصيّه)) ، قالت: من إبنك أبي محمد (عليه السلام) ، فقال: ((هل تعرفينه)) ؟ قالت: وهل خلت ليلة لم يزرنفي فيها منذ الليلة التي أسلمت على يد سيّدة النساء (صلوات الله عليها؟ قال: فقال مولانا: ((يا كافور أُدع لي أُختي حكيمة)) ، فلمّا دخلت قال لها: ((ها هي)) ، فاعتنقتها طويلاً ، وسرّت بها كثيراً ، فقال لها أبو الحسن (عليه السلام): ((يا بنت رسول الله خُذيها إلى منزلك وعلّميها الفرائض والسُنن ، فانّها زوجة أبي محمد وأُمّ القائم)) .

وفيه (ص ١٤١) :

عن أبي عبد الله المطهّري ، عن حكيمة بنت محمد بن عليّ الرضا قالت: بعث إليّ أبو محمد (عليه السلام) سنة خمس وخمسين ومائتين في النصف من شعبان وقال: ((يا عمّة إجعلي الليلة إفطارك عندي ، فانّ الله سيسرّك بوليّه وحجّته على خلقه خليفتي من بعدي)) ، قالت حكيمة: فتداخلني من ذلك سرور شديد وأخذت ثيابي عليّ ، وخرجت من ساعتي حتى إنتهيت إلى أبي محمد (عليه السلام) وهو جالس في صحن داره وجواريه حوله ، فقلت: جُعلت فداك الخلف ممن هو؟ قال: ((من سوسن)) ، فأدرت طرفي فيهنّ فلم أر جارية عليها أثر غير سوسن ، قالت حكيمة: فلمّا أن صلّيت المغرب والعشاء الآخرة أتيت بالمائدة ، فأفطرت أنا وسوسن ، وبايتها في بيت واحد ، فغفوت غفوة ثم إستيقظت ، فلم أزل مفكّرة فيما وعدني أبو محمد (عليه السلام) من أمر وليّ الله (عليه السلام) ، فقمت قبل الوقت الذي كنت أقوم في كلّ ليلة للصلاة ، فصلّيت صلاة الليل حتى بلغت إلى الوتر ، فوثبت سوسن فزعة ، وخرجت فزعة وأسبغت الوضوء ، ثم عادت فصلّت صلاة الليل

وبلغت إلى الوتر، فوقع في قلبي أنّ الفجر قد قرب، فقمت لأنظر فـــاذا بالفجر الأول قد طلع، فتداخل قلبي الشكّ من وعد أبي محمد (عليه السلام) فناداني من حجرته: ((لا تشكّي، وكأنّك بالأمر الساعة قد رأيته إن شاء اللّـــه تعالى))، قالت حكيمة: فاستحييت من أبي محمد (عليه السلام) ومما وقع فـي قلبي، ورجعت إلى البيت وأنا خجلة، فاذا هي قد قطعت الصلاة وخرجـت فزعة، فلقيتها على باب البيت فقلت: بأبي أنت وأمّــي هل تحسّين شيئاً؟ قالت: نعم يا عمّة، إنّي لأجد أمراً شديداً، قلت: لا خوف عليك إن شـــاء اللّه تعالى، وأخذتُ وسادة فألقيتها في وسط البيت، وأجلستها عليهـــا، وجلست منها حيث تقعد المرأة من المرأة للولادة، فقبضت على كفّي وغمـــزت غمزة شديدة، ثم أنّت أنّـــة وتشهّدت، ونظرت تحتها فاذا أنا بوليّ اللّـــه (صلوات اللّه عليه) متلقّياً على الأرض بمساجده، فأخذت بكتفيه فأجلسته في حجري، فاذا هو نظيف مفروغ منه، فناداني أبو محمد (عليه السلام): ((يـــا عمّة هلمّي فأتيني بابني))، فأتيته به، فتناوله وأخرج لسانه فمسحه على عينيه ففتحها، ثم أدخله في فيه فحنّكه ثم أدخله في أُذنيه، ثم أجلسه في راحـــته اليسرى فاستوى وليّ اللّه جالساً فمسح يده على رأسه وقال له: ((يا بُني أُنطق بقدرة اللّه))، فاستعاذ وليّ اللّه (عليه السلام) من الشيطان الرجيم واستفتح: ((* بسم اللّه الرحمٰن الرحيم؛ ونُريد أن نمُنّ على الذين استُضعفوا فـــي الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين* ونُمكّن لهم في الأرض ونُري فرعـــون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون *)) (القصص/ الآيتان ٥و٦)، وصلّى على رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) وعلى أمير المؤمنين والأئمة (عليهم السلام)، واحداً واحداً حتى انتهى إلى أبيه، فناولنيه أبو محمد (عليه السلام) وقال: ((يا عمّة ردّيه إلى أُمّــه كي تقرّ عينها ولا تحزن ولتعلم أنّ وعد اللّه حقّ ولكنّ أكثـــر الناس لا يعلمون))، فرددته إلى أُمّــه وقد انفجر الفجر الثاني، فصلّـــيت

الفريضة وعقّبت إلى أن طلعت الشمس ، ثم ودّعت أبا محمد (عليه السلام) وانصرفت إلى منزلي ، فلمّا كان بعد ثلاث إشتقت إلى وليّ الله ، فصرت إليهم ، فبدأت بالحجرة التي كانت سوسن فيها ، فلم أر أثراً ولا سمعت ذكراً فكرهت أن أسأل فدخلت على أبي محمد (عليه السلام) فاستحييت أن أبدأ بالسؤال ، فبدأني فقال : ((هو يا عمّة في كنف الله وحرزه وستره وغيبه ، حتى يأذن الله له ، فاذا غيّب الله شخصي وتوفّاني ورأيت شيعتي قد إختلفوا ، فأخبري الثقات منهم ، وليكن عندك وعندهم مكتوباً، وليّ الله يغيّبه الله عن خلقه ، ويحجبه عن عباده ، فلا يراه أحد حتى يقدّم له جبرئيل (عليه السلام) فرسه ، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً)) .

وفي كشف الغمّة(ج ٣/ص٢٨٨) :

عن حكيمة ، قالت: دخلت يوماً على أبي محمد ، قال : ((بيتي عندنا الليلة فانّ الله سيُظهر الخلف فيها)) ، قلت: وممن ؟ فلست أرى بنرجس حملاً؟ قال : ((يا عمّة إنّ مثلها كمثل أُمّ موسى لم يظهر حملها به إلا وقت ولادتها)) ، فبتّ أنا وهي ، فلمّا إنتصف الليل صلّيت أنا وهي صلاة الليل ، فقلت في نفسي : قد قرب الفجر ولم يظهر ما قال أبو محمد ، فناداني أبو محمد : ((لا تعجلي)) ، فرجعت إلى البيت خجلة ، فاستقبلتني نرجس ترتعد ، فضممتها إلى صدري وقرأت عليها : ((قل هو الله أحد ، وإنّا أنزلناه في ليلة القدر ، وآية الكرسي)) فأجابني الخلف من بطنها يقرأ كقراءتي ،قالت: وأشرق نور في البيت فنظرت وإذا الخلف تحتها ساجداً إلى القبلة ، فأخذته فناداني أبو محمد من الحجرة : ((هلمّي بابني إليّ يا عمّة)) ، قالت: فأتيته به ، فوضع لسانه في فيه وأجلسه على فخذه ، فقال له : ((أُنطق يا بُنيّ باذن الله)) ، فقال : ((أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمٰن الرحيم ، ونُريد أن نمُنّ على الذين استُضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم

الوارثين * ونُمكّن لهم في الأرض ونُري فرعون وهامان وجنود هما منهم ما كانوا يحذرون * ، صلّى الله على محمد المصطفى ، وعليّ المرتضى ، وفاطمة الزهراء، والحسن ، والحسين ، وعليّ بن الحسين ، ومحمد بن عليّ ، وجعفر بن محمد ، وموسى بن جعفر ، وعليّ بن موسى ، ومحمد بن عليّ ، وعليّ بن محمد ،والحسن بن عليّ أبي)) ٠

قالت: وغمرتنا طيور خضر ، فنظر أبو محمد إلى طائر منها فدنا ، فقال: ((خذه فاحفظه حتى يأذن الله فيه ، فانّ الله بلغ أمره)) ، قالت حكيمة : قلت لأبي محمد : ما هذا الطائر؟ وما هذه الطيور؟ قال : ((هذا جبرئيل ، وهذه ملائكة الرحمة)) ، ثم قال : ((يا عمّة ردّيه إلى أُمّه كي تقرّ عينها ولا تحزن ولتعلم أنّ وعد الله حقّ ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون)) فرددته إلى أُمّه ، قالت: ولمّا ولد كان نظيفاً مفروغاً منه ، وعلى ذراعه مكتوب:* جاء الحق وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقا* ٠

هل يظهر الملائكة بعد رسول الله (ص)

واعلم أنّه لا منافاة بين هذا الخبر والخبر المتضمّن إنقطاع نزول جبرئيل بعد رحلة النبيّ (صلّى الله عليه وآله) من الدنيا ، وانّ آخر نزلة له كانت عند احتضار النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، لأنّ الأول ربّما يختصّ بصورة الملكية ، وهذه صورة أُخرى ، بل ولا يبعد أيضاً نزوله بصورة الملكيّة من حيث أنّ الملائكة تتنزّل دائماً في ليلة القدر ، لقول الله (عزّ وجل) :* تنزّل الملائكة والروح فيها باذن ربّهم من كلّ أمر* (القدر/ الآية٤) ٠

وكان جبرئيل ينزل على النبيّ (صلّى الله عليه وآله) بابلاغ القرآن وآيات النبوّة ، ولا نبيّ بعد محمد (صلّى الله عليه وآله) ، فلا يبعد نزوله على جهة الكرامة والتأييد ٠

وقد روي في الكافي (ج ١/ص ٣٩٤) :

رواية عليّ بن أبي حمزة عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: سمعته يقول:

((ما من ملك يهبطه الله في أمر ما يهبطه إلا بدأ بالإمام فعرض ذلك عليه، وانّ مختلف الملائكة من عند الله تبارك وتعالى إلى صاحب هذا الأمر)).

وفي بصائر الدرجات (ص ٩٠): عن مسمع كردين، قال:

قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): إنّي أعتللت فكنت إذا أكلت عند الرجل تأذّيت به، وإنّي أكلت من طعامك ولم أتأذّ به؟ قال: ((إنّك لتأكل طعام قوم تصافحهم الملائكة على فرشهم))، قال: قلت: وإنّهم ليظهرون لكم؟ قال: ((هم ألطف بصبياننا منّا)).

وعن الحسين بن أبي العلاء عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال:

((يا حسين بيوتنا مهبط الملائكة ومنزل الوحي))، وضرب بيده إلى مساور في البيت، فقال: ((يا حسين مساور، والله طال ما اتّكت عليها الملائكة وربّما إلتقطنا من زغبها)).

وعن أبي اليسع قال:

دخل حمران بن أعين على أبي جعفر (عليه السلام) وقال له:

جُعلت فداك يبلغنا أنّ الملائكة تنزل عليكم؟ فقال: ((إنّ الملائكة والله لتنزل علينا تطأ فرشنا، أما تقرأ كتاب الله تعالى: * انّ الذين قالوا ربّنا الله ثم استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألاّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنّة التي كنتم تُوعدون *)) (فُصّلت / الآية ٣٠).

وعن عبد الحميد الطائي قال:

سمعت أبا عبد الله(عليه السلام) يقول:

((إنّهم ليأتوننا ويُسلّمون ونثني لهم وسائدنا)) يعني: الملائكة.

وعن المفضّل بن عمر قال:

دخلت على أبي عبد الله(عليه السلام)، فبينا أنا جالس عنده إذ أقبل موسى إبنه وفي رقبته قلادة، فيها ريش غلاظ، فدعوت به فقبّلته وضممته إليّ، ثم قلت لأبي عبد الله(عليه السلام): جعلت فداك أيّ شيء هذا الذي في رقبة موسى؟ فقال: ((هذا من أجنحة الملائكة))، قال: فقلت: وإنّها لتأتينّكم؟ قال: ((نعم)، إنّها لتأتينا وتتعفّر في فرشنا، وإنّ هذا الذي في رقبة موسى من أجنحتها)).

سَبَبُ تَشَيُّعِ بَني راشِد

وفي إكمال الدين(ص ٤٢٤):

سمعت شيخاً من أصحاب الحديث يُقال له: أحمد بن فارس الأديب يقول: سمعت بهمذان حكاية حكيتها كما سمعتها لبعض إخواني، فسألني أن أثبتها له بخطّي، ولم أجد إلى مخالفته سبيلاً، وقد كتبتها وعهدتها على من حكاها، وذلك أنّ بهمذان ناساً يُعرفون ببني راشد، وهم كلّهم يتشيّعون ومذهبهم مذهب أهل الإمامة، فسألت عن سبب تشيّعهم من بين أهل همذان؟ فقال لي شيخ منهم، رأيت فيه صلاحاً ونُبلاً وسمتاً: إنّ سبب ذلك أنّ جدّنا الذي ننتسب إليه خرج حاجّاً، فقال: إنّه لمّا صدر من الحجّ وساروا منازل في البادية، فقال: فنشطت في النزول والمشي، فمشيت طويلاً حتى أعييت، وقلت في نفسي: أنام نومة تريحني، فاذا جاء أواخر القافلة قمت، قال: فما إنتبهت إلا بحرّ الشمس ولم أر أحداً، فتوحّشت، ولم أر طريقاً ولا أثراً، فتوكّلت على الله وقلت: أسير حيث وجهّتني، ومشيت غير طويل فوقعت في أرض خضراء نضراء، كأنّها قريبه عهد بغيث، وإذا تربتها أطيب تربة، ونظرت

في سواد تلك الأرض إلى قصر يلوح كأنّه سيف، فقلت: ليت شعري ما هذا القصر الذي لم أعهده ولم أسمع به؟ فقصدتّه، فلمّا بلغت الباب رأيت خادمين أبيضين، فسلّمت عليهما، فردّا ردّاً جميلاً، وقالا: أُجلس فقد أراد اللّه بك خيراً، فقام أحدهما ودخل فاحتبس غير بعيد، ثم خرج فقال: قم فادخل، فدخلت قصراً لم أر بناء أحسن من بنائه، ولا أضوأ منه، فتقدّم الخادم إلى ستر على بيت فرفعه، ثم ثقال لي: أُدخل، فدخلت البيت، فاذا فتىً جالس في وسط البيت، قد علّق فوق رأسه من السقف سيف طويل، تكاد قبضته تمسّ رأسه، والفتى بدر يلوح في ظلام، فسلّمت فردّ السلام بألطف كلام وأحسنه، فقال: ((أتدري من أنا))؟ فقلت: لا واللّه، فقال: ((أنا القائم من آل محمد (صلّى اللّه عليه وآله)، أنا الذي أخرج في آخر الزمان بهذا السيف، وأشار إليه، وأملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً)) فسقطت على وجهي وتعفّرت، فقال: ((لا تفعل، إرفع رأسك، أنت فلان بن فلان من مدينة بالجبل يُقال لها: همذان))، قلت صدقت يا سيّدي، قال: ((فتحب أن تؤوب إلى أهلك))؟ قلت: نعم يا سيّدي، وأُبشّرهم بما أتاح اللّه(عزّ وجل) لي، فأومى إلى الخادم فأخذ بيدي، وناولني صرّة وخرج، ومشى معي خطوات، فنظرت إلى ظلال وأشجار ومنارة مسجد، فقال: ((أتعرف هذا البلد))؟ فقلت: إنّ بقرب بلدنا بلدة تُعرف بأسد آباد وهي تشبهها، قال: ((هذه أسد آباد إمض راشداً))، فالتفتّ فلم أره، فدخلت أسد آباد وإذا في الصرّة أربعون أو خمسون ديناراً، فوردت همذان وجمعت أهلي وبشّرتهم بما يسّره اللّه لي، ولم نزل بخير ما بقي من تلك الدنانير.

غيبة القائم «عليه السلام»

وفي غيبة الطوسي (ص١٠٢): عن المفضّل بن عمر قال:

سمعت أبا عبد اللّه (عليه السلام) يقول:

((إنّ لصاحب هذا الأمر غيبتين؛ إحداهما: تطول حتى يقول بعضهم:

مات، ويقول بعضهم : قتل ، ويقول بعضهم : ذهب، حتى لا يبقى على أمره من أصحابه إلا نفر يسير، لا يطّلع على موضعه أحد من ولده ولا غيرهم إلا المولى الذي يلي أمره)) ·

وفي إكمال الدين (ص٣١٧) :

عن أبي الجارود عن الإمام الباقر (عليه السلام) :

((إذا دارت الفلك، وقال الناس : مات القائم أو هلك بأيّ وادٍ سلك ، وقال الطالب: أنّى يكون ذلك وقد بليت عظامه ؟ عند ذلك فارجوه ، وإذا سمعتم به فأتوه ولو حبواً على الثلج)) ·

وعن محمد بن مسلم قال :

دخلت على أبي جعفر الباقر (عليه السلام) وأنا أُريد أن أسأله عن القائم من آل محمد ؟ فقال لي مبتدئاً :

((يا محمد بن مسلم إنّ في القائم من آل محمد (صلّى الله عليه وآله) سُنّة من خمسة من الرسل : من يُونس بن متّي ، ويوسف بن يعقوب، وموسى ، وعيسى ، ومحمد (صلوات الله عليهم))) ·

فأمّا سُنّة من يونس بن متّي : فرجوعه من غيبته وهو شابّ بعد كبر السنّ ، وأمّا سُنّة من يوسف بن يعقوب (عليهما السلام) : فالغيبة من خاصّته وعامّته ، وإختفاؤه من إخوته ، وإشكال أمره على أبيه يعقوب النبيّ (عليه السلام) مع قرب المسافة بينه وبين أبيه وأهله وشيعته ، وأمّا سنّة من موسى (عليه السلام) : فدوام خوفه ، وطول غيبته ، وخفاء ولادته وتعب شيعته من بعده مما لقوا من الأذى والهوان ، إلى أن أُذن الله (عزّ وجل) في ظهوره ، ونصره ، وأيّده على عدوّه·

وأمّا سُنّة من عيسى (عليه السلام) : فاختلاف من إختلف فيه ، حتى

قالت طائفة: ولد، وطائفة منهم قالت: مات، وطائفة قالت: قتل وصلب، وأمّا سنّة من جدّه المصطفى محمد (صلّى اللّه عليه وآله): فتجريده السيف، وقتله أعداء اللّه تعالى وأعداء رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله)، والجبّارين والطواغيت، وأنّه ينصر بالسيف والرعب، وأنّه لا يُردّ له راية، وإنّ من علامات خروجه: خروج السفياني من الشام، وخروج اليماني، وصيحة من السماء في شهر رمضان، ومناد ينادي من السماء باسمه وإسم أبيه)).

اهل البحرين والوالي

وفي كشكول البحراني (ص ١٢٩/ج ٣):

لمّا كانت بلدة البحرين تحت ولاية الإفرنج جعلوا واليها رجلاً من المسلمين، ليكون أدعى إلى تعميرها وأصلح بحال أهلها، وكان هذا الوالي من النواصب، وله وزير أشدّ نصباً منه، يظهر العداوة لأهل البحرين، لحبّهم أهل البيت (عليهم السلام)، ويحتال في إهلاكهم وإضرارهم بكلّ حيلة.

فلمّا كان في بعض الأيّام دخل الوزير على الوالي وبيده رمّانة، فأعطاها الوالي، فاذا مكتوب عليها: ((لا إله إلا اللّه، محمد رسول اللّه، أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ خلفاء رسول اللّه)) فتأمّل الوالي فرأى الكتابة من أصل الرمّانة، بحيث لا يحتمل عنده أنّها من صناعة بشر، فتعجّب من ذلك وقال للوزير: هذه آية بيّنة، وحجّة قويّة على إبطال مذهب الرافضة، فما رأيك في أهل البحرين؟ فقال له: أصلحك اللّه إنّ هؤلاء جماعة متعصّبون ينكرون البراهين وينبغي لك أن تحضرهم وتريهم هذه الرمّانة، فان قبلوا ورجعوا إلى مذهبنا كان لك الثواب الجزيل بذلك، وإن أبوا إلا المقام على ضلالتهم فخيّرهم بين ثلاث: إمّا أن يؤدّوا الجزية وهم صاغرون، أو يأتوا بجواب عن هذه الآية البيّنة التي لا محيص لهم عنها، أو تُقتل رجالهم وتُسبى نساؤهم وأولادهم، وتؤخذ الغنيمة من أموالهم، فاستحسن الوالي رأيه، وأرسل إلى العلماء والأفاضل

الأخيار، والنجباء والسادات الأبرار من أهل البحرين، وأحضرهم وأراهم الرمّانة، وأخبرهم بما رأى فيهم إن لم يأتوا بجواب شاف، من القتل والأسر وأخذ الأموال، أو أخذ الجزية على وجه الصغار كالكفّار، فتحيّروا في أمرها، ولم يقدروا على جواب، وتغيّرت وجوههم وارتعدت فرائصهم.

فقال كبراؤهم: أيّها الأمير أمهلنا ثلاثة أيّام، لعلّنا نأتيك بجواب ترتضيه، وإلا فاحكم فينا بما شئت، فأمهلهم، فخرجوا من عنده خائفين مرعوبين متحيّرين، فاجتمعوا في مجلس، وأجالوا الرأي في ذلك، فاتّفق رأيهم على أن يختاروا من صلحاء البحرين وزهّادهم عشرة، ففعلوا ذلك، ثم اختاروا من العشرة ثلاثة، فقالوا: لأحدهم: أخرج الليلة إلى الصحراء، واعبد اللّه فيها، واستغث بامام زماننا وحجّة اللّه علينا، لعلّه يُبيّن لك ما هو المخرج من هذه الداهية الدهماء، فخرج وبات طول ليلته متعبّداً خاشعاً باكياً، يدعو اللّه ويستغيث بالامام حتى أصبح، ولم ير شيئاً، فأتاهم وأخبرهم، فبعثوا في الليلة الثانية الثاني منهم، فرجع كصاحبه ولم يأتهم بخبر، فازداد قلقهم وجزعهم، فأحضروا الثالث، وكان تقيّاً فاضلاً، إسمه: محمد بن عيسى، فخرج الليلة الثالثة حافياً حاسر الرأس إلى الصحراء، وكانت ليلة مظلمة، فدعا وبكى وتوسّل إلى اللّه سبحانه وتعالى في خلاص هؤلاء المؤمنين، وكشف هذه البليّة عنهم، واستغاث بصاحب الزمان، فلمّا كان في آخر الليل إذ هو برجل يخاطبه ويقول: ((يا محمد بن عيسى ما لي أراك على هذه الحالة؟ ولماذا خرجت في هذه البريّة))؟ فقال: أيها الرجل دعني، فانّي خرجت لأمر عظيم وخطب جسيم، لا أذكره إلا إلى إمامي، ولا أشكوه إلا لمن يقدر على كشفه عنّي، فقال: ((يا محمد بن عيسى أنا صاحب الأمر، فاذكر لي حاجتك؟ فقال: إن كنت هو فأنت تعلم حاجتي وقصّتي؟ ولا تحتاج أن أشرحها اليك؟ فقال له: ((نعم، خرجت لما دهمكم من أمر الرمّانة وما كتب عليها، وما

أوعدكم الأمير به)) ، قال : فلمّا سمعت ذلك منه توجّهت إليه ، وقلت لــه : نعم يا مولاي ، قد تعلم ما أصابنا ، وأنت إمامنا وملاذنا والقادر على كشفه عنّا فقال (عليه السلام) : ((يا محمد بن عيسى ، إنّ الوزير لعنه اللّه في داره شجرة رمّان ، فلمّا حملت تلك الشجرة صنع شيئاً من الطين على هيئة الرمّانــة ، وجعلها نصفين ، وكتب على كلّ نصف بعض تلك الكتابة ، ثم وضعهما على الرمّانة وشدّهما عليها ، وهي صغيرة فأثّرت فيها وصارت هكذا ، فاذا مضيتم غدا إلى الوالي فقل له : جئتك بالجواب، ولكنّي لا أبديه إلا في دار الوزير ، فاذا مضيتم إلى داره فانظر عن يمينك ترى فيها غرفة ، فقل للوالي : لا أُجيبك إلا في تلك الغرفة ، وسيأبى الوزير عــن ذلك، وأنت بالغ في ذلـك ، ولا ترض إلا بصعودها ، فاذا صعد فاصعد معه ، ولا تتركه وحده يتقدّم عليك فاذا دخلت الغرفة رأيت كوّة فيها كيس أبيض ، فانهض إليه وخذه ، فتـرى فيه الطينة التي عملها لهذه الحيلة ، ثم ضعها أمام الوالي ، وضع الرمّانــة فيها لينكشف له جليّة الحال ، وأيضاً يا محمد بن عيسى قل للوالي : إنّ لـي معجزة أُخرى ، وهي أنّ هذه الرمّانة ليس فيها إلا الرماد والدخّان ، وإن أردت صحّة ذلك فأمر الوزير بكسرها ، فاذا كسرها طار الرماد والدخّان على وجهه ولحيته)) ، فلمّا سمع محمد بن عيسى ذلك من الإمام فرح فرحاً شديداً وقبّل يدي الإمام وانصرف إلى أهله بالبشارة والسرور .

فلمّا أصبحوا مضوا إلى الوالي ، وفعل محمد بن عيسى كلّما أمره الإمام وظهر كلّما أخبره ، فالتفت الوالي إلى محمد بن عيسى وقال له : من أخـبرك بهذا ؟ فقال : إمام زماننا ، وحجّة اللّه علينا ، فقال : ومن إمامكم؟ فأخبـره بالأئمة واحداً بعد واحد ، إلى أن انتهى إلى صاحب الزمان (عليه السلام) ، فقال الوالي : مدّ يدك فأنا أشهد أن لا إلـه إلا اللّه ، وأنّ محمداً رسول اللّه وأنّ الخليفة من بعده أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) ، ثم أقرّ بالأئمة إلـى

آخرهم ، وحسن إيمانه ، وأمر بقتل الوزير ، واعتذر إلى أهل البحرين وأحسن إليهم وأكرمهم .

قِصّة الحاج علي البَغْدادِي

وفي جنّة المأوى للشيخ حسين النوري ، وهو ملحق بالجزء الثالث والخمسين من البحار : نذكر منه الحكاية التاسعة والخمسين من الكتاب وملخصّها :

إنّ رجلاً من تجّار بغداد وإسمه الحاج علي البغدادي ، وأغلب تجارته في طرق جدّة ومكّة وما والاها ، وهو من أهل الديانة والورع ، قال : في سنة من سنيّ عشرة السبعين (يعني : بعد المائتين وألف) كان عندي مقدار من مال الإمام (عليه السلام) عزمت على إيصاله إلى العلماء الأعلام في النجف الأشرف ، وكان لي طلب على تجّارها ، فمضيت إلى زيارة أمير المؤمنين (سلام الله عليه) في إحدى زياراته المخصوصة ، واستوفيت ما أمكنني إستيفاؤه من الديون التي كانت لي ، وأوصلت ذلك إلى متعددين من العلماء الأعلام من طرف الإمام (عليه السلام) ، لكن لم يف بما كان عليّ منه ، بل بقي عليّ مقدار عشرين توماناً ، فعزمت على إيصال ذلك إلى أحد علماء مشهد الكاظمين .

فلمّا رجعت إلى بغداد أحببت أداء ما بقي في ذمّتي على التعجيل ولم يكن عندي من النقد شيء ، فتوجّهت إلى زيارة الإمامين (عليهما السلام) في يوم الخميس ، وبعد التشرّف بالزيارة دخلت على المجتهد دام توفيقه ، ، وأخبرته بما بقي في ذمّتي من مال الإمام (عليه السلام) ، وسألته أن يحوّل ذلك عليّ تدريجاً ، ورجعت إلى بغداد في أواخر النهار حيث لم يسعني لشغل كان لي ، وتوجّهت إلى بغداد ماشياً لعدم تمكّني من كراء دابّة .

فلمّا تجاوزت نصف الطريق رأيت سيّداً جليلاً مهاباً ، متوجّهاً إلى مشهد الكاظمين (عليهما السلام) ماشياً ، فسلّمت عليه فردّ عليّ السلام ، وقال لي : ((يا فلان ــ وذكر إسمي ــ لِمَ لم تبق هذه الليلة الشريفة ليلة الجمعة

في مشهد الامامين)) ؟ فقلت: يا سيّدنا عندي مطلب مهم منعني من ذلك ، فقال لي : ((ارجع معي وبت هذه الليلة الشريفة عند الامامين وارجع إلى مهمّك غداً إن شاء الله)) ، فارتاحت نفسي إلى كلامه ، ورجعت معه منقاداً لأمره ، ومشيت معه بجنب نهر جار ، تحت ظلال أشجار خضرة نضرة ، متدلّية على رؤوسنا ، وماء عذب ، وأنا غافل عن التفكّر في ذلك .

وخطر ببالي : إنّ هذا السيّد الجليل سمّاني باسمي مع أنّي لا أعرفه ، ثم قلت في نفسي : لعلّه هو يعرفني وأنا ناس له ، ثم قلت في نفسي : إنّ هذا السيّد كأنّه يُريد منّي من حقّ السادة ؟ وأحببت أن أُوصل إليه شيئاً من مال الامام الذي عندي ، فقلت له : يا سيّدنا عندي من حقّكم بقيّة لكن راجعت فيه جناب الشيخ الفلاني لأؤدّي حقّكم باذنه ـ وأنا أعني السادة ـ فتبسّم في وجهي ، وقال : ((نعم ، وقد أوصلت بعض حقّنا إلى وكلائنا في النجف الأشرف أيضاً)) وجرى على لساني أن قلت له : ما أدّيته مقبول؟ فقال : ((نعم)) ، ثم خطر في نفسي : إنّ هذا السيّد يقول بالنسبة إلى العلماء الأعلام : وكلائنا؟ واستعظمت ذلك ، ثم قلت : العلماء وكلاء على قبض حقوق السادة ، وشملتني الغفلة .

ثم قلت : يا سيّدنا ، قرّاء تعزية الحسين (عليه السلام) يقرأون حديثاً :

إنّ رجلاً رأى في المنام هودجاً بين السماء والأرض ، فسأل عمّن فيه؟ فقيل له : فاطمة الزهراء وخديجة الكبرى ، فقال : إلى أين يُريدون ؟ فقيل : زيارة الحسين (عليه السلام) في هذه الليلة ليلة الجمعة ، ورأى رقاعاً تتساقط من الهودج ، مكتوب فيها : ((أمان من النار لزوّار الحسين (عليه السلام) في ليلة الجمعة)) ، هذا الحديث صحيح؟ فقال (عليه السلام) : ((نعم ، زيارة الحسين (عليه السلام) في ليلة الجمعة أمان من النار يوم القيامة)) .

قال : وكنت قبل هذه الزيارة بقليل قد تشرّفت بزيارة مولانا الرضا

(عليه السلام) ، فقلت له : يا سيّدي قد زرت الرضا عليّ بن موسى (عليهما السلام) ، وقد بلغني أنّه ضمن لزوّاره الجنّة ، هل هذا صحيح ؟ فقال (عليه السلام) : ((هو الإمام الضامن)) ، فقلت : زيارتي مقبولة؟ فقال (عليه السلام) : ((نعم مقبولة)) .

وكان معي في طريق الزيارة رجل متديّن من الكسبة ، وكان خليطاً لي وشريكاً في المصرف ، فقلت له : يا سيّدنا إنّ فلاناً كان معي في الزيارة ، زيارته مقبولة ؟ فقال : ((نعم)) ، العبد الصالح فلان بن فلان زيارته مقبولة ، ثم ذكرت له جماعة من كسبة أهل بغداد كانوا معنا في تلك الزيارة وقلت : إنّ فلاناً وفلاناً وذكرت أسماءهم كانوا معنا ، زيارتهم مقبولة؟ فأدار وجهه إلى الجهة الأُخرى وأعرض عن الجواب ، فهبته وأكبرته وسكتّ عن سؤاله .

فلم أزل ماشياً معه على الصفة التي ذكرتها حتى دخلنا الصحن الشريف ، ثم دخلنا الروضة المقدّسة ، من الباب المعروف بباب المُراد ، فلم يقف على باب الرواق ، ولم يقل شيئاً حتى وقف على باب الروضة من عند رجلي الإمام موسى (عليه السلام) ، فوقفت بجنبه ، وقلت له : يا سيّدنا إقرأ حتى أقرأ معك؟ فقال : ((السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أمير المؤمنين)) ، وساق على باقي أهل العصمة (عليهم السلام) حتى وصل إلى الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) ، ثم إلتفت إليّ بوجهه الشريف ، ووقف متبسّماً وقال : ((أنت إذا وصلت إلى السلام على الإمام العسكري ما تقول))؟ فقلت : أقول : السلام عليك يا حجّة الله ، السلام عليك يا صاحب الزمان ، قال : فدخل الروضة الشريفة ، ووقف على قبر الإمام موسى (عليه السلام) والقبلة بين كتفيه ، ووقف إلى جنبه ، وقلت : يا سيّدنا زر حتى أزور معك ، فبدأ (عليه السلام) بزيارة أمين الله الجامعة المعروفة فزار بها وأنا أتابعه ، ثم زار مولانا الجواد (عليه السلام) ، ودخل القبّة الثانية قبّة محمد بن عليّ (عليهما السلام)

ووقف يُصلّي، فوقفت إلى جنبه متأخّراً عنه قليلاً، إحتراماً له، ودخلت في صلاة الزيارة، فخطر ببالي أن أسأله أن يبات عندي تلك الليلة لأتشرّف بضيافته وخدمته، ورفعت بصري إلى جهته، وهو بجنبي متقدّماً عليّ قليلاً فلم أره، فخففت صلاتي، وقمت، وجعلت أتصفحّ وجوه المصلّين والزوّار لعلّي أصل إلى خدمته، حتى لم يبق مكان في الروضة والرواق إلا ونظرت فيه، فلم أر له أثراً أبداً، ثم إنتبهت، وجعلت أتأسّف على عدم التنبّه لما شاهدته من كراماته وآياته، ومن إنقيادي لأمره مع ما كان لي من الأمر المهم في بغداد، ومن تسميته إيّاي مع أنّي لم أكن رأيته ولا عرفته، ولما خطر في قلبي أن أدفع إليه شيئاً من حقّ الامام (عليه السلام)، وذكرت له أنّي راجعت في ذلك المجتهد الفلاني لأدفع إلى السادة باذنه، قال لي إبتداء منه: ((نعم، وأوصلت بعض حقّنا إلى كلائنا في النجف الأشرف)).

ثم تذكّرت: إنّي مشيت معه بجنب نهر جار تحت أشجار مزهرة متدلّية فوق رؤوسنا، وأين طريق بغداد وظلّ الأشجار الزاهرة في ذلك التأريخ، وذكرت أنّه سمّى خليطي في سفر زيارتي مولانا الرضا باسمه، ووصفه بالعبد الصالح، وبشّرني بقبول زيارتي وزيارته، ثم أنّه أعرض بوجهه الشريف عند سؤالي إيّاه عن جماعة من أهل بغداد من السوقة كانوا معنا في طريق الزيارة وكنت أعرفهم بسوء العمل، مع إنّه ليس من أهل بغداد، ولا كان مطّلعاً على أحوالهم لولا أنّه من أهل بيت النبوّة والولاية، ينظر إلى الغيب من ستر رقيق.

ومما أفادني اليقين بأنّه المهدي (عليه السلام) : إنّه لمّا سلّم على أهل العصمة (عليهم السلام) في مقام طلب الأذن، ووصل السلام إلى مولانا الامام العسكري، إلتفت إليّ وقال لي: ((أنت ما تقول إذا وصلت إلى هنا))؟ فقلت: السلام عليك يا حجّة الله يا صاحب الزمان، فتبسّم ودخل الروضة

المقدّسة، ثم إفتقادي إيّاه وهو في صلاة الزيارة، لمّا أن عزمت على تكليفه بأنّ أقوم بخدمته وضيافته تلك الليلة، إلى غير ذلك مما أفادني القطع بأنّه الإمام الثاني عشر (صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين)، والحمد لله ربّ العالمين.

وفي إثبات الهداة لصاحب الوسائل (ج ٧/ص٣٧٨): قال:

كنت في عصر الصبي، وسنّي عشر سنين أو نحوها، أصابني مرض شديد جدّاً، حتى إجتمع أهلي وأقاربي وبكوا وتهيّأوا للتعزية، وأيقنوا أنّي أموت تلك الليلة، فرأيت النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) والأئمة الاثني عشر (عليهم السلام)، وأنا بين النائم واليقظان، فسلّمت عليهم (صلوات الله عليهم)، وصافحتهم واحداً واحداً، وجرى بيني وبين الصادق (عليه السلام) كلام لم يبق في خاطري، إلا أنّه دعا لي، فلمّا سلّمت على صاحب الزمان (عليه السلام) وصافحته بكيت وقلت: يا مولاي أخاف أن أموت في هذا المرض ولم أقض وطري من العلم والعمل، فقال لي: ((لا تخف، فانّك لا تموت في هذا المرض، بل يشفيك الله وتعمّر طويلاً)) ثم ناولني قدحاً كان في يده، فشربت منه وعُوفيت في الحال، وزال عنّي المرض بالكلّية، وجلست، فتعجّب أهلي وأقاربي، ولم أحدّثهم بما رأيت إلا بعد أيّام.

وعلى: رأيته (عليه السلام) في المنام فأسرعت إليه وسلّمت عليه، وأردت أن أسأله: متى يكون الفرج والخروج؟ فقال لي مبتدئاً قبل أن أسأله: قريب إن شاء الله، ﴿قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله﴾ (النمل/الآية ٦٥)، ثم خطر ببالي أشياء متعددة، فأخبرني بها قبل أن أسأله عنها.

يقول العبد الفقير محرر هذه الأوراق:

ولقد رأيته (عليه السلام) في المنام ليلة الجمعة، في الثامن والعشرين من شهر صفر سنة أربعة بعد الأربعمائة وألف، وكأننا مجتمعون في بيت، ونحن خمسة أو ستّة، ومعنا رجل سيّد عليه المهابة والوقار، ودخل في نفسي أنّه الإمام (عليه السلام)، وهممت أن أسأله: متى يكون ظهوره؟ ويُفرّج عن المؤمنين؟ ثم كففت نفسي، وقلت في سرّي: لا يجوز السؤال لأنّه هو نفسه لا يعلم الوقت بالتحديد، وإذا به يلتفت إليّ ويقول: ((إن شاء الله قريباً ستظهر دولتنا، وينتشر العدل وتزول الحزازات))، ثم انتبهت.

تسميته (ع) بالقائم وبعض علاماته وشيء من ترجمته

ولنكتف بهذا المقدار، فانّ معجزاته وكراماته (عليه السلام) في غاية الظهور والشهرة، ولا يُحيط بها بيان، وقد علمت أنّ من أسمائه (عليه السلام) وألقابه: القائم والمهدي والمنتظر والمؤمّل وغير ذلك، على أنّهم كلّهم (صلوات الله عليهم) قائمون بالحق.

ففي إكمال الدين (ص ٣٤٧):

عن يُونس بن عبد الرحمٰن قال:

دخلت على موسى بن جعفر (عليهما السلام) فقلت له: يا بن رسول الله، أنت القائم بالحق؟ فقال:

((أنا القائم بالحق، ولكنّ القائم الذي يُطهّر الأرض من أعداء اللّه (عزّ وجل)، ويملؤها عدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً هو الخامس من ولدي، له غيبة يطول أمدها خوفاً على نفسه، يرتدّ فيها أقوام ويثبت فيها آخرون)).

ثم قال (عليه السلام):

((طوبى لشيعتنا المتمسكين بحبلنا في غيبة قائمنا، الثابتين على موالاتنا والبراءة من أعدائنا، أُولئك منّا ونحن منهم، فقد رضوا بنا

أئمة ورضينا بهم شيعة ، فطوبى لهم ، ثم طوبى لهم ، وهم والله معنا في درجاتنا يوم القيامة)) .

وفيه(ص ٣٦١) : عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني قال :
قلتُ لمحمد بن عليّ بن موسى (عليهم السلام) : إنّي لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمد ، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً؟ فقال :
((يا أبا القاسم ، ما منّا إلا وهو قائم بأمر الله(عزّ وجل) ، وهادٍ إلى دين الله ، ولكنّ القائم الذي يُطهّر الله به الأرض من أهل الكفر والجحود ويملؤها عدلاً وقسطاً ، هو الذي تخفى على الناس ولادته ، ويغيب عنهم شخصه ، وتحرم عليهم تسميته ، وهو سميّ رسول الله وكنيّه(صلّى الله عليه وآله) ، وهو الذي تُطوى له الأرض ، ويُذلّ له كل صعب ، ويجتمع إليه أصحابه ، عدّتهم عدّة أهل بدر ـ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ـ من أقاصي الأرض ، وذلك قول الله(عزّ وجل) : *أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إنّ الله على كلّ شيء قدير* (البقرة/ الآية ١٤٨) ، فاذا إجتمعت له هذه العدّة من أهل الإخلاص أظهر الله أمره ، فاذا كمل له العقد ـ وهو عشرة آلاف ـ خرج باذن الله(عزّ وجل) ، فلا يزال يقتل أعداء الله حتى يرضى الله تعالى)) .
قال عبد العظيم : فقلت له : سيّدي وكيف يعلم أن الله(عزّ وجل) قد رضي؟ قال :
((يُلقي في قلبه الرحمة ، فاذا دخل المدينة أخرج اللات والعزّى فأحرقهما)) .

وفي الكافي (ج ٣/ص ٥٣٦) :

من جملة حديث، قال الحكم بن أبي نعيم للباقر (عليه السلام) :

إنّي جعلت لله عليّ نذراً وصياماً وصدقة بين الركن والمقام، إن أنا لقيتك أن لا أخرج من المدينة حتى أعلم أنّك قائم آل محمد أم لا؟ فان كنت أنت رابطتك، وإن لم تكن أنت، سرت في الأرض فطلبت المعاش، فقال: ((يا حكم، كلّنا قائم بأمر الله)) ، قلت: فأنت المهدي؟ قال: ((كلّنا نهدي إلى الله)) ، قلت: فأنت صاحب السيف؟ قال: ((كلّنا صاحب السيف ووارث السيف)) ، قلت: فأنت الذي تقتل أعداء الله؟ ويعزّ بك أولياء الله؟ ويظهر بك دين الله؟ فقال: ((يا حكم كيف أكون أنا ، وقد بلغت خمساً وأربعين سنة؟ وإنّ صاحب هذا الأمر أقرب عهداً باللبن منّي ، وأخفّ على ظهر الدابّة)) .

وسُئل الإمام الصادق (عليه السلام) عن القائم؟ فقال :

((كلّنا قائم بأمر الله واحد بعد واحد حتى يجيء صاحب السيف ، فاذا جاء صاحب السيف جاء بأمر غير الذي كان)) .

وفي العلل (ص ١٥٤) : عن أبي حمزة من جملة حديث قال :

سألت الباقر (عليه السلام) ، فقلت: يا بن رسول الله، فلستم كلّكم قائمين بالحق؟ قال: ((بلى)) ، قلت: فلِمَ سمّي القائم قائماً؟ قال: ((لمّا قُتل جدّي الحسين (عليه السلام) ، ضجّت الملائكة إلى الله بالبكاء والنحيب، وقالوا: إلهنا وسيّدنا، أتغفل عمّن قتل صفوتك وابن صفوتك وخيرتك من خلقك؟ فأوحى الله (عزّ وجل) إليهم: قرّوا ملايكتي، فوعزّتي وجلالي لأنتقمنّ منهم ولو بعد حين، ثم كشف الله (عزّ وجل) عن الأئمة من ولد الحسين (عليه السلام) للملائكة ، فسرّت الملائكة بذلك، فاذا أحدهم قائم يصلّي ، فقال الله

(عزّ وجل) : بذلك القائم أنتقم منهم)) .

وعن جابر قال : أقبل رجل إلى أبي جعفر (عليه السلام) وأنا حاضر، فقال : رحمك الله أقبض هذه الخمسمائة درهم ، فضعها في موضعها ، فانّها زكاة مالي ، فقال له أبو جعفر (عليه السلام) : ((بل خذها أنت، فضعها في جيرانك والأيتام والمساكين ، وفي إخوانك من المسلمين ، إنّما يكون هذا إذا قام قائمنا ، فانّه يقسم بالسويّة ، ويعدل في خلق الرحمان البرّ منهم والفاجر ، فمن أطاعه فقد أطاع الله ، ومن عصاه فقد عصى الله ، فانّما سمّي :: المهدي لأنّه يهدي لأمر خفيّ ؛ يستخرج التوراة وسائر كتب الله من غار بانطاكية ، فيحكم بين أهل التوراة بالتوراة ، وبين أهل الانجيل بالإنجيل ، وبين أهل الزبور بالزبور ، وبين أهل الفرقان بالفرقان ، وتجمع إليه أموال الدنيا كلّها ، ما في بطن الأرض وظهرها ، فيقول الناس : تعالوا إلى ما قطعتم فيه الأرحام ، وسفكتم فيه الدماء ، وركبتم فيه محارم الله ، فيُعطى شيئاً لم يُعط أحد كان قبله)) .

قال : ((وقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : هو رجل منّي يحفظني الله فيه ، ويعمل بسنّتي ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ونوراً ، بعد ما تمتلئ ظلماً وجوراً وسوءاً)) .

وفي غيبة النعماني (ص ١٢٠) :

باسناده الى الحسن بن محبوب الزرّاد قال : قال الرضا (عليه السلام) :

((إنّه سيكون يا حسن فتنة صمّاء صيلم ، يذهب فيها كلّ وليجة وبطانة ، (وفي رواية : يسقط فيها كلّ وليجة وبطانة) ، وذلك عند فقدان الشيعة الثالث من ولدي ، يحزن لفقده أهل الأرض والسماء ، كم من مؤمن ومؤمنة

متأسّف، متلهّف، حيران، حزين لفقده)) ، ثم أطرق، ثم رفع رأسه وقال:
((بأبي وأُمّي سميّ جدّي، وشبهي، وشبه موسى بن عمران، عليه جيوب النور يتوقّد من شعاع ضياء القدس، كأنّي به آيس ما كانوا قد نودوا نداء يسمعه من بالبعد كما يسمعه من بالقرب، يكون رحمة على المؤمنين، وعذاباً على الكافرين)) ، فقلت: بأبي وأُمّي أنت؟ وما ذلك النداء؟ قال: ((ثلاثة أصوات في رجب ؛ أولها: ألا لعنة الله على الظالمين، والثاني: أزفت الآزفة يا معشرالمؤمنين، والثالث: يرى بدناً بارزاً مع قرن الشمس ينادي: ألا إنّ الله قد بعث فلاناً على هلاك الظالمين، فعند ذلك يأتي المؤمنين الفرج، ويشفي الله صدورهم ويذهب غيظ قلوبهم)) .

قال في النهاية:

الفتنة الصمّاء: هي التي لا سبيل إلى تسكينها لتناهيها في دهائها، لأنّ الأصم لا يسمع الاستغاثة، فلا يقلع عمّا يفعله، وقيل: هي كالحيّة الصمّاء التي لا تقبل الرقى، إنتهى.

ولعلّه مأخوذ من قولهم: صخرة صمّاء، أي صلبة مصمّته، وهو كناية عن إشتباه الأمر فيها حتى لا يمكن النفوذ فيها والنظر فى باطنها، وتحيّر أكثر الخلق فيها، أو عن صلابتها وثباتها واستمرارها وعدم التخلّص منها.

والصيلم: الداهية العظيمة والأمر الشديد، ووقعة صيلم: أي مستأصلة

وبطانة الرجل: صاحب سرّه الذي يشاوره في أحواله.

ووليجة الرجل: دخلاؤه وخاصّته، أي: يزلّ فيها خواصّ الشيعة، والمراد بالثالث: الإمام العسكري (عليه السلام) ، وقوله: ((عليه جيوب النور)) : لا يبعد أن يكون المراد به المهابة الذي كساه الله إيّاه، فلا يراه أحد إلا هابه، ومع شدّة هيبته له أحبّه، أو الفيوض والهدايات التي تنبعث

منه (عليه السلام) إلى المؤمنين، فانّ (عليه صلوات الله) عليه أثواب قدسيّة وخلع ربّانية، تتقد من جيوبها أنوار فضله وهدايته تعالى، أو انّ جيوب الأشخاص النورانيّة من كمّل المؤمنين والملائكة المقرّبين، وأرواح المسلمين تشتعل للحزن على غيبته وحيرة الناس فيه، وذلك لنور إيمانهم الساطع من شموس عوالم القدس.

وفي رواية الصدوق:

((كم من حريّ مؤمن، وكم من مؤمن متأسّف حيران حزين عند فقدان الماء المعين)).

والمراد بالماء المعين: الإمام القائم (عليه السلام) فانّه من أسمائه.

وقد روى الصدوق في إكمال الدين (ص٣١٧):

باسناده عن أبي بصير عن الإمام الباقر (عليه السلام) في قول اللّه (عزّ وجل): *قل أرأيتم إنْ أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين* (الملك/ الآية ٣٠)، فقال:

((هذه نزلت في الإمام القائم، يقول: إن أصبح إمامكم غائباً عنكم لا تدرون أين هو، فمن يأتيكم بامام ظاهر، يأتيكم بأخبار السماوات والأرض، وحلال الله وحرامه))، ثم قال (عليه السلام):

((والله ما جاء تأويل هذه الآية، ولا بدّ أن يجيء تأويلها)).

وفي (ص ١٤٦):

إنّ عليّ بن جعفر سأل أخاه الكاظم عن تأويلها؟ فقال:

((إذا فقدتم إمامكم فلم تروه فما تصنعون))؟.

وفيه (ص ٦١٢): عن الإمام الباقر (عليه السلام):

((إنّ العلم بكتاب الله (عزّ وجل)، وسنّة نبيّه (صلّى الله عليه وآله)

تنبت في قلب مهديّنا كما ينبت الزرع على أحسن نباته ، فمن بقي منكم حتى يراه فليقل حين يراه : " السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة والنبوّة ، ومعدن العلم ، وموضع الرسالة ")) .

وروي أنّ التسليم على القائم (عليه السلام) أن يقال :
((السلام عليك يا بقيّة الله في أرضه)) .

وفي (ص ٣٦٤) : عن أبي هاشم الجعفري قال :
سمعت أبا الحسن صاحب العسكر يقول :
((الخلف من بعدي إبني الحسن ، فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف)) ؟ فقلت: ولِمَ؟ جعلني الله فداك ، فقال : ((لأنّكم لا ترون شخصه ولا يحلّ لكم ذكره باسمه)) ، فقلت: فكيف نذكره ؟ قال : ((قولوا : الحجّة من آل محمد (صلّى الله عليه وأله))) .

وفيه (ص ٣٦١) : عن الصقر بن دلف قال :
سمعت أبا جعفر محمد بن عليّ الرضا (عليه السلام) يقول :
((إنّ الامام بعدي إبني عليّ ؛ أمره أمري ، وقوله قولي ، وطاعته طاعتي ، والإمام بعده إبنه الحسن ؛ قوله قول أبيه ، وأمره أمر أبيه ، وطاعته طاعة أبيه)) ، ثم سكت، فقلت: يا بن رسول الله فمن الامام بعد الحسن ؟ فبكى (عليه السلام) بكاءً شديداً ، ثم قال : ((إنّ من بعد الحسن إبنه القائم بالحق المنتظر)) ، فقلت له : يا بن رسول الله ولم سمّي : القائم؟ قال : ((لأنّه يقوم بعد موت ذكره وارتداد أكثر القائلين بامامته)) ، فقلت له : ولِمَ سمّي : المنتظر؟ قال : ((لأنّ له غيبة يكثر أيّامها ، ويطول أمدها ، فينتظر خروجه المخلصون ، وينكره المرتابون ، ويستهزىء بذكره الجاحدون ، ويكذّب فيه الوقّاتون ، ويهلك فيه المستعجلون ، وينجو فيه المسلّمون)) .

وفي غيبة الطوسي (ص ٢٨٢) : عن أبي سعيد الخراساني قال :
قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : المهدي والقائم واحد ؟ فقال : ((نعم)) ، فقلت: لأيّ شيء سمّي : المهدي ؟ قال : ((لأنّه يهدي إلى كلّ أمر خفيّ ، وسمّي : القائم لأنّه يقوم بعد ما يموت، إنّه يقوم بأمر عظيم)) .

قلت: المراد بموته (عليه السلام) هو موت ذكره لطول الغيبة فينكر وجوده الكثير من الناس ، كما مرّ في حديث أبي الجارود : (أنّى يكون ذلك وقد بليت عظامه) ، وقد ذكر هذا الحديث الطوسي في الغيبة : (ص ٢٦٠) : وزاد فيه : (منذ دهر طويل) .

وذكر أيضاً (ص ٢٦١) :
إنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) قال :
((صاحب هذا الأمر من ولدي الذي يُقال : مات، لا بل قُتل ، لا بل هلك، لا بل بأيّ وادٍ سلك)) .

وعن حازم بن حبيب قال : قال أبو عبد الله (عليه السلام) :
((يا حازم إنّ لصاحب هذا الأمر غيبتين ، يظهر في الثانية ، إن جاءك من يقول : إنّه نفض يده من تراب قبره فلا تصدّقه)) .

وفي تفسير البرهان :
سُئل الإمام الصادق (عليه السلام) عن قول الله تعالى : * ومن قُتل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سُلطاناً فلا يُسرف في القتل إنّه كان منصورا * (الإسراء / الآية ٣٣) ؟ قال :
((ذلك قائم آل محمد ، يخرج فيقتل بدم الحسين ، فلو قتل أهل الأرض لم يكن مسرفاً ، وقوله : * فلا يُسرف في القتل * : أي لم يكن ليصنع شيئاً فيكون مسرفاً)) . ثم قال أبو عبد الله (عليه السلام) :

((يقتل والله ذراري قتلة الحسين (عليه السلام) بفعل آبائهم)) .

وقد سأل أبو الصلت أبا الحسن الرضا (عليه السلام) عن هذا الحديث ؟ فقال : ((هو كذلك)) ، قال : قلت: قول الله (عزّ وجل) : *ولا تزر وازرة وزر أُخرى* ما معناه ؟ فقال : ((صدق الله في جميع أقواله ، لكن ذراري قتلة الحسين يرضون أفعال آبائهم ويفتخرون بها ، ومن رضي شيئاً كمن أتاه ،، ولو أنّ رجلاً قُتل في المشرق فرضي بقتله رجل في المغرب ، لكان الراضي عند الله شريك القاتل ، وإنّما يقتلهم القائم إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم)) .

واعلم أنّ قول الداعي :

((واحففه بملائكتك المقرّبين ، وأيّده بروح القدس)) : أمر لابدّ منه ، وقد وردت فيه أخبار كثيرة :

منها : ما في تفسير العيّاشي (ص ٢٥٤ /ج ٢) :

عن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله (عليه السلام) :

((إنّ أول من يبايع القائم جبرئيل (عليه السلام) ، ينزل عليه في صورة طير أبيض فيبايعه ، ثم يضع رجلاً على البيت الحرام ورجلاً على بيت المقدس ، ثم ينادي بصوت يسمع الخلائق : *أتى أمر الله فلا تستعجلوه*)) (النحل/الآية ١) .

وفي غيبة النعماني : عن عبد الرحمٰن بن كثير عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله (عزّ وجل) : *أتى أمر الله فلا تستعجلوه* قال :

((هو أمرنا أمر الله (عزّ وجل) لا يستعجل به ، يؤيّده ثلاثة أجناد : الملائكة ، والمؤمنون ، والرعب ، وخروجه كخروج رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وذلك قوله تعالى : *كما أخرجك ربّك من بيتك بالحق*)) (الأنفال/الآية ٥) (ص ١٣٢) .

وفيه (ص ١٢٩) : عن أبي الجارود عن أبي جعفر (عليه السلام)

قال : قلت له : أوصني؟ فقال :

((أُوصيك بتقوى الله ، وأن تلزم بيتك ، وتقعد في دهماء هؤلاء الناس ، وإيّاك والخوارج ، فانّهم ليسوا على شيء ولا إلى شيء ، واعلم أنّ لبني أُميّة ملكاً لا تستطيع الناس أن تردعه ، وأنّ لأهل الحقّ دولة ، إذا جاءت ولاّها الله لمن يشاء منّا أهل البيت ، فمن أدركها كان معنا في السنام الأعلى ، وإن قبضه قبل ذلك جازله ، واعلم أنّه لا يقوم عصابة ــ تدفع ضيماً أو تعزّ ديناً ــ إلا صرعتهم البليّة حتى تقوم عصابة شهدوا بدراً مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، لا يورّى قتيلهم ، ولا يرفع صريعهم ، ولا يداوى جريحهم)) ، قلت : من هم ؟ قال : ((الملائكة)) .

وفيه (ص ١٥٤) : عن أبي حمزة الثمالي قال :

سمعت أبا جعفر محمد بن عليّ (عليهما السلام) يقول :

((لو قد خرج قائم آل محمد لنصرة الله بالملائكة المسوّمين ، والمردفين والمنزلين ، والكرّوبيين ، يكون جبرئيل أمامه ، وميكائيل عن يساره ، والرعب مسيرة أمامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله ، والملائكة المقرّبون حذاه ...)) الحديث .

وفي (ص ١٦٢) : عن عليّ بن أبي حمزة قال :

قال أبو عبد الله (عليه السلام) :

((إذا قام القائم (صلوات الله عليه) نزلت الملائكة ، ثلاثمائة عشر : ثلث على خيول شهب ، وثلث على خيول بلق ، وثلث على خيول حو))

قلت : وما الحو؟ قال : ((هي الحمر)) .

وفيه(ص ٢١٠) عن أبان بن تغلب قال : قال أبو عبد الله(عليه السلام) :

((كأنّي بالقائم ، فاذا إستوى على ظهر النجف لبس درع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، فينتفض هو بها فتستدير عليه ، فيغشّاها بخداجة من إستبرق ، ويركب فرساً له أدهم أبلق بين عينيه شمراخ، فينتفض به إنتفاضه لا يبقى أهل بلد إلا وهم يرون أنّه معهم في بلدهم ، وينشر راية رسول الله(صلّى الله عليه وآله) ، عودها من عمد عرش الله ، وسائرها من نصر الله ، ما يهوي بها إلى شيء إلا أهلكه الله)) .

قلت: أمخبوءة هي أم يؤتى بها؟ قال :

((بل يأتي بها جبرئيل(عليه السلام) ، فاذا هزّها لم يبق مؤمن إلا صار قلبه أشدّ من زبر الحديد ، وأُعطي قوّة أربعين رجلاً ، ولا يبقى مؤمن ميّت إلا دخلت عليه تلك الفرحة في قبره ، وذلك حيث يتزاورون في قبورهم ، ويتباشرون بقيام القائم(عليه السلام) ، وانحط عليها ثلاثة عشر ألفاً وثلاثمائة وثلاثة عشر ملكاً)) .

قال : فقلت: كلّ هؤلاء الملائكة كانوا مع أحد قبله من الأنبياء؟ قال :

((نعم ، وهم الذين كانوا مع نوح في السفينة ، والذين كانوا مع إبراهيم حين أُلقي في النار ، والذين كانوا مع موسى حين فلق البحر ، والذين كانوا مع عيسى حين رفعه الله إليه ، وأربعة آلاف كانوا مع النبيّ(صلّى الله عليه وآله وسلّم) مردفين ، وثلاثمائة وثلاثة عشر ملكاً كانوا يوم بدر ، وأربعة آلاف هبطوا يُريدون القتال مع الحسين(عليه السلام) لم يُؤذن لهم في القتال ، فرجعوا في الاستئمار ، فهبطوا وقد قُتل الحسين(عليه السلام) ، فهم عند قبره شعث غبر يبكونه إلى

يوم القيامة ، ورئيسهم ملك يقال له : منصور ، فلا يزوره زائر إلا استقبلوه ولا يودّعه مودّع إلا شيّعوه ، ولا مريض إلا عادوه ، ولا يموت إلا صلّوا عليه واستغفروا له بعد موته ، فكلّ هؤلاء ينتظرون قيام القائم (عليه السلام))) .

فصلّى الله على من هذه منزلته ومرتبته ومحلّه من الله (عزّ وجل) ، وأبعد الله من ادّعى ذلك لغيره ممن لا يستحقّه ولا هو أهل له ، والحمد لله الذي أكرمنا بموالاته ، ونسأله أن يجعلنا من أنصاره وأشياعه ، وأن يرزقنا الشهادة تحت لوائه .

وفي بصائر الدرجات (ص ٤٤٧) :

عن الحسن بن جهم عن أبي عبد الله جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال :

((في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح : روح البدن ، وروح القدس ، وروح القوّة ، وروح الشهوة ، وروح الايمان ، وفي المؤمنين أربعة أرواح : وإنّما فقدوا روح القدس ، روح البدن ، وروح الشهوة ، وروح القوّة ، وروح الايمان ، وفي الكفّار ثلاثة أرواح : روح البدن ، وروح الشهوة ، وروح القوّة)) ، ثم قال :

((روح الايمان يلازم الجسد ما لم يعمل بكبيرة ، فاذا عمل بكبيرة فارقه الروح ، وروح القدس من سكن فيه فانّه لا يعمل بكبيرة أبداً)) .

وعن جابر عن أبي جعفر (عليه السلام) قال :

سألته عن علم العالم ؟ فقال :

((يا جابر إنّ في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح : روح القدس ، وروح الايمان ، وروح الحياة ، وروح القوّة ، وروح الشهوة ، فبروح القدس يا

جابر علمنا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى)) ، ثم قال :
((يا جابر إنّ هذه الأرواح يصيبه الحدثان ، إلا أنّ روح القدس لا يلهو ولا يلعب)) ٠

وفيه(ص ٤٥١) : عن عمّار الساباطي قال :
قلت لأبي عبد الله(عليه السلام) : بما تحكمون إذا حكمتم ؟ فقال :
((بحكم الله وحكم داود ، فاذا ورد علينا شيء ليس عندنا تلقانا به روح القدس)) ٠

وعن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله(عليه السلام) :
جُعلت فداك ، عن قول الله تبارك وتعالى :*وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنّك لتهدي إلى صراط مستقيم * صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور* (الشورى/ الآية ٥٣)
قال :
((يا أبا محمد ، خلق والله أعظم من جبرئيل وميكائيل ، وقد كان مع رسول الله(صلّى الله عليه وآله) يخبره ويسدده ، وهو مع الأئمة يخبرهم ويسددهم)) ٠

وعن أسباط بياع الزطّي عن أبي عبد الله(عليه السلام) قال :
قال له رجل من أهل هيت: قول الله(عزّ وجل) :*وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان *قال : فقال :
((ملك منذ أنزل الله ذلك الملك لم يصعد إلى السماء ، كان مع رسول الله(صلّى الله عليه وآله) ، وهو مع الأئمة يسددهم)) ٠

وفيه(ص ٤٦٣) : عن أبي بصير عن أبي جعفر(عليه السلام) قال : سألته عن قول الله(عزّ وجل) :*ينزّل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده*؟ (النحل/الآية ٢)،فقال :

((جبرئيل الذي نزل على الأنبياء ، والروح تكون معهم ومع الأوصياء لا تفارقهم ؛ تفقّههم وتسددهم ، من عند الله، وأنّه لا إلـٰه إلا الله ، محمد رسول الله(صلّى الله عليه وآله) ، وبهما عبد الله، واستعبد الخلق ، وعلى هذا الجنّ والانس والملائكة، ولم يعبد الله ملك ولا إنسان ولا جان إلا بشهادة أن لا إلـٰه إلا الله، وأنّ محمد رسول الله، وما خلق الله خلقاً إلا للعبادة)) .

ولأنّه(عليه السلام) خرج عنه الأمر بالدعاء بتعجيل الفرج كما في بعض تواقيعه :((وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج فانّ في ذلك فرجكم)) .

وذلك انّ الامام يحبّ شيعته ويدعو لهم ، وجلّ جزاء من أحبّك إلا أن تحبّه ، ومن دعا لك إلا أن تدعو له ، أليس الله تعالى يقول :*هل جزاء الاحسان إلا الاحسان* (الرحمٰن/الآية ٦) ، ويقول : *فاذكروني أذكركم* (البقرة/الآية ١٥٢) .

ففي مناقب إبن شهراشوب (ج ٤/ص ٣٤١) : عن موسى بن سيّار قال: كنت مع الرضا (عليه السلام) وقد أشرف على حيطان طوس ، وسمعت واعية فأتبعتها ، فاذا نحن بجنازة ، فلمّا بصرت بها رأيت سيّدي وقد ثنى رجله عن فرسه ، ثم أقبل نحو الجنازة فرفعها ، ثم أقبل يلوذ بها كما تلوذ السخلة بأمّها ، ثم أقبل عليّ وقال :((يا موسى بن سيّار، من شيّع جنازة وليّ من أوليائنا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أُمّه لا ذنب عليه)) حتى إذا وضع الرجل على شفير قبره رأيت سيّدي قد أقبل ، فأفرج الناس عن الجنازة حتى

بدا له الميّت، فوضع يده على صدره، ثم قال: ((يا فلان بن فلان أبشر بالجنّة فلا خوف عليك بعد هذه الساعة)) ، فقلت: جُعلت فداك هل تعرف الرجل؟ فوالله إنّها بقعة لم تطأها قبل يومك هذا ، فقال لي: ((يا موسى بن سيّار، أما علمت أنّا معاشر الأئمة تُعرض علينا أعمال شيعتنا صباحاً ومساءً ، فما كان من التقصير في أعمالهم سألنا الله تعالى الصفح لصاحبه، وما كان من العُلوّ سألنا الله الشكر لصاحبه)) .

وفي بصائر الدرجات (ص ٢٥٩) : عن رميلة قال:

وعكت وعكاً شديداً في زمان أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فوجدت من نفسي خِفّة في يوم الجمعة، وقلت: لا شيء أفضل من أن أفيض على نفسي من الماء وأُصلّي خلف أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ففعلت ثم جئت إلى المسجد، فلمّا صعد أمير المؤمنين (عليه السلام) المنبر أعاد عليّ ذلك الوعك، فلمّا انصرف أمير المؤمنين (عليه السلام) ودخل القصر، دخلت معه، فقال: ((يا رميلة رأيتك وأنت متشبّك بعضك في بعض))؟ فقلت: نعم، وقصصت عليه القصّة، التي كنت فيها ، والذي حملني على الرغبة في الصلاة خلفه، فقال: ((يا رميلة، ليس من مؤمن يمرض إلا مرضنا بمرضه، ولا يحزن إلا حزنّا بحزنه، ولا يدعو إلا آمنّا لدعائه، ولا يسكت إلا دعونا له)) ، فقلت له: يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك، هذا لمن معك في القصر، أرأيت من كان في أطراف الأرض؟ قال: ((يا رميلة ليس يغيب عنّا مؤمن في شرق الأرض ولا في غربها)) .

وفي الخصال (ص ٢٣٠) :

في وصيّة النبيّ (صلّى الله عليه وآله) لعليّ (عليه السلام) :

((يا عليّ أربعة أسرع شيء عقوبة: رجل أحسنت إليه فكافأك بالاحسان

إليه إساءة، ورجل لا تبغي عليه وهو يبغي عليك، ورجل عاهدته على أمر فوفيت له وغدر بك، ورجل وصل قرابته فقطعوه)).

ثم قال (صلّى الله عليه وآله):

((يا علي من إستولى عليه الضجر رحلت عنه الراحة)).

وهل رأيت، وهل سمعت بمحسن أكثر إحساناً من الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، الذي تحمّل من الأذيّات والتحدّيات ما تنوء بحمله الجبال الراسيات في سبيل تثبيت الدعوة الحقّة، وتعبيد الطريق الصحيح إلى الله (جلّ شأنه)، حتى لقد ورد عنه (صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله): ((ما أُوذي نبيّ بمثل ما أُذيت..))، حتى ظهر أمر الله وهم كارهون، وأنقذ الناس من ظلمات الجهل والكفر، وبصرهم نور الإيمان، وكذلك أهل بيته وما لا قوّة من المحن والمصايب في سبيل توطيد دعائم الحق والدين، وكانوا كما قيل:

مُشرّدون نُفوا عن عقر دارهم

كأنّهم قد جنوا ما ليس يُغتفر

أليست معصية الله إساءة لهم، وبغياً عليهم، وغدراً بهم، وقطيعة لهم، فانظر أيّدك الله إنطباق مضمون هذا الحديث الشريف على هذه الأُمّة الضالّة المنحرفة، أهذا من الوفاء لرسول الله (صلّى الله عليه وآله)؟ كلاّ، ثم كلاّ، ومع ذلك يدّعون أنّهم مسلمون، وقد علمت أنّ المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه، فكيف هذا؟ ولم يسلم منهم حتى الرسول وأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وهل تنال محبّة الله بمثل هذه الأُمور؟ والله تعالى يقول لنبيّه: ﴿قل إن كنتم تُحبّون الله فاتّبعوني يُحببكم الله﴾ (آل عمران/ الآية ٣٠)، وأين هذه من محبّة الله؟ وأين هذا من إتّباع الرسول؟ ولقد صدق الشاعر القائل ـ وإنّ من الشعر لحكمه ـ:

تعصي الإلـه وأنت تُظهر حُـبّه

هذا لعمرك في القياس بديــع

لو كان حبّك صادقـاً لأطعـتـه

إنّ المُحبّ لمن يُحبّ مطيــع

ولقد قال الله تعالى :﴿إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (الحجرات/الآية ١٣)

وفي كلام الإمام الباقر(عليه السلام) :((والله ما يُتقرّب إلى الله تعالـى إلا بالطاعة ، وما معنا براءة من النار ، ولا على الله لأحد من حجّة ، من كان للـه مطيعاً فهو لنا ولي ، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدوّ ، وما تنال ولايـتنا إلا بالـورع)) .

وفي تفسير العيّاشي(ص ١٥٤ /ج ٢) : عن الإمام الصادق(عليـه السلام) قال :

((أوحى الله إلى إبراهيم أنّه سيُولد لك ، فقال لسارة ، فقالـت: أألد وأنا عجوز؟ فأوحى الله إليه : إنّها ستلد ، ويعذّب أولادهـا أربع مائة سنة بردّها الكلام عليّ ، قال : فلمّا طال على بني إسرائيـل العذاب ضجّوا ، وبكوا إلى الله أربعين صباحاً ، فأوحى الله إلـى موسى وهارون : أن يخلّصهم من فرعون ، فحطّ عنهم سبعين ومائـة سنة)) ، قال : وقال أبو عبد الله(عليه السلام) :

((هكذا أنتم ، لو فعلتم لفرّج الله عنّا ، فأمّا إذا لم تكونوا فانّ الأمـر ينتهي إلى منتهاه)) .

فالدعاء بتعجيل الفرج أمر مطلوب، ولا شكّ أنّه يقرّب ما بعد ، يقول الله(عزّ وجل) :﴿ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغـفر لهم الرسول لوجدوا الله توّاباً رحيما﴾ (النساء/الآية ٦٤) ، وإتيان الرسـول

إنّما هو الدعاء له . فاذا دعوت له دعا لك ، وكذلك الدعاء للامام ، فانّه نائب الرسول ، فاذا ذكرته ذكرك ، وإذا دعوت له دعا لك ، والامام أيضاً حكمه حكم الوالد بل أشدّ ، لأنّه وليّ الأمر بعد الرسول ، والرسول أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فكذلك نائبه ، وقال الله تعالى :* ولا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً* (النور/ الآية ٦٣) ، أي لا تعاملوه معاملة بعضكم بعضاً ، إن شئتم سمعتم منه وإن شئتم لم تسمعوا ، وإن شئتم عظّمتموه وإن شئتم غير ذلك ، بل الواجب عليكم تعظيمه وتكريمه وتبجيله ، لأنّه رسول الله ، وعظمة الرسول من عظمة مرسله ، وتوقيره من توقير مرسله ، وإطاعة أمره إطاعة الله ، والخلاف عليه وعدم الإكتراث به إستهانة بالله ألا تراه يتهدد المخالفين ويتوعّدهم في ختام الآية :* فليحذر الذين يُخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يُصيبهم عذاب أليم* ، وهكذا حكم الأوصياء من بعده ٠

وإمامنا (صلوات الله عليه وعلى آبائه) هو المجدد لدين الله الحق ، ومُعيد الإسلام غضّاً جديداً بعد دروسه وخفائه للحديث المشهور :

((بدئ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدئ)) ٠

ففي غيبة النعماني (ص ٢٢٠) : قال الإمام الباقر (عليه السلام) :

((إنّ قائمنا إذا قام دعا الناس إلى أمر جديد كما دعى إليه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وانّ الاسلام بدئ غريباً وسيعود غريباً كما بدئ ، فطوبى للغرباء)) ٠

ولا بدّ أن يلاقى من الشدائد والمصاعب والمعارضات مثل ما لاقى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وأشدّ كما ورد عن أئمة الهدى (صلوات الله عليهم) ٠

ففي غيبة النعماني (ص ١٥٤) : عن الإمام الباقر (عليه السلام) :

((لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج ؟ لأحبّ أكثرهم إلا يروه مما يقتل من الناس ، أما إنّه لا يبدأ إلا بقريش ؟ فلا يأخذ منها إلا السيف، ولا يعطيها إلا السيف ، حتى يقول كثير من الناس : ليس هذا من آل محمد ، لو كان من آل محمد لرحم)) .

وعنه (عليه السلام) :

((يقوم القائم بأمر جديد وكتاب جديد ، وقضاء جديد ، على العرب شديد ، ليس شأنه إلا السيف ، لا يستتيب أحداً ولا يأخذه في اللّه لومة لائم)) .

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) :

((ما يستعجلون بخروج القائم؟ فواللّه ما لباسه إلا الغليظ ،ولا طعامه إلا الجشب، وما هو إلا السيف، والموت تحت ظلّ السيف)) .

وفيه (ص ٢٠٠) : عن الإمام الباقر (عليه السلام) :

((إنّ صاحب هذا الأمر لو قد ظهر لقى من الناس مثل ما لقى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) وأكثر)) .

وعن الفضيل بن يسار قال : سمعت أبا عبد اللّه (عليه السلام) يقول :

((إنّ قائمنا إذا قام إستقبل من جهة الناس أشدّ مما إستقبله رسول اللّه من جهّال الجاهلية)) ، قلت: وكيف ذلك ؟ قال :

((إنّ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) أتى الناس وهم يعبدون الحجارة والصخور والعيدان والخشب المنحوتة ، وإنّ قائمنا إذا قام كلّهم يتأوّل عليه كتاب اللّه ويحتجّ عليه به ،)) ـ ثم قال :

((أما والله ليدخلنّ عليهم عدله ، أما والله ليدخلنّ عليهم عدله جوف بيوتهم كما يدخل الحرّ والقرّ)) ٠

وفيه (ص١٣٨) : عن الحسين (عليه السلام) :
((لا يكون الأمر الذي ينتظر حتى يبرأ بعضكم من بعض ، ويتفل بعضكم في وجوه بعض ، فيشهد بعضكم على بعض بالكفر ، ويلعن بعضكم بعضاً)) ، فقلت له : ما في ذلك من خير؟ فقال الحسين (عليه السلام) ((الخير كلّه في ذلك الزمان ، يقوم قائمنا ويدفع ذلك كلّه)) ٠

وعن الإمام الباقر (عليه السلام) :
((لتُمحّصنّ يا شيعة آل محمد تمحيص الكحل في العين ، وانّ صاحب الكحل يدري متى يقع الكحل في عينه ، ولا يعلم متى يخرج منها ، وكذلك الرجل يصبح على شريعة من أمرنا ويمسي وقد خرج منها ، ويمسي على شريعة من أمرنا ويصبح وقد خرج منها)) ٠

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) :
((والله لتكسّرنّ تكسّر الزجاج ، وإنّ الزجاج ليعاد فيعود ، والله لتكسّرنّ تكسّر الفخّار ، وإنّ الفخّار ليكسر ولا يعود كما كان ، والله لتغربلنّ ، والله لتميّزنّ ، والله لتغربلنّ ، ووالله لتمحّصنّ حتى لا يبقى منكم إلا الأقل ، وصفر كفّه)) ٠

وفي خبر : أول من يتبعه : محمد (صلّى الله عليه وآله) وعليّ (عليه السلام) ٠
أقول : لعلّ المراد من اتّباع محمد وعليّ (عليهما السلام) له (عليه السلام) : أن يتبعاه بنظرهما ودعائهما له ، ويسرّا بما يفتح الله له من النصر

وتثبيت قواعد الدين، وإعزاز الاسلام، وقمع أهل الزيغ والطغيان، اللـــهم إجعلنا من أنصاره وأعوانه، ومقوّية سلطانه، ومن الذابّين عنه، والمستشهدين بين يديــــه.

الدُّعاء

((اللهم إجعله الداعي إلى كتابك، والقائم بدينك، إستخلفه فـــي الأرض كما إستخلفت الذين من قبله، مكّن له دينه الذي إرتضيته له،، أبدله من بعد خوفه أمناً يعبدك لا يُشرك بك شيئاً)).

الشَّرح إستخلفه: أي إجعله خليفة، والخليفة: هو الذي يُدبّر الأُمور من قبل غيره، والامام: هو المدبّر أُمور الدين من قبل الله(عزّ وجل) بما هو مأثور عنده عن رسول الله عن الله(عزّوجل)، ومنه قوله تعالى: *إنّي جاعل فـــي الأرض خليفة* (البقرة/ الآية ٣٠)، فهو يُدبّر أُمور الناس، ويقوّم الأود، ويلمّ الشعث ويحفظ على الناس دينهم وأمانتهم، وهو السلطان الأعظم الذي يحتجّ اللّـــه به على العباد.

وفي التنزيل العزيز:

وَعَدَ الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم فـــي الأرض وَلَيُمكّنن لهم دينهم الذي إرتضى لهم وليُبدّلنّهم من بعد خوفهم أمنـــاً يعبدونني ولا يُشركون بي شيئا (النور/ الآية ٥٥).

وقد علمت أنّه مهما إشتدّ الايمان وتعاظم في قلوب الناس، فليـــس فيهم من هو أعظم إيماناً، وأقوى بصيرة، وأصفى سريرة، وأطهر نفساً، وأطـــيب ذاتاً من أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، فهم ساسة الحق وأعلامه، ومنـــار الهدى وسنامه، وهم السبب الموصول بين الله و بين خلقه، من تمسّك بـــهم نجا، ومن تخلّف عنهم هوى، على أننا لم نر أنّ الدنيا راقت لهم بحال، بـل

قضوا أعمارهم فيها وهم مظلومون مقهورون ، مشرّدون عن أوطانهم ، ممنوعون حقوقهم ، لم يموتوا حتف آنافهم ، بل هذا مقتول بالسيف وهذا بالسمّ ، فأين وعد الله لهم بالاستخلاف والأمن ، وإنّ وعده الحق وقوله الصدق ، ولا يُخلف الميعاد ، ولسنا نشكّ أنّ هذا الاستخلاف إنّما يكون بعد ظهور القائم (عليه السلام) ، فلا تحسبنّ الله مُخلف وعده رُسُلَه ، وإنّما يعجل من يخاف الفوت .

قال في مجمع البيان بعد ذكر آراء المُفسّرين :

والمرويّ عن أهل البيت (عليهم السلام) : إنّها في المهدي من آل محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، وروى العيّاشي باسناده عن عليّ بن الحسين (عليهما السلام) ، أنّه قرأ الآية وقال :

((هم والله شيعتنا أهل البيت، يفعل الله ذلك بهم على يدي رجل منّا ، وهو مهديّ هذه الأُمّة ، وهو الذي قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : " لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من عترتي ، إسمه إسمي ، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما مُلئت ظلماً وجوراً ")) .

وروي مثل ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام) .

فعلى هذا يكون المراد بالذين آمنوا وعملوا الصالحات : النبيّ وأهل بيته (عليهم صلوات الرحمان) ، وتضمّنت الآية البشارة لهم بالاستخلاف والتمكّن في البلاد ، وارتفاع الخوف عنهم عند قيام المهدي منهم (عليهم السلام) ، ويكون المراد بقوله : ﴿كما استخلف الذين من قبلهم﴾ : هو أن جعل الصالح للخلافة خليفة مثل آدم وداود وسليمان (عليهم السلام) .

ويدلّ على ذلك قوله : ﴿إنّي جاعل في الأرض خليفة﴾ و : ﴿يا داود إنّا جعلناك خليفة في الأرض﴾ ، وقوله : ﴿فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة

وآتيناهم ملكاً عظيماً* ، وعلى هذا إجماع العترة الطاهرة ، وإجماعهم حجّة لقول النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) :

((إنّي تارك فيكم الثقلين : كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي ، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض)) .

وأيضاً فانّ التمكين في الأرض على الإطلاق لم يتّفق فيما مضى ، فهو منتظر ، لأنّ الله (عزّ إسمه) لا يخلف وعده ، إنتهى .

وفي غيبة النعماني (ص ١٨٤) : عن الإمام الصادق (عليه السلام) :

((إذا كان ليلة الجمعة أهبط الربّ تعالى ملكاً إلى سماء الدنيا ، فاذا طلع الفجر جلس ذلك الملك على العرش فوق البيت المعمور ونصب لمحمد وعليّ والحسن والحسين (عليهم السلام) منابر من نور، فيصعدون عليها ، وتجمع لهم الملائكة والنبيّون والمؤمنون ، وتفتح أبواب السماء ، فاذا زالت الشمس قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : "يا ربّ ميعادك الذي وعدت به في كتابك ، وهو هذه الآية :* وَعَدَ الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما إستخلف الذين من قبلهم وليمكّنن لهم دينهم الذي إرتضى لهم وليُبدّلنّهم من بعد خوفهم أمناً* "، ثم يقول الملائكة والنبيّون : مثل ذلك ، ثم يخرّ محمد وعليّ والحسن والحسين سُجّداً ، ثم يقول : يا ربّ اغضب ، فانّه قد هتك حريمك ، وقتل أصفياؤك ، وأذلّ عبادك الصالحون فيفعل الله ما يشاء ، وذلك يوم معلوم)) .

وفيه عن الإمام الباقر (عليه السلام) :

((إذا ظهر القائم (عليه السلام) ظهر براية رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وخاتم سليمان ، وحجر موسى وعصاه ، ثم يأمر مناديه فينادي :

ألا لا يحملنّ رجل منكم طعاماً ولا شراباً ولا علفاً ، فيقول أصحابه : إنّه يُريد أن يقتلنا ويقتل دوابّنا من الجوع والعطش ، فيسير ويسيرون معه ، فأول منزل ينزله يضرب الحجر فينبع منه طعام وشراب وعلف ، فيأكلون ويشربون ودوابّهم ، حتى ينزلوا النجف بظهر الكوفة)) .

وعنه (عليه السلام) :
((كأنّي بدينكم هذا لا يزال مولّياً يفحص بدمه ، ثم لا يردّه عليكم إلا رجل منّا أهل البيت ، فيعطيكم في السنة عطائين ، ويرزقكم في الشهر رزقين ، وتُؤتون الحكمة في زمانه ، حتى انّ المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله تعالى وسنّة رسول الله)) .

وفي إكمال الدين (ص٣١٩) : باسناده عن الامام الباقر (عليه السلام) :
((إذا قام القائم (عليه السلام) قال : ﴿ففرت منكم لمّا خفتكم فوهب لي ربّي حكماً وجعلني من المرسلين﴾ (الشعراء/الآية٢٦))) .

الدُّعَاءُ

((اللهم أعزّه وأعزز به ، وانصره وانتصر به ، وانصره نصراً عزيزاً ، وافتح له فتحاً يسيراً)) .

الشَرح عزّ الرجل عزّاً ـ بالكسر ـ ، وعزازه بالفتح : قوي ، وعزّ يعزّ من باب تعب فهو عزيز ، وجمعه : أعزّه ، وتعزّز : تقوّى ، وعزّزته بآخر : قوّيته بالتثقيل والتخفيف والمعنى : إجعله قويّاً ، وإجعلنا أقوياء بوجوده ، والنصر بالفتح والنصرة : الإعانة والتقوية ، أي أعنه على عدوّه واجعله الوسيلة لتقوية دينك ، وافتح له فتحاً يسيراً ، من اليسر بمعنى : السهولة ، أي : إفتح له أبواب الخير والتمكين حتى يحقّ الحق ويبطل الباطل ، ومثله كما في بعض الروايات : ((واجعل له

من لدنك سلطاناً نصيراً)) . والسلطان : الحجّة والبرهان والمُلْك والولاية ؛ أي أعطه كلّ ذلك حتى لا يدع للجور دعامة إلا قصمها ، ولا قوّة إلا أوهنها .

الدُّعَاء

((اللهم أظهر به دينك، وسُنّة نبيّك حتى لا يستخفي بشيء من الحق مخافة أحد من الخلق)) .

الشَّرح

وذلك إنّه (عليه السلام) إنّما غاب لأنّه خاف على نفسه القتل ، حيث إنّ ملوك عصره ثبت عندهم أنّه الموعود بأن يطهّر الأرض من الفساد ، ويملأها قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً ، ولئلا يكون في عنقه بيعة لأحد من الطواغيت، أمر معهود إليه عن آبائه الطاهرين عن رسول الله عن الله (عزّ وجل) ، وأنت خبير بموقف عمّه جعفر الكذّاب منه ، ذلك الموقف العدائي الممقوت، وكيف حمل المعتمد العبّاسي على تفتيش الدار ، وحبس جواري أبيه ، كلّ ذلك بحثاً عن المولود ، إرادة منهم لإطفاء نور الله (عزّ وجل) وتكذيب النبيّ الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فيما أخبر به عنه ، كما جاءت الأخبار ودوّنه المحدّثون ، فمن أراد التثبّت فعليه بمراجعة الكتب المعدّة لذلك .

كما وإنّه لا بدّ من التمحيص والغربلة والاختبار ، ليهلك من هلك عن بيّنة ، ويحيى من حيّ عن بيّنة ، كما مرّ عليك سابقاً ، ومن ذلك قول والده (عليهما السلام) لمحمد بن إسحاق كما في كمال الدين (ص) :

والله ليغيبنّ غيبة لا ينجو فيها من الهلكة إلا من ثبّته الله (عزّ وجل) على القول بامامته ، ووفّقه فيها للدعاء بتعجيل فرجه .

وفيه (ص ٣٣٤) : عن منصور قال : قال أبو عبد الله (عليه السلام) :

((يا منصور إنّ هذا الأمر لا يأتيكم إلا بعد يأس ، والله لا

يأتيكم حتى تميّزوا ، لا والله حتى تمحّصوا ، لا والله حتى يشقى من يشقى ويسعد من يسعد)) .

وعن عبد الرحمٰن بن سيّابة عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنّه قال :
((كيف أنتم إذا بقيتم بلا إمام هدى ولا علم؟ يبرأ بعضكم من بعض ، فعند ذلك تُمحّصون وتُميّزون وتُغربلون ، وعند ذلك إختلاف السيفين ، وإمارة أول النهار ، وخلع من آخر النهار)) .

الدُّعَاء

((اللهم إنّا نرغب إليك في دولة كريمة ، تعزّ بها الاسلام وأهله ، وتذلّ بها النفاق وأهله ، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك ، والقادة إلى سبيلك ، وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة)) .

الشَرح الدولة : الفئة الحاكمة ، والكريمة : العادلة ، لأنّها مأخوذة من الكرم الذي هو فعل الخير ، والعزّة : القوّة ، والذلّ : على العكس ، ولا دولة أكرم من دولة القائم (عليه السلام) ، لأنّ فيها عزّ الاسلام ، وقوّة الدين ، وانبساط العدل وانتشاره ، وإذلال الباطل ومحقه ، والدعاة : جمع الداعي ، والقادة : جمع القائد ، وكلاهما من يدلّ على الخير ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

ففي غيبة النعماني (ص ٢١٩) : عن الامام الصادق (عليه السلام) :
((إذا قام القائم بعث في أقاليم الأرض ، في كلّ إقليم رجلاً يقول : عهدك في كفّك ، فاذا ورد عليك ما لا تفهمه ولا تعرف القضاء فيه فانظر إلى كفّك واعمل بما فيها)) ، قال :
((ويبعث جند إلى القسطنطينيّة فاذا بلغوا إلى الخليج كتبوا شيئاً على أقدامهم ومشوا على الماء ، فاذا نظر الروم إليهم يمشون على

الماء قالوا: هؤلاء أصحاب يمشون على الماء، فكيف هو؟ فعند ذلك يفتحون لهم أبواب المدينه فيدخلونها فيحكمون فيها بما يريدون)).

وعنه (عليه السلام):

((لا تذهب الدنيا حتى ينادي منادٍ من السماء: يا أهل الحقّ إجتمعوا، فيصيرون في صعيد واحد، ثم ينادي مرّة أُخرى: يا أهل الباطل إجتمعوا، فيصيرون في صعيد واحد)).

قلت: فيستطيع هؤلاء أن يدخلوا في هؤلاء؟ قال:

((لا والله، وذلك قول الله (عزّ وجل): ﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيّب)) (آل عمران/ الآية ١٧٩)

وهذه هي الكرامة العظمى، والمنزلة الكبرى للدنيا والآخرة.

نسأل الله أن يُوفّقنا إلى ذلك، وأن يُرينا طلعته الرشيدة وغرّته الحميدة، إنّه أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين.

الدُّعَاءُ

((اللهم ما عرّفتنا من الحقّ فحمّلناه، وما قصرنا عنه فبلّغناه)).

الشَّرح

عرّفتنا: علّمتنا، والتعريف هو التعليم، تقول: عرّفته عرفة وعرفاناً ـ بكسر العين في الموضعين ـ: علمته بحاسّة من الحواس الخمس، والمعرفة إسم منه، والحق: خلاف الباطل، وهو الأمر الثابت الذي لا مرية فيه، وحمله قبوله والإلتزام به، أي أنّ الحق الذي دللتنا عليه إجعلنا قادرين على تحمّله والعمل به، والقصور عن الشيء: العجز عنه وعدم إدراكه، والمراد: إفتح قلوبنا لفهم الحق، واجعلنا قادرين على معرفته والإلتزام به.

الدُّعاء

((اللهم المم به شعثنا ، وارتق به فتقنا ، واشعب به صدعنا ، وكثّر به قلّتنا ، وأعزّ به ذلّتنا ، واغن به عائلنا ، واقض به عن مغرمنا ، واجبر به فقرنا ، وسدد به خلّتنا ، وبيّض به وجوهنا ، وفكّ به أسرنا ، وأنجح به طلبتنا ، وأنجز به مواعيدنا ، واستجب به دعوتنا ، وأعطنا به فوق رغبتنا)) .

الشَّرح

الشعث ـ بفتحتين ـ : الانتشار والتفرّق ، يقال : لمّ الله شعثك ؛ أي جمع شملك المتفرّق وأمرك المنتشر ، والشعب : كالمنع الجمع والتفريق ، والإصلاح والإفساد فهو ضدّ ، وقيل : بل هو لغات بالنسبة إلى كلّ قبيلة ، وقال ابن السكّيت : في الشعب يكون بمعنيين : يكون إصلاحاً ويكون تفريقاً ، والشعب الذي يشعبه الشعاب ، وإصلاحه أيضاً الشعب ، قال ابن السكّيت : والشعاب : الملئم وهو الذي يسدّ الجروح ، وحرفته الشعابة ، والشعب : القبيلة العظيمة ، وقيل : الحيّ العظيم يتشعّب من القبيلة ، وقيل : هو القبيلة نفسها ، والجمع : شعوب ، والشعب : أبو القبائل الذي ينتسبون إليه أي يجمعهم ويضمّهم ، والشعب : موصل قبائل الرأس ، وهو شأنه الذي يضمّ قبائله ، وشؤون الرأس وقبائله أربعة ، ومنها تجيء الدموع ، وشعبت الشيء شعباً من باب نفع : صدعته وأصلحته ، والصدع : الشق ، وصدعت القوم فتصدّعوا أي فرّقتهم فتفرّقوا ، فيكون معنى قولنا : إشعب به صدعنا : أجمع بين متفرّقنا ، أو إجمع فرقتنا ، أو أجبر به كسرنا حيث إنّ الصدع معناه الكسر أيضاً ، ومن معاني قوله تعالى :﴿فاصدع بما تُؤمر﴾ (الحجر/ الآية ٩٤) : شقّ جماعتهم بالتوحيد ، وقيل : أفرق بذلك بين الحقّ والباطل ، ورتق الفتق لامه وسده ، ومن هذا القبيل قوله تعالى :﴿أو لم ير الذين كفروا أنّ السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما﴾ (الأنبياء/ الآية ٣٠) ؛ أي كانتا ذواتي رتق فجعلناهما ذواتي

فتق، والمعنى: كانتا ملتزقتين منسدّتين ففصلنا بينهما بالهواء، وهذا كما يقول الطبيعيّون: إنّ الأرض قطعة إنفصلت من الشمس، واستقرّت في مكانها الذي هي فيه، ثم بردت مع تعاقب الدهور وتوالي الأزمان، حتى صارت على ما هي عليه الآن، وقيل: كانت السماوات مرتتقة مطبقة ففتقناها سبع سماوات، وكانت الأرض كذلك ففتقناها سبع أرضين.

وأصحّ ما قيل في ذلك:

إنّ السماء كانت رتقاً لا تنزل المطر، وكانت الأرض رتقاً لا تنبت النبات، ففتق اللّه السماء، أي جعل فيها فرجاً وشقوقاً فنزل منها الماء، وفتق الأرض كذلك أي جعل فيها فرجاً وشقوقاً ليخرج منها النبات.

وحيث قد إستولى الأشرار على أهل الحقّ فانّك ترى المؤمنين قليل لا يكادون يبينون، لما ينالهم من الظلم والعسف والجور، فهم خائفون مقهورون، تنهب أموالهم، وتزهق نفوسهم، وتشتم أعراضهم، ويمنعون عن إقامة شعائر دينهم، فاذا ظهر الإمام ــ أرواحنا فداه ــ كثروا بعد القلّة، وعزّوا بعد الذلّة، واستغنوا به بعد العيلة والحاجة، ويحقّ لي ــ وقد عظم الخطب وعمّ البلاء أن أناديه وأقول:

مولاي يا آية الباري وحجّته
ومن لشيعته كهف ومعتصم
عمّ البلاء فعجّل يا بن فاطمة
كيما بنورك تُجلى هذه الغمم
تحكّمت عصب النوكى بشيعتكم وساعد الحقّ أمسى وهو منجذم
والخطب جلّ وأوهانا تحمله يا سيّدي والحشا من صبره عدم

لأنت ملجأنا في كلّ نائبة
وأنت من نرتجى إن زلّت القدم
وأنت أعظم مذخور نلوذ به
ونستجير لدى الجلّى ونعتصم
جار العدوّ ووافانا بنقمته
وأنت إن شئت للعانين منتقم
فانهض فديناك واحسم غوايته
فليس غيرك للأعداء يصطلم

اللهم عجّل فرجه، وقرّب ظهوره، وأنعش به القلوب، وأثلج به الصدور، وبيّض وجوهنا به باقامة العدل والثبات على الحقّ، وقوّ به عزائمنا حتى نكون به ظاهرين، وأبر به الظالمين، وأمحق بوجوده المتكبّرين، واقطع به دابر الضالّين والمضلّين، حتى لا يظفر بشيء من الباطل إلا مزّقه، ويحقّ الله به الحقّ ويحققه.

الدُّعَاءُ ((يا خير المسؤولين، وأوسع المعطين)).

الخير: ضدّ الشرّ، ويأتي للتفضيل، والسعة: الغنى، فهو سبحانه الخير، لأنّه تتكرر منه النعم والآلاء والعطايا، وكلّ ما يحتاجه البشر ويعجز عنه الخلق، فهو خير المسؤولين، وخير الناصرين، وخير المرهوبين، وخير المطلوبين، وخير المرغوبين، وخير المقصودين، وغير ذلك مما يشمل الخير، له الأسماء الحسنى، والصفات العليا، لا يُخيّب من دعاه، ولا يقطع رجاء من رجاه، وهو الواسع الذي وسع غناه مفاقر عباده، ووسع رزقه جميع خلقه، فهو واسع المقدرة، لا يضيق عمّا شاء من الزيادة، واسع الرحمة، لا يضيق عن المضاعفة، ولا يملّ من العطاء، ولا يبرمه إلحاح الملحّين.

الدُّعَاءُ

((إشف به صدورنا ، وأذهب به غيظ قلوبنا ، واهدنا به لما اختلف فيه من الحقّ باذنك ، إنّك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم)) .

الشَّرح إنّ ما يعانيه المؤمن من تحدّي الظالمين ومعاناتهم ، وكثرة ما يلحقه من أذاهم تتولّد في نفسه حزازات وإحَن ، ربّما يؤدّي به كبتها وعدم التمكّن من إظهارها إلى داء عضال عسر البراء غير مرجوّ الشفاء ، فاذا حالفه النصر ونال ما يطلبه ــ من حرّية الرأي والإستقلال بالذات ــ طابت نفسه ، وحصل له البراء التام والشفاء العاجل .

وبظهوره (عليه السلام) تذهب الغضاضات والإحن من الصدور ، ويزول الغيظ من القلوب ، ويعمّ الهدى والرشاد ، ويكون الدين كلّه ملّة واحدة فلا إختلاف ولا عدوان ، نسأل الله أن يقرّب ذلك ويعجّله ، وأن يكحل عيوننا برؤية طلعته الشريفة ، ومشاهدة غرّته المنيفة ، وأن يوفّقنا لنكون من أنصاره وأعوانه ، وأن يرزقنا الثبات على طاعته والغبطة برضوانه .

الدُّعَاءُ

((اللهم إنّا نشكو إليك فقد نبيّنا ، وغيبة وليّنا ، وكثرة عدوّنا ، وقلّة عددنا ، وشدّة الفتن بنا ، وتظاهر الزمان علينا)) .

الشَّرح الشكوى والشكاية ــ بفتح الشين وكسرها ــ والشكاوة والشكيّة ــ بوزن : غنية ــ : الإخبار بضعف ، أو هو الاخبار عن سوء الحال ، أو عن سوء الفعل ، وقيل : هو إظهار البثّ ، يُقال : شكوت واشتكيت ، وكذلك الشكاة ؛ وهو لإظهار التضجّر والتألّم وطلب رفع ذلك من الله تعالى ، وهذه الأُمور التي يذكرها الداعي هي أعظم الأسواء وأشدّ المصائب ، وهل مصيبة أعظم من فقد النبيّ (صلّى الله عليه وآله) من بين أظهرنا ، وهو وليّ أمرنا ، وأشفق علينا

من الآباء والأُمـــهات، وكذا غيبة الإمام (عليه السلام) وهو نائبه القائم مقامــه، والوليّ من بعده، نطلبه ولا نستطيع الوصول إليه، فنحن حيارى كالغنم بـــلا راع، هذا مع كثرة العدوّ الذي لا يألو جهداً في إيصال الأذيّة إلينا والعبث بمقدّساتنا، ونحن غير قادرين على مجابهته لقلّة عددنا وعدم وفور العـــدّة التي تمنعنا منه، أضف إلى ذلك ما نقاسيه من النزاع والخصام وتشتت الآراء فيما بيننا، فنحن ــ بما فينا من شحناء وبغضاء ــ مذقة الشارب، ونهـــــزة الطامع، قد قلب الزمان لنا ظهر المجن، وظاهر علينا أعداء الدين، فـــلا نزال نتجرّع الغصص، ونعيش الروب والنكبات، لذلك نضرع إليه تعالـــى نطلب تعجيل الفرج ودفع الملمّات والخطوب قائلين:

الدُّعَاءُ

((فصلّ على محمد وآل محمد وأعنّا على ذلك بفتحٍ منك تُعجّله، وضرٍّ تكشفه، ونصر تُعزّه، وسُلطان حقّ تُظهره، ورحمة منك تُجللـــناها، وعافية منك تُلبسناها برحمتك يا أرحم الراحمين)).

الشَرح الفتح: النصر، وهو أن يغلب عدوّه ويملكه عنوة وقهراً، والضرّ: معروف وهو كلّ ما كان من شدّة وسوء حال في بدن وغيره، وكشفه: دفعه وإزالتــه، والنصر: الإعانة والتقوية من الله تعالى، والعزّ والعزّة: الأنفة والقوّة والكرامة، والسلطان: الحجّة والبُرهان، وهو الحكم والولاية، والحق: خلاف الباطل، وهو الدين الصحيح، والرحمة: النعمة والعدل، تُجللناها: أي تغطّيـــنا بها، أو تجعلنا عُظماء عند خلقك ذوي قدر ومكانة عالية، والعافية: إزالـــة الأسقام، أو هي دفاع الله عن العبد.

كَلِمَةٌ أَخِيرَة

وليكن هذا آخر ما أردنا تسطيره من شرح هذا الدعاء الشريف، وقد أقمت في تأليفه سنة كاملة، وفرغت من تسويده في شهر ذي الحجّة الحـــرام

سنة أربعة بعد الأربعمائة وألف، وفرغت من نقله إلى البياض : رابع عشر جمادى الأولى سنة خمس بعد الأربعمائة وألف من هجرة سيّد النبيين (صلّى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين المعصومين) .

أسأل الله أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به المؤمنين ، وأن يجعله ذخيرة لي يوم الدين ؛ يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلبٍ سليم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

مُحتَوياتُ الكِتابْ

((الجزء الثالث))

المقدّمة ٣
الصلاة على الأئمة (عليهم السلام) ٤
مقام الأئمة (عليهم السلام) ٥
هل القرآن هو الامام ؟ ٨
حديث الامام الرضا (ع) في صفات الامام ١٠
أبيّ سأل عن الأئمة ١٧
لماذا كان الأئمة (ع) من وِلْد الحسين (ع) ؟ ٢٣
نبذة من حياة الامام السجّاد (عليه السلام) ٢٤
نبذة من حياة الامام الباقر (عليه السلام) ٣٩
نبذة من حياة الامام الصادق (عليه السلام) ٤٨
نبذة من حياة الامام الكاظم (عليه السلام) ٦٠
نبذة من حياة الامام الرضا (عليه السلام) ٦٨
نبذة من حياة الامام الجواد (عليه السلام) ٧٨

((محتويات الكتاب))

نبذة من حياة الامام الهادي (عليه السلام)	٩٠
نبذة من حياة الامام العسكري (عليه السلام)	٩٩
نبذة من حياة الامام المهدي (عليه السلام)	١١٠
ولادته (عليه السلام)	١١٢
هل يظهر الملائكة بعد رسول اللّه (ص) ؟	١٢٢
سبب تشيّع بني راشد	١٢٤
غيبة القائم (عليه السلام)	١٢٥
أهل البحرين والوالي	١٢٧
قصّة الحاج علي البغدادي	١٣٠
تسميته (عليه السلام) بالقائم وبعض علاماته وشيء من ترجمته	١٣٥
الدعاء لصاحب الزمان (عليه السلام)	١٥٥
الدعاء له (ع) بالفتح والنصر	١٥٨
الدعاء له (ع) باظهار الدين وعدم التقيّة	١٥٩
الدولة التي نرغب الى اللّه بها	١٦٠
الدعاء بالبلوغ الى الحق	١٦١
الدعاء بأن يكون الحق محور كلّ شيء	١٦٢
خير المسؤولين وأوسع المعطين	١٦٤
الدعاء بالهداية وشفاء الصدور	١٦٥
الشكوى الى الله سبحانه	١٦٥
طلب المعونة والنصر	١٦٦
كلمة أخيرة	١٦٦
محتويات الكتاب	١٦٩

8630

VETUS TESTAMENTUM NOVUM
DEI SUB NUMINE VIGET
PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

WERT BOOKBINDING
Grantville, Pa.
JULY-AUG. 1992
We're Quality Bound

Princeton University Library
32101 058346444